أفنان الصياغة
في حل ألفاظ
دروس البلاغة

مراجعة وتقديم
د. أيمن أمين عبد الغني

خادمة العلم الشريف
د. كاملة الكواري

دار ابن حزم

دروس البلاغة

أفنان الصياغة

في حل ألفاظ

دروس البلاغة

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

9 789959 858184

ISBN: 978-9959-858-18-4

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم
بيروت – لبنان – ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 – 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

أفنان الصياغة

في حل ألفاظ

دروس البلاغة

مراجعة وتقديم

د. أيمن أمين عبد الغني

خادمة العلم الشريف

د. كاملة الكواري

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

بقلم د. أيمن أمين عبد الغني

حمدًا لك يا رب أن أتممت علينا بنعمة الإيمان بك، وشرف الإسلام لك، وصلاة وسلامًا على خير رسلك، وصفوة أنبيائك محمد ﷺ، وبعد:

فإدراك سِمَات الكلام البليغ لا يَتَأَتَّى إلا عن طريق الدرس والبحث والتأمُّل، ومن أجل هذا تَبْدُو الحاجة إلى دراسة البلاغة، وهي جزء مُكَمِّل لِثَقَافة الإنسان.

وعلوم البلاغة العربية تَسْمُو بدارسيها إلى براعة الأسلوب، ورقة العبارة، ورشاقة الألفاظ، وجزالة الكلام، وجمال التركيب، وعذوبة الأسلوب.

واهتمامنا بالبلاغة يجب أن يكون نابعًا من منطلق سديد، وهذا المنطلق هو الارتباط بالقرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي، وإذا أصبح هذا المنطلق واضحًا في أذهان القائمين على تعليم اللغة العربية؛ لم يجنح بهم الخيال يومًا إلى أن العربية صعبة أو سيصيبها ما أصاب غيرها من اللغات التي اندثرت وانتهت، إلا أن العربية باقِيَة؛ إذْ توافر لها ظرف لم يتوافر لكثير من اللغات التي أمْسَتْ لُغَةً أثرية.

وهذه محاولة جادَّة صادقة قامت بها الدكتورة (كاملة الكواري)، وهي سَيِّدَة نذرت نفسها للعلم، ووهَبَتْ حياتها لله تعالى؛ حيث أطلقت أقلامها لتكتب في أكثر مِنْ فنّ، فقد صدر كتابها الرائع (الوسيط في النحو) فتلقفه القراء والطلاب في الوطن العربي، وتبارى الأساتذة بشرحه تلبية لهؤلاء الدارسين.

والحق، هذا عمل مبارك، أخذ وقتًا وجهدًا، ولا يقوم به إلا من أُوتي صبرًا وجلدًا، وأمانة في الاطلاع، ودقة في التحري، وقد أفادت المؤلِّفة -جزاها الله خيرًا- من المؤلفات السابقة قديمها وحديثها، مما أَنْتَج هذا العمل الجميل الذي جمع بين عَبَقِ التراث وسهولة الأسلوب العصري.

جعل الله ذلك في موازين حسناتها، ورزقنا وإيَّاهَا حُسْنَ الخاتمة، نفع الله بها وسَدَّدَ خُطَاها، وأسأله تعالى أن يبارك في قارئ هذا الكتاب، وأن يكون ذخرًا لنا في الآخرة.

د. أيمن أمين عبد الغني

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم، سيدنا محمد عليه أفضل السلام والتسليم، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فَرُبَّ كلمةٍ حَسُنَتْ في موطنٍ، ثم كانت مُسْتَكْرَهَةً في موطنٍ آخرَ، وتلك من البلاغة التي هي تأدية المعنى الجليل واضحًا بعبارةٍ صحيحةٍ فصيحةٍ، لها في النَّفْسِ أثرٌ خَلَّابٌ، مع ملاءمةِ كلِّ كلامٍ للموطنِ الذي يقال فيه، وللأشخاصِ الذين يخاطبون.

وقد حَاوَلْتُ- بفضل الله تعالى- شَرْحَ علومِ البلاغةِ (المعاني- البيان- البديع) بعيدًا عن التعقيداتِ والأمثلةِ المفتعلة التي لا وجودَ لها في استخدام المعاصرين للفصحى، وأكثرت من الشواهد والأمثلة؛ ليكتسب القارئ والدارس دُرْبَةً وَخِبْرَةً.

وقد جاءت مادةُ الكتاب وَاضِحَةً مُشَوِّقَةً، دونَ تعقيدٍ أو حَشْوٍ، وقد اخْتِيرَتْ أمثلتُه وشواهدُه ناصعةً بارعةً في توضيحِ القاعدةِ، إلى جَانِبِ ما تَتَمَتَّعُ بِهِ من سُمُوِّ التعبيرِ، وَرَوْعَةِ الأُسْلُوبِ، وَجَمَالِ الأَدَاءِ، ولله الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ.

وَرَاعَيْتُ أنْ تُعْرَضَ القَوَاعِدُ مُيَسَّرةً مُوَضَّحَةً بالشَّوَاهِدِ المتباينةِ، من القرآنِ الكريمِ، والحديثِ الشريفِ، والشِّعْرِ العربيِّ، والآثارِ، والْحِكَمِ، والأمثلةِ العاليةِ الرفعيةِ.

واشْتَمَلَ الكتابُ على تدريباتٍ متنوعةٍ متدرجةٍ شاملةٍ، تُثَبِّتُ القَاعِدَةَ، فيستفيد الدارسُ منها.

وما نَدَّعِي لهذا العملِ الكمالَ المطلقَ، فما نحن إلا بشرٌ، تَجْرِي عَلَيْنَا سُنَّةُ اللهِ في خَلْقِهِ، فَيَثْبُتُ مِنَّا الْقَلَمُ أو يَزِلُّ، ويَحْضُرُ مِنَّا الْفَهْمُ أو يَغِيبُ؛ فَاللَّهُمَّ يا وَلِيَّ المؤمنين،

ومُتَوَلِّيَ الصالحين، اجعلْ عَمَلِي هذا قُرْبَةً؛ أدْنُو بها منك، واجعلْهُ صَحيحًا مقبولًا، وسعيي فيه مَرْضِيًّا مَشكُورًا، وانفعْ به اللهُمَّ مَنْ قَرَأَ فيهِ، إنَّكَ وَحْدَكَ القَادِرُ عَلَى ذَلِكَ.

وأرجو أن يكونَ هذا العملُ خالصًا لوجْهِ اللهِ سبحانه، وأنْ يفيدَ منه القُرَّاءُ من طَلَبَةِ العلمِ، على قَدْرِ نُبْلِ الْهَدَفِ وإِخْلاصِ القصد، وأنْ يكونَ سَبيلاً مُيَسَّرًا لِخِدْمَةِ لُغَتِنَا الْعَرَبيَّةِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

خادمة العلم الشريف

د. كاملة الكواري

٢٧ ربيع الأول ١٤٤١هـ - ٢٤/١١/٢٠١٩م

alkuwari1439@gmail.com

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للهِ الذي قَصُرَتْ عبارةُ البلغاءِ عن الإحاطةِ بمعاني آياتِهِ، وعَجَزَتْ أَلْسُنُ الفصحاءِ عن بيانِ بدائعِ مصنوعاتِهِ. والصلاةُ والسلامُ على مَن مَلَكَ طَرَفي البلاغةِ إطْنَابًا وإيجازًا، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الفاتِحِينَ بِهَدْيِهِمْ إلى الحقيقةِ مَجَازًا، وبعدُ:

(الحمد) لغة هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التبجيل والتعظيم، سواء تعلق بالفضائل أو بالفواضل، وعرفًا: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث إنه منعم على الحامد أو غيره؛ فالحمد (لله) سبحانه وتعالى (الذي قصُرَت) أي: عَجَزَتْ ونَقَصَتْ (عبارة البلغاء) العبارة: الكلام الذي يبيِّنُ به ما في النفس من معان، يقال: هذا الكلام عبارة عن كذا؛ أي: معناه كذا، والبلغاء جمعُ بَلِيغٍ، وهو الفصيحُ طَلِقُ اللسانِ (عن الإحاطة بمعاني آياته) سبحانه وتعالى، والمعاني جمع معنى، وهو الصورة الذهنية من حيث إنه وُضِعَ بإزائها الألفاظ، فالصور الحاصلة في العقل من حيث إنها تُقصَد باللفظ سُميت «معنى»، ومن حيث إنها تحصُل من اللفظ في العقل سُميت «مفهومًا»، ومن حيث إنه مقول في جواب «ما هو» سميت «ماهية»، ومن حيث ثبوته في الخارج سُميت «حقيقة»، ومن حيث امتيازه عن الأغيار سُميت «هوية»، والآيات جمع آية، وهي: العلامة والأمارة، أو المراد آيات القرآن، والآية منه طائفة من القرآن يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها طويلة كانت أو قصيرة، والمراد: أن عبارة البلغاء قد قصرت عن إفادةِ جميعِ معانيهِ الظاهرةِ ومَكْنُونَاتِهِ الخَفِيَّةِ، (وعَجَزَت) أي: ضَعُفَتْ (أَلْسُن) جمع اللسان، وهو جسم لحمي مستطيل متحرك يكون في الفم (الفُصَحاء) جمع الفصيح، وهو رجل له مَلَكَة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح (عن بيان بدائع) جمع بديع، والمراد: المبدَع مجازًا، يقال: هذا

من البدائع؛ أي: مما بلغ الغاية في بابه (مصنوعاته) أيْ: مخلوقاتِهِ، أيْ: عن الإتيانِ بكلامٍ فصيحٍ مُعْرِبٍ عن ذلك.

(والصلاة) والمراد هاهنا: إنزال الرحمة (والسلام على مَن مَلَكَ طرفي)؛ أي: جانبي (البلاغة؛ إطْنَابًا)، والإطناب هو: أن يؤدَّى المعنى بعبارة أزيد مما يستحق (وإيجازًا)، والإيجاز: أن يؤدى المعنى بعبارة أقل مما يستحق، والمراد أنه ﷺ فائق على كمال نهاية البلاغة؛ فالصلاة والسلام عليه (وعلى آله) هم مؤمنو بني هاشم وبني المطلب (وأصحابه) جمع صاحب بمعنى صحابي، والصحابي هو مَن رأى النبي ﷺ أو رآه النبي ﷺ كالمكفوفين مسلمًا، ثم مات على الإسلام؛ (الفاتحين بـ) سَبَبِ (هديهم) أيْ: دلالتهم (إلى) الطريقِ المُوَصِّلِ إلى (الحقيقة) أي: حقيقةِ الأمْرِ، وهي توحيدُهُ تعالى وعبادتُهُ (مجازًا)؛ أي: طريقًا، والمراد: الفاتحين طريقًا يسلكه مَن بعدهم من التابعين إلى يوم الدين.

(وبعد) البسملة، والحمد لله، والصلاة والسلام.

❁❁❁

فهذا كتابٌ في فنونِ البلاغةِ الثلاثةِ، سَهْلُ المَنَالِ، قريبُ المَأْخَذِ، بَرِيءٌ من وَصْمَةِ التطويلِ المُمِلِّ، وعَيْبِ الاختصارِ المُخِلِّ، سَلَكْنَا في تَأْلِيفِهِ أَسْهَلَ التراتيبِ، وَأَوْضَحَ الأساليبِ، وَجَمَعْنَا فيهِ خُلاصةَ قواعدِ البلاغةِ، وأُمَّهاتِ مسائِلِهَا.

(فهذا كتاب) في الأصلِ مصدرُ كَتَبَ إذا خَطَّ، ثم صَارَ حقيقةً عُرْفِيَّةً في الألفاظِ المكتوبةِ (في فنون) جمع فن: وهو التطبيق العملي للنظريات العلمية بالوسائل التي تحققها، ويُكتسب بالدراسة والمران، وهو جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة، وجملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف، (البلاغة الثلاثة) المعاني والبيان والبديع، وهو كتاب (سهل المَنَال) أي: التَّنَاوُلِ، وهو في الأصلِ: مد

اليد لأخذ الشيء، والمراد به لازمه، وهو الأخذ؛ يعني أن أخذ الطالب لمسائل هذه الفنون من هذا الكتاب سهلٌ، فهو كتاب (قريب المأخذ) أي: أَخْذُ وَفَهْمُ المقصودِ مِن هذه الفنونِ منه قريب على أذهانِ الطلبةِ، (بريء) أي: نَزِيهٌ وخالِصٌ (من وصمة)؛ أي: عيب (التطويل) وهو التعبير عن المعاني بألفاظ كثيرة كل واحدة منها تقوم مقام الأخرى، بحيث إذا أسقطت لفظة ظل المعنى على حاله؛ هذا التطويل (الْمُمِل) أي: المُوجِبِ للملل أي: السَّآمَةِ، (و)بريء من (عيب الاختصار الْمُخِل) أي: المفسد للمقصود (سلكنا) أي: نَهَجْنَا (في تأليفه أسهل التراتيب) جمع ترتيب، وهو وضع كل شيء في مرتبته (و)سلكنا فيه (أوضح الأساليب) جمع أُسلوب، وهو الطريق والفن، أي: طُرق التعبيرِ، (وجمعنا فيه)؛ أي: في هذا الكتاب (خلاصةَ)، والخلاصة هي أهم ما ورد في كتاب أو فن أو نص أو غيرها مجردًا من الزوائد والفضول، (قواعد) جمع القاعدة وهي الضابط الكلي الذي ينطبق على الجزئيات؛ كقاعدة صياغة اسم المكان على وزن «مفعل» إذا كان الفعل مثالًا واويًا، أو مكسور العين في المضارع، وتسمى أيضًا الأصل، (البلاغة)؛ أي: قواعد علمين من علومها، وهما المعاني والبيان، وأما البديع فليس فيه إلا ذكر المحسنات؛ كاللغة ليست إلا ذكر الألفاظ، (و)جمعنا فيه (أمهاتِ) أي: أُصُولَ (مسائلها) جمع المسألة والمسائل هي المطالب التي يُبرهَن عليها في العلم، ويكون الغرض من ذلك العلم معرفتها.

❁❁❁

وَتَرَكْنَا ما لا تَمَسُّ إليهِ حاجةُ التلامذة مِن الفوائدِ الزوائدِ، وُقُوفًا عنـدَ حَـدِّ الـلازِمِ، وحِرْصًـا على أَوْقَـاتِهِمْ أَنْ تَـضِيعَ في حَـلِّ مُعَقَّـدٍ، أو تلخـيصِ مُطَـوَّلٍ، أو تكميلِ مُخْتَصَرٍ؛ فَتَمَّ بِهِ مـع كُتُـبِ الدروسِ النحويـةِ سُـلَّمُ الدراسـةِ العربيَّـةِ في المدارسِ الابتدائيَّةِ والتجهيزيَّةِ.

(وتركنا) في هذا الكتاب (ما لا تمس) أي: لا تُلْجِئُ (إليه حاجة التلامذة)؛ جَمْعُ تلميذٍ وهو طالب العلْمِ؛ (من الفوائد الزوائد) على أمهاتِ المسائِلِ؛ وإنما تركناه (وقوفًا عند حد اللازم) لهؤلاءِ التلاميذِ في إنجازِ حَاجَتِهِمْ (وحرصًا) أي: طَمَعًا (على أوقاتهم) جمع وقت، وهو مقدار من الزمان قدر لأمر ما؛ (أن تضيع)؛ أي: تُفقَد (في حَلِّ) أي: فَكِّ (مُعَقَّدٍ) من التعقيد، والتعقيد هو ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد، ولذلك سببان:

أحدهما: يرجع إلى خلل في النظم والتركيب.

وثانيهما: يرجع إلى المعنى.

(أو)؛ أي: وحرصًا على أوقاتهم أن تضيع في (تلخيصِ) كلامٍ (مُطوَّلٍ)؛ أي: مُشْتَمِلٍ على التطويلِ، وهو الزيادةُ على أَصْلِ المُرَادِ بلا فائدةٍ.

(أو)؛ أي: وحرصًا على أوقاتهم أن تضيع في (تكميلِ) كلامٍ (مختصرٍ) أي: مُشْتَمِلٍ على الاختصارِ، وهو تقليلُ اللفظِ، سواءً كَثُرَتِ المَعَانِي أو نَقَصَتْ أو سَاوَتْ.

(فتم) أي: كَمُلَ (به) أي: بهذا الكتابِ (مع كتب «الدروس النحوية) لتلاميذِ المدارسِ الثانويَّةِ» تأليف: حفني ناصف، ومحمد دياب، والشيخ مصطفى طموم، ومحمود أفندي عُمر (سُلَّم)؛ أي: مرْقَاة ومصعد (الدراسة العربية) أي: تَمَّ سُلَّم الدراسة العربية (في المدارس الابتدائية والتجهيزية) بهذا الكتاب مع كتب الدروس النحوية. والمدارس التجهيزية هي المدارس الإعدادية للارْتِقَاءِ إلى المدارس الثانوية.

❁❁❁

والفضلُ في ذلكَ كُلِّهِ لِلْأَمِيرَيْنِ الكبيريْنِ نُبْلًا، والإنسانَيْنِ الكاملَيْنِ فَضْلًا: نَاظِرِ المعارفِ، المُتَجَافِي عن مِهَادِ الرَّاحَةِ في خدمةِ البلادِ، الواقفِ في مَنْفَعَتِهَا على قَدَمِ الاستعدادِ، صاحبِ العُطُوفَةِ مُحَمَّد زَكِي بَاشَا، ووكيلِهَا ذي الأيادي البيضاءِ في تَقَدُّمِ المعارفِ نحوَ الصراطِ المستقيمِ، وَإِدَارَةِ شُئُونِهَا على المِحْوَرِ القويمِ، صاحبِ السعادةِ: يَعْقُوب أرتين بَاشَا؛ فهما اللذانِ أَشَارَا عَلَيْنَا بِوَضْعِ هذا النظامِ المفيدِ، وسلوكِ سبيلِ هذا الوضعِ الجديدِ؛ تحقيقًا لرغائب أمير البلاد، ووليِّ أَمْرِهَا الناشئ في مهد المَعَارِف، العارف بقدرها، مُجَدِّد شهرة الديار المصرية، ومُعِيد شبيه الدولة المُحَمَّدِية العلوية، مولانا الأفخم عباس حِلْمِي باشا الثاني، أدام الله سعود أُمَّتِهِ، وأَقَرَّ به عيون آلِهِ ورِجَالِهِ، وسائر رعيته، آمين.

حفني ناصف /مُحَمَّد دِياب سُلْطَان مُحَمَّد / مُصْطَفَى طَمُوم.

(والفضل) أي: الكرم والإحسان (في ذلك) التأليف (كله) أي: في إتمام هذا الكتاب وكتب الدروس النحوية الفضل راجع (للأميرَيْن) أي: الحاكمين (الكبيرين نُبْلًا) أي: نجابة، (والإنسانين الكاملين فضلًا)؛ أي: علمًا:

أولًا: (ناظرِ المعارف المتجافي) أي: المتباعد (عن مهاد) أي: فراش (الراحة، في خدمة البلاد) المصرية (الواقف في) سبيل (منفعتها) أي: في منفعة البلاد (على قدم الاستعداد) أي: التأهب، (صاحب العطوفة)؛ أي: صاحب الكرم والشفقات، (محمد)، والمراد: «أحمد (زكي باشا») ابن إبراهيم بن عبدالله المتوفى سنة ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م، ولفظ «باشا» مشتق من الفارسية، وقيل: إنه مشتق من التركية، من باش، بمعنى: رأس، وهذا اللقب كان يُعطيه الأتراك للأمراء الملكيين من بيت الملك الذين يخدمون في الجيش والإدارة، وقد كانوا يعطونه أيضًا لمن لا وظيفة له منهم.

(و)**ثانيًا**: (وكيلها)؛ أي: وكيل المعارف؛ أي: متولي إدارة المعارف؛ وهي معادلة لوزارة التعليم، (ذي الأيادي البيضاء)؛ والمراد: صاحب الفضل (في تقدُّم)

بمعنى سبق (**المعارف نحو الصراط المستقيم، و**) صاحب القدرة في (**إدارة شئونها**) جمع شأن، بمعنى الحالات والكيفيات (**على المحور**) وهو في الأصل: القطعة التي يدور عليها الشيء، والمراد به هنا: الطريق (**القويم**)؛ أي: المعتدل (**صاحب السعادة «يعقوب أرتين باشا»**) المتوفى سنة ١٣٣٧هـ، ١٩١٩م.

(**فهُما**) يعني أحمد زكي باشا ناظر إدارة المعارف، ويعقوب أرتين باشا وكيل إدارة المعارف في ذلك العصر (**اللذان أشارا علينا**)؛ أي: نَصَحانَا؛ والمراد: أمرانا (**بوضع هذا**) الكتاب على (**النظام المفيد، و**) بـ(**سلوك سبيل**)؛ أي: طريق (**هذا الوضع الجديد**) المناسب لأبناء العصر، وإنما أشارا بذلك (**تحقيقًا لِرَغَائِب**) جمع الرغيبة، مؤنث الرغيب، ومعناه: المرغوب فيه (**أمير البلاد**) أي: حَاكِم البِلاد المصرية، أي: أُمِرْنَا بهذا لإثبات شيء هو المرغوب فيه لأمير البلاد (**ووليِّ أمرها**)؛ أي: صاحب الأمر في البلاد (**الناشئ**)؛ أي: الذي شب ونَمَا (**في مهد**)، والمهد في الأصل: سرير يُهَيَّأ لِلصَّبِيّ، والمراد النشوء في بيئة تُحفز على تنمية العلم و(**المعارف، العارف بقدرها**)؛ القدر هاهنا بمعنى الحُرْمَة والوقار؛ أي: العارف بقدر المعارف (**مجدد شهرة الديار**)؛ أي: البلاد (**المصرية، ومُعِيد**)؛ أي: مَن أرجع (**شبيبة**)؛ أي: شباب (**الدولة المحمدية العلوية**) أي: الدولة التي تُنسب إلى «**محمد علي**»، و«محمد علي» هو من أجداد الممدوح المذكور (**مولانا**) المولى هو المالك، وكل من وليَ أمرًا أو قام به والمُنعم (**الأفخم**)؛ أي: عظيم القدر الخديوي (**«عباس حلمي باشا»**) ابن توفيق بن إسماعيل المتوفى سنة ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م، حفيد «**محمد علي**»، ويُعرَف بالخديوي عباس حلمي (**الثاني، أدام**)؛ أي: أبقى (**الله**) سبحانه وتعالى (**سُعود أمته**)، والأمة: جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد، وتجمعهم صفات موروثة، أو يجمعهم أمر واحد من دين أو مكان أو زمان؛ يقال: الأمة المصرية والأمة العراقية، والسعود: سعود النجوم، وهي عدة كواكب يُقال لكل واحد منها: سعد كذا.

فصار المعنى: أبقى الله كواكب جماعته (وأقر)؛ أي: أرضى الله (به)؛ أي: بعباس حلمي الثاني (عيون آله)؛ أي: أهله (ورجاله وسائر)؛ أي: باقي (رعيته)، وهي عامة الناس الذين عليهم راعٍ يُدبِّر أمرَهم ويرعى مصالحهم.

(آمين)؛ أي: اللهم استجب.

وقد اشترك في وضع هذا الكتاب البلاغي النفيس كلٌّ من:

محمد (حفني) بن إسماعيل بن خليل بن (ناصف) المتوفى سنة ١٣٣٨هـ-١٩١٩م.

(محمد دياب) بن إسماعيل بن درويش الشافعي المنوفي المتوفى سنة ١٣٣٩هـ-١٩٢١م.

(سلطان) أفندي (محمد)، وكان حيًّا حوالي ١٣٢٩هـ- ١٩١١م.

(مصطفى طموم) المالكي المتوفى سنة ١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م.

(علوم البلاغة)

أولًا: علم المعاني. **ثانيًا**: علم البيان. **ثالثًا**: علم البديع.

وسيأتي الكلام على كل واحد منها في مكانه.

مقدمة في الفصاحة والبلاغة

الفصاحةُ فِي اللغَةِ تُنْبِئ عن البيانِ والظهورِ، يُقَال: أفْصَحَ الصَّبِيُّ في منْطِقِـهِ: إذا بـانَ وَظَهَـرَ كلامُـهُ. وتَقَـعُ فِي الاصـطلاحِ وَصْـفًا للكلمـةِ والـكلامِ والْمُـتَكَلِّمِ. ففصاحةُ الكلمةِ: سلامَتُهَا مِن تَنَافُرِ الحروفِ، ومخالفةِ القياسِ، والغرابةِ. فَتَنَـافُرُ الحروفِ: وصفٌ فِي الكلمةِ يُوجِبُ ثِقَلَهَا على اللسانِ، وعُسْرَ التُّطْقِ بها؛ نحوُ الظَّشِّ للموضعِ الخَشِنِ، والهُعْخُعِ لِنَبَاتٍ تَـرْعَاهُ الإبـلُ، والنُّقَـاخ للمـاءِ العـذْبِ الـصافي، والمُسْتَشْزِرُ لِلْمَفْتُولِ.

(مقدمة) وهي ألفاظ قُدِّمَت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه. (في) بيان معنى (الفصاحة والبلاغة) وأقسامهما.

وإنما جُعِلَ الكلام فيه مقدمةً لأن المراد بالمقدمة هاهنا ما يُذكَر قبل المقصود ليرتبط به ذلك المقصود وينتفع به الطالب فيه كما مر، ولا شك أن بيان معنى الفصاحة والبلاغة مما يرتبط به مقاصد هذا الفن، وينتفع به الطالب فيها.

الفصاحة

الفصاحة لغةً:

الفصاحة لُغَةً تُطلَق على معانٍ كثيرة؛ منها:

* نزع الرغوة، يقال: سقاهم لبنًا فصيحًا، أي: أُخِذَت رَغْوَتُه ونُزِعَت منه.

* الإضاءة، يقال: أفصح الصبح، أي: أضاء.

فالفصاحة (تُنبئ)؛ أي: تُخبِر (عن البيان والظهور) والوضوح (يقال: أفصح الصبيُّ في منطقه)؛ أي: بان نطقُ الطفلِ وظهرت ألفاظُه، (إذا بان وظهر كلامه)، وأيضًا يقال: «فصح الأعجمي» و«أفصح»: إذا انطلق لسانُه، وبانَتْ لُغَتُه وظهرت الحروفُ حتى يفهمَها المستمع.

ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ ﴾ [القصص: ٣٤]، أي: أَوْضَحُ مِنِّي كلامًا، وأَبْيَنُ نُطقًا، وَأَظْهَرُ قَوْلاً.

تعريف الفصاحة اصطلاحًا:

(وتقع)؛ أي: تُطلَق الفصاحة (في الاصطلاح)؛ أي: اصطلاح العلماء (وصفًا للكلمة) فيقال: لفظة فصيحة. (والكلام)؛ أي: ووصفًا للكلام؛ فيُقَال: كلام فصيح، ورسالة فصيحة، وقصيدة فصيحة. (والمتكلم)؛ أي: ووصفًا للمُتَكَلِّم؛ فيقال: رجل فصيح، وشاعر فصيح، وكاتب فصيح(١).

فصاحة الكلمة:

ويُقدَّم تعريفها على فصاحة الكلام والمتكلم لتوقفهما عليها.

(ففصاحة الكلمة) هي: (سلامتها)؛ أي: سلامة الكلمة (من) كل واحد من العيوب الثلاثة التي سيأتي بيانها.

شروط فصاحة الكلمة:

١ - سلامة الكلمة من تنافر الحروف:

أي أن تكون حروفها متآلفة غير متناكرة، والتآلف معناه: أن يسهُل النطق بها مجتمعة، والتنافر: أن يصعُب النطق بها مجتمعة.

---

(١) ذكر علماء البلاغة أن الفصاحة تأتي وصفًا للكلمة الواحدة، ووصفًا للكلام، ووصفًا للمتكلم، فيقال: كلمةٌ فصيحةٌ، وكلامٌ فصيحٌ، ومتكلم فصيحٌ.

٢- سلامة الكلمة من مخالفةِ القياسِ:

أي: الضابط المقرَّر من استقراء استعمالات العرب؛ فما خالف القياس النحوي أو الصرفي فإنه غير فصيح.

٣- سلامة الكلمة من الغرابة:

أي: ألا تكون الكلمة وَحشيّة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند العرب.

فحيثُما وُجِدَ واحد من الثلاثة في الكلمة كانت غير فصيحة.

قيل: وجه حصر عيوب فصاحة الكلمة فِي الثلاثة أن الكلمة لها مادة، وهي حروفها، وصورة، وهي صيغتها، ودلالة على معناها، وحينئذ فعيبها إما في مادتها وهو التنافر، أو فِي صورتها وهي مخالفة القياس، أو في دلالتها على معناها وهو الغرابة.

(فـ)أما (تنافرُ الحروفِ) فهو: (وصفٌ في الكلمةِ يُوجِبُ ثِقَلَهَا)؛ أي: ثقل الكلمة (على اللسانِ)؛ أي: يُوجب شيئًا عظيمًا بحيث يصير على اللسان كالحمل الثقيل، (و)هذا الثِّقَل هو سبب (عُسْر النُّطْقِ بها)؛ أي: بالكلمة.

والتنافر نوعان:

النوع الأول: تنافر شديد كبير في الثقل، (نحوُ) لفظ (الظِّشِّ) يُقال (للموضع الخَشِنِ، و) نحو لفظ (الهِعْخِعِ) يُقال (لنباتٍ) أسود (ترعاه) أي: تأكله وتسرح عليه (الإبلُ)، والهاء والعين لا يكاد واحد منها يأتلف مع الآخر من غير فصل، فوجه تنافر حروف هذه الكلمة كونها من مخرج واحد وهو الحلق.

(و)**النوع الثاني**: تنافر ثقيل أقل من التناهي؛ نحو لفظ (النُّقَاخِ) يقال (للماء العذب) البارد (الصافي) يقول الشاعر:

وأحمق ممن يكرع الماء قال لي ... دع الخمر واشرب من نقاخ مبرد

ولقد عيب على الشاعر استعماله كلمة (النقاخ) في هذا البيت

(و) نحو لفظ: (الْمُسْتَشْزِرِ) يقال (للمفتول)؛ أي: من الحبل وغيره، يقال: استشزر الحبل؛ أي: انفتل، وحبل مشزور؛ أي: مفتول مما يلي اليسار، ووجه تنافر حروف هذه الكلمة هو توسط الشين وهي مهموسة رخوة، بين التاء وهي مهموسة شديدة، وبين الزاي وهي مجهورة، فضاربت الشين بإحدى صفتيها ما قبلها، وضاربت بالأخرى ما بعدها.

هذا والضابط لمعرفة تنافر الحروف وأن ثقله شديد أو غير شديد: هو الذوق السليم المكتسَب بالنظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم؛ سواء كان ثقله من قرب مخارج الحروف أو من بُعدها أو من غيرها.

❁❁❁

ومُخَالَفَةُ القياسِ: كَوْنُ الكلمةِ غيرَ جَارِيَةٍ على القانونِ الصرفيّ، كَجَمْعِ بُوقٍ عَلَى بُوقَاتٍ فِي قَوْلِ الْمُتَنَبِّي:

فَإِنْ يَكُ بَعْضُ الناسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ ... فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ

إِذِ القياسُ فِي جَمْعِهِ لِلْقِلَّةِ أَبْوَاقٌ. وَكَمَوْدَدَة في قولِهِ:

إِنَّ بَنِيَّ لَلِئَامٌ زَهَدَه ... مَا لِيَ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ مَوْدَدَه

والقياسُ (مودَّة) بالإدغامِ.

وهذا هو الشرط الثاني لفصاحة الكلمة، وقد ذكرناه إجمالًا عند شرحنا للفقرة السابقة من المتن، ألا وهو (مخالفة القياس) فهو: (كونُ الكلمةِ غيرَ جاريةٍ على القانون الصرفي) المستنبَط من تتبع لغة العرب؛ فإذا اقتضى قلب الياء ألفًا مثلًا وجاءت الكلمة كذلك كانت فصيحة، أو جاءت بخلافه فقد خرجت عن القانون وكانت غير فصيحة؛ هذا حيث قل الاستعمال..، وأما إذا ثبت الاستعمال الكثير على خلاف القانون الصرفي كلفظتي المشرق والمغرب بكسر الراء، والقياس فتحها

فيهما، وكذا لفظتا المُدهُن والمُسعُط بضم الميم وعين الكلمة، والقياس فيهما كسر الميم وفتح العين، وكإبدال الهاء في أهل وموه همزة، فقيل: آل وماء، وكأَبَى يأبَى بفتح الموحدة في المضارع، والقياس كسرها فيه؛ لأن فَعَلَ بفتح العين لا يأتي مضارعه على يفعَل بالفتح إلا إذا كان عين مضارعه أو لامه حرف حلق؛ فإن مخالفة القياس في ذلك جائز ولا مشكلة فيه ولا تُخِل بالفصاحة؛ إذ ذلك كالاستثناء من القانون.

فإذا جاءت الكلمة على هذا الاستعمال كانت فصيحة أو جاءت على خلافه، وإن وافقت القانون الصرفي كانت غير فصيحة؛ فتحصَّل أن مخالفة القياس إخلالها بالفصاحة مشروط بقلة الاستعمال؛ وذلك (كجمع بُوقٍ) وهو ذاك الذي يُنفَخ فيه ويُزمَّر (على بُوقَاتٍ في قول) أبي الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكندي الكوفي (المتنبي) المتوفى سنة ٣٥٤هـ يمدح الأمير سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب.

فَإِنْ يَكُ بَعْضُ الناسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ(١)

فقوله: «بعضُ الناسِ» عنى ببعض الناس: سيف الدولة الملك المعروف الذي اشتهر المتنبي بمدحه.

فلفظ «بوقات» في البيت غير فصيحة؛ لمخالفته ما ثبت عن الواضع والقياس الصرفي، (إذ القياس في جمعه)؛ أي: جمع لفظ بوق (للقلة) أن يُجمع على (أبواق)؛ كروح وأرواح، وسوق وأسواق، وقوت وأقوات؛ لا «بوقات»؛ لأن جمع المؤنث السالم له مواضع خاصة ليس هذا الاسم منها.

---

(١) وقوله: «بُوقَاتٌ»؛ أي: مزامير، وقوله: «طُبُولُ»، جمع الطبل، وهي آلة يُشد عليها الجلد ونحوه يُنقَر عليه. ومعنى البيت: إذا كنت سيفًا للدولة يذود عنها ويقاتل بنفسه، فغيرك من الملوك للدولة بمنزلة الأبواق والطبول، لا غَنَاء عندهم ولا منفعة لهم إلا جمع الجيوش لتقاتل عنهم.

(وكـ) لفظ (مَوْدَدَةٍ) بفك الإدغام (في قوله)؛ أي: قول الشاعر:

إنَّ بَنِيَّ لَلِئَامٌ زَهَدَه مَا لِيَ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ مَوْدَدَه[1]

فقوله: «لَلِئَامٌ» جمع لئيم، خلاف الكريم؛ والمراد: لا خير فيهم.

وقوله: «زَهَدَهْ»؛ جمع زاهد؛ كبارٌ وبررة، وكافر وكَفَرة، والمراد بالزاهد هنا: ضيِّق الخُلُق.

وقوله: «مَا لِي في صدورهم من موددة»؛ أي: ليس في قلوبهم شيء من المودة والمحبة لي.

(و)الشاهد أن لفظ «موددة» بفك الإدغام غير فصيح؛ لأن (القياس) أن يقول: (مَوَدَّة)؛ أي: (بالإدغام)؛ لاجتماع المثلين وتحرُّك الثاني، وذلك يُوجِب الإدغام، وحيث جاء غير مدغَم كان غير فصيح؛ فالفرق في موضع الإدغام يُعتبَر غير فصاحة لمخالفة القياس.

❁❁❁

والغَرَابَةُ: كونُ الكلمةِ غيرَ ظاهرةِ المعنى، نَحْو: (تَكَأْكَأَ) بمعنى: اجْتَمَعَ، وافْرَنْقَعَ بمعنى: انْصَرَفَ، واطْلَخَمَّ بمعنى: اشْتَدَّ.

أما الشرط الثالث لشروط فصاحة الكلمة فهو أن تتجرد الكلمة من (الغرابة) في الاستعمال فهي: (كونُ الكلمة غيرَ ظاهرة) الدلالة على (المعنى) الموضوعة له؛ أي: لم ينتقل الذهن منها لمعناها الموضوعة له بسهولة؛ بأن لا تكون مألوفة الاستعمال عند العرب العرباء سكان البادية، وهي قسمان:

أحدهما: ما تتوقف معرفة معناه على كثرة البحث والتفتيش في المعاجم، أي: كتب اللغة المبسوطة؛ لعدم تداوله في لغة خُلَّص العرب؛ (نحو) لفظة: (تَكَأْكَأَ)، وهي

---

(١) ومعنى البيت: أولادي ليس في قلوبهم محبة الأب؛ لأنهم لئام عاطلون يقابلون إحسانه بالإساءة.

(بمعنى): ازدحم و(اجتمع. و) مثل لفظة (افْرَنْقَعَ) فهي (بمعنى: انصرف)، وهما وردا في قول عيسى بن عمر النحوي حين سقط عن حماره فاجتمع الناس حوله: «ما لكم تكأكأتم عليَّ تكأكؤكم على ذي جِنَّةٍ؛ افرنقعوا عني».

فإن هاتين الكلمتين لعدم تداولهما في لغة العرب الخُلَّص لا يذكرهما مِن اللغويين في كتابه إلا مَن قَلَّ.

(و) منه أيضًا لفظ: (اطْلَخَمَّ)، وهو (بمعنى: اشتد) وعظُم؛ من قول أبي تمام:

قد قلت لما اطلخمَّ الأمرُ وانبعثت ... عشواء تالية غبسًا دهاريسا

القسم الثاني: ما لا يُرجَع في معرفة معناه إلى كتب اللغة لكونه غير مستعمل عند العرب، ولعدم جريانه على النظير؛ فيحتاج إلى تكلُّف في تخريجه موجب لصعوبة الفهم ولخفائه؛ كلفظ «مُسرَّج» من قول رؤبة:

ومقلةً وحاجبًا مزجَّجا ... وفاحِمًا ومَرْسنًا مُسَرَّجا

فإنه لم يُعرَف ما أراد بقوله: «مُسَرَّجا» حتى اختُلف في تخريجه؛ فقيل: هو من قولهم للسيوف: «سريجية» منسوبة إلى عبد يُقال له «سُريج» يريد أن أنفه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي، وقيل: من السراج، يريد أنه في البريق واللمعان كالسراج، ولا يخفى ما في تشبيه الأنف بالسيف أو السراج من خلاف المعتاد في تراكيب البلغاء وعباراتهم.

فإن مثل هذه الألفاظ لعدم تداولها بين العرب العرباء ليست بظاهرة الدلالة على معانيها، بل يُحتاج في معرفتها إلى أن يُنقَر ويُبحَث عنها في الكتب المبسوطة من اللغة.

والخلاصة أن الكلامَ الفَصِيح يَجِبُ أن يَسْلَمَ من:

أولًا: الغرابة:

والغرابة في الكلمة كونُها قليلةَ الوضوحِ، غيرَ ظاهرةِ الْمَعْنَى ولا مألوفةِ الاستعمال، عند فُصحاء العرب في شعرهم ونثرهم.

كلمة (مُسْحَنْفِرَة) بمعنى (متّسِعَة). و(بُعَاق) بمعنى (مَطَر).

و(جِرْدَحْل) بمعنى (الوادي) عند المازني، وذكر ابن سيده أنه ليس على ثقة من كلامه، وفسره بالضخم. و(جَحْمَرِش) للمرأة العجوز.

و(اطْلَخَمَّ) بمعني: اشتد. و(تَكَأْكَأْتُمْ) بمعنى: اجتمعتم.

فهذه الكلمات غير فصيحة لغرابتها.

ثانيًا: تنافر الحروف:

أي: كون الكلمةِ ثقيلةً على السمعِ، وصَعْبَةً في أداءِ اللسان، مثل:

(مُسْتَشْزِرَات) بمعنى: مرتفعات. و(الْهُعْخُعُ): اسم نبات.

وقد تكون الكلماتُ فصيحةً، غيْرَ أنَّ اجتماعَهَا مع بعضِهَا يحدث تنافرًا وثقلًا، مثل قول الجاحظ:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ ... وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ (١)

وقد جاءَ الثقلُ مِنْ تكْرارِ الرَّاءِ والْباءِ في البيتِ. وقيلَ: إنَّ هذا البيتَ لا يتهيأُ لأحدٍ أن يُنْشدَهُ ثلاثَ مرات متوالياتٍ دون أن يتَتَعْتَعَ؛ لأن اجتماعَ كلماتِه وقُرْبَ مخارجِ حروفِها، يحدِثانِ ثِقلاً ظاهرًا، مع أَنَّ كلَّ كلمةٍ منه لو أُخذتْ وحدها كانت غيرَ مُستكْرهةٍ ولا ثقيلةٍ (٢).

---

(١) رُفِعَ لَفظُ (قَفْر) مع أنه نعتٌ للفظ (مكان) لضرورة الشعر، وخرّجوه على أنّه من قبيل الصفة المقطوعة عن موصوفها.

(٢) ومن أمثلة ما هو شديدُ التّنافرِ ما يلي:

=

ثالثًا: مخالفة القياس النحوي أو الصرفي:

عندما تَكُونُ الكلمة مخالفةً لقواعدِ النحوِ أو الصَّرْفِ، ومن أمثلة ما هو مخالف للقياسِ الصرفي من الكلمة فكُّ الحرف المضعّف في الكلمة التي يقتضي القياسُ فيها إدغامَهُما بحرفٍ مُشَدَّدٍ، نحو: كلمة (**الأجْلَلِ**) والقياسُ أَنْ يُقالَ فيها (**الأجَلّ**) بإدغام اللام، ولا مُسَوِّغ لِفَكِّهِ. ومنه قول أبي النّجم بن قُدامة:

الْحَمْــدُ لِلَّــهِ الْعَلِــيِّ الأَجْلَــلِ ... أَنْــتَ مَلِيــكُ النَّــاسِ ربًّــا فَاقْبَــلِ

وكقول المتنبي:

إِذَا كَـانَ بَعْـضُ النَّـاسِ سَيْفًا لِدَوْلَـةٍ ... فَفِــي النَّـاسِ بُوقَـاتٌ لَهَـا وطُبُـولُ

والقياس: (**أبواق**) وليس بوقات، وهذا مخالف للقياس النحوي.

وكقول الفرزدق:

وَعَـضُّ زَمَانٍ يَـا ابْـنَ مَرْوَانَ لَـمْ يَدَعْ ... مِـنَ الْمَـالِ إلامُـسْحَتًا أَوْ مُجَلَّـفُ

فسأل عبدُ اللهِ بْنُ أَبِي إسحاقَ الفرزدقَ: لِماذا رَفَعْتَ (**مجلف**) وحقها النصب؛ لأنها معطوفة؟ فقال: عَلى مَا يَسُوؤُكَ، عَلَيَّ أَنْ أقولَ وعليكَ أَنْ تُؤَوِّلَ، ثم هَجَاهُ قائلًا:

وَلَـوْ كَـانَ عَبْـدُ اللهِ مَـوْلًى هَجَوْتُـهُ ... وَلَكِـنَّ عَبْـدَ اللهِ مَـوْلَى مَوالِيـا

فقال: والله لا أدري أَخطَؤُهُ في البيت أشد أو هجاؤه لي؟ إنما هو مولى موالٍ.

=

كلمة (صَهْصَلِق) يقال لغة: رجُلٌ صَهْصَلِقُ الصَّوْتِ: إذا كان ذا صوتٍ شديد، ويقالُ: امرأةٌ صَهْصَلِق وصَهْصَلِيق، أي: شديدة الصّوتِ صَخَّابة.

وكلمة (طَساسِيج) جمع (طَسُّوج) اسم للناحية، واسمٌ لمقدار من الوزن يعْدِلُ رُبْعَ دانِقٍ، فالدَّانِق أربعةُ طَساسِيج، وهو سُدْسُ الدِّرْهَم.

وكلمة (اطْرَغَشَّ) يقال: اطرغَشَّ المريضُ، إذا شُفِي مِنْ مَرَضِهِ، وإذا قام وتحرّك ومشَى.

وممّا هو مخالف للقياس: استعمال هَمْزَةِ القطْعِ بدلَ همزة الوصْل، واستعمالُ همزةِ الوصلِ بدلَ همزةِ الْقَطْعِ، ويكثرُ مِثْلُ هذا في الشِّعْرِ لِمُراعاةِ الوزن، ومنه قول جميل:

أَلاَ لاَ أَرَى «إِثْنَيْنِ» أَحْسَنَ شِيمَةً ... عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جُمْلِ

فقطع همزة (اثنين) مع أنّها أَلِفُ وصْلٍ، وحدَثان الدهر نوائبه، وأراد بِكَلِمَةِ (جُمْل) اسم امرأة.

رابعًا: كراهية السمع لها:

يزيد بعض البلاغيين شرطًا رابعًا وهو: كون الكلمة مكروهةً في السمع أي: كونُها خشنَةً وَحْشِيَّةً، تَأْنَفُ منها الطِّبَاع، ومثّلوا لهذا العيب، بنفور السَّمْعِ عن كلمة (الْجِرِشَّى) بمَعْنَى (النفس) فعابوا على أبي الطيّبِ المتنبّي استعمالَها في قَوْلِهِ يمدحُ سيف الدولة:

مُبَارَكُ الاسْمِ أغَرُّ اللَّقَبْ ... كَرِيمُ الْجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ

كَرِيمُ الجِرِشَّى: أي: كريمُ النفس.

❁❁❁

فصاحة الكلام

٢- وفصاحةُ الكلامِ: سلامتُهُ مِن تنافُرِ الكلماتِ مجتمعةً، ومِن ضعفِ التأليفِ، ومِن التعقيدِ مع فصاحةِ كلماتِهِ. فالتنافُرُ: وَصْفٌ فِي الكلامِ يُوجِبُ ثِقَلَهُ على اللسانِ، وعُسْرَ النطقِ بِهِ، نحوُ:

فِي رَفْعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مثلُكَ يَشْرَعُ ....

.... وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

كريمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والوَرَى   مَعِي وإذا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

(وفصاحة الكلام) هي: (سلامته من) كل واحد من العيوب الثلاثة:

أولًا: سلامته من (تنافر الكلمات مجتمعة)؛ أي: منافرة كل واحدة للأخرى؛ بأن يثقُل في اللسان اجتماع كلماته؛ بأن لا يكون في اجتماع كلماته تنافر.

وإنما قيل هذا لأن المعتبَر في فصاحة الكلام هو سلامته من تنافر كل واحدة من كلماته للأخرى، لا السلامة من تنافر أجزاء كلمة واحدة؛ فإن ذلك من فصاحة الكلمة.

(و) **ثانيًا**: سلامته (من ضعف التأليف)؛ أي: جريانه على خلاف القانون المشهور بين النحاة.

(و) **ثالثًا**: سلامته (من التعقيد)؛ أي: ضعف فَهْمِ المَعْنَى منه بوجه راجع إلى اللفظ أو المعنى.

ففصاحة الكلام هي سلامته مِمَّا مَرَّ (مَعَ فصاحة كلماته)؛ أي: حالة كون فصاحة كلماته مقارِنة للسلامة من العيوب الثلاثة، وأما إذا سَلِمَ الكلام من هذه الثلاثة لكن مع عدم فصاحة بعض كلماته لم يكن فصيحًا؛ وذلك كقولنا: رأيت ماء نقاخًا ينبع من سفح جبل شامخ، وقولك: إخال أنك مصوون، وقولك: البُعاق ملأ الجِرْدَحل؛ فإن

الأول فيه كلمة غير فصيحة وهي «نُقاخ» كفُرَات؛ لأن حروفها متنافرة، والثاني فيه كلمة غير فصيحة وهي «مصوون» لمخالفتها للقياس الصرفي، والثالث فيه كلمتان ليستا فصيحتين هما البعاق والجردحل لغرابتهما، ومعنى الأولى مطر السحاب، ومعنى الثانية الوادي، وسبق الخلاف.

(فـ)أما (التنافر) أي: تنافر الكلمات مجتمعة أو الكلمتين مجتمعتين فهو (**وصفٌ في الكلام يُوجِب**) هذا الوصف (**ثِقَله**)؛ أي: ثِقَل الكلام (**على اللسان، وعُسْرَ النطق به**)؛ أي: بالكلام؛ أي: وإن كان كل كلماته فصيحًا. وهذا التنافر نوعان:

النوع الأول: شديد أو أعلى؛ سواء كان منشأ الثقل وعسر النطق اجتماع مجموع كلمة مع أخرى، أو اجتماع بعض حروف كلمة مع بعض حروف من الأخرى؛ (**نحو**) قول الشاعر:

(في رَفْعِ عَرْشِ الشرعِ مثلُك يَشْرَعُ) ....

قوله: «يشرع» أي: يأخذ.

فلو نظرنا إلى الكلمات: «عرش» و«شرع» و«يشرع» لوجدناها كلمات غير متنافرة الحروف؛ لكن جمع بعضها إلى بعض يُوجِب التنافر؛ فيكون عدم الفصاحة في الكلام.

ومنه أيضًا ما ذُكِرَ من أنَّ حرب بن أميَّة داس برجله على جني في صورة حيَّة؛ فصاح عليه ذلك الجني فمات في صحراء، فقال الجني:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفرُ (وَليسَ قُرْبَ قبرِ حربٍ قبرُ)

والقفر هي الصحراء.

فالتنافر في الشطر الثاني من البيت؛ ولو أخذنا كلماته كلًّا على حدةٍ وهي: قبر وحرب وقرب. لوجدناها جميعًا كلمات فصيحة خفيفة النطق، لا يجد السامع فيها

عيبًا، لكن ضم بعضها إلى بعض هو الذي أكسبها الثِّقَل في البيت، وذلك لتقارب حروف كلماته.

والنوع الثاني: خفيف أو أدنى؛ نحو قول أبي تمَّام حبيب بن أوس الطَّائي من قصيدة يعتذر فيها إلى ممدوحه موسى بن إبراهيم الرافعي؛ إذ قد اتهمته جماعة بأنه قد هجاه:

(كريمٌ متى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والورى   مَعي وَإذَا ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي)

فقوله: «كريم»؛ أي: هذا الممدوح، أي: أبو الغيث موسى بن إبراهيم الرافعي.

و«الورى»؛ أي: الخلائق.

وقوله: «إذا ما لُمْته»؛ أي: عاتَبْتُهُ.

يقول: هو كريم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه فيمدحونه لإسداء إحسانه إليهم كإسدائه إليَّ، ولا أمدحه بشيء إلا صدقني الناس فيه، وإذا لمته لا يوافقني أحد على لومه؛ لعدم وجود المقتضي له فيه.

والشاهد فيه تنافر الكلمات في قوله «متى أمدحه أمدحه» مِنَ الثِّقَل؛ لقُرب مخرج الحاء من مخرج الهاء؛ لأن المخارج كلما قربت كانت الألفاظ قَلِقَة غير مستقرة في أماكنها، وإذا بعدت كانت بعكس الأول، ولهذا لم يوجد في كلام العرب العين مع الغين ولا مع الحاء ولا مع الخاء ولا الطاء مع التاء؛ حذرًا مما مرَّ، وأيضًا فيه ثقل من جهة التكرار في «أمدحه» و«لمته».

وإنما كان هذا من النوع الثاني؛ لأن موجِب الثِّقَل فيه اجتماع «الحاء» و«الهاء» في كلمة مع تكرارها في كلمة أخرى، وإن كان مجرد الجمع بين «الحاء» و«الهاء» بدون التكرير لا يُخل بالفصاحة.

❁❁❁

وضَعْفُ التـأليفِ: كَـوْنُ الـكلامِ غـيرَ جـارٍ على القـانونِ النَّحْـوِيِّ المـشهورِ؛ كالإضمارِ قبلَ الذِّكْرِ لَفْظًا وَرُتْبَةً في قولِهِ:

جَزَى بَنُوهُ أبـا الغِـيْلَانِ عـن كِـبَرٍ ... وحُـسْنِ فِعْـلٍ كمـا يُجْـزَى سِـنِمَّارُ

(و) أما (ضعفُ التأليف)، فهو (كـون الكـلام غيـرَ جـارٍ) في تركيبه (على القـانون النحوي المشهور) اعتباره بين جمهور النَّحويين؛ بأن كـان جاريًـا على قـولٍ مقابلٍ للمشهور له صحَّة عند أولي النظر، وأمَّا إذا خالف المُجمَع عليه كجرٍّ الفاعـل ورفـع المفعول ففاسد غير معتبَر، أما ضـعيف التـأليف فـ(كالإضـمار) أي: الإتيـان بضمير (قبل الذِّكر) أي: ذِكر مرجعه (لفظًا ورتبـةً) وقـد جـاء (في قولـه) أي: قـول سـليط بـن سعد:

(جـزى بَنُـوهُ أبـا الغِـيلانِ عـن كِبَـرٍ ... وحُـسنِ فِعـلٍ كمـا يُجَـزَى سِـنِمَّارُ)

فقوله: «جزى» بمعنى: كفى.

وأبو الغيلان كنية رجل.

وقوله: «عن كِبَر»؛ أي: بعد كِبَر؛ كمـا في القـرآن الكـريم: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]؛ أي: بعد طبق.

وقوله: «وحسن فعل»؛ المراد: إحسانه إلى أولاده.

وقوله: «كما يُجزَى سِنمَّار» أي: كجزاء سِنمَّار، وسِنِمَّار صـانعٌ رُومـي بَنَـى قـصرًا يسمى الخوَرْنق في الكوفة للنعمان ملك الحيرة، وهو قصر عظيم لم تـر العـرب مثلـه، وكان بناؤه في عشرين سنة؛ فلما فـرغ ألقـاه النعمـان مـن أعـلاه؛ لـئلا يبنـي لغيـره مثلـه فسقط ميتًا؛ فضَرَبَت به العرب مثلًا في سوء المكافأة.

فيُخبِر الـشاعر أن أولاد أبـي الغيلان بعـد حـسن فعلـه معهـم جـازوه كـما جـوزي سنمَّار.

ومحل الاستشهاد قوله: «جزى بنوه أبا الغيلان»، وفيه ضمير: «بنوه» راجع إلى أبي الغيلان، الذي هو مفعولٌ به، فيلزم الإضمار قبل الذكر لفظًا ورتبة.

الأصل أن الضمير لا يُذْكَر إلا بعد ذكر الاسم الذي يرجع إليه مثل: زيدٌ لقيته، فالهاء ترجع إلى زيد، وقد تقدَّم، ويمتنع أن يكون الضمير راجعًا إلى اسم متأخر عنه لفظًا ورتبة؛ لأنه يلتبس الكلام، نحو: (جزى رَبُّه عَدِيًّا)، فالهاء في (ربه) ترجع إلى (عدي)، وهو متأخر لفظًا كما هو واضح، ومتأخِّر رتبة؛ لأنه مفعول به، والضمير الراجع إليه متصل بالفاعل، ورتبة المفعول متأخرة عن رتبة الفاعل في ترتيب كلمات الجملة، فكان (عدي) متأخرًا لفظًا ورتبة عن الهاء في ربه، فإن تأخر لفظًا وتقدَّم رتبة جاز، نحو: أتَى رَبَّهُ موسى، فالهاء ترجع إلى موسى وهو متأخر هنا في اللفظ، لكنه فاعل فرتبته التقديم على لفظ (رَبّ)؛ لأن لفظ رب مفعول رتبته التأخير، فصار الضمير راجعًا إلى متأخر لفظًا متقدم رتبة.

❁❁❁

والتعقيدُ: أنْ يكونَ الكلامُ خَفِيَّ الدلالةِ على المعنى المُرَادِ. والخفاءُ إمَّا مِن جِهَةِ اللفظِ بِسَبَبِ تقديمٍ أو تأخيرٍ أو فصلٍ، وَيُسَمَّى تَعْقِيدًا لَفْظِيًّا، كقولِ المُتَنَبِّي:

جَفَخَتْ وهم لا يَجْفَخُونَ بها بِهِمْ ... شِيَمٌ على الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلَائِلُ

فإنَّ تَقْدِيرَهُ: جَفَخَتْ بهم شِيَمٌ دلائلُ على الحَسَبِ الأَغَرِّ، وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بها.

(و)أما (التعقيد) بمعنى التَّعقُّد؛ أي: كون الكلام معقَّدًا فهو (أن يكون الكلام خفيَّ الدلالة)؛ أي: تخفى دلالته (على المعنى المراد) للمتكلِّم، وإن كان ظاهر الدلالة على معناه الموضوع له، وهذا بخلاف الغرابة؛ فإنها عبارة عن كون الكلام خفي الدلالة على المعنى الموضوع له كما سبق.

(والخفاء) الذي به تعقُّد الكلام على نوعين:

(إما)؛ أي: النوع الأول: خفاء لخلل (من جهة اللفظ) أي: نظم الكلام وتركيبه، فلا يدري السامع كيف يتوصَّل منه إلى معناه؛ (بسبب تقديم) للَّفظ عن محلِّه الأصليّ الذي يقتضيه ترتيب المعاني، (أو) بسبب (تأخير) للفظ عن ذلك المحلّ؛ (أو) بسبب (فصلٍ) بين شيئين متلازمين بأجنبيّ؛ كالفصل به بين المبتدأ والخبر، وبين الصفة والموصوف، وبين البدل والمبدَل منه، وكذا بسبب حذفٍ بلا قرينة واضحة؛ فإن وُجِدَت القرينة على المحذوف فلا تعقيد.

(ويُسمَّى) التعقيد الذي أوجبه خلل نظم الكلام وتركيبه (تعقيدًا لفظيًّا)؛ وذلك (كقول) أبي الطيب أحمد بن الحسين (المتنبي) الكندي:

(جَفَخَتْ وهم لا يَجْفَخُونَ بها بهم   شِيَمٌ على الحسبِ الأغَرِّ دلائلُ)

فقوله: «جَفَخَت» أي: افتخرت وفاخرت.

وقوله: «وهم لا يجفخون بها» أي: بالشِّيَم.

وقوله: «شيم» جمع شيمة، وهي الخُلُق والطبيعة والعادة.

وقوله: «الحسب»؛ أي: شرف الأصل أو ما يُعد من مآثر الآباء.

وقوله: «الأغر»؛ أي: السيد الكريم.

وقوله: «دلائل» جمع دَلالة، وهي: ما يقوم به الإرشاد.

يقول المتنبي: إن لهم شيمًا كريمة تدل على ما لهم من الحسب الشريف، وهذه الشيم تفتخر بهم وهم لا يفخرون بها؛ لبُعدهم عن الزهو والخيلاء، أي: افتخرت بهم طبائع دالة على ما كان لآبائهم من مناقب ومفاخر وهم لا يفتخرون بها؛ لأنهم حاصلون على ما هو خير وأوفى.

فالبيت فيه من التقديم والتأخير ما خفي به الدلالة على المراد؛ (فإن تقديره) أي: أصله: (جَفَخَتْ)؛ أي: افتخرت (بهم شِيَمٌ)؛ أي: أخلاق، هذه الشيم (دلائلُ على

الحسب﴾؛ أي: الأصل والشرف ﴿الأغرِّ﴾؛ أي: الكريم، ﴿وهم لا يجفَخُون﴾؛ أي: لا يفخرون ﴿بها﴾؛ فهاهنا وقع التعقيد وخفاء المراد لخلل من جهة اللفظ بسبب التقديم والتأخير والفصل؛ فقد فصل بين الفعل والفاعل، وهما «جفخت شيم» بأجنبي هو جملة «وهم لا يجفخون بها» الواقعة حالًا، وفصل بين الصفة والموصوف وهما «شيم دلائل» بالجار والمجرور، وهما قوله: «على الحسب الأغر».

❁❁❁

وإمَّا مِن جهةِ المعنى بسببِ استعمالِ مجازاتٍ وكناياتٍ لَا يُفْهَمُ المرادُ بها، ويُسَمَّى تَعْقِيدًا مَعْنَوِيًّا، نحوُ قولِكَ: نَشَرَ المَلِكُ أَلْسِنَتَهُ فِي المدينَةِ. مُرِيدًا جَوَاسِيسَهُ، والصوابُ: نَشَرَ عُيُونَهُ، وقوله:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا ... وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدموعَ لِتَجْمُدَا

حيثُ كَنى بالجمودِ عن السرورِ، مع أنَّ الجمودَ يُكْنَى بِهِ عن البُخْلِ وقتَ البكاءِ.

﴿وإما﴾؛ أي: النوع الثاني من الخفاء: خفاء لخلل ﴿من جهة المعنى﴾؛ أي: في انتقال ذهن السامع من المعنى الأوَّل إلى معنى آخر مراد للمتكلِّم ملابِس للمعنى الأوَّل، والمراد بالخلل في هذا الانتقال بُطؤه.

وحصول هذا الخلل ﴿بسبب استعمال مجازات و﴾استعمال ﴿كنايات﴾ والمراد: استعمال اللوازم البعيدة والوسائط المتعددة؛ أي: بسبب اختلال ذهن المتكلِّم وإيراده كلمات مريدًا بها اللوازم البعيدة على وجه المجاز إن كانت قرينة مانعة عن إرادة المعنى الحقيقي، أو على وجه الكناية إن لم تكن ﴿لا يُفهَم المراد بها﴾أي: لا يفهم السامع المعنى المقصود للمتكلِّم منها لخفاء القرائن الدالَّة عليه.

وحاصل ما في المقام أنَّ الكلام المجازي أو الكنائي يُشترط في فصاحته أن يكون الفهم سريعًا؛ لكون المعنى الثاني المراد مجازًا أو كناية قريبًا فهمه من المعنى الأوَّل

في تركيب الاستعمال العرفي؛ فإن لم يكن كذلك، بأن كان المعنى الثاني الملابس بعيدًا فهمه من المعنى الأوَّل عرفًا بحيث يُفتقر في فهمه إلى وسائط وتفكُّرات كثيرة مع خفاء القرينة لم يكن ذلك الكلام فصيحًا؛ لحصول التعقيد لخفاء القرائن الدالة على المراد بها.

(ويسمى) التعقيد الذي أوجبه بُطء انتقال نفس السامع للمعنى المراد مع خفاء القرينة عليه (تعقيدًا معنويًا)؛ وذلك لرجوعه إلى خلل معنويٍّ كما أنَّ ما تقدَّم سُمِّي لفظيًا لرجوعه إلى خلل لفظي.

والتعقيد المعنوي (نحو قولك) عن انتشار الجواسيس: (نشر المَلِك ألسنته في المدينة) حال كونك (مريدًا) بقولك «ألسنته»: (جواسيسه، والصواب: نشر عيونه)؛ لأنَّ الذي يُتوصَّل به إلى الأخبار عادة إنما هو العيون لا الألسنة؛ فإن العين لكونها اسمًا للجزء الذي له مزيد اختصاص بالشخص الجاسوس بحيث يتوقف تحققه بوصف كونه جاسوسًا على الجزء؛ أي: العين؛ إذ لولاه انتفت عنه الجاسوسية، تُستعمل مجازًا في الجاسوس بخلاف اللسان؛ فإنه وإن كان جزءًا منه لكن ليس له مزيد اختصاص بكونه جاسوسًا؛ فلا يصح إطلاقه عليه؛ لأنه لا يصح إطلاق اسم كل جزء على الكل مجازًا، وإنما يُطلَق اسم الجزء الذي له مزيد اختصاص بتحقق ما صار به الكل حاصلًا بوصفه الخاص.

(و) من التعقيد المعنوي (قوله) أي: قول عباس بن الأحنف من ندماء هارون الرشيد:

(سأطلبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكم لِتَقْرُبُوا ... وَتَسكُبُ عينَاي الدموعَ لتَجْمُدَا)

فقوله: «بُعد الدار» أي: بعد داري.

ومعنى الشطر الأول: سأطلب بعد الدَّار عنكم وأتحمَّل آلام الفراق وأصبر عليه؛ لأنَّ عاقبة الألم والصبر الفرج، وحين يأتي الفرج يكون قُربٌ دائمٌ ووصلٌ مستمر مصحوبٌ بسرور لا ينقطع.

وقوله: «وتسكب عيناي الدموع» ليس المراد الإخبار بسكب عينيه للدموع؛ بل الإخبار بلازمه وهو الحزن والكآبة، فكأنَّه قال: وأوطِّن نفسي على مقاساة الأحزان والكآبة «لتجمدا»؛ أي: لأتسبَّب بذلك إلى المسرَّة الدائمة.

فجعل الشاعر سكب الدموع كناية عمَّا يلزمه من الكآبة والحزن، وأصاب في ذلك الجعل لسرعة فهم الحزن من سكب الدموع عُرفًا، ولهذا يقال: أبكاه الدَّهر كناية عن كونه أحزنه؛ ولكن الشاعر أخطأ (حيث كَنَى بالجمود)أي: جمود العين (عن)ما يُوجبه التلاقي من الفرح و (السرور)بقرب أحبَّته؛ (مع أن الجمود)أي: جمود العين ويُبسها (يُكنَى به عن البخل وقت البكاء)، وهو وقت الحزن على مفارقة الأحبَّة؛ فهو الذي يُفهَم من جمودها بسرعة لا دوام الفرح والسرور كما قصد الشاعر؛ فإنَّه خفيٌّ بعيدٌ لا يُفهم من العبارة بسرعة، بل يحتاج إلى وسائط بأن يُنتَقَل من جمود العين بمعنى جفافها من الدموع عند إرادتها منها إلى انتفاء الدَّمع منها حال إرادة البكاء، ومنه إلى انتفاء الدمع مطلقًا، ومنه إلى انتفاء الحزن ونحوه، ومنه إلى السرور، وبذلك يكون الكلام معقَّدا غير فصيح.

فصاحة المتكلم

وفصاحةُ المُتَكَلِّمِ: مَلَكَةٌ يقتدرُ بِهَا على التعبيرِ عن المقصودِ بكلامٍ فصيحٍ، فِي أيِّ غَرَضٍ كانَ.

(**وفصاحة المتكلم**) هي: (**مَلَكَة**) أي: صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال؛ فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير مَلَكة، (**يقتدر بها**) أي: يكون قادرًا قدرة تامَّة بسبب هذه الملكة (**على التعبير عن المقصود**) أي: كل ما وقع عليه قصد المتكلِّم وإرادته (**بكلام فصيح**) أي: خال عن العيوب الثلاثة عن الخلل في مادته، وذلك بعدم تنافر كلماته، وعن الخلل في تأليفه، وذلك بعدم ضعف تأليفه، وعن الخلل في دلالته على المعنى التركيبي، وذلك بعدم التعقيد بنوعيه؛ (**في أي غَرَضٍ كان**) أي: في أيِّ نوع من المعاني كالمدح والذَّمِّ والرِّثاء وغير ذلك.

فالمدار إنما هو على وجود تلك المَلَكة فيه؛ سواء وُجِدَ منه التعبير عن جميع المقاصد أو عن بعضها أو لم يوجد التعبير عنها بالكلية.

وعُلِمَ أيضًا أن مَلَكَة الاقتدار على التعبير عن بعض المقاصد بلفظ فصيح غير كافية في كون المتكلِّم فصيحًا.

فصاحة المتكلم نوعان:

أ- **غريزة**: يَمُنُّ اللهُ بها على مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ، فيجعله فصيحًا قويَّ الكلامِ، شَدِيدَ الْحُجَّةِ وَالإِقْنَاعِ.

ب- **مُكْتَسَبَة**: وذلك بالتَّمَرُّنِ عَلَى الخطابةِ، والتَّدْرِيب على الفصاحة، ودراسة فنون العربية من نحو وصرف وبلاغة، إلى غير ذلك.

كلمات غير فصيحة

١ - قال امرؤ القيس حين أدركتْهُ المنيَّةُ، وكان قَدْ ذَهَبَ إلى مَلِكِ الرُّومِ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى قَتَلَةِ أبيه:

كم طعنةٍ مُثْعَنْجِرَهْ ... وخطبةٍ مُسحَنْفِرَهْ
وجَفْنَةٍ مُدَعْثَرَهْ ... قد غُودِرَتْ بِأَنْقَرَهْ

المثعنْجِرَة: السائلة. **والمسحنْفِرَة**: الواسعة، فِي الصِّحَاح يُقَال: اسْحَنْفَرَ فِي خطبَتِه: إذا مضى واتسع فِي كَلَامه. **والجَفْنَة**: الْقَصعَة. **والمدعثرة**: المتثلمة والمتكسرة. **وأنقرة** في تركية: كانت تسمى أنْكُورِيَّة، وكأنها عُربت إلى أنكرة، ثم أنقرة.

٤ - جاء في خُطْبَةٍ لابْنِ نُبَاتة، يَذْكُرُ فيها أَهْوَالَ يَوْمِ القيامة، قولُه: (**اقْمَطَرَّ وَبَالُهَا، واشْمَخَرَّ نَكَالُهَا، فَمَا سَاغَتْ وَلاَ طَابَتْ**).

اقْمَطَرَّ وَبَالُهَا؛ أي: اشتَدَّ وعَظُمَ ثِقَلُها.

واشْمَخَرَّ نَكَالُهَا؛ أي: اشْتَدَّ وارتَفَعَ وعَظُمَ عِقَابُهَا.

فَمَا سَاغَتْ وَلاَ طَابَتْ؛ أي: فَمَا سَهُلَتْ ولاَ كانَتْ طيبَة.

❁❁❁

تعريف البلاغة

والبلاغةُ فِي اللغةِ: الوصولُ والانتهاءُ، يُقَالُ: بَلَغَ فلانٌ مُرَادَهُ: إذا وَصَلَ إليهِ، وبَلَغَ الرَّكْبُ المدينةَ: إذا انتهى إليها.

(والبلاغة في اللغة)؛ أي: البلوغ و(الوصول والانتهاء)، فيقال: بَلَغَ الْغُلامُ، أي: أَدْرَكَ وَوَصَلَ سِنَّ الْبُلُوغِ والرُّشْدِ.

وتقول: بَلَغْتُ الْمَنْزِلَ، أي: وَصَلْتُ إليهِ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ أي: وَصَلُوا إِلَى سِنِّ الْبُلُوغِ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي: قَارَبْنَهُ وَوَصَلْنَ إليه.

وقد أوضح المؤلفون- رحمهم الله- بقولهم: (يُقَال: بَلَغَ فلانٌ مرادَه) أي: غَرَضَهُ ومَقْصُودَهُ (إذا وصل إليه)؛ أي: إلى هذا المقصود، (و) يُقال: (بلغ الرَّكْبُ) جَمْعُ راكِبِ الدابَّةِ، مثلَ صاحِبٍ وصَحْبٍ (المدينةَ إذا انتهى) هذا الركب (إليها)، ويُقال: بَلَغَ الرجلُ بلاغةً إذا كان يَبْلُغ بعبارتِه كُنْهَ مرادِهِ مع إيجازٍ بلا إخلالٍ أو إطالةٍ بلا إمْلَالٍ.

فعلى هذا أيضًا يكون معناها الوصول، وإن كان وصولًا مخصوصًا، وهو الوصول بالعبارة إلى كُنه المراد.

فالبلاغةُ إذن: هي البلوغ والوصول والانتهاء، فإذا قلت: بَلَغَ الغلامُ، أي: أَدْرَكَ وَوصل سِنَّ البُلوغِ، وتقول: بَلَغْتُ المنزلَ، أي: وَصَلْتُ إليهِ.

وَتَقَعُ فِي الاصطلاحِ وَصْفًا للكلامِ وَالْمُتَكَلِّمِ؛ فبلاغةُ الكلامِ: مطابقَتُهُ لِمُقْتَضَى الحالِ مع فصاحتِهِ. والحالُ -ويُسَمَّى بالمَقَامِ- هو الأمرُ الحامِلُ للمُتَكَلِّمِ على أَنْ يُورِدَ عِبَارَتَهُ على صورةٍ مَخْصُوصَةٍ. والمُقْتَضَى -ويُسَمَّى الاعتبارَ المناسبَ- هو الصورةُ المخصوصةُ التي تُورَدُ عليها العبارةُ، مثلًا المدحُ حالٌ يدعو لإيرادِ العبارةِ على صورةِ الإطنابِ، وذكاءُ المخاطبِ حالٌ يدعو لإيرادِهَا على صورةِ الإيجازِ؛ فَكُلٌّ مِن المدحِ والذكاءِ حالٌ، وكلٌّ مِن الإطنابِ والإيجازِ مُقْتَضًى، وإيرادُ الكلامِ على صورةِ الإطنابِ أو الإيجازِ مُطَابَقَةٌ للمُقْتَضَى.

البلاغة في الاصطلاح:

هي مطابقةُ الكلامِ لمقتضَى حَال المخَاطَبِ.

أو هي الإيجازُ من غَيْرِ خَلَلٍ، أو التَّفْصِيلُ مِنْ غَيْرِ مَلَلٍ.

أو هِيَ مَلَكَةٌ أَوْ مَوْهِبَةٌ في نَفْسِ هذا المتكلمِ، يَسْتَطِيعُ هذا المتكلمُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنِ الْمَعْنَى الموجودِ في نفسِهِ مع مُراعاةِ حالِ المخاطبِ من حيثُ الذَّكاءُ والغباءُ والتوسُّطُ، ومن حيثُ تَصْدِيقُ المخاطبِ بما يقال أو شَكُّهُ فيهِ أو جُحُودُه وإنكارُهُ له.

أنواع المخاطب

أولًا: مخاطب جاحد مُنْكِرٌ:

فإذا كانَ المخاطبُ جاحدًا فَيَجِبُ أَنْ تكلِّمَهُ بأكثرَ مَنْ مُؤَكِّدٍ، فستخدم مؤكدين أو أكثر، على حَسَبِ دَرَجَةِ شَكِّهِ، حيثُ تَقُولُ له: **(واللهِ إِنَّ النحوَ لَسَهْلٌ)**.

ثانيًا: مخاطب شَاكٌّ:

وإذا كان المخاطبُ شَاكًّا فنستخدم مُؤَكِّدًا واحدًا، حيث تقول له: **(إِنَّ النحو سهل)**.

ثَالِثًا: مُخَاطَبٌ مُصَدِّقٌ:

وإذا كان المخاطبُ مُصَدِّقًا مُسَلِّمًا فَقد لا نحتاج إلى توكيد، حيث تقول له: **(النحو سهل)**.

ومما سبق يتبين أننا أمام ثلاثِ جُمَلٍ:

١- واللهِ إنَّ النحوَ لَسَهْلٌ.   ٢- إنَّ النحوَ سهلٌ.   ٣- النَّحوُ سَهْلٌ.

وكذلك نؤكد على أن المخاطب الذَّكي يُنَاسِبه الإيجاز والاختصار في الكلام.

أما المخاطَبُ الغَبِيُّ فيُناسِبُهُ الإطنابُ والتفصيلُ.

وإذا كان الْمُخاطبُ متوسِّطًا بين الذكاءِ والغباءِ فيناسبه التوسُّط والجمع بين الإيجاز والتفصيل.

كيف أكون بليغًا؟

يكون ذلك من خلال مُداومة النَّظرِ والاطلاع في:

١- القرآن.   ٢- الحديث النبوي.   ٣- كلام العرب شِعْرًا ونَثْرًا.

وكل ذلك لو كان مع موهبة لكان أجمل، مع التدريب الكثير، فهذا يُسَاعِدُ فِي تَكْوِينِ الموهِبةِ وإيجَادِ الذَّوْقِ الْفَنِّيِّ.

وقد أشار المؤلفون- رحمهم الله- إلى هذا فقالوا: (وتقع) لفظة «البلاغة»؛ أي: تُطلق (في الاصطلاح وصفًا للكلام) كما في قولك: قصيدة أو رسالة بليغة (و)يُوصف كذلك بها (المتكلم) كما في قولك: شاعر أو كاتب بليغ، ولا تقع وصفًا للكلمة؛ لعدم السماع؛ لأن معناها مطابقة مقتضى الحال، ولا تتحقق إلا في ذي الإسناد المفيد، وهذا منتفٍ عن الكلمة.

(فبلاغة الكلام) هي (مطابقته) أي: الكلام (لمقتضى الحال) أي: لمناسب الحال، والمراد بمناسبات الحال: الخصوصيات التي يُبحَث عنها في علم المعاني دون كيفيات دلالة اللفظ التي يتكفل بها علم البيان، هذا ولا يُشترط مطابقته لجميع المقتضيات التي يقتضيها الحال؛ بل تكفي مطابقته لأي مقتضًى منها، نعم إذا اقتضى الحال شيئين - كالتأكيد والتعريف مثلًا- فرُوعي أحدهما دون الآخر كان الكلام

بليغًا من هذا الوجه، وإذا روعيا معًا كان أزيد بلاغة (مع فصاحته)؛ فلا بد من الفصاحة مطلقًا، سواء كانت معنوية وهي الخلوص من التعقيد المعنوي، أو لفظية وهي الخلوص من التنافر والغرابة وضعف التأليف ومخالفة القياس.

(و) معنى لفظ (الحال -و)هو ما (يسمى بالمقام)- في التعريف السابق (هو: الأمر الحامل) أي: الباعث والداعي (للمتكلِّم على أن يُورِد) أي: يأتي بـ(عبارته) التي يؤدي بها أصل المعنى المراد مشتملة (على صورة) أي: صفة ونكتة (مخصوصة)؛ يعني: مزية مختصة بالمقام؛ فلا بد في بلاغة الكلام من كون النكات والخصوصيات مقصودة للمتكلِّم؛ فإن وُجِدَت من غير قصدٍ لم تكن مقتضى حال، ولا يقال للكلام حينئذ: إنه مطابق لمقتضى الحال.

ومثال الحال: ما لو كان المخاطَب منكِرًا لقيام زيد حقيقة؛ فإن الإنكار أمر داعٍ في نفس الأمر إلى اعتبار المتكلم في كلامه خصوصية ما وهي التأكيد على حسب الإنكار.

فالحاصل أن الحال هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى أن يُورد كلامه على صورة خاصة تُشاكل غرضَه، وتلك الصورة الخاصة التي يُورَد عليها تُسمى المقتضى أو الاعتبار المناسب.

(والمقتضى) أي: مقتضى الحال (-ويُسمَّى الاعتبارَ المناسِبَ-) وفي هذه التسمية إشارة إلى أن مقتضى الحال معناه: مناسب الحال لا موجِبه الذي يمتنع تخلفه عنه، والمقتضى (هو: الصورة المخصوصة التي تُورَد عليها العبارة) لا نفس اعتبارها، نعم بالنظر إلى أن اعتبارها أمر لا بد منه في البلاغة قد يُبالَغ فيه فيسمى المقتضي به مقيدًا بالمناسب كما ذكر.

(مثلًا «المدح» حال) خطاب؛ أي: مقام (يدعو لإيراد العبارة)؛ أي: الإتيان بها (على صورة الإطناب) وهو: أن يؤدَّى المعنى بعبارة أزيد مما يستحق، ففي حال المدح تطوَّل العبارة للإكثار من المدح؛ ولذلك كان النبي ﷺ حين يسأل الله يسأل بإطناب وتطويل كما أخرجه مسلم: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، علانيته وسره، أوله وآخره»، ويقول فيما أخرجه مسلم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني» كل هذه إطناب؛ لأن المقام يقتضيه. (وذكاء المخاطب حال)؛ أي: مقام (يدعو لإيرادها) أي: إيراد العبارة (على صورة الإيجاز) وهو أن يؤدى المعنى بعبارة أقل مما يستحق، فالذكي لا يُحتاج إلى أن يُردَّد الكلام له ويُطوَّل؛ لأنه ذكي فلو طُوِّل الكلام لانتُقِد المتكلِّم؛ (فكل من المدح والذكاء حال) ومقام، (وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى) أي: مقتضى حال.

(وإيراد الكلام) من المتكلم (على صورة الإطناب) حين حال المدح (و)على صورة (الإيجاز) حين حال ذكاء المخاطَب؛ أي: إيراد الكلام مشتملًا على الإطناب وعلى الإيجاز (مطابقة للمقتضى) أي: لمقتضى حال المدح في الأولى وحال الإنسان الذكي في الثانية.

❁❁❁

وبلاغةُ المتكلمِ: مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بِهَا على التعبيرِ عن المقصودِ بكلامٍ بليغٍ في أيِّ غَرَضٍ كانَ. ويُعْرَفُ التنافرُ بالذوقِ، ومُخَالَفَةُ القِيَاسِ بِالصرْفِ، وضَعْفُ التأليفِ والتعقيدُ اللفظيُّ بِالنَّحْوِ، والغرابةُ بكثرةِ الاطلاعِ على كلامِ العربِ، والتعقيدُ المعنويُّ بِالبيانِ، والأَحْوَالُ ومُقْتَضَيَاتُهَا بِالْمَعَانِي؛ فَوَجَبَ على طالبِ البلاغةِ مَعرفةُ اللغةِ والصرفِ والنحوِ والْمَعانِي والبيانِ، مع كونِهِ سَلِيمَ الذوْقِ، كثيرَ الاطِّلاعِ على كلامِ العربِ.

(وبلاغة المتكلم) هي: (مَلَكَة) أي: هيئة راسخة ثابتة في نفس المتكلِّم (يُقتدر بها)؛ أي: يقتدر المتكلم بواسطتها (على التعبير)، وإنما قيل «يُقتدَر بها على التعبير»، ولم يُقَل «يُعبِّر»؛ لأنه لا يُشترط النطق بالفعل (عن) المعنى (المقصود) أي: المراد إفادته لغيره (بكلام بليغ) أي: مطابق لمقتضى حال الخطاب (في أي غَرَضٍ كان) من أغراض الكلام وفنونه؛ كالمدح والذم والشكر والشكاية والتضرع والنهي؛ فمَن كان مقتدرًا على التعبير عن المقصود بكلام بليغ في نوع واحد أو نوعين مثلًا دون البقية لم يكن بليغًا، والفصاحة لا بد منها في بلاغة المتكلِّم، فكل متكلمٍ بليغٍ فصيحٌ، وليس كل متكلم فصيحٍ بليغًا؛ لجواز أن يكون لإنسان مَلَكَة يقتدر بها على كلام فصيح؛ مثل: زيد قائم. المقول للمنكِر قيامه؛ من غير أن يقتدر بها على مراعاة الخصوصيات المناسبة للحال.

وقد عُلِمَ مما سبق أن فصاحة الكلام وبلاغته يتوقفان على أمور، هي: السلامة من تنافر الحروف، ومن الغرابة، ومن مخالفة القياس، ومن تنافر الكلمات، ومن ضعف التأليف، ومن التعقيد اللفظي، ومن التعقيد المعنوي.

وتزيد البلاغة بمطابقة مقتضى الحال؛ فمتى فُقِدت السلامة من واحد من الأمور السبعة الأولى انتفت الفصاحة فتنتفي البلاغة لتوقفها عليها، ومتى فُقِدَت المطابقة كان الكلام غير بليغ ولو كان فصيحًا.

والمقصود مما مر بيان ما يُحتاج إليه في حصول البلاغة من العلوم وغيرها؛ ليعلمها طالب البلاغة ويُحصِّلها، فيمكن له حصول البلاغة، وتفصيل ذلك أنه قد عُلِمَ مما ذُكِرَ من تعريف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته أنه لا بد في حصول البلاغة من شيئين:

أحدهما: معرفة الأسباب المخلَّة بالفصاحة؛ ليُحتَرَز بهذه المعرفة عن إيراد الكلام غير فصيح؛ لأنه متى فُقِدَ الاحتراز عن واحد من تلك الأسباب انتفت الفصاحة فانتفت البلاغة أيضًا؛ لما عُلِمَ من كون الفصاحة شرطًا لتحقق البلاغة.

والثاني: معرفة الأحوال ومقتضياتها ضرورة أن إيراد الكلام مطابقًا لمقتضى الحال لا يتأتَّى بدون هذه المعرفة.

والأسباب المخلة بالفصاحة أمورٌ بعضُها يُعرف بعلم، وبعضها بعلم آخر، وبعضها لا يُعلَم بعلم أصلًا بل بالذوق.

(و)بيان ما تُعرف به الأسباب المخلة بالفصاحة ما يلي:

أولًا: **(يُعرف التنافر)** سواء كان تنافر حروف أو كلمات **(بالذوق)** الصحيح، وهو قوة غريزية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية، وتحصل بممارسة كلام أئمة الكتاب والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه، وأيضًا تحصُل بتنزيه العقل والقلب عما يُفسد الآداب والأخلاق.

ومعرفة التنافر بالذوق هو المذهب الصحيح من أن كل ما عده الذوق السليم ثقيلًا متعسر النطق فهو متنافر ولا مدخل فيه لقرب المخارج أو بعدها.

(و)**ثانيًا**: تُعرف **(مخالفة القياس)** في بنية الكلمة **(بـ)علم (الصرف)**؛ لأن الصرفيين يذكرون القواعد القياسية وبجانبها الألفاظ الشواذ الثابتة في اللغة، ويقولون: إنها شاذة، فيعلم منه أن ما لم يأت على تلك القواعد وأن ما عدا هذه

الألفاظ خلاف القياس؛ إذ به يُعرف أن «مودة» في قوله: «ما لي في صدورهم من مودة»، مخالف للقياس؛ لأن من قواعدهم أن المثلين إذا اجتمعا في كلمة وكان الثاني منهما متحركًا ولم يكن زائدًا لغرض وجب الإدغام.

(و)**ثالثًا**: يُعرف (**ضعف التأليف والتعقيد اللفظي بـ**)علم (**النحو**)؛ لأن النحويين يذكرون القواعد المشهورة، وما هو الأصل وما هو خلاف الأصل، وأن الأصل تقديم الفاعل على المفعول، وأن تقديم المفعول على خلاف الأصل، وأن الأصل تقديم المستثنى منه على المستثنى، وأن عكس ذلك خلاف الأصل، وحينئذ يُعرف بالنحو أن الكلام الجاري على خلاف القانون المشهور ضعيف التأليف، وأن الكلام الذي وقع فيه كثرة مخالفة الأصل عَسِر الدلالة ومعقَّد.

(و)**رابعًا**: تُعرف (**الغرابة بكثرة الاطلاع على كلام العرب**) والإحاطة بمعاني المفردات المألوفة، وهذا يحصُل بتتبع الكتب المتداولة في علم متن اللغة، وممارسة ما دوِّن فيها؛ فيُعلَم أن ما عداها مما يفتقر إلى التفتيش في الكتب المبسوطة التي لم تختص بالمشهور أو إلى تخريج على وجه بعيد غير سالم من الغرابة؛ لأن الأشياء تتبين بأضدادها.

(و)**خامسًا**: يُعرف (**التعقيد المعنوي بـ**)علم (**البيان**)؛ لأنه موضوع لإيراد المعنى بطرق مختلفة في الوضوح والخفاء، وحينئذ يُعلَم به أن الكلام المجازي أو الكنائي إذا صعُب فهمُ معناه لخفاء القرائن بعدم جريانه على أسلوب البلغاء معقَّد غير فصيح.

(و)**سادسًا**: تُعرف (**الأحوال ومقتضياتها**)، وأن الكلام بليغ طابق مقتضى الحال (بـ)علم (**المعاني**)؛ لأنه موضوع لبيان الأحوال التي بها يُطابِق اللفظ مقتضياتها، فيُعلَم به أن الكلام حالة مطابقته مقتضى الحال بليغ، وحالة عدم المطابقة ليس ببليغ.

(فوجب) إذن (على طالب البلاغة معرفة) العلوم الخمسة، وهي:

أولًا: علم (اللغة)، وهي ما يُعبِّر به كل قوم عن أغراضهم، والمراد هاهنا اللغة العربية خاصة.

(و) **ثانيًا**: علم (الصرف)، وهو عِلم يدرس بنيَة الكلمة وصيغتها وما يطرأ عليها من تغيير كالزيادة أو النقصان أو الإبدال والقلب وغير ذلك.

(و) **ثالثًا**: علم (النحو)، وهو علمٌ يُعرف به كيفية التركيب العربي صحة وخطأ، وكيفية ما يتعلَّق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه.

(و) **رابعًا**: علم (المعاني)، وهو: الوسيلة التي تحفظ أداء المعاني الزائدة على أصل المراد من الخطأ.

(و) **خامسًا**: علم (البيان)، وهو علمٌ يُبحث فيه عن التشبيه، والمجاز، والكناية.

فجميع هذه العلوم تتعلق بالبلاغة؛ إلا أن تعلق مجموع عِلْمَيِ المَعَانِي والبيان بها أزْيَد؛ لأن البلاغة -كما سبق-: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وبعلم المعاني يُعرف ما به تحصل تلك المطابقة، وكذا علم البيان؛ فإن المقصود بالذات منه تمييز السالم من التعقيد المعنوي من المشتمل عليه، وهو مما تتوقف عليه البلاغة؛ وأما الثلاثة العلوم الباقية وإن توقفت البلاغة على مفادها فإن المقصود بالذات من النحو: البحث عن اللفظ من حيث الإعراب والبناء، ومِنَ الصَّرْفِ: البحث عنه من حيث الصحة والإعلال، ومن علم متن اللغة: بيان معناه الموضوع له، ولهذا سموا علمي المعاني والبيان علم البلاغة، ثم احتاجوا لمعرفة الأوجه التي تزيد الكلام حسنًا وتكسوه رقة ولطافة بعد رعاية مطابقته، فوضعوا لذلك علم البديع، وبهذا كان مجموع البلاغة ثلاثة علوم.

فالحاصل أنه يجب على طالب البلاغة معرفة هذه العلوم (مع كونه) أي: طالب البلاغة (سليم الذوق) ليحكم بأن ما عده ذوقه ثقيلًا متعسر النطق فهو متنافر، وما لا فلا.

وعلى طالب البلاغة أن يكون (كثير الاطلاع على كلام العرب) ليغلب على ظنه ما هو غريب من الألفاظ، وما هو سالم من الغرابة.

أولاً: علم المعاني

علم المعاني

علم المعاني: هو عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أحوالُ اللفظِ العَرَبِيِّ التي بها يُطَابِقُ مُقْتَضَى الحالِ. فَتَخْتَلِفُ صور الكلامِ لِاخْتِلَافِ الأحوالِ.

مثالُ ذلكَ قولُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فإنَّ ما قبلَ (أَمْ) صورةٌ مِن الكلامِ تُخالِفُ صورةَ ما بعدَهَا؛ لأنَّ الأُولَى فيها فِعْلُ الإرادةِ مَبْنِيٌّ للمجهولِ.

والثانيةُ فيها فِعْلُ الإرادةِ مَبْنِيٌّ للمعلومِ، والحالُ الداعِي لذلِكَ نسبةُ الخيرِ إليهِ سبحانَهُ فِي الثانيةِ، ومَنْعُ نسبةِ الشرِّ إليهِ في الأولى.

وَيَنْحَصِرُ الكلامُ على هذا العِلْمِ في ثمانية أبواب وخاتمة.

(علم المعاني هو) علمٌ يُعلمنا كيف نركب الجملة العربية لنُصيب بها الغرض المعنوي الذي نُريد على اختلاف الظروف والأحوال؛ فهو جملة القواعد التي يُعرَف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال حتى يكون وَفق الغرض الذي سيق له.

ويُعرَّف علم المعاني اصطلاحًا بأنه: (علم) بالأصول والقواعد، أي: المَلَكَة التي (يُعْرف) أي: يمكن أن يُعرَف معرفة تصديقية، فليس المراد بالمعرفةِ، المعرفةَ التصورية ولا التصديقية بالفعل (به)؛ أي: بسبب تلك المَلَكة، أو بسبب علم تلك الأصول والقواعد؛ لأن الأصول نفسها لا تصير سببًا في المعرفة إلا بعد حصول المَلَكِةَ (أحوال اللفظ العربي) أعم من أن تكون أحوال مفرد كالمسند والمسند إليه، أو أحوال جملة كالفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة، فإنها قد تكون أحوالًا للجملة (التي بها) أي: بسبب الأحوال (يطابق) اللفظ (مقتضى الحال) أي: صورة مخصوصة.

وخرج بمطابقة اللفظ مقتضى الحال علم البيان؛ لأن الأمور المذكورة فيه من تحقيق المجاز بأنواعه والكناية ونحوهما لا تُذكر فيه من حيث إنه يطابق بها اللفظ

مقتضى الحال، بل من حيث ما يُقبَل منها وما لا يُقبل، وخرج بذلك أيضًا المحسنات البديعية من التجنيس والترصيع ونحوهما؛ لأنها إنما يُؤتى بها بعد حصول المطابقة بغيرها.

فموضوع هذا العلم اللفظ العربي من حيث اشتماله على تلك الخصوصيات التي بها يُطابق مقتضى الحال(١).

والخلاصة:

أنَّ علمَ المعاني هو أصولٌ وقوَاعِد تُؤَدِّي أنْ يكونَ الكلامُ مُطابقًا لِمقتضَى الحالِ، أو مُطَابقًا لحالِ المخاطبِ مِنْ حيثُ الذكاءُ والغباوةُ، فالذكاءُ يناسِبُهُ الإيجازُ، أما الغَبِيُّ فيُناسِبُه الإطنابُ، ويكونُ كلامُك في الحالين بليغًا، وَلو أنكَ عكستَ لانتفتْ منْ كلامِك صفةُ البلاغةِ.

فائدة علم المعاني:

١- الوقوفُ على أسرارِ البلاغةِ والفصاحةِ.

٢- معرفة أسرارِ كلامِ النبيِّ ﷺ، فهو أبلغُ البلغاءِ، وأفضلُ من نطقَ بالضادِ.

٣- تَجَنُّب الأخطاء في تأدية المعاني.

٤- معرفةُ إعجازِ القرآنِ وأسبابِ التقديمِ والتأخيرِ والحذفِ والذِّكْرِ والإيجازِ والإطنابِ، وجودةِ السَّبْكِ، وبَراعةِ التَّراكيب.

---

(١) أول من بَسَطَ قواعد علم المعاني هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ؛ حيث دوَّن كتابيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز»، نعم قد أثَّر فيه نُبَذٌ عن بعض البلغاء قبله كالجاحظ في «إعجاز القرآن»، وابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء»، والمبرِّد في كتابه «الكامل» لكن لم يبرز صالحًا لأن يكون عِلْمًا إلا على يد عبد القاهر الجرجاني.

الغاية من علم المعاني:

الوقوف على أسرار البلاغة من منثور الكلام ومنظومه.

(**فتختلف صور الكلام**) أي: الصور المخصوصات التي يُورَد عليها الكلام، وتُسمَّى مقتَضَيَات الأحوال؛ وهي تختلف (**لاختلاف الأحوال**) المقتضية لها؛ أي: لكون الأحوال مختلفة غير واقعة على نَهج واحد يستدعي كل منها ما يناسبه.

(**مثال ذلك**)؛ أي: مثال اختلاف صور الكلام لاختلاف الأحوال: (**قوله**) سبحانه و(**تعالى**) في محكم كتابه: (﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ﴾)؛ أي: لا نعلم (﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾) من المخلوقين (﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠])؛ أي: خيرًا، (**فإن ما قبل «أم»**)، وهو: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (**صورة من الكلام تُخالف صورة ما بعدها**)؛ أي: ما بعد (أم)، وهو: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾؛ (**لأن**) الصورة (**الأولى**) التي هي: ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (**فيها فعل الإرادة**) (أُريد) (**مبنيٌّ للمجهول**) أي: مع حذف الفاعل؛ إذ الأصل: أشرٌّ أراده الله بمن في الأرض، (و)الصورة (**الثانية**) وهي: ﴿أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (**فيها فعل الإرادة**) (أراد) (**مبنيٌّ للمعلوم**)؛ أي: مع إبقاء الفاعل من غير حذف، (**والحال الداعي لذلك**) المذكور من الصورتين المتخالفتين (**نسبة الخير إليه سبحانه في**) الصورة (**الثانية، ومنع نسبة الشر إليه**) سبحانه وتعالى (**في**) الصورة (**الأولى**)؛ فالمريد في كلا الموضعين هو الله ﷻ، فأحسنوا الأدب في ذكر الشر محذوف الفاعل وإبرازهم لاسمه تعالى عند إرادة الخير.

(**وينحصر الكلام**) في هذا الكتاب (**على هذا العلم**) أي: علم المعاني (**في ثمانية أبواب، وخاتمة**)، وهو من حصر الكل في أجزائه لا الكلي في الجزئيات؛ لأن علم المعاني عبارة عن هذا المجموع، ولا يصدُق على كل واحد منها.

ودليل الحصر الاستقراء.

وللحصر يُقال: الكلام إما خبر أو إنشاء، فهذا هو الباب الأول.

والخبر لا بد له من مسنَد ومسنَد إليه، وقد يكون لكل منهما متعلقات، وكل من المسندين ومن متعلقاتهما يطرأ عليه الحذف والذكر، وهذا هو الباب الثاني، أو التقديم والتأخير، وهذا هو الباب الثالث.

ثم الرابط بين المسنَدين والمتعلِّقين -أي: الإسناد والتعلق- إما بقصر أو بغير قصر، وهذا هو الباب الرابع.

ثم الجملة إن قُرِنَت بأخرى فإما أن تكون الثانية معطوفة على الأولى أو لا، وهما الفصل والوصل.

ثم الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو لا، وهذا هو الإيجاز والإطناب.

الباب الأول: في الخبر والإنشاء

كُلُّ كلامٍ فهو إِمَّا خَبَرٌ أو إِنْشَاءٌ.

والخبرُ: ما يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لقائلِهِ: إِنَّهُ صادِقٌ فيه أَوْ كاذِبٌ؛ كَسافَرَ مُحَمَّدٌ، وَعَلِيٌّ مُقِيمٌ.

والإنشاءُ: مَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لقائِلِهِ ذلكَ، كسافِرْ يا محمدُ، وأَقِمْ يا عَلِيُّ.

والمرادُ بصدقِ الخبرِ: مطابقتُهُ للواقِعِ، وبِكَذِبِهِ: عَدَمُ مطابقَتِهِ لهُ، فجملةُ: عليٌّ مقيمٌ، إنْ كانت النسبةُ المفهومةُ منها مطابِقَةً لِمَا فِي الخارجِ فصِدْقٌ، وإلَّا فكَذِبٌ.

ولِكُلِّ جملةٍ رُكْنَانِ: محكومٌ عليهِ، ومحكومٌ بهِ، وَيُسَمَّى الأوَّلُ مُسْنَدًا إليهِ؛ كالفاعلِ ونائبِهِ والمبتدأُ الذي لهُ خَبَرٌ، وَيُسَمَّى الثاني مُسْنَدًا كالفعلِ والمبتدأُ المُكْتَفِي بمرفوعِهِ.

من أبواب علم المعاني (في) الكلام على الخبر والإنشاء (كل كلام) أي: مركب تام (فهو) بالاستقراء (إِمَّا خَبَر أو إنشاء)؛ لأن كلًّا منهما له نسبتان:

نسبة كلامية: وهي تعلق أحد الشيئين بالآخر باعتبار فهمه من الكلام.

ونسبة خارجية: وهي هذا التعلق باعتبار حُصُولِهِ في الواقع ونَفْسِ الأمر، وهما تارة تتطابقان، وتارة لا تتطابقان، إلا أنه إن قُصدت المطابقة أو عدمها كان خبرًا، وإن لم تُقصد المطابقة ولا عدمها كان إنشاء.

أولًا: الخبر:

(والخبر: ما) أي: كلام (يصح) عقلًا (أن يقال لقائله)؛ أي: لقائل هذا الكلام: (إنه صادق فيه) أي: مُعلِمٌ بالشيء على ما هو عليه، (أو) إنه (كاذب) فيه أي: مُعلِمٌ بالشيء على خلاف ما هو به.

وهذا يقرُب من تعريفهم للخبر بأنه: ما احتمل الصدق والكذب لذاته، وبهذا التقرير ظَهَرَ أن الصدق والكذب المأخوذَيْن في تعريف الخبر هما صِفَتَا المتكلم، نعم يجوز أن يُراد بهما في تعريفهم صفتا الخبر على معنى أن الخبر هو الكلام الذي احتمل عقلًا صدقه أو كذبه على البدلية؛ (كسافر محمدٌ، و)كـ(طارقٌ مقيمٌ) أي: غير مسافر، فإن قائلهما يقال: إنه صادق. إذا كانا صادِقَيْن، ويقال: إنه كاذِب. إذا كانا كاذبين.

فقصد القائل بالأول حكاية ثبوت السفر لـ«محمد»، وبالثاني حكاية ثبوت الإقامة لـ«طارق» في الواقع؛ فإن حصل الطباق بين تلك الحكاية وما وقع في نفس الأمر؛ بأن وجد اتصاف محمد بالسفر، واتصاف عليّ بالإقامة ثبت صِدْقُهُ، وإلا ثبت كذبه.

وأخبار الله ﷻ ورسوله لا يمكن أن تُوصَفَ بأنها كاذبة، وأخبار مُسَيْلمة الكذاب وأشباهه لا يمكن أن توصف بالصدق؛ لكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة مثلًا، بل بالنظر إلى المتكلِّم، فامتناع الصدق في كلام مسيلمة وأشباهه فيما يدعيه من النبوة لا لأن الكلام لا يصح أن يُوصَف بالصدق؛ لأنه لو قاله الرسول محمد ﷺ لوُصِفَ بالصدق قطعًا؛ لكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة، بل بالنظر إلى المتكلم أيضًا؛ لأن خبر الله ورسوله لا يمكن أن يُوصَف بالكذب (١).

(١) فالخَبرُ: هو ما يَصِح أن يُقال لقائله: إنه صادقٌ أو كاذبٌ، فإن كان الكلام مطابقًا للواقع كان قائلُه صادقًا، وإن كان غيرَ مطابقٍ للواقع كان قائِلُهُ كاذبًا. فالعاقل قبل أن يَتَكَلَّمَ يُدِير الكلام في ذهنه ويعْرِضُه على تفكيره، فتأتي النسبة في ذهنه وينطقها لِسَانُهُ، وهذه النسبة قبل أن يفكر فيها وينطق بها لها واقعٌ.

فمثلًا حين تقول: (طارقٌ سبَّاحٌ ماهرٌ)، قبل أن تنطق بها، جاء في خاطرك مضمون هذه الجملة (طارقٌ سبَّاحٌ ماهرٌ)، وهذه تُسَمَّى نسبةً ذِهْنِيَّةً، فإن قلت: (طارقٌ سباحٌ ماهِرٌ) أصبحت نسبةً كلاميةً، فإن وجد شابٌّ اسْمُهُ (طارق)، وهو فعلًا سَبَّاحٌ ماهرٌ، فإن النسبة الذِّهْنِيَّة الكلامية أَصْبَحَتْ نسبةً واقِعِيَّةً، والخبر بها صادقٌ؛ لأنه طابق الواقع.

=

ثانيًا: الإنشاء:

وهناك الأسلوب الإنشائي الذي لا يحتمل الصِّدْق، ولا يحتمل الكذب؛ لأن النسبة الواقعية فيه متأخرة عن النسبة الكلامية، كما لو قُلْت: (**ذَاكِرْ دُرُوسَكَ**). فواقع هذه العبارة سيحدث في المستقبل؛ لذلك لا يُوصَف الإنشاء بالصدق أو بالكذب.

تعريف الإنشاء(١):

(والإنشاء) هو: (ما لا يصح أن يُقال لقائله ذلك) أي: إنه صادق أو كاذب لعدم احتماله لهما؛ لأنه لا يقصد به الحكاية عن معنى حاصل في الواقع حتى يثبت صدقه بمطابقة الحكاية، أو كذبه بعدم مطابقتها، بل القصد به إحداث مدلوله وإيجاده بذلك اللفظ؛ (كـ) قولك: (سَافِرْ يا محمدُ، و)كقولك: (**أَقِمْ يَا عَلِيُّ**) فإنه لم يُقصَد به حكاية شيء، بل إحداث مدلوله، وهو في المثال الأول طلب السفر، وفي المثال الثاني طلب الإقامة.

(والمراد بصدق الخبر) أي: بالصدق الذي يقع صفة للخبر: **(مطابقته للواقع)** أي: مطابقة نسبته الكلامية المفهومة منه للنسبة الخارجية الحاصلة في الخارج؛ أي: في الواقع ونفس الأمر، والمراد بنفس الأمر: ما عليه الأمر في نفسه، مع قطع النظر عن

=

فإن كانت النسبة الكلامية ليس لها واقعٌ، كأن لا يوجد شابٌّ، أو وُجِدَ لكنه ليس سباحًا، فالخبر هنا كاذبٌ. وهذا هو الأسلوب الخبري الذي يحتمل الصدق أو الكذب.

(١) الإنشاءُ اصطلاحًا: هو الذي لا يحتمل الصِّدْق، ولا يحتمل الكذب؛ لأن النسبة الواقعية فيه متأخرة عن النسبة الكلامية، كما لو قُلْت: (ذَاكِرْ دُروسَكَ)، فواقع هذه العبارة سيحدث في المستقبل؛ لذلك لا يُوصَف الإنشاء بالصدق أو بالكذب.

الأسلوب الإنشائي نوعان: طلبي وغير طلبي:

فالطلبي: ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، ويكون في (الأمر- النهي-الاستفهام- التمني- النداء)، **وغير الطلبي**: ما لا يستدعي مطلوبًا، وله صيغ كثيرة منها: (التعجب-الْعَرَبِيَّة-المَدْح-الذم- القَسَم-الرَّجَاء).

اعتبار الذهن، ويقال له (الخارج) أيضًا؛ لكونه خارجًا عن اعتبار العقل، ومعنى المطابقة هو الموافقة بينهما من حيث ذاتهما من سائر الوجوه، وتلك الموافقة بأن تكون النسبتان ثبوتيتين، كما في قولك: سَافَرَ محمد، وقد حصل السفر منه في الخارج، أو سلبيتين كما في قولك: محمد ليس بمسافر، وكان لم يحصل منه سفر في الواقع.

(و) المراد (بكذبه) أي: كذب الخبر: (عدم مطابقته له) أي: عدم مطابقة نسبته الكلامية نسبته الخارجية، بأن تكون إحداهما ثبوتية والأخرى سلبية كما في قولك: سافر محمد، ولم يحصل له سفر في الواقع، أو قولك: محمد ليس بمسافر، وقد حصل له السفر في الواقع.

(فجملة: طارق مقيمٌ) مثلًا (إن كانت النسبة) الكلامية (المفهومة منها) وهي ثبوت الإقامة للمحكوم عليه وهو عليّ (مطابِقَةً لما في الخارج) بأن حصلت الإقامة له في الواقع، (فـ)الكلام (صدقٌ، وإلا) أي: وإن لم تكن النسبة المفهومة منها مطابقة لما في الخارج؛ بأن تكون في الخارج على خلاف ما دل عليه الكلام (فـ)الكلام (كذبٌ).

(ولكل جملة) خبرية (ركنان)؛ أي: جزآن تَتَكَوَّن الجملة منهما، وما زاد عليهما غير المضاف إليه والصلة فهو قيد:

الركن الأول: (محكوم عليه).

(و)الركن الآخر: (محكوم به).

(ويُسمَّى) الركن (الأول) أي: المحكوم عليه (مسندًا إليه، كالفاعل) للفعل التام أو شبهه، نحو: (خالد) و(أبوه) من قولك: حضر خالِدٌ العالم أَبُوه، (ونائبه) أي: نائب الفاعل، نحو (الكتابُ) من قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ [الكهف: ٤٩]، (والمبتدأ

الذي له خبر) نحو: (العلم) من قولك: العلم نافع. وكأسماء النواسخ: كان وأخواتها، وإن وأخواتها، نحو (المطر) من قولك: كان المطر غزيرًا، أو إن المطر غزيرٌ، والمفعول الأول لظن وأخواتها، والمفعول الثاني لأرى وأخواتها.

(ويسمى) الركن (الثاني) أي: المحكوم به (مسندًا، كالفعل) التام نحو: (حضر) من قولك: حضر الأمير. (والمبتدأ المكتفي) أي: المُسْتَغْنِي عن الخبر (بمرفوعه) وهذا هو القسم الثاني من المبتدأ؛ أي: الوصف القائم بعد حَرْفِ النفي أو حرف الاستفهام رافعًا لظاهر، مثل: ما قائم الزيدان. وأقائم الزيدان؟ فإن الصفة في هذين المثالين مسندة إلى ما بعدها، وهو فاعلها يسد مسد الخبر.

❁❁❁

الكلام على الخبر

الخبر إمَّا أنْ يكونَ جملةً فعليَّةً أو اسميَّةً.

فالأُولَى موضوعةٌ لإفادةِ الحدوثِ فِي زمنٍ مخصوصٍ، مع الاختصارِ، وقد تُفِيدُ الاستمرارَ التجَدُّدِيَّ بالقرائِنِ، إذا كانَ الفعلُ مضارعًا، كقولِ طَرِيفٍ:

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قبيلةٌ بعثوا إليَّ عريفَهُم يَتَوَسَّمُ

والثانيةُ: موضوعةٌ لمُجَرَّدِ ثبوتِ المُسْنَدِ للمُسْنَدِ إليهِ، نحُوَ: الشمسُ مضيئَةٌ، وقد تُفِيدُ الاستمرارَ بالقرائِنِ إذا لم يَكُنْ فِي حَيِّزِهَا فِعْلٌ، نحُوَ: العلمُ نافِعٌ.

تقسيم الكلام إلى الخبر والإنشاء وتعريفهما، وذكر بعض الأحكام؛ ككون كل جملة ذات ركنين هذا كله مما لا اختصاص له بواحد من الخبر والإنشاء، فلذا جُمِعَا فِي باب واحد وذُكِرَ فيه هذه الأمور التي يشتركان فيها.

قُسِّم ذلك الباب إلى قسمين: أحدهما في الكلام على الخبر وبيان ما يختص به من أحواله، والآخر في الكلام على الإنشاء وأحواله المختصة به.

القسم الأول: (الكلام على الخبر) أي: على تقسيمه إلى جملة فعلية وجملة اسمية:

(الخبر إما أن يكون جملة فعلية) وهي التي تتكون من فعل وفاعل، فالفعل أو ما يشبهه هو المسند أو المحمول، نحو: (دخل زيد)، (أو) جملة (اسمية) هي التي لا تتضمن فعلًا، وتبدأ بالاسم بدءًا أصليًّا مثل: (الكتاب جميل)؛ أما إذا ابتدأت باسم حقه التأخير فلا تكون اسمية بل فعلية؛ مثل (زيدًا ضربت) فـ(زيدًا) مفعول به مقدم على الفعل والفاعل معًا، والجملة فعلية.

ولا ثالث للجملة الفعلية والاسمية بالاستقراء.

(فالأولى)؛ أي: الجملة الفعلية: وهي ما كان المسند فيها فعلًا (موضوعة لإفادة الحدوث) والحدوث عبارة عن وجود شيء بعد عدمه؛ والمراد: وقوع الحدث المدلول لفعلها (في زمن مخصوص)؛ أي: من الأزمنة الثلاثة؛ سواء كان معينًا، كالجملة الفعلية التي وقع الفعل فيها ماضيًا، أو مبهمًا كالجملة الفعلية التي فعلها مضارع، إذا قلنا: إنه محتمل للحال والاستقبال (مع الاختصار) أي: مع عدم الاحتياج معها إلى قرينة من حيث أصل الوضع، بخلاف الجملة الاسمية، فإنها تُفيد إحداها بقرينة خارجية، كقولك: (خالد قائم الآن، أو أمس، أو غدًا). نعم يدل اسم الفاعل على الزمن بلا قَرِينَة، لكن دلالة التزامية لا صريحة.

(وقد تفيد) الجملة الفعلية (الاستمرار التجدُّدِيَّ) أي: التَّقَصِّي والحصول شيئًا فشيئًا على وجه الاستمرار (بـ) حسب المقام و(القرائن)؛ جمع قرينة، وهي ما دل على المقصود، وهي إما حالية أو مَعْنَوِيَّة أو لفظية؛ (إذا كان الفعل مضارعًا؛ كقول طريف) بن تميم العنبري يصف نفسه بالشجاعة:

(أَوَ كُلَّمـا ورَدَتْ عُكَـاظَ قبيلـةٌ   بعثـوا إلـيَّ عـريفَهُم يَتَوَسَّـمُ)(١)

والشاهد في قوله: (يتوسم)؛ أي: يصدر منه ذلك التوسُّم وتَفَرُّس الوجوه متجدِّدًا شيئًا فشيئًا ولحظة فلَحْظَة؛ فهذه الجملة الفعلية تدل على الاستمرار التجدُّدِيّ بمعونة المقام وبقرينة السياق؛ لأن تعيين المطلوب إنما يحصل بعد التفرُّس المتجدِّد كثيرًا في وجوه الحاضرين في السوق.

(والثانية) الجملة الاسمية: وهي ما كان المسند فيها اسمًا، وهي (موضوعة لمجرد ثبوت المسنَد للمسنَد إليه) أي: لإفادة ذلك مجردًا عن الحدوث والتجدد والاستمرار التجددي؛ (نحو) قولك: (الشمس مضيئة) فلا يُستفاد منها سوى ثبوت الإضاءة للشمس، بدون نظر إلى حدوث ذلك وتجدُّدِهِ واستمراره.

(وقد تُفيد) الجملة الاسمية (الاستمرارَ) أي: الثَّبات والدوام (بـ)حسب (القرائنِ) الخارجية، كأن سِيقَتْ في مقام كمَالِ الذم أو المدح (إذا لم يكن في خبرها فعلٌ)؛ أي: إذا لم يكن المسند فيها جملة فعلية، بأن كان اسمًا مفردًا أو جملة اسمية؛ إذ لو كان في خبرها فعل فلدلالة الفعل على الحدوث والتجدد لا تفيد الثبوت على وجه الاستمرار؛ (نحو: العلم نافعٌ) فسياق الكلام في مقام المدح قرينة تدل على إرادة الاستمرار مع الثبوث، وأما إذا كان المسنَد فيها جملة فِعْلِيَّة فإنها تفيد التجدد، نحو: خالد قام. فإنه يدل على ثبوت نسبة القيام المتجدد، فالقيام متجدد، وحصوله لخالد ووصفه به ثابت مستقر.

---

(١) (وردت) أي: جاءت. و(عكاظ) هو اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها، ويحضر شعراؤهم، ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون، وهذا مفعول (وَرَدَتْ). وقوله: (عريفهم) أي: رئيسهم المُتَوَلِّي للبحث عنهم والكلام في شأنهم. وقوله: (يتوسم) أي: يتفرَّسُ وجوه الحاضرين لينظر هل أنا فيهم أو لا؛ لأن لي جناية في كل قوم ونكاية لهم، فإذا وردت القبائل ذلك السوق بعثوا عريفهم ليتعرفني فيأخذوا بثأرهم مني.

والأصلُ فِي الخبرِ أنْ يُلْقَى لإفادةِ المُخَاطَبِ الحُكْمَ الذي تَضَمَّنَتْهُ الجملةُ، كما فِي قولِنا: حَضَرَ الأميرُ، أو لإِفَادَةِ أَنَّ المُتَكَلِّمَ عَالِمٌ بهِ، نحو: أَنْتَ حَضَرْتَ أَمْسِ. وَيُسَمَّى الحُكْمُ فَائِدَةَ الخَبَرِ، وَكَوْنُ المُتَكَلِّمِ عَالِمًا بِهِ لازِمَ الفائدةِ.

(**والأصل في الخبر**) أي: ما وُضِعَ المركب الخبري له (**أن يُلقى**) أي: يُتَلَفَّظ المتكلم به لأحد غرضين:

أولًا: (**لإفادة المخاطَبِ**) أي: مَن أريد إفادته، سواء كان مخاطَبًا أو لا؛ بأن وُجِّهَ الكلام إلى شخص وأُريد إفادة غيره (**الحكمَ**) أي: إفادة المخبِر المخاطَب الحكمَ (**الذي تضمنته الجُمْلَة**) الخبرية، والمراد بالحكم وقوع النسبة أو عدم وقوعها، أي: النسبة الواقعة المتحققة في الخارج أو غير المتحققة فيه، وهو المعنى فيما سبق بالنسبة الكلامية؛ (**كما في قولنا: حضر الأمير**) فإننا نقصد به إفادة المخاطَب أن ثبوت الحضور للأمير حصل وتحقق في الخارج، (**أو لإفادة أن المتكلِّم عالمٌ به**) أي: لإفادة المتكلِّم المخاطبَ أنه؛ أي: المتكلِّم؛ عالم بالحكم بالمعنى المذكور، أي: مصدق به جزمًا أو ظنًّا، (**نحو**) قولنا: (**أنتَ حضرتَ أمس**) فإن النسبة، وهي ثبوت الحضور وحصوله للمخاطب معلومة قبل الإخبار؛ فلا يَصِحّ أن تكون مقصودةً به؛ لكون المخاطَب عالِمًا بحضوره، وإنما الغرض إفادته بأنَّا عالمون به.

(**ويُسمَّى الحكمُ**) الذي يُقصَد بالخبر إفادته: (**فائدةَ الخبر**)؛ لأنه مدلول اللفظ، ومن شأنه أن يُقصَد إفادته لوضع اللفظ له؛ لأن من شأن وضع اللفظ إفادة ما وُضِعَ له، فلا يضر في تسميته فائدة كونه قد يُعلَم أو لا.

(**و**) **يُسمَّى** (**كونُ المتكلِّم عالمًا به**) أي: بالحكم (**لازمَ الفائدة**) أي: لازم فائدة الخبر؛ لأن إفادة تلك الفائدة التي هي الحكم يستلزم إفادة كون المخبِر عالمًا به؛ أي: في الغالب، وإلا فقد يغفل المخاطب عن كون المتكلم عالمًا ويخبر بالحكم وهو شاك أو جاهل فلم تكن إفادة أنه عالم لازمة لإفادة نفس الحكم.

فحاصله للخبر غرضان أصليان:

الأول: فائدة الخبر، ومعناه: إفادة المخاطَب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الكلام، وهذا هو الأصل في كل خبر؛ لأن فائدته تقديم المعرفة أو العلم إلى الآخرين.

والثاني: لازم الفائدة، ومعناه: أن الخبر يُفيد أن المتكلِّم عالم بالحكم.

❁❁❁

وقد يُلْقَى الخبرُ لِأَغْرَاضٍ أُخْرَى؛ كالاسترحام في قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]**، وَإظهارِ الضَّعْفِ فِي قول زَكَرِيَّا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾** [مريم: ٤]**، وإظهارِ التَّحَسُّرِ في قولِ امرأةِ عِمْرَانَ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾** [آل عمران: ٣٦]**، وإِظْهَارِ الفَرَحِ بِمُقْبِلٍ، وَالشَّمَاتَةِ بِمُدْبِرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾** [الإسراء: ٨١]**، وإظهار السرور في قولك: «أخذت جائزة التقدم» لمن يعلم ذلك، والتوبيخ في قولك للعاثر: «الشمس طالعة».**

هذا (وقد يُلقَى الخبرُ) أي يُستعمَل مجازًا (لأغراضٍ أخرى) غير إفادته إحدى الفائدتين المذكورتين؛ (كـ)أن يُلقى لغرض من الأغراض الآتية:

أولًا: (الاسترحامِ): وخبر الاسترحام هو الذي يتضمن معنى العفو والاسترحام، كما ورد (فِي) قوله تعالى حكاية عن (قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾)؛ أي: إلى ما (﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾) أي خير كان (﴿فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣])، أي: محتاج إلى ذلك؛ فإنه لا يمكن حمل هذا القول على الإفادة؛ لأنه خطابٌ لمن يعلم الجهر وما يخفى، فكيف يُراد به إفادة الحكم أو لازمه؟! بل إنما سيق لأجل طلب الرحمة.

(و)ثانيًا: (إظهارِ الضعف) والخشوع:

والخبر لإظهار الضعف هو الذي يتضمن إظهار ضعف المخبِر عنه، كما وقع (في قول زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾)، أي: ضعف (﴿ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مَريَم: ٤])، فهذا الخبر ليس للإفادة، بل للتخضُّع وإظهار الضعف؛ وإنما خص (العظم) بالذِّكْرِ؛ لأنه عمود البدن وبه قوامه، فإذا وَهَنَ تَدَاعَى وتساقطت قوته.

(و)ثالثًا: (إظهارِ التحسُّر) والحُزْن:

والخبر لإظهار التحسر يفيد التَّحَسُّر على موت عزيز أو ما يُضَاهِيهِ، وغالبًا ما يكون في رثاء الميت؛ كما وقع (في قول امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ﴾)؛ أي: مريم (﴿أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عِمرَان: ٣٦])؛ وليس الغرض من هذا الكلام الإخبار؛ لأنه إما للفائدة أو لازمها، وعلم الله تعالى مُحِيط بهما، فمراد امرأة عمران بهذا القول إظهار التحسُّر والتحزُّن على ما فات من رجائها، وهو كون الذَّكَر في بطنها.

(و)رابعًا: (إظهارِ الفرح):

وخبر إظهار الفرح هو ما يفيد لذة في القلب لنيل المشتهَى؛ أي: إظهار السرور (بـ)شيء (مقبل و)إظهار (الشماتةِ بـ)شيء (مدبر في قولك: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١])؛ أي: ذهب وهلك من قولهم: «زهقت نفسه» إذا خرجت، والحق: الإسلام، والباطل: الشرك، فالمقصود منه إظهار الفرح بإقبال الإسلام وإظهار الشماتة بإدبار الشرك.

(و)كـ(إظهارِ السرور في قولك)، مثل: (أخذت جائزة) والجائزة هي الصلة والعطاء (التقدُّم لمن يعلم ذلك)؛ فإنه لا يكون حينئذ للإفادة، بل لمجرد إظهار السرور.

(و)خامسًا: (التوبيخ):

والخبر للتوبيخ هو الذي يتضمن كلامًا خرج مخرج التهزُّل والتهافت، ومن ذلك قولنا لتارك الصلاة: الصلاة ركن من أركان الإسلام، ومنه ما (في قولك للعاثر) وهو الذي عثر فَزَلَّ قَدَمُهُ فسقط على الأرض: (الشمس طالِعَة) فلا يكون المراد هاهنا إفادة الخبر؛ لأن كون الشمس طالعة مما يعلمه كل أحد؛ بل الغرض هاهنا التوبيخ على عثرته وزلته.

وسادسًا: تذكير ما بين المراتب من التفاوت العظيم:

كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ..﴾ [النساء: ٩٥]، فإن اللفظ ليس للإعلام بالحكم ولازمه؛ لأن النبي وأصحابه عالمون بالحكم، وهو عدم الاستواء، وعالمون بأن المولى عالم بعلمهم ذلك، بل لتذكير ما بين الرتبتين من التفاوت العظيم؛ لأجل أن يتباعد القاعد ويرفع نفسه عن إحطاط مرتبته.

ويمكن أن نُجْمِلَ أغراضَ الأسلوبِ الخبري فيما يلي:

١ - إظهار الضعف: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

٢ - إظهار التحسر مثل قول الله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١١٧].

وقول الشاعر:

ذَهَبَ الصِّبَا وَتَوَلَّتِ الأَيَّامُ ... فَعَلَى الصِّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلام

٣ - الفخر: كقول الشاعر:

إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لنا صَبِيٌّ ... تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِينَا

٤ - الحثُّ على السَّعْي والجد، مثل قول الشاعر:

وليس أخو الحاجات من بات نائمًا ... ولكن أخوها من يبيت على وَجَلْ

٥ - الاسترحام مثل قول الله: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

٦- التوبيخ والتأنيب: مثل قولك لمن سَقَطَ عَلَى الأَرْضِ: المِصْبَاحُ فِي يَدِكَ.

٧- الوعظ والإرشاد، مثل: كُلُّ مَذْكُورٍ سَيُنْسَى، وكُلُّ مَشْهُورٍ سَيَفْنَى.

أَضْرُبُ الخبر

حيثُ كانَ قَصْدُ المُخْبِرِ بِخَبَرِهِ إفادةَ المُخَاطَبِ يَنْبَغِي أَنْ يَقْتَصِرَ من الكلامِ على قَدْرِ الحاجةِ حَذَرًا من اللَّغْوِ.

فإنْ كانَ المُخَاطَبُ خَالِيَ الذِّهْنِ من الحُكْمِ أُلْقِيَ إليهِ الخَبَرُ مُجَرَّدًا عن التأكيدِ، نحو: أَخُوكَ قَادِمٌ.

وَإِنْ كانَ مُتَرَدِّدًا فيهِ طَالِبًا لِمَعْرِفَتِهِ حَسُنَ تَوْكِيدُهُ، نحو: إِنَّ أخاكَ قَادِمٌ.

وإنْ كانَ مُنْكِرًا لهُ وَجَبَ تَوْكِيدُهُ بِمُؤَكِّدٍ أو مُؤَكِّدَيْنِ، أو أَكْثَرَ حَسَبَ دَرَجَةِ الإنكارِ، نحو: (إِنَّ أَخَاكَ قَادِمٌ)، أو (إِنَّهُ لَقَادِمٌ)، أو (وَاللهِ إِنَّهُ لَقَادِمٌ).

فالخَبَرُ بالنسبةِ لِخُلُوِّهِ من التَّوْكِيدِ، وَاشْتِمَالِهِ عليهِ ثلاثةُ أَضْرُبٍ، كما رَأَيْتَ، وَيُسَمَّى الضَّرْبُ الأَوَّلُ: ابْتِدَائِيًّا، والثاني طَلَبِيًّا، والثالثُ إِنْكَارِيًّا.

(أضرُبُ)؛ أي: أقسام (الخبر) من حيث حالة المخاطَب الذي يُلْقَى إليه الخَبَر وكيفية إلقاء المتكلِّم الخبر له.

الأول: ابتدائي:

وهو الخبر الذي يكون خاليًا من المؤكدات؛ لأن المخاطَب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه، ومن ذلك قوله: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

الثاني: الطلبي:

وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه، فاستحسن تأكيده بإدخال اللام في الجملة أو (إن)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠].

والثالث: الإنكاري:

وهو الخبر الذي يُنكره المخاطب إنكارًا يحتاج إلى أن يؤكَّد بأكثر من مؤكِّد.

فـ(**حيث كان قصدُ المخبِر بخبره**) الذي يُخاطِب به (**إفادةَ المخاطَب**) أي: إفادته أحد الغرضين الأصليين والإفصاح والإظهار عنه فـ(**ينبغي**) أي: يجب عليه (**أن**) يكون مع المخاطِب كالطبيب مع المريض فيشخِّص حالته ويعطيه ما يناسبها، بأن (**يقتصر من الكلام على قَدْرِ الحاجة**) أي: قدر ما تحصل به إفادته لا زائدًا عنها ولا ناقصًا عنها (**حذرًا من اللغوِ**) فإنه مُخِلٌّ بالبلاغة؛ أما على تقدير الزيادة فلُزُومُ اللَّغْوِ في الكلام ظاهر، وأما على تقدير النقصان فلأنه لم يحصل الغرض حِينَئِذ وأخل بالمقصود، فيكون الكلام لغوًا غير مفيد. (فـ)حين وجب الاقتصار على القدر المحْتَاج (**إن كان المخاطَب**) الملقى إليه الكلام (**خالِيَ الذهن من الحكم**) بأحد طرفي الخبر على الآخر، ومعنى خُلُوّ الذهن عنه: أَلَّا يَكُونَ حاصلًا فيه، وحصوله فيه هو إدراك أن تلك النسبة واقعة أو ليست بواقعة، وهو المُسمَّى بالعلم وبالتصديق وبالإيقاع والانتزاع وبالإذعان، فيكون معنى العبارة خاليًا عن العلم والإذعان بالحكم بأن لا يكون عالمًا به (**أُلْقِيَ إليه الخبرُ**) أي: أَلْقَى المتكلم إليه الخبر (**مجرَّدًا عن التأكيد**) أي: عن مؤكدات الحكم؛ لأن الذهن الخالي يتمكن منه الحكم بلا مؤكِّد، فلا حاجة إلى التأكيد، (**نحو: أخوك قادم**) فإنه يقال إذا كان المخاطَب خالِيَ الذهن من قدوم أَخِيهِ؛ سواء كان مستحضرًا لقدوم غيره أم لا.

(**وإن كان**) المخاطَب (**مترددًا فيه**) أي: في الحكم، بمعنى أنه تردد في النسبة بين الطرفين - الموضوع والمحمول - بعد تصورهما وحضورهما في ذهنه، هل تلك النسبة تحققت في الواقع أم لا؟ (**طالبًا**) أي: بلسان الحال أو المقال (**لمعرفته**) أي: معرفة الحكم بمعنى العلم والتصديق بوقوع النسبة أو لا؛ (**حَسُنَ**) في باب البلاغة (**توكيدُه**) أي: تقويته بمؤكد واحد؛ ليُزيل ذلك المؤكِّد الترددَ، ويتمكن الحكم، فلو زاد على

مؤكِّد واحد أو لم يؤكَّد أصلًا لم يُستحسَن؛ (نحو) أن تقول: (إن أخاك قادمٌ) فإنه يقال إذا كان المخاطَب مترددًا في نسبة القدوم إلى أخيه، هل هي واقعة أو ليست بواقعة؟

(وإن كان) المخاطَب (منكرًا له) أي: للحكم الذي يُراد إلقاؤه من وقوع النسبة معتقدًا خلافه (وجب توكيدُه) أي: توكيد الخبر الملقى له (بمؤكِّد) واحد، (أو) بـ(مؤكِّدَينِ أو أكثرَ) من ذلك (حسب) أي: قدر (درجة الإنكار) أي: تفاوته قوة وضعفًا، فإن كان الإنكار في الجملة كَفَى فيه التأكيد بمؤكد واحد، وإن بُولغ في الإنكار بُولغ في التأكيد بمؤكدين أو أكثر بحيث يُقاومه في إزالته.

وعلى هذا فالفرق بين المؤكَّد الواحد في صورة الإنكار وبينه في صورة التردد بالوجوب والاستحسان.

وقيل: إنه يُزاد توكيد الخبر الذي خوطب به المنكِر على توكيد الطلبي بحسب قوة إنكاره؛ فعلى هذا لا يجوز الاكتفاء في صورة الإنكار بمؤكِّد واحد، (نحو) أن تقول: (إن أخاك قادمٌ) فهذا الخبر مشتمل على تأكيد واحد، وهو (إن)، (أو) تقول (إنه لقادمٌ) وهذا مشتمل على تأكيدين، هما (إن) و(اللام)، (أو) تقول (والله إنه لقادمٌ) وهذا مشتمل على ثلاثة تأكيدات، وهي القَسَم وإن واللام.

ومما اشتمل على أربعة تأكيدات قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]؛ فإنه مشتمل على أربعة تأكيدات:

الأول: القَسَم، وهو (ربنا يعلم) فإنه جار مجرى القسم، كشهد الله، ولأنه في قوة (نُقسم بعلم ربنا) أو (بربنا العليم)، والثلاثة الباقية هي: إن واللام والجملة الاسمية لمبالغة المخاطبين في الإنكار، حيث قالوا: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٥][1].

---

(١) والخلاصة أن المخاطب ثلاثة أقسام:

=

(فـ)الحاصل أن (الخبر بالنسبة لخلوِّه) أي: تجرده (من التوكيدِ واشتماله عليه) أي: على التوكيد (ثلاثةُ أضربٍ) أي: أصناف وأقسام (كما رأيتَ) فيما تقدم، (ويُسمَّى الضربُ الأولُ) وهو خُلُوّ الخبر عن مؤكِّد عند خلو الذهن عن الحكم (ابتدائيًّا) أي: ضربًا ابتدائيًّا كما مَرَّ؛ لكونه غير مسبوق بطلب وإنكار.

(و)يسمى الضرب (الثاني) وهو اقتران الخبر بمؤكّد واحد استحسانًا عند التردد والطلب للحكم ضربًا (طلبيًّا) كما مر، لكون المخاطَب به طالبًا له أو لكون الخبر مسبوقًا بالطلب.

(و)يسمى الضرب (الثالثُ)، وهو اقتران الخبر بمؤكد فأكْثَر وجوبًا عند الإنكار (إنكاريًّا) أي: ضربًا إنكاريًّا كما مَرَّ؛ لكون المخاطَب به منكرًا، أو لكون هذا الخبر مسبوقًا بالإنكار، فالتَّسْمِيَة في الأضرب الثلاثة بالنظر لحال المخاطَب أو لحال الخبر.

فالأصل أن يُلقَى الخبر خاليًا من التوكيد؛ لأن التوكيد زيادة في المبنى، والزيادة التي لا فائدة منها تركها فائدة.

فإذا كنتَ تخاطب رجلًا خالي الذِّهْن فالأحسن ألا تؤكد؛ بل تقول: «أخوك قادم»، لأنه خَالِي الذهن ولا حاجة أن تؤكد.

وإن كان مترددًا حسُن أن تؤكده؛ ليزول عنه التردد.

=

١- المخاطب خالي الذهن من الحكم: في هذه الحال يلقى عليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد، ويُسَمَّى هذا الضرب من الخبر ابتدائيًّا، مثل: الرَّئِيسُ مُسَافِرٌ.

٢- أن يكون المخاطب مُتَرَدِّدًا في الحكم: وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويُسَمَّى هذا الضربُ طَلَبِيًّا، مثل: إِنَّ الرَّئِيسَ مُسَافِرٌ.

٣- أن يكون المخاطب مُنْكِرًا للحكم: وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكَارِهِ قُوَّةً وضَعْفًا، ويُسَمَّى هذا الضرب إنكاريًّا، مثل: والله إِنَّ الرَّئِيسَ مُسَافِرٌ.

وإن كان منكرًا بأن يقول: (هذا لم يكن) فإنه يجب أن تؤكده، إما بمؤكد أو مؤكدين أو ثلاثة، حسب قوة الإنكار، فإن كان منكرًا إنكارًا عظيمًا فبِمُؤَكِّدَيْن أو ثلاثة، بل ولو زاد على ذلك حتى يُقر.

والخلاصة أن المخاطب ثلاثة أقسام:

١- المخاطب خالي الذهن من الحكم:

في هذه الحال يلقى عليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد، ويُسَمَّى هذا الضرب من الخبر ابتدائيًّا، مثل: الرَّئِيسُ مُسَافِرٌ.

٢- أن يكون المخاطب مُتَرَدِّدًا في الحكم:

وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويُسَمَّى هذا الضربُ طَلَبِيًّا، مثل: إِنَّ الرَّئِيسَ مُسَافِرٌ.

٣- أن يكون المخاطب مُنْكِرًا للحكم:

وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكَارِه قُوَّةً وضَعْفًا، ويُسَمَّى هذا الضرب إنكاريًّا، مثل: والله إِنَّ الرَّئِيسَ مُسَافِرٌ.

❁❁❁

ويكونُ التوكيدُ بـ(إِنَّ) وَ(أَنَّ) وَ(لَامِ الابْتِدَاءِ) وَأَحْرُفِ التَّنْبِيهِ، والقَسَمِ، وَنُونَيِ التوكيدِ، وَالحُرُوفِ الزَّائِدَةِ، وَالتكريرِ، وَ(قَدْ)، وَ(أَمَّا الشَّرْطِيَّةِ).

(ويكون) أي: يحصل (التوكيد) للحكم (بـ) أدوات كثيرة، منها:

أولًا: حرفا (إِنَّ وأَنَّ) نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

(و)**ثانيًا**: (لام الابتداءِ)، وتقترن بالجملة الاسمية، وهي لام مفتوحة تُفِيدُ تَوْكِيد معنى الجملة وتخلص المضارع للحال، نحو: لأنت خير الناس، ولأنت أشد رهبة.

(و)**ثالثًا**: (أحرف التنبيه) نحو: أما، وألا بفتح الهمزة فيهما؛ نحو قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

(و)**رابعًا**: (القَسَم) كقولك: لعمري إن الحق ليس بخاف. وكحروف الجر التي تُستعمل في القسم: الباء، والتاء، والواو. وتسمى أيضًا حروف الإضافة إلى المَحْلُوف به.

(و)**خامسًا**: (نوني التوكيد) الثقيلة والخفيفة، نحو قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢]، الأولى: مثقلة، والثانية: مخففة.

(و)**سادسًا**: (الحروف الزائدة) وهي سبعة: إن، أن، ما، لا، من، الباء، واللام، والحروف الزائدة التي يجمعها سألتمونيها، أو اليوم تنساه.

(و)**سابعًا**: (التكرير) نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ٩-١١]؛ فكرر (جعلنا).

(و)**ثامنًا**: (قدْ) التي للتحقيق نحو قولك: قد يدرك الشرفَ الفتى ورداؤُه خَلَقٌ.

(و)**تاسعًا**: (أَمَّا الشرطية) نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف: ٨٨][١].

❁❁❁

(١) ومن أدوات التوكيد أيضًا مما لم يذكره المؤلفون -رحمهم الله-: الجملة الاسمية، فهي أكثر توكيدًا من الجملة الفعلية، ومنها تقديم الفاعل المعنوي نحو: الأمير حضر. ومنها (إنما)، نحو: إنما خالد قائم. ومنها ضمير الفصل نحو: (زيد هو القائم).

الكلام على الإنشاء

الإنشاءُ إمَّا طَلَبِيٌّ أو غيرُ طلبيٍّ. فالطلبيُّ: مَا يَستَدْعِي مَطْلُوبًا غيرَ حاصلٍ وقتَ الطلبِ. وغيرُ الطلبيِّ مَا لَيْسَ كذلكَ. والأوَّلُ يكونُ بخمسةِ أشياءَ: الأمرِ، والنَّهْيِ، والاستفهامِ، والتمنِّي، والنداءِ.

أمَّا الأمرُ فهوَ طَلَبُ الفعلِ على وَجْهِ الاستعلاءِ. وله أربعُ صِيَغٍ: فِعْلُ الأمرِ، نحو: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

والمُضَارِعُ المقرونُ باللامِ نحو: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ﴾ [الطلاق: ٧].

واسْمُ فِعْلِ الأمرِ نحو: حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ.

والمَصْدَرُ النائبُ عن فعلِ الأمرِ، نحو: سَعْيًا في الخيرِ.

القسم الثاني: (الكلام على الإنشاء):

(الإنشاء) أي: اللفظ الموضوع للكلام الإنشائي (إمَّا طَلبيٌّ أَوْ غيرُ طلبيٍّ) لا ثالث لهما.

(فـ)الإنشاء (الطلبيُّ):

هو (ما يستدعي) أي: كلام دال على طلب يقتضي ويستلزم (مطلوبًا) بالضرورة؛ لأن الطلب نسبة بين الطالب والمطلوب، فلا يتحقق بدون أن يكون مطلوبٌ؛ من وصفه أنه (غيرَ حاصل وقتَ الطلب) في اعتقاد المتكلِّم بالضرورة؛ لأن الطلب حقيقة عبارة عن إرادة تحصيل شيء، وظاهر أن الإرادة لا تتعلق بتحصيل الحاصل من حيث هو حاصل، فلو أوردت صيغة الطلب في الحاصل لم تُحمَل على معناها الحقيقي بل على ما يُناسِب المقام، كطلب دوام الإيمان والتقوى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].

(و)الإنشاء (غيرُ الطلبيِّ):

هو (ما ليس كذلك) أي: ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، وهو أساليب متعددة؛ منها:

أولا: صِيَغ المدح والذم كنعم وبئس.

ثانيا: التعجب بـ(ما أفْعَلَهُ)، كقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧]، و(أفْعِلْ بِهِ)، كقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨].

ثالثًا: القَسَم، ويكون بالواو والتاء والباء.

ورابعًا: الرجاء: وهو طلب حصول أمر محبوب قريب الوقوع، والحرف الموضوع له: لعل.

وخامسًا: صِيَغ العقود، مثل: اشتريت.

(والأول) أي: الإنشاء الطلبي (يكون بخمسة أشياءَ)، وهي:

أولًا: (الأمر).

(و)ثانيًا: (النهي).

(و)ثالثًا: (الاستفهام).

(و)رابعًا: (التمني) الشامل للترجي.

(و)خامسًا: (النداءِ)(١).

---

(١) الإنشاء اصطلاحًا: هو الذي لا يحتمل الصِّدْق، ولا يحتمل الكذب؛ لأن النسبة الواقعية فيه متأخرة عن النسبة الكلامية، كما لو قُلْت: (ذَاكِرْ دُرُوسَكَ)، فواقع هذه العبارة سيحدث في المستقبل؛ لذلك لا يُوصَف الإنشاء بالصدق أو بالكذب.

أقسام الأسلوب الإنشائي:

=

وأما الثاني فسيجيء من المصنف أنه ليس من مباحث علم المعاني ولذا لم يتعرضوا له.

الكلام في الأمر:

(**أما الأمرُ**) أي: اللفظي (**فهو طلب الفعل**) أي: بالقول المخصوص (**على وجه الاستعلاء**)؛ أي: حال كونه على جهة العلو؛ بأن يعد نفسه عاليًا بإظهار حالة العالي؛ بأن يكون كلامه على جهة الغلظة والقوة، لا على وَجْهِ التَّوَاضُع والانخفاض، سواء كان عاليًا حقيقة كقول السيد لعبده: **افْعَلْ كَذَا**. أو لا؛ بأن كان أدْنَى كقول العبد لسيده: افعل كذا.

فقوله: (طلب) بمنزلة الجنس يشمل النَّهْي والدعاء والالتماس، وخرج بإضافته للفعل النهي؛ لأنه طلب الترك، وخرج بالقيد الأخير الدعاء والالتماس؛ لأن الأول من الأدنى والثاني من المساوي، وظاهره أن الاستعلاء شرط في الأمر.

والصحيح عدم اشتراطه، بدليل استعماله في طلب ليس فيه استعلاء، كقوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٥]؛ لأن فرعون لا يرى استعلاءً في الطلب المتعلق به من غيره؛ لادعائه الألوهية لنفسه.

=

أولًا: الطلبي: ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، وهذه أنواعُه:

١- الأمر، مثل: أَحْسِنْ إلى النَّاس، واصبِرْ عَلَيْهِم.

٢- النهي، مثل: لا تَظْلِمْ إذا كُنْتَ قادرًا.   ٣- الاستفهام، مثل: كيف تَتْرُكُ نُصْرَةَ الضُّعَفَاءِ؟

٤- التمني، مثل: لَيْتَ الْعَرَبَ مُتَّحِدُونَ.   ٥- النداء، مثل: يَا فَاعِلَ الخَيْرِ أَقْبِلْ.

ثانيًا: غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوبًا، وله صيغ كثيرة، منها:

١- التعجب، مثل: مَا أَجْمَلَ اللغَةَ الْعَرَبِيَّةَ!   ٢- المَدْح، مثل: نِعْمَ الخُلُقُ الْعَفْوُ.

٣- الذم، مثل: بِئْسَ الخُلق الكذبُ.   ٤- القَسَم، مثل: واللهِ إنَّ البَلاغَةَ مُفِيدَةٌ.

٥- الرَّجاء، مثل: لَعَلَّ البُكَاءَ يُرِيحُ صاحِبَهُ.

(وله) أي: وللأمر بالمعنى المذكور (أربعُ صيغٍ)، والمراد بصيغة الأمر هاهنا: ما دل على طلب الفعل على وجه الاستعلاء؛ سواء كان اسمًا أو فعلًا:

الصيغة الأولى:

(فعلُ الأمر) المحض (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مَريَم: ١٢])، فـ(خُذْ) -بِضَمِّ الخاء المعجمة- فِعْل أمر مِنْ أخذ.

(و)الصيغة الثانية:

(المضارع المقرون باللام) أي: بلام الأمر التي هي قرينة على إرادة الطلب به؛ فالدال هو المضارع فقط واللام قرينة، ويُحتمَل أن يكون المجموع من المضارع واللام هو الدال (نحو) قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطّلَاق: ٧].

(و)الصيغة الثالثة:

(اسم فعل الأمر) بناء على مذهب الكوفيين من دلالته على ما يدل عليه فعل الأمر، وأما على مذهب البصريين فدلالته على الطلب بواسطة دلالته على لفظ فعل الأمر (نحو) قولك: (حَيَّ على الفلاح)؛ أي: أقبل عليه، فـ«حي» اسم بمعنى الأمر.

(و)الصيغة الرابعة:

(المصدر النائب عن فعل الأمر)؛ وذلك (نحو) قولك: (سعيًا في الخير) والأصل: اسْعَ سَعْيًا. حُذِفَ فعل الأمر وأُقيم المصدر مقامه(١).

---

(١) الأمر: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وله أربع طرق:

أ- فعل الأمر، مثل: اصْبِرْ عَلَى الجاهل.

٢- المضارع المقرون بلام الأمر، مثل: لِتَقُلْ خَيْرًا.

٣- اسم فعل الأمر، مثل: عَلَيْكُمْ بالصَّبْرِ.

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر، مثل: صَبْرًا أَهْلَ مِصْرَ؛ فَالفَرَجُ قَرِيبٌ، ومثل قول النَّبِيِّ ﷺ: «صَبْرًا آلَ ياسرٍ فإنَّ مَوْعِدَكُم الجَنَّةُ» رواه الحاكم والطبراني والبيهقي.

وَقَدْ تَخْرُجُ صِيَغُ الأمرِ عن مَعْنَاهَا الأَصْلِيِّ إلى مَعَانٍ أُخَرَ تُفْهَمُ مِن سِيَاقِ الكلامِ، وَقَرَائِنِ الأحوالِ؛ كالدُّعَاءِ نحو: ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩].

والالتماسِ، كقولِكَ لِمَنْ يُسَاوِيكَ: أَعْطِنِي الكِتَابَ.

والتَّمَنِّي، نحو:

أَلَا أَيُّهَا الليلُ الطويلُ أَلَا انجَلِي ... بِصُبْحٍ وما الإِصْبَاحُ منكَ بِأَمْثَلِ

والإرشادِ، نحو: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والتهديدِ، نحو: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

وَالتَّعْجِيزِ، نحو:

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لي كُلَيْبًا ... يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ

وقد تخرج صِيَغ الأمر) الأربعة المذكورة (عن معناها الأصلي) الذي هو طلب فعل على جهة الاستعلاء (إلى معانٍ أُخَر) سواء كان طلبًا من غير استعلاء أو غير طلب أصلًا (تُفهَم) هذه المعاني الأُخَر (من) تلك الصيغ بدلالة (سياق الكلام وقرائن الأحوال) يعني: أن صيغ الأمر قد تُستعمل في غير معناها الأصلي لعلاقة بين ذلك الغير وبين معنى الأمر، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، فتكون مجازًا.

وهي نحو ستة وعشرين ذكرها أهل الأصول، وذكروا العلاقة أيضًا بين المعنى الأصلي لصيغ الأمر وبين تلك المعاني، (كـ)الأمثلة الآتية:

أولًا: (الدعاء) وهو الطلب على وجه التضرع والخضوع، سواء كان الطالب أدنى أو أعلى أو مساويًا، والعلاقة بينه وبين معنى الأمر الأصلي الإطلاق والتقييد؛ (نحو: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾) أي: أَلْهِمْنِي (﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]).

(و)**ثانيًا**: (**الالتماس**)، ويقال له: السؤال، وهو الطلب على سبيل التلطُّف، أي: بدون الاستعلاء والتضرع؛ سواء صدر من الأعلى أو الأدنى رتبة، أو من الشخص لمساويه؛ فلو صدر الطلب من الأعلى للأدنى في الرتبة كالسيد مع عبده، أو صدر من الأدنى للأعلى رتبة من غير استعلاء ولا تخضُّع فإنه يُسمى التماسًا، والعلاقة بينه وبين الأمر الإطلاق والتقييد كالدعاء، (**كقولك**) على سبيل التلطف (**لمن يساويك**) في الرتبة: (**أعطني الكتاب**).

(و)**ثالثًا**: (**التمني**) وهو طلب الأمر المحبوب الذي لا طماعية فيه، والعلاقة بينه وبين الأمر السببية؛ لأن طلب وجود الشيء الذي لا إمكان له سببٌ في تمنِّيه، ويجوز أن تكون العلاقة الإطلاق والتقييد؛ لأن الأمر طلبٌ على وجه الاستعلاء؛ فأُطلِقَ عن قيده ثم قُيِّد بالمحبوب الذي لا طماعية فيه؛ (**نحو**) قول امرئ القيس من معلقته المشهورة:

(**أَلَا أَيُّهَا الليلُ الطويلُ أَلَا انجلي ... بِصُبْحٍ وما الإِصْبَاحُ منكَ بِأَمْثَلِ**)

فقوله: (ألا انجلي): الياء فيه ثابتة لإشباع الكسرة، والمراد بالانجلاء: الانكشاف.

وقوله: (الإصباح) أي: ظهور ضوء الصبح، وهو الفجر وأول النهار.

وقوله: (منك بأمثل)، أي: بأفضل عندي لمقاساتي الهموم والأحزان فيه، كما أقاسيها في الليل.

فامرؤ القيس فارقته محبوبته، فبسبب ذلك هو مهموم معذَّبٌ دائمًا ليلًا ونهارًا؛ فيقول مخاطبًا الليل بعد مناداته: إنني حزين مهموم فزُل أيها الليل الطويل، واطلع يا نهار، مع أنك يا نهار لو طلعت فلست أحسن حالًا من الليل؛ لأن همومي باقية دائمة سواء بالليل أم النهار، فأُقاسيها بالنهار كما أُعانيها بالليل.

فإنه لما كان الظاهر عدم إرادة أمر الليل بالانكشاف؛ إذ الليل ليس مما يُؤمر ويُخاطَب بذلك، حُمِلَ الأمر على التمني ليُناسِب حال التشكّي من الأحزان والهموم وشدتهما؛ إذ لا يُناسبها إلا عدم الطماعية في انجلاء الليل؛ وذلك لأنها لكثرتها ولزومها لليل يُعد الليل معها مما لا يزول، فكأن الشاعر يقول: ليتك أيها الليل تنجلي، أي: لا طماعية لي في انكشافك لكثرة أحزانك وشدتها بظلمتك فلا تنكشف بانكشافك، وعلى تقدير انكشافك، فالإصباح لا يكون أمثل منك للزوم الأحزان على كل حال.

(و) رابعًا: (الإرشاد)؛ وذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾)؛ أي: وقت معيَّن (﴿فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢])؛ فإن الله تعالى أرشد في هذه الآية العباد عند المدايَنَة بكتابة الدين.

(و) خامسًا: (التهديد) أي: التخويف مطلقًا، سواء كان بمصاحبة وعيدٍ مُبَيَّنٍ؛ كأن يقول السيد لِعَبْدِهِ: دُم على عصيانك فالعصا أمامك. أو وعيد مُجمَل (نحو) قوله تعالى: (﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فُصِّلَت: ٤٠])؛ أي: فسترون جَزَاءَهُ أمامكم، وإنما كان هذا تهديدًا لظهور أنه ليس المراد أمرهم بكل عمل شاءوا، أو لأن قرائن الأحوال دالة على أن المراد الوعيد لا الإهمال، والعلاقة بين هذا المعنى والأمر ما بينهما من شبه التضاد باعتبار المتعلَّق؛ لأن المأمور به إما واجب أو مندوب، والمهدَّد عليه إما حرام أو مكروه. وقال بعض العلماء: إن هذا مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن إيجاب الشيء يتسبب عنه التخويف على مخالفته، أو استعارة علاقتها المشابهة بجامع ترتُّب العذاب على كل من الأمر والتهديد عند الترك.

(و) سادسًا: (التعجيز) أي: إظهار العجز، يعني: إظهار المتكلِّم عجزَ المخاطَب الذي يتوهَّم أن في وُسعه وطاقته أن يفعل فعلًا ما، والعلاقة بينه وبين الأمر ما بينهما من شبه التضاد في متعلقهما؛ فإن التعجيز في المستحيلات، والأمر في الممكنات،

ويجوز أن تكون السببية؛ لأن إيجاب شيء لا قدرة عليه يستلزم التعجيز؛ (نحو) قول مهلهل بن ربيعة مطالبًا بثأر أخيه كليب بن ربيعة من بني تغلب، وكان قد قتله جساس من آل بكر:

(يَـا لَبَكْـرٍ أَنْـشِرُوا لـي كُلَيْبًـا ... يَـا لَبَكْـرٍ أيـنَ أيـنَ الفِـرَارُ)

فقوله: (يا لَبكر) بفتح اللام التي للتعجب أو التهديد، وحينئذ فلا حذف، ويحتمل أن يكون تقديره: يا آل بكر.

وبكر: اسم قبيلة تُنسب إلى بكر بن وائل العدناني، وكليب هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن مرة التغلبي الوائلي، وهو أخو مهلهل بن ربيعة.

وقوله: (أنشروا) من أنشر الرباعي، وهو عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم، أي: أحيوا.

وقوله: (لي كليبًا) استغاث الشاعر بهم في إحياء كليب تعجيزًا لهم لعدم قدرتهم على إحيائه وتهكمًا بهم.

وذلك أن كُليبًا قد حمى قطعة أرض فلم يكن يرعاها إلا إبل جساس لمصاهرة بينهما؛ ففي ذات يوم خرجت ناقة لقبيلة جِرم بن ريان في إبل جساس ترعى في حمى كليب فاستغربها كليب فرماها بحربة، وصار ضرعها يشخب لبنًا ودمًا، فصاحت البسوس عمة الجساس قائلة: واذلاه! واغربتاه! فقال جساس لها: أيتها الحرة اهدئي، فوالله لأعقرن فحلًا هو أعز على أهله منها، وقصد بذلك نفس كليب، فلم يزل جساس يتوقعه على غرة حتى خرج وتباعد عن الحمى، فخرج جساس في أثره ورَمَاهُ بحربة في صُلْبِه، وأجهز عليه عمرو حتى مات.

وقوله: (أين أين) تأكيد لفظي.

وقوله: (الفرار) أي: الهرب.

فيطلب مهلهل من آل بكر إعادة كليب إلى الحياة؛ وإعادة كليب إلى الحياة من المحال، ومن هنا فالأمر في قوله: (أنشروا لي)؛ للتعجيز.

وسر بلاغة التعبير بأسلوب الأمر في البيت: إشعارهم بأنه لا منجى لهم ولا مهرب، وأنه آخذ بثأره منهم لا محالة.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ فهذا تعجيز وتحدٍّ، ومثل قوله تعالى في الصيغة الثانية: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤]، ومثل قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الطور: ٣٨]، والأمثلة كثيرة.

❁❁❁

والإهانة، نحو: ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٥٠].

والإباحة، نحو: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ [البقرة: ٦٠].

والامتنان، نحو ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٨٨].

والتخيير، نحو: «خذ هذا أو ذاك».

والتَّسْوِيَة، نحو: ﴿ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ﴾ [الطور: ١٦].

والإكرام، نحو: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦].

(و) سابعًا: (الإهانة) أي: إظهار ما فيه تصغير المهان وقلة المبالاة، (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾)؛ فليس المراد أمرهم بكونهم حجارة أو حديد لعدم قدرتهم على ذلك؛ بل المقصود إظهار قلة المبالاة بهم.

(و) ثامنًا: (الإباحة) والإذن في الفعل لمن يستأذن فيه بلسان المقال أو بلسان الحال. (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾) بمعنى: أنه يُباح لكم الأكل والشرب.

(و)تاسعًا: (الامتنان)؛ وذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾)؛ فإن اقتران قوله تعالى: ﴿رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ قرينة الامتنان على العباد.

(و)عاشرًا: (التخيير)؛ وذلك (نحو) قولك: (خذ هذا أو ذاك)، والفرق بين التخيير والإباحة على ما قالوا: أنه لا يجوز الجمع بين الأمرين في التخيير، ويجوز في الإباحة.

(و)حادي عشر: (التسوية) بين شيئين حيث يتوهم المخاطَب أن أحدهما أرجح من الآخر وأنفع منه، والعلاقة بينها وبين الأمر التضاد؛ لأن التسوية بين الفعل والترك مضاد لإيجاب أحدهما، وذلك (نحو) قوله تعالى: (﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾)؛ فإنه ربما يُتوهَّم أن الصبر نافع؛ فدُفِعَ ذلك بالتسوية بينه وبين عدمه؛ أي: صبركم وعدمه في عدم النفع سواء، ويمثل بهذا للتسوية في النهي أيضًا.

ومما جاء للتسوية في الأمر قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٣] فإنه ربما يُتوهم أن الإنفاق طوعًا مقبول دون الإكراه فسوَّى بينهما في عدم القبول.

(و)ثاني عشر: (الإكرام)، وهذا إذا استُعملت صيغة الأمر في مقام يحصل من حصول المطلوب إكرامُ المأمور، (نحو) قوله تعالى: (﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحِجر: ٤٦])(١).

---

(١) يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تظهر من الكلام؛ لِيثيرَ الانتِبَاهَ، وَيُوقِظَ الذِّهْنَ، مثل:

١ – الدعاء: عندما يُوَجَّهُ الكلام مِنَ الإنسان إلى اللهِ سبحانه وتعالى، مثل قول الله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، فـ(اغفِرْ): فعلُ دعاءٍ؛ لأن الأمْر مِنَ الأقل إلى الله سبحانه وتعالى.

=

وَأَمَّا النهْيُ فَهُو طَلَبُ الكَفِّ عَن الفِعْلِ على وجهِ الاستعلاءِ. وَلَهُ صِيغَةٌ وَاحِدَةٌ، وهِيَ المُضَارِعُ مع لا النَّاهِيَةِ، كقولِهِ تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَقَدْ تَخْرُجُ صِيغَتُهُ عَن مَعْنَاهَا الأَصْلِيِّ إلى معانٍ أُخَرَ تُفْهَمُ مِن المَقَامِ والسياقِ؛ كالدعاءِ، نَحْو: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، والالتماسِ،

=

٢- النصح والإرشاد: عندما يأتي الأَمْرُ شاملًا معنى النُّصح والإرشاد، مثل قولِ الإمام للمَدْعُوين: أَخْلِصُوا العَمَلَ لله، وحَافِظُوا عَلى الصَّلاةِ، فـ(أَخْلِصُوا- حَافِظُوا) كل منهما فِعْلُ أمرٍ يُفيدُ النُّصْح والإرْشادَ؛ إذْ جاء يحمل النُّصْحَ. ومثل قول شوقي:

فَخُذُوا الْعِلْمَ على أَعْلامِهِ   وَاطْلُبُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ الحُكَمَا

٣- التمني: وَذَلِكَ إذا جاءَ الأَمْرُ مُوَجَّهًا لغَيْرِ العاقِلِ، مثل: (أَمْطِري يا سَماء)، فالأفعال (طل- زل- قِفْ- أمطري) كل منها فعل أمر يفيد التَمَنِّي؛ لأنه مُوَجَّهٌ إلى الجماد. ومثل قول الشاعر:

يا ليلُ طُلْ يا نومُ زُلْ   يا صُبحُ قِفْ لا تَطْلُعِ

٤- الرجاء: عندما يأتي الأَمْرُ مِنَ الأَقَلِ إِلَى الأَعْلَى، كأن يكون من الطالب إلى المعلم، أو الابن إلى الأب، مثل قول الطالب للمعلم: (أَعِدْ شَرْحَ هذَا الدَّرْسِ يا أستاذ)، فـ(أَعِدْ): فعل أمر يفيد الرجاء، إذ جَاءَ الأَمْرُ مِنَ الأقل إلى الأعلى.

٥- التعجيز: عندما يأتي الأَمْرُ مُشْتَمِلًا عَلَى مُسْتَحِيلٍ أو صعْبٍ، مثل: (امش على الماء- اشْرَبْ مَاءَ النِّيلِ) فالفعلان: (امشِ- اشْرَبْ) كل منهما فعل أمر يفيد التَّعْجِيز؛ لاشتماله على مستحيل. ومثل قول الله: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

٦- الإهانة والذمُّ وَالتَّحْقِيرُ: عندما يأتي الأَمْرُ مُشْتَمِلًا عَلى إهانة وسُخْرِيةٍ، مثل قول الله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠]، ومثل: قِفْ مَكانَكَ فَلَسْتَ أَهْلًا لِلْمَجْد.

٧- الالتماس: عندما يأتي الأَمْرُ بَيْنَ اثنيْنِ مُتَساوِيَيْنِ فِي المكانة، مثل قولك لصديقك: أَعْطِنِي الكِتَابَ.

٨- التهديد والوعيد: عندما يأتي الأَمْرُ مخالِفًا للواقع، مثلُ قولِ الوالد لابنِهِ: أَهْمِلْ دُرُوسَكَ، وخَالِفْ كَلامَ أُمِّكَ، وَقَطِّعْ مَلابِسَك، فالأفعال: (أَهمِلْ- خالِفْ- قطِّعْ): كل منها فعل أمر يفيد التهديد والوعيد؛ لمجيئها تُخَالِفُ الواقِعَ. ومثل قول الله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسَاوِيكَ: لَا تَبْرَحْ مِنْ مَكَانِكَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ، وَالتَّمَنِّي، نَحْو: لَا تَطْلعْ فِي قولِهِ:

يـا ليـلُ طُـلْ يـا نـومُ زُلْ   يـا صُـبحُ قِـفْ لا تَطْلُـعِ

والإرشاد، نحو: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

والتهديدِ كَقَوْلِكَ لِخَادِمِكَ: لَا تُطِعْ أَمْرِي.

والتيئيس، نحو: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحريم: ٧]. وبيان العاقبة، نحو: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

الكلام في النهي: (وأما النهي فهو: طلب الكفِّ)؛ أي: الانتهاء (عن الفعل) المأخوذ منه الصيغة، نحو: «لا تَزْنِ»؛ فإنه طلب الكف عن الزنا المأخوذ منه هذه الصيغة، فلا يُنقَض التعريف بنحو: (كُفَّ عن الزِّنَا)؛ لأنه طلب الكف عن الزنا، ولكنه بغير الفعل المأخوذ منه صيغة الأمر؛ (على وجه الاستعلاء) أي: على طريق طلب العلو، فخرج بإضافة الطلب إلى الكف الأمر؛ لأنه طلب الفعل كما سبق، وخرج بتقييد الكف، نحو: كف. فإنه ليس طلبًا للكف عن الفعل، بل هو طلب للكف المطلَق، أي: الكف من حيث إنه فعل، لا من حيث إنه كف عن فعل آخر، ولو كان لازمًا له، وظاهر القيد الأخير الذي هو (على وجه الاستعلاء) اشتراطه في النهي، والصحيح عدمه كالأمر.

(وله)؛ أي: للأمر (صيغة واحدة) فهو واحد بالنوع وإن كان تحته أشخاص كثيرة، (وهي المضارع معَ لا الناهيةِ) أي: الجازمة له، والدالة على نهي إيقاع الحدث الذي هو مضمونه، واحتُرز بذلك عن (لا) الناهية التي تجزم إذا صلح قبلها كي، نحو: (جئته لا يكن له عليَّ حُجة).

والمضارع مع لا الناهية (كقوله) سبحانه و(تعالى) في محكم آياته: (﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦])؛ أي: لا تعصوا الله ولا تأمروا بمعصيته فيهما؛ لأن صلاح الأرض وكذا السماء بطاعته تعالى.

(وقد تخرج صيغته)؛ أي صيغة النهي (عن معناها الأصلي) وهو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء (إلى معانٍ أُخَرَ) ليس فيها طلب الكف على وجه الاستعلاء (تُفهَم) هذه المعاني (من المقام)، وهو قرينة الحال (والسياق) أي سياق الكلام، وهو تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه؛ (كـ)المعاني التالية:

أولًا: (الدعاءِ):

وذلك إذا استُعملت في طلب الكف عن الفعل على وجه التخشُّع والتذلل (نحو) قوله تعالى: (﴿فَلَا تُشْمِتْ﴾) أي: لا تُفرح (﴿بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾) أي: لا تجعلهم يفرحون بمصيبة نزلت بي، ومثل: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، و﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ فهذا دعاء.

(و)ثانيًا: (الالتماس):

إذا كانت من المساوي بدون استعلاء وتخضع، (كقولك لمن يساويك) في الرتبة: (لا تبرحْ)؛ أي: لا تذهب (من مكانك حتى أرجع إليك).

والعلاقة بين النهي وبين هذين المعنيين الإطلاق؛ لأن النهي موضوع لطلب الكف باستعلاء، فاسْتُعمل في مطلق طلب الكف مجازًا مرسلًا.

(و)ثالثًا: (التمني):

فيما إذا استُعملت في طلب ما لا طماعية فيه، والعلاقة الإطلاق والتقييد؛ حيث أُطلق النهي عن قيده ثم قُيِّدَ بالمحبوب الذي لا طَمَعَ في حصوله (نحو) لفظ: (لا تطلعْ، في قوله) أي: في قول الشاعر:

(يـــا ليـــلُ طُـــلْ يـــا نـــومُ زُلْ يـــا صُـــبحُ قِـــفْ لا تَطْلُـــعِ)

فقوله: (طل) فعل أمر من الطول ضد القِصَر.

وقوله: (زُل) فعل أمر من زال يزول، أي: اذهب.

وقوله: (قف) فعل أمر من الوقوف، أي: توقف عن الظهور.

فهذه الأوامر الثلاثة مستعملة في غير معناها الأصلي، فالمراد بها التمني ليُناسب حال المتكلم من إبداء الفرح والسرور بوصل الأحباب.

وقوله: (لا تطلع) نهي عن طلوع الصبح، أي: الفجر، مراد به التمني كذلك، فكأنه يقول: ليتك أيها الصبح لم تطلع، أي: لا طماعية لي في طلوعك لكثرة الأفراح والمسرات التي أجدها بالليل.

فيتمنى الشاعر أن يمتد الليل ويطول، وألا يطلع النهار؛ وذلك حتى يطول اجتماعه بحبيبته والتحدث إليها.

والشاهد في (لا تطلع) فليس مستعملًا في معناه الحقيقي؛ إذ لا يوجَّه إلى الصبح أمرٌ أو نهيٌ، وإنما كان الغرض: التمني، لأنه يسمر ويسهر مع حبيبه، فهو يود ألا يطلع الصبح، ليطول سمره، واستمتاعه بحبيبه ما شاء، إلى غير ذلك من المعاني.

(و)رابعًا: (الإرشاد):

وذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ﴾)؛ أي: تُظهَر (﴿لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]).

(و)خامسًا: (التهديد):

أي: التخويف والتوعُّد، والعلاقة بينه وبين النهي السببية؛ لأن النهي عن الشيء يتسبب عنه التخويف على مخالفته، (كقولك لخادمك: لا تُطِع أمري)؛ أي: اترك

إطاعة أمري، وإنما كان تهديدًا للعلم الضروري بأن الشخص لا يأمر خادمه بترك طاعة أمره؛ لأن المطلوب من الخادم الامتثال، لا عدمه، ودل على التوعد استحقاقه العقوبة بعدم الامتثال.

(و)سادسًا: (التيئيس):

وذلك (نحو) قوله تعالى: (﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحريم: ٧]).

(و)سابعًا: (بيان العاقبة):

وذلك (نحو) قوله تعالى: (﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾)؛ أي: لا تظن أن (﴿الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ﴾) هم (﴿أَحْيَاءٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩])(١).

---

(١) النهي: هو طَلَبُ الْكَفِّ عن فِعْلِ شيءٍ على وَجْهِ الاسْتِعْلاءِ، وللنهي صيغة المضارع مع لا الناهية، مثل: (لا تَتَأَخَّرْ عنْ نُصْرَةِ الضُّعَفاءِ)، ومثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

أغراض النهي:

١ - الدعاء: عندما يُوَجَّهُ الكلام مِنَ الإنسان إلى الله، مثل قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾، فالأفعال: (لا تُؤَاخِذْنا- ولا تَحْمِلْ) كل منها فعلُ دعاءٍ، لأن الكلام توجه مِنَ الأقلِ إلى الله سبحانه وتعالى.

٢ - النصح والإرشاد: عندما يأتي النهي شاملًا معنى النُّصْحِ وَالإرشاد، مثل: لا تَتَأَخَّرْ عَنْ دُرُوسِكَ، وَلا تُؤَجِلِ الصَّلاةَ. ومثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾، فـ(لا تَتَأَخَّرْ- وَلَا تُؤَجِّلْ - لا تسألوا) كل منها نهيٌ يُفِيدُ النُّصْحَ وَالإرْشادَ؛ إِذْ جاءَ يحمل النُّصْحَ.

٣- التمني: وَذَلِكَ إذا جاء النهي مُوَجَّهًا لِغَيْرِ الْعَاقِلِ، مثل قولك: لا تُمْطِرِي يا سَماءُ، فالفعل (لا تمطري) يفيد التمني؛ لأنه مُوَجَّهٌ إلى الجماد، ومثل قول الشاعر:

يـا ليـلُ طُـلْ يـا نـومُ زُلْ ... يـا صُـبحُ قِـفْ لا تَطْلُـعِ

فـ الفعل (لا تطلع) يفيد التمني؛ لأنه مُوَجَّهٌ إلى الجماد (غَيْرِ الْعَاقِلِ).

٤- الرجاء: عندما يأتي النهي مِنَ الأَقَلِ إلى الأَعْلى، مثل قول الطالب للمعلم: لا تَتَسَرَّعْ في الشَّرْحِ يا أستاذ، فـ(لا) تتسرع: نهي يفيد الرجاء، إذ جاءَ النهي مِنَ الأقلِ إلى الأعلى.

=

الكلام عن الاستفهام:

وَأَمَّا الاسْتِفْهَامُ فهو طَلَبُ العِلْمِ بِشَيْءٍ. وَأَدَوَاتُـهُ: الهمـزة، وهـلْ، وَمَـا، وَمَـنْ، وَمَتَى، وَأَيَّانَ، وَكَيْفَ، وَأَيْنَ، وَأَنَّى، وَكَمْ، وَأَيٌّ.

(وأما الاستفهام) من الفهم، وفهمتُ الشيء: إذا عَقلتُه، واستفهمه: سأله أن يُفهمه؛ فالاستفهام لغة: طلب الفهم، وأما اصطلاحًا (فهو)؛ أي: الاستفهام: (طلب العلم بشيء) لم يكون معلومًا مِنْ قَبْلُ، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه: إنه طلب خبر ما ليس عندك، وهي بمعنى الاستفهام.

فهو إذن طلب حصول الشيء الذي في الخارج في الذهن بأدوات مخصوصة، بمعنى أن تطلُبَ ما هو في الخارج ليحصُل في ذهنك نقشٌ مطابقٌ له بخلاف الطلب في غيره؛ كالأمر والنهي والدعاء؛ فإنك تنقش في ذهنك ثم تطلُب أن يحصُل له في

=

٥- **التعجيز**: عندما يأتي الأَمْرُ مُشْتَمِلاً عَلَى مُسْتَحِيلٍ يَصْعُبُ عَمَلُهُ، مثل: لا تَتَنَفَّسْ يَوْمًا، فالفعل: (لا تتنفس): فعل يفيد التعجيز؛ لاشتماله على مستحيل.

٦- **الإهانة والتوبيخ وَالذَّم**: عندما يأتي الأَمْرُ مُشْتَمِلًا عَلى إهانة وسُخْرِيَة، مثل: لا تَتَقَدَّمْ فَلَسْتَ أَهْلاً لِلْمَجْدِ – لا تُجَالِسْ أَصْحَابَ الأَدَبِ فَلَسْتَ مِنْهُمْ، ومثل قول الشاعر:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتَأْتِيَ مِثْلَهُ   عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

فالأفعال: (لا تتقدم – لا تجالس – لا تَنْهَ): كل منها يفيد الذَّم والتوبيخ؛ لاشتمالها على الإهانة والذم.

٧- **الالتماس**: عندما يأتي النهي بَيْنَ اثنيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ فِي الرُّتْبَة، مثل: لا تَتكلمْ يا صديقي حتى تسمع المعلم. فالفعل: (لا تتكلم): يفيد الالتماس.

٨- **التهديد والوعيد**: عندما يأتي النهي مُخالِفًا للْواقع، أوَ مُتَضَمِّنًا مَا يُخِيفُ، مثلُ: لا تُذَاكِرْ، وَلا تُطِعْ كَلامَ أُمِّك، وَلا تَحْتَرِمِ الْكَبِيرَ. فالأفعال: (لا تُذَاكِرْ – وَلا تُطِعْ – وَلا تَحْتَرِم): كل منها يفيد التهديد.

٩- **التحقير**: مثل قول الشاعر:

لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالعَصَا مَعَهُ   إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

فالفعل: (لا تَشْتَرِ): يفيد التحقير؛ لاشتمالها عليه.

وتتضح الأغراضُ البلاغيةُ للنَّهْي من خلال معرفةِ الجَوِّ النفسي، ومن السياق والقرائن التي تحيط به.

لا يقتصر النهي علي هذه الأغراض؛ بل إن هناك أغراضًا أخرى تُفْهَمُ من سياق الكلام.

الخارج مطابِق، فنقش الذهن في الاستفهام تابعٌ، وفي غيره متبوعٌ؛ فخرج نحو: علمني، وفهمني، فإنه وإن دل على طلب حصول صورة العلم ليس استفهامًا؛ إذ ليست فيه أداة من الأدوات المخصوصة للاستفهام.

ثم هذه الصورة المستفهَمة إن كانت وقوع نسبة بين أمرين أو لا وقوعها فحصولها، أي: إدراكها، هو التصديق، وإلا بأن كانت موضوعًا أو محمولًا، أو نسبة مجردة أو اثنتين من الثلاثة أو الثلاثة فحصولها، أي: إدراكها، هو التصور.

أدوات الاستفهام:

(وأدواته) أي: الألفاظ الموضوعة للاستفهام إحدى عشرة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يُستعمَل لطلب التصوُّر تارة ولطلب التصديق تارة أخرى، وهو (الهمزة)؛ نحو: أقائم زيد؟

(و)**القسم الثاني:** ما يُستعمل لطلب التصديق فقط، وهو (هل)؛ نحو: هل قام زيد؟

(و)**القسم الثالث:** ما يُسْتَعْمَل لطلب التصور فقط، وهو بقية الألفاظ التي هي:

(ما)، نحو: ما هذا؟ (ومَن)، نحو: مَنِ القائم؟

(ومتى)؛ نحو: مَتَى تقوم؟ (وأيان)، نحو: أَيَّانَ تقوم؟

(وكيف)، نحو: كيف جاء زيد؟ (وأين)، نحو: أين تَنْزِلُ؟

(وأَنَّى)، نحو قوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الدخان: ١٣].

(وكم)، نحو: كم مالك؟ (وأيٌّ)، نحو: أي الرجلين قائم؟ (١).

---

(١) الهمزة: يُطْلَبُ بها التصديق، مثل: أَنَجَحَ خالدٌ؟

=

فالهَمْزَةُ: لِطَلَبِ التَّصَوُّرِ أو التصديقِ.

والتصورُ هو إدراكُ المفردِ، كَقَوْلِكَ: أَعَلِيٌّ مُسَافِرٌ أمْ خالدٌ؟ تَعْتَقِدُ أنَّ السفرَ حَصَلَ مِن أَحَدِهِمَا، وَلَكِنْ تَطْلُبُ تَعْيِينَهُ، ولذا يُجابُ بالتعيينِ، فيُقَالُ: «عَلِيٌّ» مَثَلًا.

والتصديقُ هو إدراكُ النسبةِ نحو: أَسَافَرَ عَلِيٌّ؟ تَسْتَفْهِمُ عن حصولِ السفرِ وَعَدَمِهِ، وَلِذَا يُجابُ بِنَعَمْ أو لَا. والمسئولُ عنهُ في التصورِ ما يَلِي الهمزةَ، وَيَكُونُ لَهُ

=

هل: يُطْلَب بها التصديق، مثل: هل نَجَحَ خالدٌ؟

مَنْ: يُطْلَبُ بها تعيين العقلاء، مثل: مَنْ صلى الفجر اليوم؟

ما: يُطْلَبُ بها شرح الاسم أو حقيقة المُسَمَّى، ما معنى العَقِيقَة؟ أو ما العَقِيقَةُ؟ أو تسأل عن غير العاقل، مثل: ماذا فعل الطَّبِيبُ؟

متى: يُطْلَبُ بها تعيين الزمان ماضيًا كان أو مستقبلًا، مثل: مَتَى حَدَثَتِ الثَّوْرَةُ المصْرِيَّةُ؟

أَيَّانَ: يُطْلَبُ بها تَعْيِين الزمان المستقبل خاصَّةً وتكون للتهويل، مثل قول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٢-١٣].

كَيْفَ: يُطْلَبُ بها تعيين الحال، مثل: كيفَ حَالُكَ؟

أَيْنَ: يُطْلَبُ بها تعيين المكان، مثل: أين تذهب؟

أَنَّى: تأتِي لمعانٍ، وهذا تفصيلها:

١- بمعنى (كيف) مثل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أي: كيف يحيي هذه الله؟

٢- وبمعنى (مِنْ أين) مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا﴾، أي: مِنْ أَيْنَ لَكِ هذا؟

٣- وبمعنى (مَتَى)، مثل: أَنَّى يَحْضُرُ الغَائِبُونَ؟

كم: يُطْلَبُ بها تعيين العدد، مثل قول الله تعالى: ﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢].

أي: يُطْلَبُ بها تمييز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، مثل قوله تعالى: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ﴾ [مريم: ٧٣]، ويسأل بها عن الزمان، والمكان، والحال، والعدد، والعاقل، وغير العاقل على حسب ما تضاف إليه.

مُعَادِلٌ يُذْكَرُ بعدَ أَمْ، وَتُسَمَّى مُتَّصِلَةً، فَتَقُولُ فِي الاستفهامِ عن المُسْنَدِ إليهِ: أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذا أَمْ يُوْسفُ؟ وَعَنِ المُسْنَدِ: أَرَاغِبٌ أَنْتَ عن الأمرِ، أَمْ رَاغِبٌ فِيهِ؟

وعن المفعولِ: أَإِيَّايَ تَقْصِدُ أَمْ خَالِدًا؟

وعن الحالِ: أَرَاكِبًا جِئْتَ أَمْ مَاشِيًا؟

وَعن الظَّرْفِ: أَيَوْمَ الخميسِ قَدِمْتَ أَمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ؟

وهَكَذا، وقد لا يُذْكَرُ المُعَادِلُ، نَحْوُ: أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذا؟ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَن الأَمْرِ؟ أَإِيَّايَ تَقْصدُ؟ أَرَاكِبًا جِئْتَ؟ أَيَوْمَ الخَمِيسِ قَدِمْتَ؟

والمَسْئُولُ عَنْهُ في التصديقِ النِّسْبَةُ، وَلَا يَكُونُ لَهَا مُعَادِلٌ، فَإِنْ جَاءَتْ (أَمْ) بَعْدَهَا قُدِّرَتْ مُنْقَطِعَةً، وَتَكُونُ بِمَعْنَى بَلْ.

(فـ)أم الباب (الهمزة)، وهي (لطلب التصور) أي: تصور المستفهَم عنه بوجه مخصوص لم يكن حاصلًا بهذا الوجه، (أو) هي لطلب (التصديق) أي: تُستعمل لطلب أيهما كان فهي غير مختصة بواحد منهما.

(والتصوُّرُ هو إدراك المفرد)، والمراد بالمفرد: ما سوى وقوع النسبة أو عدم وقوعها؛ فطلب التصوُّر حينئذ ثلاثة أقسام:

أولًا: طلب تصور الموضوع.

ثانيًا: طلب تصور المحمول.

ثالثًا: طلب تصور النسبة التي هي مورد الإيجاب والسلب.

والمراد بالتصور المطلوب بالاستفهام التصور على وجه التعيين، حيث كان المستفهَم مترددًا في تعيين أحد الشيئين؛ لأن هذا التصور هو الذي لم يحصُل؛ ولذا يُستفهم عنه، ولا يصح أن يُراد تصور الشيء من حيث ذاته، وهو تصوره على سبيل الإجمال، فإنه حاصل قبل السؤال، فلا مدخل له في الاستفهام.

وطلب التصور (كقولك) في طلب تصوُّر المسنَد إليه من حيث إنه مسنَد إليه: (أعليٌّ مسافرٌ أم خالدٌ؟) فإن هذا الكلام يدل على أنك (تعتقد أن السفر حصل من أحدهما) أي: تعتقد بوقوع النسبة، وهي حصول السفر من علي أو خالد لا على وجه التعيين؛ (ولكن تطلب تعيينه)؛ أي: تطلب تصور المسند إليه على وجه التعيين؛ لأنه هو المتصف بكونه حصل له السفر؛ (ولذا) أي: ولأجل أن المطلوب هو تعيينه (يُجاب بالتعيين فيُقال: «عليٌّ» مثلًا)، وتصورت حينئذ المسند إليه بخصوصه على وجه التعيين وأنه عَلِيّ لا خالد.

(والتصديق هو إدراك النسبة)؛ أي: الإذعان بأن النسبة التَّامَّة بين الشيئين واقعة في الخارج أو ليست واقعة، أي: إدراك موافقتها لما في الواقع أو عدم موافقتها له، وهذا الإدراك كما يُسَمَّى تصديقًا يُسَمَّى حكمًا وإسنادًا وإيقاعًا وانتزاعًا وإيجابًا وسلبًا؛ (نحو: أسافَرَ عَلِيٌّ؟) فإنك قد تصورت السفر وعليًّا، والنسبة بينهما وهي حصول السفر مِنْ عَلِيّ، إلا أن ذهنك تَرَدَّدَ فيها بين وقوعها ولا وقوعها في الخارج، و(تستَفهِم عن حصول السفر وعدمه) أي: عدم حصول السفر، فتطلب تعيين ما تلبَّسَت به تلك النسبة من الوقوع واللاوقوع (ولذا) أي: ولأجل أن المطلوب تعيين ما تلبَّست به تلك النسبة (يُجاب) عن هذا الاستفهام (بنعم) ويحصل لك التصديق بوقوع النسبة (أو) يجاب عنه بقوله (لا) فيحصل لك التصديق بعدم وقوعها.

(والمسؤول عنه) بالهمزة (في التصوُّر) أي: قصد السؤال عن أجزاء الجملة؛ هو (ما يلي الهمزةَ) أي: هو تصور الجزء الذي يليها من تلك الأجزاء؛ من المسند إليه أو المسند أو شيء من متعلقاتهما، (ويكون له) أي: لهذا المسؤول عنه لفظٌ (معادل) بمعنى المساوي؛ فإذا كان المسؤول عنه زيدًا فمعادله عمرو أو خالد، وإذا كان المسؤول عنه السفر فالمعادل له الإقامة؛ فـ(يُذكَر بعد «أم») فلا بُدَّ أن يأتي المعادل بعد «أم» التي هي من حروف العطف؛ فإذا قلت: أَزَيْد مُسَافِر؟ وأردت التصور فيجب

أن تذكر المعادل فتقول: أزيد مسافر أم عمرو؟ ولا تقول: أَمْ مُقِيم؛ لأن المعادِل لزيد والمقابل له: «عمرو»، وقد يُترك المعادل إذا فُهِمَ من السياق.

(وتسمى) «أم» هذه (متصلةً) أي: تُوصَف «أم» في هذه الحالة بكونها متصلة لاتصال ما بعدها بما قبلها؛ (فتقول في الاستفهام عن المسند إليه) الفاعل: (أأنت فعلتَ هَذَا أم يوسفُ؟) فإن هذا الكلام إنما يقوله من عَرَف حصول أصل النسبة؛ بأن عرف صدور الفعل المشار إليه من شخص، وشك في كونه المخاطب أو يوسف، فكأنه يقول: الذي صدر منه الفعل المشار إليه أأنت أم يوسف؟ فالشك في الفاعل، والسؤال لطلب التصور.

(و)تقول في الاستفهام (عن المسنَد) الذي هو هنا خبر المبتدأ: (أراغب أنت عن الأمر أم راغب فيه؟) فإن هذا الكلام إنما يقوله من عرف صدور فعل من المخاطَب، وشك في ذلك الفعل، فإنه يقول: الفعل الذي صدر من المخاطَب أهو الرغبة عن الأمر؟ أهو الرغبة فيه؟ فالشك فيما أُسند إلى المخاطَب والسؤال لطلب التصور.

ومثال الاستفهام عن المسنَد الفعل: أضربت زيدًا أم أكرمته؟ فإن هذا الكلام يقوله مَنْ عَرَف تعلق فِعْلٍ بالمخاطَب، ولكن لا يعرف أنه ضَرْب أو إكرام، وأراد تعيينه، فالشك في الفعل، والسؤال لطلب التصور.

(و)تقول في الاستفهام (عن المفعول: أإيايَ تقصِد أم خالدًا؟) فإن هذا الكلام تقوله إذا عرفت أن مخاطبك قصد أحدًا، وجَهِلتَ عينَ ذلك الأحد؛ فكأنك تقول: مقصودك ما هو أنا أو خالد؟ فالشك هنا في المفعول والسؤال لطلب التصور.

(و)تقول في الاستفهام (عن الحال: أراكبًا جئت أم ماشيًا؟) إذا كان الشك في حال المجيء، هل هي الركوب أو المشي؟ مع حصول التصديق بوقوع المجيء من المخاطب؛ فالمقصود من السؤال هاهنا طلب تعيين الحال.

(و)تقول في الاستفهام (عن الظرف: أيوم الخميس قَدِمتَ أم يوم الجمعة؟) إذا كنتَ شككتَ في زمان القدوم بأنه أي يوم هو؟ مع القطع بوقوع القدوم من المخاطَب؛ فالسؤال هاهنا لطلب تصوُّر الظرف وتعيينه.

(وهكذا) أي: سائر المتعلقات، نحو: أفي الدار صليت أم في المسجد الحرام؟ أو تأديبًا ضربت أم عقابًا؟

(وقد لا) تُذكر «أم» فلا (يُذكَر المعادل) بعدها لفظًا، لكنه يُعتبر تقديرًا، (نحو) قولك: (أأنت فعلتَ هذا؟)، وعن المسنَد: (أراغبٌ أنتَ عن الأمر؟)، وعن المفعول: (أإياي تقصد؟)، وعن الحال: (أراكبًا جئت؟)، وعن الظرف: (أيوم الخميس قدمتَ؟)؛ فجميع هذه لطلب التصور؛ أي: تصوُّر ما يلي الهمزة، ولا التباس بأن يُراد بها طلب التصديق؛ إذ تقدير المثال الأول: أم فعله يوسف، والثاني: أم راغب أنت في الأمر، والثالث: أم تقصد خالدًا، والرابع: أم جئت ماشيًا، والخامس: أم قدمت يوم الجمعة.

(والمسئول عنه) بالهمزة (في) طلب (التصديق) هو (النسبة) أي: حالها من وقوع أو لاوقوع، وهي الرابطة بين المسنَد إليه والمسنَد لا أحدهما أو شيء من قيودهما، حتى يكون هو أولى بالإيلاء من غيره؛ بل إيلاء الكلام بتمامه الهمزة على النظم الطبعي من غير تقديم لما يُشعر أن تقديمه إنما هو لقصد الاستفهام عنه يدل على أن المطلوب هو التصديق بالنسبة، (ولا يكون لها معادل) فإن الهمزة في هذا القسم تُغني غناء «أم»؛ فلا حاجة إلى ذكر المعادل بعد الهمزة؛ (فإن جاءت «أم» بعدها) أي: بعد الجملة الدالة على النسبة (قُدِّرَت) أي: «أم» (منقطعةً)؛ لانقطاع ما بعدها عما قبلها، (وتكون) «أم» (بمعنى «بل») الإضرابية، يعني: أنك استفهمتَ أولًا عن نسبة الجملة التي قبلها ثم أردت إضرابًا عنه واستفهامًا ثانيًا، ويكون ذلك حينئذ استفهامًا عن

التصديق تاليًا للاستفهام بالهمزة عن التصديق أيضًا. ولا بد من وقوع الجملة بعد هذه المنقطعة نحو قول الشاعر:

ولستُ أُبالي بعد فقدي مالكًا ... أموتي ناء أم هو الآن واقع

فإن وقع بعدها مفرد قُدِّر بجملة، نحو: أحضر الأمير أم جيشه؟ أي: بل حضر جيشه، ومن هنا: ظهر الفرق بين الاستفهام بالهمزة عن التصور والاستفهام بها عن التصديق، بأن الأول ما صلح أن يؤتى بعده بأم المتصلة دون المنقطعة، والثاني حقه أن يُؤتى بعده بأم المنقطعة دون المتصلة.

❁❁❁

وَ«هَلْ» لِطَلَبِ التصديقِ فَقَطْ نَحْوَ: هَلْ جَاءَ صَدِيقُكَ؟ والجوابُ: نَعَمْ، أوْ لَا؛ وَلِذَا يَمْتَنِعُ مَعَهَا ذِكْرُ المُعَادِلِ، فَلَا يُقَالُ: هَلْ جَاءَ صَدِيقُكَ أَمْ عَدُوُّكَ؟

وَهَلْ تُسَمَّى بَسِيطَةً؛ إن اسْتُفْهِمَ بها عن وُجُودِ شَيْءٍ فِي نَفْسِهِ، نحو: هل العَنْقَاءُ مَوْجُودَةٌ؟ ومُرَكَّبَةً؛ إن اسْتُفْهِمَ بها عن وجودِ شَيْءٍ لِشَيْءٍ، نحو: هَلْ تَبِيضُ العَنْقَاءُ وَتُفرِخُ؟

(و«هل» لطلب التصديق)؛ أي: لطلب أصله، وهو مطلق إدراك وقوع النسبة أو لاوقوعها (فقط) أي: ولا يؤتى بها لطلب التصور.

ولهذا يمتنع أن تأتي بعدها «أم» والمعادل، تقول: هل يأتي زيدٌ؟

أما أن المعادل لا يُذكر بعدها، فلأن ذلك يؤدي إلى التناقض، فإن سؤالك بـ«هل» يقتضي جهلك بالحكم، وذكرك المعادل بعد أم يدل على معرفتك بالحكم؛ فيجتمع في الجملة الواحدة علمك بالحكم وجهلك به.

أما مجيء «أم» بعدها في بعض ما سُمِعَ عن العرب من كلام بليغ فإن «أم» هنا هي المنقطعة، وبيان ذلك: أن «أم» قد تكون متصلة وقد تكُون منقطعة، وسُمِّيَت بذلك

لانقطاع ما بعدها عما قبلها، فتكون بمعنى «بل» التي هي للإضراب، وهو الانتقال من شيء إلى شيء هو أشد منه، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]؛ فليس المقصود هنا المعادلة بين عدم التدبر وبين الأقفال التي على القلوب، ولكنه انتقال من حالة إلى أشد منها.

ولـ«هل» عدة أحكام:

الأول: أنها لا تكون إلا للتصديق؛ ولهذا لا تُذكَر بعدها «أم» ولا المعادل كما مر.

الثاني: أنها إذا دخلت على المضارع فإنها تُخلصه للاستقبال فهي كـ«السين» و«سوف».

الثالث: أنها لا تدخل على الشرط ولا على المضارع المنفي.

وتدخل «هل» عند استعمالها في التصديق الذي تختص به على الجملتين:

الفعلية (نحو: هل جاء صديقك؟) إذا كان المطلوب التصديق بثبوت المجيء لصديقك، أي: إدراك أن هذا الثبوت مطابق للواقع، مع العلم بحقيقة كل من المسندين.

والاسمية نحو: هل خالد صديقك؟ إذا كان المطلوب التصديق بثبوت صداقتك لخالد.

(والجواب) عن هذا الاستفهام: **(نعم)**؛ أي: جاء صديقك، فيحصل لك التصديق بوقوع النسبة **(أو: لا)** فيحصل لك التصديق بعدم وقوع النسبة، **(ولذا)** أي: ولاختصاص «هل» لطلب التصديق **(يمتنع معها)** أي: مع «هل» **(ذكرُ الْمُعادِلِ؛ فلا يُقال: هل جاء صديقك أم عدوك؟)**؛ لأن «أم» هنا وقع بعدها مفرد؛ فدل على كونها متصلة، وأم المتصلة إنما تُستعمل عند طلب التصور وإرادة تعيين أحد الشيئين

المبهم من وقعت منه النسبة منهما، بعد العلم بأصل تلك النسبة، وقد تقدم أن «هل» لطلب أصل النسبة، فمقتضاها جهل أصل النسبة؛ إذ لا يُسأل عن معلوم، ومقتضى «أم» المتصلة العلم بها فتنافيا.

نعم إذا أُريدت بها «أم» المنقطعة، وقُدِّر فعلٌ بعدها فإنه يجوز أن يقال ذلك، كما يجوز أن تُعادَل «أم» المنقطعة، فتقول: هل قام زيد أم قعد بشر؟ وهل تأتيني أم تحدثني؟

هذا ويُشترط في الجملة التي تدخل «هل» عليها أن تكون مثبَتة؛ فلا تدخل على منفية؛ فلا يُقال: هل لا قام خالد؟ لأنها في الأصل بمعنى قد، وهي لا تدخل على المنفي، فلا يقال: قد لا يقوم زيد.

(وهل) تنقسم إلى قسمين: بسيطة ومركبة.

القسم الأول: ما (تُسمَّى بسيطةً) لبساطة المسؤول عنه فيها، وهو وجود نفس الشيء الموضوع فقط؛ فيجاب بأنها موجودة أو لا، فالبسيطة هي ما (إن استُفْهِمَ) وأريد السؤال (بها عن وجود شيء في نفسه) أي: طُلِبَ بها التصديق بوقوع نسبة بين شيء جُعِلَ موضوعًا وبين محمول هو عين الوجود الخارجي؛ (نحو: هل العنقاء[1] موجودة؟) أي: ثابتة في الخارج ومتحققة فيه؛ فالمطلوب التصديق بوقوع نسبة الوجود الخارجي للعنقاء.

(و)تسمى هل (مركبةً إن استُفْهِمَ) وسئل (بها عن وجود شيء لشيء) أي: طلب التصديق بها عن وقوع نسبة بين شيء جعل موضوعًا وبين شيء آخر جُعِلَ محمولًا،

---

(١) والعنقاء حُكي أنها طائرٌ فيها من كل شيء من الألوان، وكانت في زمن أصحاب الرس، تأتي إلى أطفالهم وصغارهم فتخطفهم وتغرُب بهم نحو الجبل فتأكلهم؛ فشكوا ذلك إلى نبيهم صالح ﷺ؛ فدعا الله عليها فأهلكها، وانقطع نسلُها، فسُمِّيَت عنقاء مغرب.

وهو غير الوجود لذلك الموضوع، بل هو وجود شيء آخر، فالمراد بالوجود الواقع محمولًا هنا النسبة- بخلافه في البسيطة- فالمراد به الوجود الخارجي، وهو التحقق في الخارج.

وهذه التسمية ليست باعتبار «هل» في نفسها بل باعتبار مدخولها؛ لأن مدخول الأولى لما كانت حكاية عن نفس وجود الموضوع وصيرورته في نفسه بخلاف مدخول الثانية فإنها حكاية عن الموضوع على حال وصفة سميت الأولى بسيطة والثانية مركبة؛ (نحو: هل تبيض العنقاء وتفرخ؟)فإن المطلوب التصديق بوقوع نسبة البيض والتفريخ للعنقاء أو بعدم وقوعها، وسُمِّيَت هذه مركبة لتركيب المسؤول عنه فيها من وجود نفس شيء لشيء آخر، فاعتُبِرَ فيها ما اعتُبِرَ في البسيطة وزيادة؛ فإن قولنا: هل العنقاء موجودة؟ المعتبر فيه وجود العنقاء، وقولنا: هل تبيض العنقاء؟ المعتبر فيه وجود العنقاء وبيضها؛ فإن نُظِرَ إلى غير الوجود الواقع رابطة في الأمرين كان المعتبر في أولهما شيئًا واحدًا وهو العنقاء، وفي ثانيهما شيئين هما العنقاء وبيضها، وإن نُظِرَ إلى الوجود المذكور كان المعتبَر في الأول شيئين، وفي الثاني ثلاثة، وعلى كل حال فالاعتبار في الأول فيه بساطة بالنسبة إلى الاعتبار في الثاني، بمعنى قلة المعتبر وكثرته.

❁❁❁

وَ«مَا» يُطْلَبُ بِهَا شَرْحُ الاسمِ نَحْو: ما العَسْجَدُ أو اللُّجَيْنُ؟ أو حَقِيقَةِ المُسَمَّى نَحْو: مَا الإِنْسَانُ؟ أو حالِ المَذْكُورِ مَعَهَا، كَقَوْلِكَ لِقَادِمٍ عليكَ: ما أَنْتَ؟

(و«ما») أكثر ما يُستفهم بها عن غير العقلاء، وقد تكون لتعريف الشيء وبيان معناه من حيث اللغة؛ كما يُقال لك: ما الغضنفر؟ فتقول: الأسد. فتُسمى شارحة، وقد يُسأل بها عن حقيقة الشيء؛ كما يُقال لك: ما البلاغة؟ فتقول: وصول المعنى إلى القلب بأحسن صورة من اللفظ. وما الإسراف؟ فتُجاب بأنه: تجاوز الحد في النفقة وغيرها.

فـ«ما» (**يُطلَب بها شرحُ الاسم**) أي: بيان مفهومه الإجمالي الذي وُضِعَ له في اللغة أو الاصطلاح؛ فذلك المفهوم الموضوع له هو المطلوب شرحه وبيانه، والمراد بالاسم هنا الكلمة؛ (**نحو**) قولك: (**ما العسجد؟ أو**): ما (**اللُّجَين؟**) تقول هذا طالبًا أن يُعيَّن لك مدلوله اللغوي، فيُجاب بإيراد لفظ أشهر منه عند السامع، فيقال في جواب ما العسجد؟ إنه الذهب، وفي جواب: ما اللجين؟ إنه الفضة؛ سواء أكان هذا اللفظ الأشهر مرادفًا له أم لا، وسواء أكان من هذه اللغة التي سأل بها السائل أم لا، وسواء أكان مفردًا أم مركبًا، بشرط أن يكون فيه إجمال.

(**أو**) يُطلَب بـ«ما» شرح (**حقيقةِ المسمى**)، والمراد بالمسمى: المفهوم الإجمالي، والمراد بحقيقته أجزاء ذلك المفهوم الإجمالي، أي: الماهية التفصيلية الثابتة في نفس الأمر التي بها أفراد الشيء تحققت؛ بحيث لا يُزاد عليها في الخارج إلا العوارض؛ كالإنسان؛ فإن مفهومه الإجمالي الذي هو مسماه نوع مخصوص من الحيوان، وحقيقة ذلك المسمى: حيوان ناطق؛ فالسؤال عنها (**نحو**) أن تقول: (**ما الإنسان؟**) تقول هذا طالبًا أن يُشرح لك حقيقته الثابتة في نفس الأمر، فيُجاب بإيراد تعريف حقيقي مبيِّن لحقيقته التي بها تحققت أفراده؛ فإن أفراده لا تزيد على هذه الحقيقة إلا بالعوارض فيجاب بأنه: «حيوان ناطق».

(أو) يُطلَب بـ«ما» شرح (حالِ المذكور) أي: صفته (معها) أي: مع لفظة «ما»؛ (كقولك لقادم عليك: ما أنت؟) طالبًا شرح حال المخاطَب؛ كأنك تقول: أي وصف يُقال فِيكَ؟ وجوابه: زائِر، أو مبعوث من خالد مثلًا.

❁❁❁

و«مَنْ» يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ العُقَلَاءِ كَقَوْلِكَ: مَنْ فَتَحَ مِصْرَ؟

(و«مَن») تُستعمل للعقلاء، تقول: مَن في البيت؟

فيُقَال لك: فلان.

فهي (يُطلَب بها تعيينُ العقلاء)؛ أي: ذوي العلم؛ ليتناول الباري تعالى؛ نحو: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]، وتعيين ذوي العلم يكون بذكر الأمر المتعلِّق به بحيث يتميز به عما سواه من الأفراد ذوي العلم؛ سواء كان هذا الأمر عَلَمًا له أو وصفًا خاصًّا به.

(كقولك: مَن فتح مصر؟) فإنك تقوله إذا علمت أن مصر فتحها أحد من ذوي العلم، لكن لم يتشخَّص عندك؛ فتسأل بـ(من) عن مشخِّصِه؛ فيُجاب بأنه عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

❁❁❁

وَ«مَتَى»: يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ الزَّمَانِ مَاضِيًا كانَ أو مُسْتَقْبَلًا، نَحْو: مَتَى جِئْتَ؟ وَمَتَى تَذْهَبُ؟

(و«متى» يُطلب بها تعيينُ الزمان) مطلقًا؛ (ماضيًا كان أو مستقبلًا) أو حالًا؛ (نحو) أن تقول: (متى جِئْتَ؟) يُقال في طلب تعيين الزمان الماضي، والجواب: فجرًا أو نحوه. (ومتى تذهب؟) يُقال في طلب تعيين واحد من زمني الحال والاستقبال، والجواب: هذه الساعة أو غدًا.

❁❁❁

وَ«أَيَّانَ» يُطْلَبُ بها تَعْيِينُ الزمانِ المُسْتَقْبَلِ خَاصَّةً، وَتَكُونُ فِي مَوْضِعِ التَّهْوِيلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦].

(و«أيان») هو أيضًا للزمان كـ(متى)، ولكن متى للزمان، سواء كان ماضيًا أو مستقبلًا.

أما: أيان فـ(**يُطلب بها تعيينُ الزمان المستقبَل خاصَّةً**)؛ فيُقال: أيان يُثْمِر هذا الغرس؟ والجواب: بعد عشرين سنة مثلًا.

ويقال: أيان تأتي؟ والجواب: بعد غَدٍ.

(وتكون) أي: وتُستَعْمَل أيان (في موضع التهويل) أي: قصد التفخيم لشأن المسؤول عنه؛ وذلك (كقوله) سبحانه و(تعالى) في محكم آياته: (﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القِيَامَة: ٦])؛ فقد استُعملت «أيان» مع يوم القيامة للتهويل والتفخيم بشأنه، وفيه حذف مضاف، والتقدير: أيان وقوع يوم القيامة؟ أي: يوم القيامة يقع في أي زمان من الأزمان المستقبَلة؟ وجواب هذا السؤال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٢].

❁❁❁

وَ«كَيْفَ»: يُطْلَبُ بها تَعْيِينُ الحالِ، نَحْو: كَيْفَ أَنْتَ؟

(و«كيف») للسؤال عن الحال؛ أي: (**يُطلَب بها تعيينُ الحال**)؛ أي: الصفة التي عليها الشيء؛ كالصحة والمرض والركوب والمشي، (نحو) قولك: (كيف أنت؟) أي: ما الحالة التي أنت عليها؟ فجوابه: صحيح، أو سقيم، أو مشغول، ونحو ذلك.

ونحو: كيف جاء خالدٌ؟ فيقال في جوابه: راكبًا، أو ماشيًا.

وتكون «كيف» بحسب العوامل؛ فتكون خبرًا كما في «كيف أنت؟»، وتكون مفعولًا أو حالًا كما في قولك: «كيف وجدتَ خالدًا؟» أي: على أي حال؟ أو في أي حال وجدتَه؟

❁❁❁

وَ«أَيْنَ» يُطْلَبُ بها تَعْيِينُ المَكَانِ، نَحْو: أَيْنَ تَذْهَبُ؟

(و«أين») هي للسؤال عن المكان؛ أي: (يُطلَب بها تعيينُ المكان؛ نحو: أين تذهب؟) أي: الآن أو بعده. وجوابه: إلى السوق.

ويُقال: أين جلست بالأمس؟ وجوابه: أمام الأمير.

وأين زيد؟ وجوابه: في الدار. أو: في المسجد.

***

وَ«أَنَّى» تَكُونُ بِمَعْنَى كَيْفَ، نَحْو: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وَبِمَعْنَى مِن أينَ؟ نحو: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عِمران: ٣٧]، وَبِمَعْنَى مَتَى، نَحْو: زر أنى شئت.

(و«أنَّى» تكون) أي: تُستعمل (بمعنى «كيف»)، ويجب أن يكون بعدها فعل، لا فرق بين الماضي وغيره.

فالأول نحو قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، أي: كيف شئتم.

و(نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البَقَرة: ٢٥٩]) أي: كيف يحيي الله أهل هذه القرية؟ أو كيف يُعمِّر الله هذه القرية؟

بخلاف ما إذا لم يَلِهَا الفعلُ؛ فلا تُستعمل بهذا المعنى، ولا يُقال: أنَّى زيدٌ؟ بمعنى: كيف هو أصحيح أم سقيم؟

(و)تُستعمل «أنَّى» أيضًا (بمعنى «من أين»)؛ فتكون في تلك الحالة متضمنة لمعنى الاسم والحرف معًا ومعنى الظرفية والابتدائية، وهذه لا يجب أن يكون بعدها فعل (نحو) قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام: (﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عِمران: ٣٧]) أي: من أين لك هذا الرزق الآتي كل يوم؟

وكان يجد عندها فاكهة في غير وقت أيامها، وليس المراد: كيف لك هذا؟ بدليل قولها: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧].

(و)تُستعمل «أنَّى» أيضًا (بمعنى «متى»)، وحينئذ أيضًا يليها الفعل، (نحو قولك: (زُرْ أنَّى شِئْتَ؟).

و«أنى تكون زيادة النيل؟» أي: متى، وفي أي زمان توجد زيادة النيل؟

❁❁❁

و«كَمْ» يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ عَدَدٍ مُبْهَمٍ، نَحْو: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

(و«كم» يُطلَب بها تعيينُ عددٍ مُبهَمٍ)؛ فإذا قلتَ: كم درهمًا لك؟ كأنك قلتَ: أعشرون أم ثلاثون؟

وقد يُحذَف المميز ويقال: كم رأيتُك؟ أي: كَمْ مَرَّة.

و(نحو) قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: من أصحاب الكهف: (﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]) أي: كم يومًا، أو كم شهرًا، أو كم سنة، أو كم ساعة؟

ثم إن كان الطلب بها على ظاهره فيقع الجواب بما يُعيِّن قدره، فيقال: مائة أو ألف مثلًا.

وإن كان الطلب بها على غير ظاهره فلا يحتاج للجواب؛ نحو قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١] لظهور أن ليس القصد استعلام مقدار عدد الآيات من جهة بني إسرائيل؛ لأنه تعالى علام الغيوب، وإنما القصد التقريع والتوبيخ على عدم اتباع مقتضى الآيات مع كثرتها وبيانها، أي: قل لهم ذلك، فإذا أجابوك بأننا آتيناهم آيات كثيرة فوبخهم على عدم الاتباع مع كثرتها.

❁❁❁

وَ«أَيٌّ» يُطْلَبُ بها تَمْيِيزُ أَحَدِ المُتَشَارِكَيْنِ فِي أمرٍ يَعُمُّهُمَا، نحو: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، وَيُسْأَلُ بِهَا عن الزمانِ، والمكانِ، والحالِ، والعددِ، والعاقلِ وغيرِهِ، حَسَبَ ما تُضَافُ إليهِ.

(و«أيٌّ») الاستفهامية، وهي التي تُفيد الاستفهام عن العاقل وغيره، و(يُطلَب بها تمييز)؛ أي: تبيين (أحد المتشارِكَين في أمرٍ يَعُمُّهُمَا)؛ يعني: إذا كان هناك أمر يعم شيئين أو أشياء بحيث وقع فيه الاشتراك وكان واحد منهما أو منها محكومًا عليه بحكم، وهو مجهول عند المتكلِّم، إلا أن له وصفًا عند غيره يُميزه، وأراد هو تميزه، فإنه يسأل بـ«أي» عن ذلك الموصوف بالوصف المميز له وهو صاحب الحكم.

وتُضاف «أي» دائمًا؛ ليُزال إبهامُها؛ لأنها من الأنواع المبهمة وصالحة لكل شيء من الأمور الحسية والمعنوية، ولا تعيّن لها إلا بالمضاف إليه، وتُضاف «أي» لإزالة الإبهام إما إلى النكرة أو إلى المعرفة، فتُضاف «أي» إلى النكرة مطلقًا، سواء كانت متعددة أم غير متعددة، وتشمل النكرة الدالة على مفرد أو مثنى أو جمع، مثل: أَيُّ تلميذٍ نَجَحَ فِي المسابقة؟ وأيُّ تلميذين فازا بالمسابقة؟ وأيُّ تلاميذ نجحوا في الامتحان؟

وتضاف «أي» أيضًا إلى المعرفة، بشرط أن تدل المعرفة على متعدد حَقِيقِيّ؛ مثلًا: أيُّ الرجالِ أَحْرَى بالتقدير؟ وكقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

أو تدل على متعدد تقديري؛ مثل: أي الكسب أحسن؟ والتقدير: أي نوع من أنواع الكسب أحسن.

و(نحو) قوله تعالى حكاية لسؤال مشركي العرب أحبار اليهود: (﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مَريَم: ٧٣])، فقد اعتقد المشركون أن أحد الفريقين ثبت له الخيرية؛ فسألوا عما يميز هذا الفريق، فكأنهم قالوا: أنحن خير أم أصحاب محمد ﷺ؟

والجواب الذي يحصل به التمييز هو الجواب بالتعيين، ولذا أجابهم اليهود بقولهم: أنتم.

لكنهم مراءون في هذا الجواب كاذبون، ولو قالوا: أصحاب محمد ﷺ لكانوا صادقين في الجواب ناطقين بالحق.

(ويُسأل بها) أي: بـ«أي» (عن) كل ما يُمَيِّز المبهم الذي أُضيفت كلمة «أي» إليه مما يلي:

أولًا: (الزمان).

(و)**ثانيًا**: (المكان).

(و)**ثالثًا**: (الحال).

(و)**رابعًا**: (العدد).

(و)**خامسًا**: (العاقل)، (وغيره).

ويكون تعيين واحد منها (حسب ما تُضاف) كلمة «أي» (إليه)، ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]؛ أي: أي الإنس والجن يأتيني بعرشها، فإن الأمر المشترك هو كون كل منهم من جند سليمان ومنقادًا لأمره.

وَقَدْ تَخْرُجُ أَلْفَاظُ الاستفهامِ عن مَعْنَاهَا الأَصْلِيِّ لِمَعَانٍ أُخْرَى تُفْهَمُ مِن سياقِ الكلامِ؛ كَالتَّسْوِيَةِ، نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة:٦] .

والنَّفْيِ، نحو: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠]. وَالإنكارِ، نحو: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ ﴾ [الأنعام:٤٠]، ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]. والأمرِ، نَحْو قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩١] ، و﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡ﴾ [آل عمران:٢٠] بمعنى: انْتَهُوا وَأَسْلِمُوا. وَالنَّهْيِ نحوَ: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾ [التوبة: ١٣]. والتشويق نحو: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الصف: ١٠]. والتعظيم نحو: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. والتحقيرِ نَحْو: هذا الذي مَدَحْتَهُ كَثِيرًا؟.

(وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن) استعمالها في (معناها الأصلي) الذي هو الاستفهام وتُستعمل (لمعان أُخَرَ تفهم) هذه المعاني (من) ألفاظ الاستفهام بقرينة (سياق الكلام) ودلالته، فيكون استعمالها في المعاني الأخر المغايرة للاستفهام مجازًا لعلاقة مع وجود القرينة المانعة عن إرادة المعنى الأصلي؛ (كـ)المعاني الآتية:

أولًا: (التسويةِ) بين شيئين، وهو التعديل بين أمرين مختلفين، وحرف التسوية هو الهمزة الواقعة بعد سواء، أو ليت شعري، أو ما أدري، ونحوها؛ (نحو) قوله تعالى: (﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة:٦]) فإن «الهمزة» و«أم» هاهنا قد خرجتا عن معناهما الأصلي الذي هو الاستفهام عن أحد المستَوِيَيْن في عِلمِ المستفهِم لمجرد معنى الاستواء.

فإن اللفظ الحامل لمعنيين قد يُجرَّد لأحدهما ويُستعمل فيه وحْدَه كما في صيغة النداء؛ فإنها كانت للاختصاص والنداء، فجُرِّدَتْ للاختصاص في قولك: «اللهم اغفر لنا أيها المؤمنين»؛ ولذا بطل مقتضى الاستفهام من الصدارة وكونه لأحد الأمرين.

(و) ثانيًا: (النفي) بمعنى لفظة «ما»، والعلاقة هي المسببية؛ لأن نفي الشيء جهل بوجوده، وهو يقتضي الاستفهام؛ (نحو) قوله تعالى: (﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ ﴾) أي: ما جزاؤه (﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾) أي: ما جزاء الإحسان بالطاعة إلا الإحسان بالثواب، و«هل» هاهنا بمعنى الجحد والنفي.

(و) ثالثًا: (الإنكار)؛ أي: إنكار ما دخل عليه لفظ الاستفهام، والعلاقة هي المسببية؛ لأن إنكار الشيء -بمعنى كراهته والنفرة عن وقوعه- يستلزم عدم توجه الذهن إليه، وهو يستلزم الجهل، والجهل يَقْتَضِي الاستفهام، (نحو) قوله تعالى: (﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾)؛ فالمنكَر هنا المفعول، وهو غير الله ﷻ، يعني: كون المدعو غير الله، لا نفس الدعاء.

وقد يكون المنكَر الفعل، نحو قوله تعالى: (﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾) فالمنكر فيه الفعل، ويكون المراد إنكار ما دخلت عليه الهمزة، وهو عدم كفاية الله عبده، وحيث إن الإنكار في هذه الآية دخل على النفي كان المعنى: الله كاف لعبده؛ لأن إنكار النفي نفي للنفي، ونفي النفي إثبات للمنفي، ويسمى إنكارًا إبطاليًا؛ لأن الآية ردٌّ على مَن يتوهم من الكفرة أن الله تعالى ليس بكافٍ عبدَه.

(و) رابعًا: (الأمر) أي: طلب الفعل، والعلاقة هي التقييد والإطلاق بنقلها من طلب العلم بشيء إلى مطلق الطلب، ثم منه إلى طلب الفعل؛ (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾) جاءت في تحريم الخمر والميسر والأنصاب؛ فإن الله تعالى قال: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ...﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩١].

أي: فبعد هذا التقرير هل أنتم منتهون أو لستم بمنتهين؟ قال الصحابة فيما أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي: «انتهينا انتهينا»، فالاستفهام هنا بمعنى الأمر،

(ونحو) قوله تعالى: (﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾)؛ فالأول (بمعنى: انتهوا، و) الثاني بمعنى (أسلموا) بصيغة الأمر.

(و)خامسًا: (النهي)؛ أي: طلب الترك، والعلاقة هي التقييد والإطلاق بنقلها من طلب العلم بشيء إلى مطلق الطلب، ثم منه إلى طلب الترك، (نحو) قوله تعالى: (﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾) أي: لا تخشوهم (﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾) منهم.

(و)سادسًا: (التشويق)، والعلاقة بينه وبين الاستفهام هي المشابهة في التسبب عن الجهل؛ (نحو) قوله تعالى: (﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾) أي: على أحب الأعمال إلى الله تعالى، وسماه تجارة؛ لأنهم يربحون فيه رضاه تعالى ونيل جنته والنجاة من النار؛ فحقيقة الاستفهام فيها غير مراد، وإنما المراد تشويق النفوس ليكون الأمر بالإيمان والجهاد الواقع بعده من قوله سبحانه: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١١] .. الآية أوقع في النفوس؛ لأنه خبر بمعنى الأمر، كما يدل عليه الجواب بقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ومن الظاهر أن الأمر الوارد على النفوس بعد تشوق وتطلع منها إليه أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به.

(و)سابعًا: (التعظيم)، والعلاقة بينه وبين الاستفهام هي المسببية؛ لأن الاستفهام عن الشيء مسبب عن الجهل به، والجهل به مسبب عن كونه عظيمًا؛ لأن الأمر العظيم من شأنه عدم الإدراك حقيقة أو ادعاء؛ (نحو) قوله تعالى: (﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾).

يعني: لا شفاعة لأحد عنده إلا ما استثناه بقوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يريد بذلك شفاعته ﷺ وشفاعة بعض الأنبياء والملائكة وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض.

والاستفهام هاهنا للنفي، لكن المقصود منه التعظيم والبيان لكبرياء شأنه تعالى بأنه لا أحد يستقل بأن يدفع ما يريده هو سبحانه شفاعة واستكانة، فضلًا أن يعوقه عنادًا ومقابلة.

(و)ثامنًا: (التحقير) أي: عد الشيء حقيرًا، والعلاقة بينه وبين الاستفهام هي اللازمية بوسائط؛ لأن الاستفهام عن الشيء يقتضي الجهل به، وهو يقتضي عدم الاعتناء به، وهو يقتضي استحقاره؛ (نحو) قولك: (أهذا الذي مدحته كثيرًا) أي: هذا شخص مستخَفٌّ به حقير.

فالاستفهام هاهنا لقصد الاحتقار والاستخفاف بالمشار إليه مع أنك تعرفه، ولهذا جيء باسم الإشارة الدال على التحقير أيضًا.

ومنه قوله تعالى عن المشركين: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]؛ يعني: يسبها ويعيبها؛ يعني كأنهم يقولون: هو أحقر من أن يسب آلهتهم ويعيبها.

❁❁❁

والتهكمِ، نحو: أعقلك يُسَوِّغُ لك أن تفعل كذا؟

والتعجبِ، نحو: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٧].

والتنبيه على الضلال، نحو: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير:٢٦].

والوعيدِ، نحو: «أتفعل كذا وقد أحسنت إليك».

(و)تاسعًا: (التهكُّم)؛ أي: الاستهزاء والسخرية، (نحو) قولك: (أعقلُكَ يسوِّغ لك أن تفعل كذا؟)؛ فليس المراد به السؤال عن كون عقل المخاطب مسوِغًا ما ذكره؛ بل المقصود الاستخفاف بشأن عقله.

(و)عاشرًا: (التعجب)، وهو شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمرًا نادرًا أو لا مثيل له أو مجهول الحقيقة أو خفي السبب؛ نحو: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧] ، وكذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾).

فالاستفهام هنا إنما هو للتعجب؛ لأن الكفار لما رأوا الرسول يأكل كما يأكل غيره، ويتردد في الأسواق كما يتردد غيره فيها، تعجبوا من حاله بناء على زعمهم أن الرسول يجب أن يكون مستغنيًا عن الأكل والتعيُّش.

(و)حادي عشر: (التنبيه على الضلال)؛ وذلك (نحو) قوله تعالى: (﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾)؛ إذ ليس القصد منه الاستعلام عن مكان ذهابهم؛ بل التنبيه على ضلالهم وأنهم لا مذهب لهم ينجون به.

(و)ثاني عشر: (الوعيد)؛ وذلك (نحو) قولك: (أتفعل كذا وقد أحسنت إليك)؛ فإنه يدل على كراهة الإساءة بمقابلة الإحسان المقتضية للزجر بالوعيد؛ فيُحمَل على الوعيد بهذه القرينة.

ومما سبق يتبين أن الاستفهام نوعان: (حقيقي - بلاغي):

الاستفهام الحقيقي: الاستفسار عن شيء مجهول للسائل، ويحتاج لجواب، مثل: مَتَى يَأتِي الضيفُ؟

الاستفهام البلاغي: قد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معانيها الأصلية لمعانٍ أخرى تظهر من سياق الكلام، والإنسان إذا لم يُرِدِ التصريح بالمعنى الذي يَقْصِده، فإنّه يتّخذ أسلوبًا غير مباشر (١).

---

(١) وللاستفهام أغراض بلاغية:

=

=

١ - التشويق: مثل قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الصف: ١٠].

٢ - النفي: إذا كان الجواب يتم بوضع أداة نفي، مثل قول الله: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]، أي: لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

٢ - التسوية: مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦].

٣- الفخر: إذا كان الاستفهام مشتملًا على فخر، مثل قول الشاعر:

نَحْـنُ هَـلْ تَـدْرُونَ مَـنْ نَحْـنُ ... نَحْـنُ صُـنَّاعُ الْغَـدِ الْمُبْتَسِم

٤ - التعجب: إذا كان الاستفهام مُشْتَمِلًا على دهشة وإعجاب، مثل قول الله: ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨].

٥- التعظيم: مثل قول الشاعر:

أَيْنَ الأُلَى سَجَّلُوا فِي الصَّخْرِ سِيرَتَهُمْ ... وَصَغَّرُوا كُلَّ ذِي مُلْكٍ وَسُلْطَانِ

٦ - التقرير: إذا كان الاستفهام متبوعًا بنفي، مثل: أَلَيسَ الْخَمْرُ حَرَامًا؟

٧- التوبيخ والتحقير: مثل: لماذا تَهْرُبونَ مِن المَدْرَسَةِ؟ ومثل قول الله: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٢].

٨- التهديد والوعيد: مثل قول الله ﷻ: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [المرسلات: ١٦-١٧].

٩- الحسرة والحزن: مثل قول أحد الأغنياء، وقد ذَهَبَ مالُهُ وذَهَبَتْ صِحَّتُهُ: أَيْنَ صِحَّتِي وَأَين مالي؟ فَيَتَحَسَّرَ هذا المتكَلِّمُ على صِحَّتِهِ ومالِهِ.

ومثل قول الشاعر:

أَيْـنَ أَيَّـامُ لَـذَّتِي وَشَـبَابِي؟ ... أَتُرَاهَـا تعـود بَعْـدَ الـذَّهَابِ

١٠ - العتاب: مثل قوله: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦].

١١ - التهويل والتخويف: إذا كان الأمر الذي نسأل عنه مُخيفًا، مثل قول الله: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ١-٣].

الكلام عن التَّمَنِّي:

وَأَمَّا التَّمَنِّي، فهو طَلَبُ شَيْءٍ مَحْبُوبٍ لا يُرْجَى حُصُولُهُ؛ لِكَوْنِهِ مُسْتَحِيلًا أو بعيدَ الوقوعِ، كقولِهِ:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا ... فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ المَشِيبُ

وقولِ المُعْسِرِ: لَيْتَ لِي أَلْفَ دِينَارٍ.

وَإِذَا كانَ الأمرُ مُتَوَقَّعَ الحُصُولِ فَإِنَّ تَرَقُّبَهُ يُسَمَّى تَرَجِّيًا، وَيُعَبَّرُ عنهُ بِـ: عَسَى وَلَعَلَّ، نحو: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١].

(وأما التمني فهو: طلب) حصول (شيءٍ محبوب) في المستقبل؛ أي: طلبُ حصوله من حيث إنه محبوب، (لا يُرجى حصولُه)، أي: لا يُطمَع في حصوله أصلًا؛ وذلك (لكونه)؛ أي: لكون حصول هذا الأمر (مُستحيلًا)؛ أي: عقلًا أو عادةً، (أو) لكون حصول هذا الأمر ممكنًا (بعيدَ الوقوع).

فقوله: «طلب شيء» بمنزلة الجنس.

وقوله: «محبوب» قيدٌ أول خرَجَ به الأوامرُ والنواهي والنداء؛ لأنها ليست طلبًا لحصول الشيء من حيث إنه محبوب؛ بل من حيث قصد وجوده أو عدم وجوده أو إقباله.

وقوله: «لا يُرجى حصوله» قيد ثانٍ خرج به الترجِّي.

ومثال التمني (كقوله)؛ أي: أبي العتاهية:

(أَلا ليتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يومًا ... فَأُخْبِرَه بما فعلَ المشيبُ)

فهذا مثال لكون المتمنَّى مستحيلًا، فإن استحالة عود الشباب ممتنع عادةً، بِناء على أن المراد بالشباب قوة الجسم، أو عقلًا بأن أُريد به زمانُ ازدياد القوى النامية لاستلزامه أن يكون للزمان زمان.

(و) قد يكون حصول هذا الأمر بعيدًا ممكنًا؛ نحو (قولِ المُعسِر)، وهو الذي لا مالَ له ولا طماعية له في حصول ألف دينار: (ليتَ لي ألفَ دينارٍ). فإن ملكيته لألف دينار ممكن عادة وعقلًا، ولكنه بعيد الوقوع له لإعساره.

(وإذا كان الأمرُ) الممكن (متوقَّعَ الحصول) أي: مرجوه ومطموعًا في وقوعه (فإن تَرَقُّبَه) أي: ترقب الحصول (يُسمى ترجِّيًا)، فبينه وبين التمني تبايُن؛ لأن التمني طلب كما سبق، والترجي ليس بطلب، بل هو ترقب الحصول، وأيضًا الفرق بينهما أنه يُشترط في صحة الترجي إمكان المُترجَّى.

ولا يُشترط في التمني إمكان المتمنَّى، وأنه يُشترط في المتمنَّى كونُه محبوبًا بخلاف المترجَّى؛ فقد يكون محبوبًا، ويقال له: طمع، نحو: لعلك تُعطينا. أو مكروهًا، ويقال له: إشفاق؛ نحو: لعَلِّي أموت الساعة.

(ويعبَّر عنه) أي: عن الترقُّب المذكور المُسمى بالترجِّي (بعسى) إن كان الأمر مطموعًا فيه؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢]، فإن إتيان الله بالفتح لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على أعدائه متوقَّع الحصول مترقَّب الوقوع بلا شُبهة، (أو)؛ أي: ويعبَّر عن الترقُّب المذكور المسمى بالترجِّي بـ(لعلَّ) إن كان متوقعًا.

والفرق بين التوقع والطمع أن الأول أبلغ من الثاني؛ (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١])؛ فإن المراد هاهنا بالأمر الذي يُحدثه الله تعالى هو أن يقلب قلب الزوج من بُغض الزوجة إلى محبَّتِها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه ورجوعها؛ على ما يدل عليه سياق الآية، ولا شُبهة أنه أمر متوقَّع الوقوع مرجوُّ الحصول.

✿✿✿

وَلِلتَّمَنِّي أَرْبَعُ أَدَوَاتٍ: وَاحِدَةٌ أَصْلِيَّةٌ وَهِيَ لَيْتَ، وَثَلاثٌ غَيْرُ أَصْلِيَّةٍ وَهِيَ: هَـلْ، نحـو: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعـراف:٥٣] ، ولَـوْ، نحـو: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١٠٢]، وَلَعَلَّ، نحو قَوْلِهِ:

أَسِرْبَ القَطَا هل مَن يُعِيرُ جَنَاحَـهُ ... لَعَـلِّي إلى مَـن قـد هَوِيـتُ أَطِـيرُ

وَلِاسْتِعْمَالِ هذهِ الأدواتِ في التمَنِّي يُنْصَبُ المضارعُ الواقعُ فِي جَوَابِهَا.

(وللتمني أربعُ أدوات)؛ أي: ألفاظ وكلمات تدل عليه؛ لفظة (واحدةٌ) منها (أصليةٌ) أي: موضوعة له لغة مُستعملة فيه استعمالًا حقيقيًّا، (وهي) لفظة (ليتَ) فهي موضوعة للتمني.

(وثلاثة) ألفاظ (غيرُ أصليةٍ)؛ أي أنها موضوعة لغيره لغة مُستعملة فيه استعمالًا مجازيًّا لعلاقة، (و)هذه الألفاظ الثلاثة (هي) ما يلي:

أولًا: لفظة (هلْ)؛ فإنها في الأصل للاستفهام، وقد تُستعمل للتَّمَنِّي عَلَى سبيل الاستعارة التبعية؛ بأن شُبه مطلق التمني بمطلق الاستفهام بجامع مُطلق الطلب في كلٍّ؛ فسرى التشبيه للجزئيات؛ فاستُعيرت «هـل» الموضوعة للاستفهام الجزئي للتمني الجزئي، أو على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الإطلاق والتقييد.

فإن «هل» لطلب الفهم؛ فأُطلق عن قيده، ثم قُيد بالمحبوب الذي لا طماعية في حصوله؛ (نحو) قوله تعالى حكاية عن الكفار: (﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف:٥٣])، وإنما يُقال هذا لقصد التمني؛ لأنه حيث يُعلم أن لا شفيع يُطمع فيه لا يصح حمْلُ الكلام على الاستفهام المقتضي لعدم العلم بالمستفهَم منه ثبوتًا أو نفيًا؛ فحَمْل الكلام على الاستفهام يُؤدي إلى التناقض؛ فتعيَّن الحملُ على غيره وهو التمني، والنكتة في العدول عن «ليت» إلى «هل» إبراز المتمنَّى في صورة المستفهَم

منه الذي لا جزم بانتفائه لإظهار كمال العناية به؛ حتى لا يُستطاع الإتيان به إلا في صورة الممكن الذي يُطمَع في وقوعه.

(و)**ثانيًا**: لفظة (لوْ)؛ فإنها في الأصل شرْطية، وقد تُستعمل للتمني على طريق التجوُّز، مثل ما تقدم في «هل»؛ (نحو) قوله تعالى: (﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١٠٢])، فكأنه قيل: فليت لنا كَرَّة. أي: رجْعة إلى الدنيا؛ في حين لا رجعة لهم.

والنكتة في العدول عن «ليت» إلى «لو» الإشعار بعزة مُتمناه؛ حيث أبرزه في صورة ما لم يُوجد؛ لأن «لو» بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع.

و«نكون» في الآية منصوبة بإضمار «أن» بعد الفاء؛ فالنصب قرينة على أن «لو» ليست على أصلها؛ إذ لا يُنصَب الفعل بـ«أن» مضمرة بعد الفاء إلا بعد الأشياء الستة التي هي: الاستفهام والتمني والعَرض والأمر والنهي والنفي، فلو حُملت على أصلها لم يكن لنصب المضارع بعدها وجهٌ، وأما حملها على خصوص التمني فَلِما بين التمني ومعناها الأصلي من التلاقي في التقدير؛ فلذلك شاع استعارتها لذلك.

(و)**ثالثًا**: لفظة (لعلَّ)؛ فإنها موضوعة للترجِّي، وقد يُستفاد منها التمني، وليس معنى مجازيًّا لها بخلافه في «هل» و«لو» فإنه معنى مجازي كما سبق؛ **(نحو قوله)** أي: قول العباس بن الأحنف:

(أَسِرْبَ القطَا هَلْ مَنْ يُعيرُ جَناحَهُ ... لَعلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوِيتُ أَطيرُ)

فقوله: «أسرب القطا»: الهمزة حرف نداء، والسرب: جماعة الظباء والقطا ونحوهما، والقطا نوع من الطير.

وقوله: «هل مَن يُعير»؛ أي: هل قطا يُعير، فاستعمَل «مَن» لغير العاقل.

وقوله: «هوِيت» بكسر الواو؛ أي: أحببت.

وظاهرٌ أن طيران المتكلِّم إلى مَن قد هواه ليس مما يُتوقع حصوله ويُترجى وقوعه؛ لكونه مستحيلًا؛ فلا تُحمَل كلمة «لعلي» هاهنا على أصلها الذي هو الترجي؛ بل على معنى التمني المستعمَل في المُحالات والممكنات التي لا طماعية في وقوعها.

(ولاستعمال هذه الأدوات)؛ أي: الثلاث التي ليست بأصلية (في التمني يُنصَب) الفعل (المضارع الواقعُ في جوابها) بأن مُضمرة بعد الفاء، ويكون الفعل المنصوب في تأويل مصدر معطوف على مصدر متوهَّم.

والمعنى: أتمنى أن يقع كذا فكذا. ويُؤخَذ من هنا أن نصب الفعل قرينة لفظية على أنها ليست على أصلها؛ بل مُستعملة في التمني، وهذا ظاهر في «لو» كما سبق، وكذا في «لعل» عند البصريين؛ لأنهم لا ينصبون في جواب الترجي، وأما عند الكوفيين فلا يدل نصب الفعل بعدها على أنها لِلتَّمَنِّي؛ لأنهم يُجوِّزُون نصبَه في جواب الترجِّي، وأما في «هل» فغير ظاهر؛ لأن نصب الفعل بعدها ثابت مطلقًا.

❁❁❁

الكلام على النداء:

وَأَمَّا النداءُ فهو طَلَبُ الإقبالِ بِحَرْفٍ نَائِبٍ مَنَابَ أَدْعُو. وَأَدَوَاتُهُ ثَمَانيةٌ: يا، والهمزةُ، وأيْ، وآ، وآيْ، وأَيَا، وهَيَا، ووَا.

(وأما النداء فهو) لغة من فِعل «نادى مناداة»؛ ونادى الرجل: صاح، وتنادى القوم: نادى بعضهم بعضًا.

والنداء اصطلاحًا: (طلبُ) المتكلِّم من المخاطَب (الإقبالَ) حسًّا أو معنًى:

فالأول نحو: يا خالد.

والثاني نحو: يا جبال. ويا سماء.

ويكون طلب الإقبال (بحرفٍ) سواء كان ذلك الحرف ملفوظًا أو مُقدَّرًا، نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [يوسف: ٢٩] (نائبٍ منابَ أدعو) يعني أن مُفاد هذا الحرف ومدلوله «أدعو».

(وأدواته) أي: صيغ النداء (ثمانية) أدوات، وهي:

أولًا: (يا)، نحو: يا بُنَيَّ لا تسهر كثيرًا.

(و)ثانيًا: (الهمزةُ)؛ نحو: أزيدُ أغلق النافذة.

(و)ثالثًا: (أَيْ)؛ نحو: أي أُخيَّ قُمْ بِعَمَلِكَ.

(و)رابعًا: (آ)؛ نحو: آخالدُ حافظ على نفسك.

(و)خامسًا: (آيْ)؛ نحو: آي زيد اسمع كلامي.

(و)سادسًا: (أيا)؛ نحو : أيا عاملًا في الحقلِ اعملْ جيدًا.

(و)سابعًا: (هَيَا)؛ نحو: هيا مترددًا اتخذ قراركَ.

(وَ)ثامنًا: (وَا)، وهي تأتي في الندبة؛ يعني: بأن يَندب الإنسان ميتًا أو ما أشبه ذلك؛ نحو: واعيناه.

❁❁❁

فالهمزة وأَيْ للقريب، وَغَيْرُهُمَا للبعيدِ.

وقد يُنَزَّلُ البعيدُ منزلةَ القريبِ، فَيُنَادَى بالهمزةِ، وأي؛ إشَـارَةً إلى أنَّـهُ لِـشِدَّةِ استحضارِهِ فِي ذِهْنِ المُتَكَلِّمِ صَارَ كَالحَاضِرِ مَعَهُ، كقولِ الشاعرِ:

أَسُـــكَّانَ نَعْمَـــانِ الأَرَاكِ تَيقَّنُـــوا   بِـــأَنَّكُمْ فِي رَبْـــعِ قَلْـــبِيَ سُـــكَّانُ

وَقَدْ يُنَزَّلُ القريبُ مَنْزِلَةَ البَعِيدِ، فَيُنَادَى بِأَحَدِ الحروفِ الموضوعَةِ لهُ؛ إشَـارَةً إلى أنَّ المنادَى عَظِيمُ الشأنِ رَفِيعُ المَرْتَبَةِ، حتى كأنَّ بُعْدَ دَرَجَتِـهِ في العِظَـمِ عـن درجةِ المُتَكَلِّمِ بُعْدٌ فِي المسافةِ، كَقَوْلِكَ: أَيَا مَوْلَاي، وأنتَ مَعَهُ.

أو إِشَارَةً إلى انْحِطَاطِ دَرَجَتِهِ، كقولِكَ: أيا هذا، لِمَن هو مَعَكَ.

أو إشارةً إلى أنَّ الـسامعَ غَافِـلٌ لِنَحْـوِ نَـوْمٍ أو ذُهُـولٍ، كَأَنَّـهُ غَـيْرُ حَـاضِرٍ فِي المَجْلِسِ، كَقَوْلِكَ للسَّاهِي: أَيَا فُلَانُ.

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي لِمَعَانٍ أُخَر تُفْهَمُ من القرائن.

(فالهمزة وأَيْ للقريب) أي: لنداء القريب؛ فتقول لمن يسمعك ولمـن هـو قريـب منك: «أي بُنَيَّ»، و«أَبُنَيَّ»، (وغيرهما) أي: الـستة الباقيـة (للبعيـد) أي: لندائه باعتبار أصل الوضع.

(وقد يُنزَّل) المنادى (البعيد منزلة) المنـادى (القريب) ويُستعمل فيه ما للقريـب (فيُنادَى بالهمزة وأَيْ) الموضوعتين للقريب؛ وذلـك (إشارةً إلـى أنـه)؛ أي: المنـادى البعيد (لشدة استحضاره في ذهن المتكلِّم صار كـ)المشهود (الحاضـر معـه) لا يغيـب عن القلب، وكأنه ماثل أمام العين، (كقول الشاعر) محمـد بـن سلطان بـن محمـد بـن حيوس الغَنَوِيّ:

(أَسُـــكَّانَ نَعْمَـــانِ الأَرَاكِ تَيقَّنُـــوا   بِـأَنَّكُمُ فِـي رَبْـعِ قَلْبِـيَ سُـكَّانُ)(١)

---

(١) فقوله: «أسُكَّان» جمع ساكن، والمراد: النازل بالمكان، والهمزة للنداء. وقوله: «نَعمان الأراك»: وادٍ =

فقد نُودي سكان نعمان الأراك -مع كونهم بعيدين- بالهمزة الموضوعة للقريب؛ تنبيهًا على أنهم حاضرون في القلب لا يغيبون عنه أصلًا؛ حتى صاروا كالمشهودين الحاضرين.

(وقد يُنزَّل) المنادَى (القريب منزلة) المنادَى (البعيد؛ فينادَى) هذا القريب (بأحد الحروف الموضوعة له)؛ أي: للبعيد، وهو غير الهمزة وأي؛ وذلك لأسباب، أهمها ثلاثة:

السبب الأول: قد يُنادى المنادَى القريب بما وُضِع للبعيد (إشارةً إلى أن) هذا (المنادى عظيمُ الشأن)؛ أي: الحال (رفيعُ)؛ أي: عالي (المرتبة)؛ أي: المنزلة (حتى كأنَّ بُعْدَ درجته) أي: درجة المنادَى (في العِظَم عنْ درجة المتكلِّم بُعْدٌ في المسافة) أي: والمكان فيستبعد المتكلِّم نفسه عن مرتبته ويعد ذاته في مكان بعيد عن حضرته؛ (كقولك) مثلًا: («أيا مولاي»، و) الحال أنك (أنت معه)؛ للدلالة على أن المنادَى عظيم القدْر رفيع الشأن كقولك: «يا الله»، مع أنه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد.

(أو)؛ أي: والسبب الثاني: أنه قد يُنادى المنادَى القريب بما وُضِع للبعيد (إشارةً إلى انحطاط درجته)؛ أي: درجة هذا المنادَى القريب (كقولك) مثلًا: («أيا هذا») تقوله (لمَن هو معك) للدلالة على أن المنادَى منحط الرتبة فكأنه بعيد عن الحضور.

ومنه قولك لمن تخاطبه وهو قريب منك: يا مفرطًا في وطنك خِبْتَ وخسرتَ.

=

بين مكة والطائف. وقوله: «تيقنوا» فعل أمر من التيقُّن. وقوله: «رَبع»: الرَّبع: محلة القوم ومنزلهم، أي: حوالي قلبي.

فينادي الشاعر سكان هذا الوادي، وأنهم ساكنون لقلبه ما دامت محبوبته قائمة بينهم، فمهما بعدت المسافة فهي قريبة منه في الحقيقة.

(أو)؛ أي: والسبب الثالث: أنه قد يُنادى المنادَى القريب بما وضع للبعيد (إشارةً إلى أن السامع غافلٌ) حقيقة (لنحو نوم أو) لنحو (ذهول)؛ فيُجعَل كل واحد من النوم والذهول بمنزلة البُعد في إعلاء الصوت، فـ(كأنه)؛ أي: المنادَى القريب (غير حاضر في المجلس)؛ أي: مجلس التكلُّم، (كقولك للساهي) مثلًا: (أيا فلانُ).

وقد لا يكون السامع غافلًا حقيقة؛ لكنه يُجعَل كالغافل لعِظَم الأمر المدعو له حتى كأنه غافل عنه مقصرٌ لم يوفِ بما هو حقه من السعي والاجتهاد، كقولك لمن حضر عندك: «أيا فلانُ تهيأْ للحرب».

ويبدو مما تقدم أن «يا» موضوعة لنداء البعيد؛ فلا تُستعمل في القريب إلا مجازًا، وهو مذهب الزمخشري، وقال ابن الحاجب: إنها حقيقة في القريب والبعيد؛ لاستعمالها فيهما على السواء، ودعوى المجاز في أحدهما خلاف الأصل، وعلى الأول تُستعمل في القريب بتنزيله منزلة البعيد، إما لاستبعاد الداعي نفسه عن حال المنادى كقولنا: «يا الله» مع أن الله تعالى جل وعلا أقرب إلينا من حبل الوريد، وإما لاستعظام الأمر المدعو له حتى كأن المنادَى مقصرٌ في أمره، غافل عنه مع شدة حرصه على الامتثال، نحو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ ﴾ [المائدة:٦٧] ، وإما لغير ذلك.

(وقد تخرج ألفاظ النداء) المذكورة سابقًا (عن معناها الأصلي) الذي هو طلب الإقبال، وتُستعمل (لمعانٍ أُخَرَ) غير ذلك (تُفْهَم) هذه المعاني (من القرائن) الواردة معها، وسيأتي هذا في الحالات التالية:

❁❁❁

كالإغراء، نحو قولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلومُ.

والزجر، نحو:

أفُؤَادِي مَتَى الْمَتَابُ أَلَمَّا ... تَصْحُ وَالشَّيْبُ فَوْقَ رَأسِي أَلَمَّا

والتحير والتضجر، نحو:

أيا منازل سلمى أين سلماك؟ ....

ويكثُرُ هذا في نداء الأطلال والمطايا، ونحوها:

والتحسرِ والتَّوَجع، كقوله:

أيَا قبرَ مَعْنٍ كيف واريتَ جُودَهُ ... وقدْ كانَ منهُ البَرُّ والبَحْرُ مُتْرَعَا

والتذكّرِ، نحو:

أَيَا مَنزِلَيْ مَيٍّ سَلامٌ عليكُمَا ... هَلِ الأَزْمُنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ

الأول من المعاني التي قد تأتي لها ألفاظ النداء:

(الإغراء)، وهو تنبيه المخاطَب على أمرٍ محبوبٍ ليفعله. والأصل أن أسلوب الإغراء يقتضي عناصر ثلاثة:

أولًا: المغري، وهو المتكلِّم.

ثانيًا: المُغرَى، وهو المخاطَب.

وثالثًا: المُغرى به، وهو الأمر المطلوب؛ مثل: «الصلاةَ» فهو الأمر المُغرى به، والمتكلم هو المغري، والمخاطَب هو المغرى، وتُعرَب كلمة «الصلاة» مفعولًا به لفعل محذوف تقديره «الزم»، ويكون الإغراء مقتصرًا على اسم منصوب، مثل «الصدق».

ويمكن أن يُكرَّر هذا الاسم، فتقول: «الصدقَ الصدقَ»، فالصدق الأول مفعول به لفعل محذوف تقديره «الزم»، والثاني: توكيدٌ للأول.

ويمكن أن يُعطَف عليه بالواو، فتقول: «الصدقَ والوفاءَ». فالواو حرف عطف والوفاء معطوف على الصدق، وقد تكون هذه الواو للمعيَّة لا للعطف، مثل: «العملَ والجدَّ كي تنجح في الامتحان»، فالواو للمعية، والجد مفعول معه منصوب والتقدير: «الزم العمل مع الجد؛ كي تنجح في الامتحان»(١).

و(نحو) استخدام لفظ النداء في الإغراء (قولك لمَن أقبَل) إليك حالَ كون ذلك المقبِل (يتظلم)؛ أي: يُظهر ظلم الغير ويتشكَّى منه: (يا مظلومُ)؛ فإنك لا تُريد بهذا النداء طلب إقباله؛ لكونه حاصلًا، بل تريد إغراءه وحثَّه على زيادة التظلُّم وبث الشكوى.

(و)الثاني من المعاني التي قد تأتي لها ألفاظ النداء:

(الزجر) أو ما يسمى بالتحذير، وهو المنع عن أمر معين، (نحو) قول الشاعر:

(أَفُـؤَادِي مَتَـى الْمَتَـابُ أَلَمَّـا ... تَـصْحُ وَالشَّيْبُ فَوْقَ رَأْسِي أَلَمَّا)

فقوله: «المتاب»؛ أي: وقت التوبة.

وقوله: «ألمَّا تَصحُ» الهمزة للاستفهام، والصحو: ذَهَاب السُّكْر.

---

(١) **الإغراء**: هو حَثُّ المخاطب وتَشْجِيعُهُ على أَمْرٍ محبوب ليفعلَهُ، كأنْ يَحُثَّ الأب ابنه على المذاكرةِ مَثَلًا، فيقول له: المذاكرةَ المذاكرةَ.

أركان أسلوب الإغراء:

* **المُغرِي**: وهو المتكلم الذي يَحُثُّ ويُغْرِي، وهو: الأب.
* **المغرَى**: وهو المخاطب الذي يُوَجَّهُ إليه الإغراء، وهو: الابن.
* **المغرَى به**: وهو الأمر المحبوب، وهو المذاكرة.

وكأنْ يقولَ الطبيبُ للمريضِ: (الدَّوَاءَ الدَّوَاءَ)، فالمغرِي هو الطبيب، والمغرَى هو المريض، والمغرَى به هو الدواءُ.

أنواع الاسم المُغْرَى به:

* المكرَّر مثل: (الصَّبْرَ الصَّبْرَ). * المعطوف: الصَّبْرَ والإخلاصَ. * المفرد: مثل: (الصبرَ).

فقوله: «أفؤادي» ليس المراد فيه النداء حقيقة؛ لأنه لا معنى لنداء الإنسان نفسه، وإنما الغرض منه الزجر والملامة؛ ليحصل به الندامة والميل إلى التوبة.

(و)الثالث من المعاني التي قد تأتي لها ألفاظ النداء:

(التحيُّر) وهو عدم الاتجاه لشيء (والتضجر)؛ وذلك نحو:

(أَيَا منازِلَ سلْمَى أينَ سلماكِ) من أجل هذا بكيناها بكيناكِ[(١)]

(ويكثُرُ هذا)؛ أي: النداء لمعنى التحيُّر والتضجُّر (في نداء **الأطلال**) جمع طَلَل، وهو ما بَقي من آثار المَنزِل بعد رحيل أصحابه، (و)في نداء (**المطايا**) جمع المَطيَّة، وهي المركوب المذكر والمؤنث، (ونحوها) فإنها لا تصلح لمعنى النداء، وإنما المقصود من ندائها التحيُّر والتضجُّر.

(و)الرابع من المعاني التي قد تأتي لها ألفاظ النداء:

(التحسُّر)، وهو إظهار التلهُّف والحزن، (والتوجع)، وهو إظهار الوجع، (كقوله)؛ أي: قول يحيى بن أبي حفْصَة:

(أَيَا قبرَ مَعْنٍ كيف واريتَ جُودَهُ وقدْ كانَ منهُ البَرُّ والبَحْرُ مُتْرَعَا)[(٢)]

فهو ينادي القبر فيقول: أَتَعَجَّب من مواراتك الذي بدفنه دُفِنَ جودُه الذي ملأ البر والبحر، فالمقصود من نداء القبر مجرد إظهار الوجع والحسرة.

---

(١) فـ«سلمى»: اسم امرأة في العرب. يريد أنه بكى على سلمى وبكى على المنازل لعدم وجود سلمى بها؛ فيبث الشاعر أحزانه مع الذكريات ويُنادي متضجرًا منَازِلَ سَلْمَاهُ تعبيرًا عن مشاعره تجاه محبوبته.

(٢) معْن هو ابن زائدة بن عبدالله بن مطر الشيباني أبو الوليد، من أشهر أجواد العرب، وأحد الشجعان الفصحاء؛ أدرك العصر الأموي والعباسي وقُتِل سنة ١٥١هـ. والمترع: المملوء، وكان الظاهر أن يقول: «مترعيْن» بصيغة التثنية، لكن وحّدَه لأن أصل العبارة: «البر مُترع والبحر مترع أيضًا».

(و)الخامس من المعاني التي قد تأتي لها ألفاظ النداء:

(التذكّر)؛ وذلك (نحو) قول ذي الرمة غيلان بن عُقبة المتوفى سنة ١١٧هـ:

(أَيَا مَنزِلَيْ مَيٍّ سَلامٌ عليكُمَا ... هَلِ الأَزْمُنُ اللّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ)(١)

أي: أتذكر الزمان الماضي في منزلي مَيّ فهل ترجع هذه الأيام؟

فإن الغرض من هذا النداء التذكر لما مضى من التأنُّس والألفة بها.

الإنشاء غير الطلبي:

وغيرُ الطلبِيّ يكونُ بالتعجُّبِ، وَالقَسَم، وَصِيغ العقودِ، كَبِعْتُ واشتريتُ، وَيَكُونُ بغيرِ ذلكَ. وأنواعُ الإنشاءِ غيرِ الطلبيّ لَيْسَتْ مِن مباحثِ عِلْمِ المعاني، فَلِذَا ضَرَبْنَا صَفْحًا عَنْهَا في الذكْرِ والحذْفِ.

(و)الإنشاء (غيرُ الطلبيِّ) هو ما إذا لم يَستدع أمرًا حاصلًا عند الطلب، و(يكون بـ)عدة صيغ، وهي:

أولًا: (التعجب):

وهو يدُّل على الاستغراب، وتُستخدَم له صيغتان هما: ما أفعله، وأفعِل به، كقولك: ما أجمل هذا الثَّوبَ، ويكون بغيرهما؛ نحو: لله دره عالمًا، ونحو قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨](٢).

---

(١) فـ«سلمى»: اسم امرأة في العرب. وقوله: «مضين»؛ أي: ذهبن. وقوله: «رواجع»: جمع «راجع».

(٢) **التعجب**: هو انفعالٌ أو دَهْشَةٌ دَاخِلَ النَّفْسِ بسببِ وُجُودِ صِفَةٍ بارزةٍ حُسْنًا أو قُبْحًا، وهو نوعان:

أولا: نوعٌ يُفْهَمُ بالقرينة، وَيُدْرِكُهُ صَاحِبُ الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ وَاللغَةِ، ولَهُ عِبَارَاتٌ وَطُرُقٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ، مثل قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] والمعنى: أَتَعَجَّبُ مِنْ كُفْرِكُمْ باللهِ.

=

(و)ثانيًا: (القَسَم):

القسم بالواو والباء والتاء وبغيرها، نحو: لعمرك ما فعلتُ كذا[١].

=

ومثل قول العرب: للهِ دَرُّهُ فَارِسًا. والدَّرّ: اللبن الكثير، وحين تقول: (لِلهِ دَرُّهُ فَارِسًا) فكأنَّ هذا الفارسَ رَضع لَبَنًا غَيْرَ عَادِيٍّ، أعده الله له. والمعنى: أَتَعَجَّبُ من هذا الفارس.

والإعراب: (لِلهِ): جار ومجرور خبر مقدم، و(دَرُّهُ): مبتدأ مؤخر، مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، والهاء ضمير مبني على الضم في محل جر مضاف إليه. (فَارِسًا): تمييز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة.

ثانيًا: نوع قياسي أو اصطلاحي، وله صيغتان: (مَا أَفْعَلَهُ- أَفْعِلْ بِهِ)، وهذان الوزنان يستعملان عند إرادة التعجب من شيء تنفعل به النفس على الوجه الذى شرحناه، مثل: (مَا أَجْمَلَ السَّمَاءَ!).

(ما): تعجبية مبنية على السكون، في محل رفع مبتدأ، و**(أجمل)**: فعل ماض مبنيٌّ على الفتح، لا محل له من الإعراب، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره: هو، يعود على: ما، **(السماء)**: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر للمبتدأ (ما).

ومثل: أَجْمِلْ بالسَّمَاءِ!

(أَجْمِلْ): فعل ماضٍ، جاء على صورة الأمر؛ لإفادة التعجب، و**(بالسماء)**: الباء حرف جر زائد، (السماء): فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، فهو مجرور لفظًا مرفوع محلًّا.

(١) **أسلوب القَسَمِ يتكون من:**

أ) حُرُوف الْقَسَمِ، وهي: (الواو – الباء – التاء).

ب) مُقْسَم بِهِ، وهو كُلُّ عَظِيم يقسم به كاسم الجلالة (الله).

ج) مُقْسَم عَلَيْهِ، وهو جواب القسم، مثل: وَاللهِ إِنَّ الإِسْلَامَ حَقٌّ.

- حَرْفُ الْقَسَمِ هو: (الواو).
- مقسم به، وهو كُلُّ عَظِيم يقسم به كاسم الجلالة (الله).
- مقسم عليه، وهو جواب القسم، وهو: (إِنَّ الإِسْلَامَ حَقٌّ).

الإعراب: (وَاللهِ إِنَّ الإِسْلَامَ حَقٌّ)، فـ(وَاللهِ): الواو حرف جر وقَسَم مبنيٌّ على الفتح لا محل له من الإعراب، الله: اسم الجلالة اسم مجرور بالواو، وعلامة جره الكسرة، والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف تقديره: أقسم، و(إِنَّ): حرف ناسخ، **(الإِسْلَامَ)**: اسم (إِنَّ) منصوب، وعلامة نصبه الفتحة. (حَقٌّ): خبر (إِنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، والجملة من (إِنَّ + اسمها + خبرها) لا محل لها من الإعراب جواب القسم.

=

(و)ثالثًا: (صِيَغ العقود):

صيغ العقود بالماضي كثيرًا؛ (كبِعْتُ) لإنشاء البيع، (واشتريت) لإنشاء الشراء، ونكحت لإنشاء التزوج، وبغير الماضي قليلًا؛ نحو: أنا بائع، وعبدى حُرّ لوجه الله. ومثل العقود الفسوخ.

(و)رابعًا: المدح والذم:

(يكون) الإنشاء غير الطلبي (بغير ذلك)؛ كالمدح والذم، وهو أسلوب للدَّلالة على الإعجاب بأمرٍ ما أو الاستهجان منه؛ فللمدح نستخدم نِعْم وحبَّذا، وللذَّم نستخدم بئس ولا حبَّذا(١).

=

صور جواب القَسَم:

أ- فعل ماض، ويكثر اقترانه بـ(اللام) و(قد)، مثل: واللهِ لَقَدْ نَجَحَ الْمُجِدُّ.

ب- جواب القَسَم جملة اسمية مبدوءة بـ(ليس)، مثل: واللهِ لَيْسَ الظُّلْمُ مَحْبُوبًا.

ت- جواب القَسَم فعلٌ ماضٍ مسبوق بـ(نَفْي)، مثل: واللهِ مَا جَاءَ أَحَدٌ.

ث- جواب القَسَم فعلٌ مضارعٌ غَيْر مَنْفِيٍّ، ويكثر اقترانه بـ(اللام والنون)، مثل قول الله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

ج- جواب القَسَم فِعْلٌ مضارعٌ مَنْفِيٌّ، غير مُقْتَرِن بـ(اللام والنون)، مثل: (والله لا أَتَوَقَّفُ عَنِ الصَّلاةِ).

ح- جواب القَسَم جملةٌ اسميةٌ مُثْبَتَةٌ، مثل: (وَاللهِ إِنَّ الإِسْلامَ حَقٌّ- وَاللهِ إِنَّ الإِسْلامَ لَحَقٌّ)، والأفضل اقترانها بـ(إن واللام) كما في الجملة الثانية.

خ- جواب القَسَم جملةٌ اسميةٌ مَنْفِيَّةٌ، مثل: (وَاللهِ مَا الإِسْلامَ بِبَاطِلٍ).

(١) هناك ألفاظٌ تَدُلُّ على الْمَدْحِ والذَّم، ومن ذلك أفعال المدح، وهي: (نِعْمَ – حَبَّذَا)، وأفعال الذم، وهي: (بِئْسَ- سَاءَ- لا حَبَّذَا)، مثل: إذا أردنا مدحَ الصّدقِ، نقولُ: (نعمَ الخلقُ الصّدقُ)، فـ(نعمَ): فعلٌ جامدٌ لإنشاءِ المدحِ مبنيٌّ على الفتح، (الخلقُ): فاعلٌ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، والجملةُ في محلِّ رفعِ خبرٌ مقدمٌ، (الصّدقُ): مبتدأٌ مؤخّرٌ مرفوعٌ وعلامةُ رفعه الضّمّةُ الظّاهرةُ (مخصوص بالمدح). أو تقول: (حبَّذا الصّدقُ)، فـ(حبَّ): فعلٌ ماض للمدحِ، (ذا): اسم إشارةٍ مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ رفعِ فاعلٌ، والجملةُ خبرٌ مقدمٌ، (الصّدقُ): مبتدأٌ مؤخرٌ مرفوعٌ وعلامةُ رفعه الضَّمَّةُ. وهو مَخْصُوصٌ بالمدح.

=

خامسًا: الرَّجاء:

وهو أسلوبٌ يدُّل على احتماليَّة حدوث الأمر؛ لكونه غير مستحيلٍ وليس ببعيد المنال، ويُستخدم معه عسى ولعلَّ.

=

وإذا أردنا ذَمَّ الْكَذِب، نقولُ: (بِئْسَ الْخُلُقُ الْكَذِبُ)، وإعرابه كالمثال السابق. أو تقول: (لاحبَّذا الْكَذِبُ)، فـ (لاحبَّ): فعلٌ ماضٍ للذمِّ، (ذا): اسم إشارةٍ مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ رفعِ فاعلٍ، والجملةُ خبرٌ مقدمٌ، (الْكَذِب): مبتدأٌ مؤخرٌ مرفوعٌ وعلامةُ رفعه الضّمّةُ، وهو مَخْصُوصٌ بالذّمّ.

فاعل: (نِعْمَ- بِئْس):

أ- فاعل (نعم- بئس) معرَّف بأل، مثل قول الله: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾.

ب- فاعل (نعم- بئس) مضاف إلى المعرف بأل، مثل: قوله: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾.

ت- فاعل: (نعم- بئس) مضاف إلى المضاف إلى المعرف بأل، مثل: (نِعْمَ خُلُقُ طالبِ العلمِ).

ث- فاعل (نعم- بئس) ضمير مستتر، مثل: (نِعْمَ خُلُقًا الْحَيَاءُ).

ج- فاعل (نعم- بئس) الموصولان (ما) أو (مَنْ)، مثل: (نِعْمَ مَنْ أكرم الضيف).

ح- فاعل (نعم- بئس) (الذي) الموصولة، مثل: (نِعمَ الذِي علمني).

المخصوص بالمدح أو الذم: المقصود بالمدح هو الاسم الذي يراد مَدْحُه أو ذَمُّهُ، مثل: (نِعْمَ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ- بِئْسَ الطالب دُرَيد)، فالمخصوص بالمدح هنا هو (عمر) والمخصوص بالذم هو (دريد).

إعراب الاسم المخصوص: في إعراب الاسم المخصوص أربعة أوجه من الإعراب:

* مبتدأ مؤخر. * خبر. * مبتدأ، خبره محذوف تقديره: الممدوح. * بدل.

ثانيًا: الفعل (ساء): يدل على الذم، ويكون بمعنى: (بئس)، مثل قوله: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦] فـ(ساءت): فعل ماضٍ جامد يدل على الذَّمِّ مبنيٌّ على الفتح، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره: هي، (مستقرًّا): تميز منصوب، وعلامة نصبه الفتحة.

ثالثًا: (حبذا- لا حبذا): الفعل (حبَّذا): يُسْتَعْمَلُ لِلْمَدْحِ، وفاعِلُهُ كلمة (ذا) وهو اسمُ إشارةٍ، مثل: (أَحْتَرِمُ الطُّلابَ حَبَّذَا الْمُتَفَوِّقُ).

إذا دخلت (لا) النافية على (حَبَّذَا) تَحَوَّلَ الْمَعْنَى إلى الذَّمِّ، مثل: (لا حَبَّذَا الجَهْلُ)، وحينئذ يُسْتَعْمَلُ لِلذَّمِّ، مثل (بِئْسَ)، مثل: (أَكْرَهُ الفَاسِدِينَ لا حَبَّذَا الْعَاقُّ لِلْوَالِدَيْنِ).

(وأنواع الإنشاء غير الطلبي) مع كثرتها (ليست من مباحث علم المعاني)؛ لقلة دورها على ألسنة البلغاء؛ ولأن ما عدا القَسَم وأفعال الرجاء في الأصل خبرية، فنُقِلَت إلى الإنشائية؛ (فلذا) أي: فلأجل أنها ليست من مباحث علم المعاني؛ ولأن أكثر أقسامه نُقِلَت عن الخبرية إلى الإنشائية (ضَرَبْنا صَفْحًا عنها) أي: أعرضنا عن ذكرها والبحث عنها.

فهذا القسم لا يَبحث فيه البلاغيون؛ لأنه لا تتعلق به مباحث بلاغية؛ ولأن أكثر صيغه هي في أصلها أخبار.

❁❁❁

الباب الثاني
في الذكر والحذف

إذا أُريدَ إفادةُ السامعِ حكْمًا، فأيُّ لفظٍ يدلُّ على معنًى فيه فالأصلُ ذكْرُه، وأيُّ لفظٍ عُلِمَ من الكلامِ لدَلالةٍ باقيةٍ عليه فالأصلُ حذفُه. وإذا تعارضَ هذان الأصلان فلا يُعْدَلُ عن مقتضى أحدِهما إلى مُقتضى الآخرِ إلا لداعٍ.

(في) بيان (الذِّكر) للمسنَد والمسنَد إليه ومتعلقاتهما (والحذف) لهم ودواعيهما

إن من مباحث الجملة التي عُني بها علماء البلاغة الحذف؛ فمن الخصائص الأولى للعربية الإيجاز، وما دام الأمر كذلك فإن كل كلمة أو جملة يُمكن أن يُفهَم المعنى بدونها لوجود قرائن تدل على الحذف حريٌّ بها أن تُحذَف.

فالحذف إذنْ أمرٌ لا مناصَ منه، والحاصل أنه إذا أردت أن تُدرك القيمة البلاغية للحذف فتصور أحد الناس وهو يكلمك كلامًا يُكرِّر فيه المعنى؛ ويُعيد فيه اللفظ؛ فإن نفسك تمجُّه وعقلك يُنكره، وما ذلك إلا لما فيه من زيادة، ولكنها زيادة تُدخله في باب النقص.

فـ(إذا أُريد) من كلام (إفادةُ السامِع) لهذا الكلام (حكمًا) ما (فأَيُّ لفظ يدل على معنى) كائن (فيه فالأصلُ) أي: الكثير أو ما يُبنى عليه هو (ذِكرُه) أي: ذكر ذلك اللفظ مسندًا أو مسندًا إليه؛ بل يكون الذِّكر واجبًا حيث لا قرينة تدل على حذفه، وإلا كان الكلام معمًّى مُبهمًا لا يُظهِر المعنى المراد منه، (وأَيُّ لفظٍ) كان قد (عُلِمَ من الكلام لدلالة باقِيهِ) أي: باقي الكلام (عليه) أي: على ذلك اللفظ دلالة ظاهرة (فالأصل حذفه) مسندًا أو مُسندًا إليه كقولهم: «أهلًا وسهلًا» فإن نصبهما يدل على أنهما منصوبان بمحذوف تقديره: جئتَ أهلًا، ونزلتَ مكانًا سهلًا.

(وإذا تعارض هذان الأصلان)؛ بأن كان اللفظ دالًّا على معنى في الحكم ووُجِدَ دليلٌ عند حذفه، فإن مقتضى الأول أصالة ذكره ومقتضى الثاني أصالة حذفه (فلا

يُعْدَل) حينئذ (عن مقتضى أحدهما) أي: أحد الأصلين (إلى مقتضى) الأصل (الآخر) أي: لا يُعدل عن ذكره إلى حذفه ولا العكس (إلا لداعٍ) أي: نكتة تقتضي ترجيح المعدول إليه.

ويؤخذ من هذا أن أصالة الذكر إنما تُراعى وتُعَد نكتة؛ حيث لا مُقتضى يعارضه، وأما إذا وُجِدَت نكتة تقتضي الحذف بجانبه فإنه تُراعى نكتة الحذف، وكذا أصالة الحذف عند العلم بالمحذوف إنما تُراعى حيث لا مُقتضى يعارضه، وأما إذا وُجِدَت نكتة تقتضي الذِّكْر بجانبه فإنه تُراعَى نكتة الذِّكر.

واعلم أن الحذف قسمان:

القسم الأول: يَظهر فيه المحذوف عند الإعراب كقولهم: أهلًا وسهلًا، وهذا ليس من البلاغة في شيء.

والقسم الثاني: لا يظهر فيه المحذوف بالإعراب، وإنما يُعلَم بتصفُّح المعنى بحيث لا يتم إلا بمراعاة هذا المحذوف إلا أنه لا سبيل إلى إظهاره، ولو أُظهِرَ زال رونق الكلام وحُسنُه، وهذا مما تكون به بلاغة الكلام، ويتوقف على أمرين:

١- وجود ما يدل على وجود المحذوف من قرائن دالة عليه؛ سواء كانت حالية أم مقالية، وإلا لم يُعلَم ذلك المحذوف أصلًا عند السامع فيُخِلُّ الحذف بالمقصود كما هو مذكور في النحو.

٢- وجود داعٍ مرجِّح له على الذِّكْر، وهو المذكور تفصيله في هذا الفن.

❁❁❁

فمن دواعي الذكْرِ:

١- زيادةُ التقريرِ والإيضاح، نحو: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٥].

٢- وقلة الثقة بالقرينة؛ لضعفها، أو ضعف فهم السامع نحو: "زيد نعم الصديق"، تقول لك إذا سبق لك ذكر زيد، وطال عهد السامع به، أو ذُكِرَ مَعَهُ كلام في شأن غيره.

٣- والتعريض بغباوة السامع نحو: «عمرو قال كذا» في جواب: «ماذا قال عمرو؟».

٤- والتسجيلُ على السامعِ؛ حتى لا يَتأتَّى له الإنكارُ، كما إذا قال الحاكمُ لشاهِدٍ: هل أَقَرَّ زيدٌ هذا بأن عليه كذا؟ فيقولُ الشاهِدُ: نعمْ، زيدٌ هذا أَقَرَّ بأن عليه كذا.

٥- والتعجب: إذا كان الحكم غريبًا نحو: «عَلِيٌّ يُقَاوِمِ الأسد»، تقول ذلك مع سبق ذكره.

٦- والتعظيمُ والإهانةُ: إذا كان اللفظ يُفِيدُ ذلك؛ كأن يسألك سائل: "هل رجع القائد؟" فتقول: «رجع المنصور أو المهزوم».

(فمِن دواعي الذِّكْر) أي: ذكر المسنَد أو المسنَد إليه أو متعلقاتهما ما يلي:

الأول من دواعي الذكر: (زيادةُ التقرير)؛ أي: التثبيت في نفس السامع (و)زيادة (الإيضاح) فنفس التقرير والإيضاح حاصل في الحذف أيضًا عند وجود القرينة المعينة له، وفي الذكر زيادتهما لاجتماع الدلالة اللفظية مع الدلالة العقلية حينئذ؛ فلهذا جُعِلَ داعي الذكر زيادة التقرير والإيضاح لا نفسهما؛ (نحو) قوله تعالى: (﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:٥])؛ فإن اسم الإشارة، وهو المسنَد إليه، ذُكِرَ أولًا في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وذُكِر ثانيًا في قوله تعالى:

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وهذا الذِّكْر لزيادة الإيضاح والتقرير، وليؤكد اختصاصه بالمسنَد؛ فهؤلاء الذين ثبت لهم الهداية هم الذين ثبت لهم الفلاح، واختُصُّوا به دون غيرهم؛ فظاهرٌ أن في ذِكْر «أولئك» الثاني من زيادة التقرير والإيضاح ما لو حُذِفَ ونُصِبَت القرينة على حذفه لم يكن.

(و)الثاني من دواعي الذكر: (قلةُ الثقة)والاعتماد (بالقرينة)إما (لضعفها)في نفسها (أو ضعف فهم السامع)بها، فيكون مقتضى الاحتياط أن يُذكَر ولا يُحذَف؛ (نحو)قولك: (زيد نِعمَ الصديق)؛ فـ(تقول ذلك)الكلام (إذا سَبَقَ لك ذِكر «زيد») هذا، (و)قد (طال عهد السامع به)؛ أي: بذكر زيد، (أو ذُكِر معه)؛ أي: مع ذِكْر زيد (كلامٌ في شأن غيره)؛ أي: غير زيد؛ فإنَّ سَبق ذِكر زيد، وإن كان قرينة للحذف، لكن طول عهد السامع به أو ذِكْر الكلام في شأن غيره أورث ضعفًا بتلك القرينة وخفائها؛ فيضعُف التعويلُ عليها والثقة بها؛ فصار الاحتياط أن يُذكَر زيدٌ؛ لأن فَهم السامع من اللفظ أقرب من فَهمه من القرينة.

(و)الثالث من دواعي الذكر: (التعريضُ بغباوة السامع)يعني قد يُذكر اللفظ للتنبيه على غباوة السامع، وذلك يكثُر عند إرادة التقرير؛ كأن يقول بعض اللاهين: «هل صرح العدو بأنه يُريد تحويل مواردنا المائية ليفيد منها؟» فتقول: «العدو صرَّح بذلك».

وكأن يقول بعض الكُسالى: «هل قال الأستاذ: إن الامتحان بعد يومين؟» فتقول له: «الأستاذ قال ذلك».

ثم غباوة السامع قد تكون وصْفه، وقد يكون المقصود إهانته، ففي (نحو) قولك: (عمرو قال كذا)إن قُلْتَه (في جواب)سؤال آخر لك: (ماذا قال عمرو؟)؛ ذِكْرُ عمرو في السؤال قرينة على حذفه في الجواب، لكن مع ذلك لم يُحذَف لقصد

التعريض بغباوة السامع، والتنبيه على أنه غبي لا ينبغي أن يكون الخطاب معه إلا هكذا.

(و)**الرابع** من دواعي الذِّكر: (**التسجيلُ على السامع**)؛ أي: كتابة الحكم وتقريره عليه بين يدي الحاكم (**حتى لا يتأتّى له**)؛ أي: لا يتمكّن السامع من (**الإنكار، كما إذا قال الحاكم**)؛ أي: القاضي (**لشاهد**) واقعةٍ: (**هل أقر زيد هذا**) على نفسه (**بأن عليه**) أي: على نفسه (**كذا**) من المال؟ (**فيقول الشاهد**) حينئذ: (**نعم زيد هذا**) قد (**أقر بأن عليه كذا**) من المال.

فذكر المتكلِّم الشاهدَ المسنَد إليه، وهو زيد، لئلا يجد السامعُ المشهودُ عليه سبيلًا للإنكار بأن يقول للحاكم عند التسجيل: إنما فَهِمَ الشاهد أنك أشرت إلى غيري فأجاب.

والحاصل أن من الأغراض التي يُذكَر من أجلها المسنَدُ إليه مثلًا الحيطة في الأمر، حتى تُسد كل ثغرة على كل متأوِّل، كما يقول القاضي: هل أقر المتهم ما وُجِّه إليه؟ فيقال: المتهم أقر بكل ما وجه إليه. ويقول: هل اعترف خالد بحقك؟ فتقول: خالد اعترف بحقي.

(و)**الخامس** من دواعي الذِّكر: (**التَّعجُّبُ**) وهو شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمرًا نادرًا أو لا مثيل له أو مجهول الحقيقة أو خفي السبب (**إذا كان الحكم غريبًا**)؛ فالمراد بالتعجب هنا إظهار التعجب من كون الحكم غريبًا؛ **لأن نفس** التعجب لا يتوقف على الذِّكر، بل يكون بغرابة الحكم سواء ذُكِرَ أو لم يُذكَر؛ (**نحو: عليٌّ يقاوم**)؛ أي: يُصارع (**الأسد. تقول ذلك مع سبق ذِكره**) أي: سبْق ذِكْر «**عليّ**» الدال على جواز الحذف.

ولكنه لم يُحذف، بل قيل: «علي يُقاوِم الأسد»؛ لأن في ذكره إظهارَ التعجبِ منه، وأما نفس التعجب فمنشأه مقاومة الأسد؛ سواء ذُكِرَ عليٌّ أو حُذِف.

(و)السادس من دواعي الذكر: (التعظيمُ والإهانةُ)؛ وذلك (إذا كان اللفظ يُفيد ذلك)؛ أي: يفيد التعظيم أو الإهانة، (كأن يسألك سائل) مثلًا: (هل رجع القائد؟) وهو أمير العسكر، (فتقول: رجع المنصور أو) تقول: رجع (المهزوم)؛ فذكره بعنوان المنصور يُفيد تعظيمه وبعنوان المهزوم إهانته.

ومثال التعظيم قولنا: «محمد رسول الله ﷺ. محمد سيد الخلق»، فذكر محمد ﷺ في الجملة الثانية للتعظيم.

ومثال الإهانة كما تقول: «أبو رغال هو الذي سار مع أبرهة الحبشي دليلًا إلى مكة. أبو رِغال خائن في هذه الأمة، أبو رغال ومَن على شاكلته حريٌّ أن يُرجَم كل يوم»، فذكر أبي رغال الثاني للإهانة والتحقير.

❁❁❁

ومن دواعي الحذفِ:

١- إخفاءُ الأمرِ عن غيرِ المخاطَبِ، نحو: أَقْبَلَ، تريدُ عليًّا مثلًا.

٢- وتأتِّي الإنكار عند الحاجة، نحو: لئيم خسيس، بعد ذكر شخص مُعَيَّن.

٣- والتنبيه على تعيُّن المحذوف ولو ادعاءً، نحو: خالق كل شيء، ووهاب الألوف.

٤- واختبارُ تنبهِ السامع، أو مقدارِ تنبهه، نحو: نوره مستفاد من نور الشمس، وواسطةُ عِقْدِ الكواكب.

٥- وضيقُ المقامِ إما لتوجُّعٍ، نحو:

قالَ لِي كيفَ أنْتَ؟ قُلتُ: عَليل ... سَهَرٌ دائمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

وإما لخوفِ فواتِ فرصةٍ، نحو قولِ الصيَّادِ: غزالٌ.

(ومن دواعي الحذف) أي: حذف المسنَد أو المسنَد إليه أو متعلقاتهما، ما يلي:

الأول من دواعي الحذف: (إخفاءُ الأمر) المقصود سماعه (عن غير المخاطَب) من الحاضرين؛ وهذا عند قيام القرينة على المحذوف للمخاطَب دون غيره منهم؛ (نحو) قولك: (أَقْبَلَ) وأنت (تريد عليًّا مثلًا)؛ فلو قيل: «أقبل عليٌّ» لانتظره كلُّ من كان جالسًا لأجل الطلب منه مثلًا.

(و)الثاني من دواعي الحذف: (تأتِّي الإنكار عند الحاجة)؛ أي أن من محسنات الحذف سهولة الإنكار إذا دعت الحاجةُ؛ (نحو) ما إذا تحدث قومٌ فيقول أحدهم: (لئيمٌ خسيسٌ) دون أن يذكر اسم المقصود، فيقول ذلك (بعد ذِكْر شخص مُعيَّن) فيريد ذلك الشخص ويحذفه ليتيسَّر له الإنكار عند لومه له على سبه.

(و)الثالث من دواعي الحذف: (التنبيهُ على تعيُّن المحذوف، ولو) كان هذا التعيُّن (ادعاءً)؛ فالمحذوف قد يكون متعينًا حقيقة، وقد يكون ادعاءً؛ فإن كان

الوصف لا يصلح حقيقة إلا للمعيَّن المحذوف فهو متعين حقيقي، والادعائي: أن يكون الوصف مشتركًا للمحذوف ولغيره، ولكن المتكلِّم يدَّعِي أن هذا الوصف له لا لغيره:

مثال الأول: (نحو) قوله تعالى: (﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾) فالمحذوف المتعين هو «الله سبحانه وتعالى»، وهو المتعين الحقيقي، فلم يُذكَر المسنَد إليه، لتعيُّنه بذلك الوصف حقيقة لظهور أن لا خالق سواه.

(و)مثال الثاني: (وهابُ الألوف)، والمحذوف هو السلطان؛ فحذفه لادعاء تعيُّنه بهذا الوصف؛ وإن كان يمكن في الواقع أن يتصف بذلك غيره.

(و)الرابع من دواعي الحذف: (اختبارُ تنبهِ السامع) هل يتنبه بالقرينة أم لا يتنبه إلا بالصراحة، (أو) اختبار (مقدارِ تنبهه) ومبلغ ذكائه هل يتنبه بالقرائن الخفيَّة أم لا؛ (نحو) قولك: (نوره مستفادٌ من نور الشمس)؛ فنوره مبتدأ مسنَد إليه مذكور لا محذوف، ولكن قال: نوره بإرجاع الضمير إلى القمر، وهو غير مذكور اختبارًا لتنبيه السامع، أو يقال: «نوره مُستفاد من نور الشمس» خبر والمبتدأ «القمر» المحذوف؛ لأن نور القمر هو المستفاد من نور الشمس، فهي القرينة لحذف القمر اختيارًا لتنبه السامع.

(و)نحو: (واسطةُ عِقْدِ الكواكب) فحذف «هو» الراجع إلى القمر اختبار للسامع بأنه تنبه أم لا، وأصل العبارة: «هو واسطة عقد الكواكب»، وواسطة العقد: الدرة التي في وسط القلادة، وهي أنفس خرزها؛ فالمعنى أن القمر خيار عقد الكواكب وعمدتها.

(و)**الخامس** من دواعي الحذف: (ضيق المقام) عن إطالة الكلام بذكر المسنَد أو المسنَد إليه، ثم ضيق المقام على نوعين:

الأول: (إما لتوجُّعٍ) وتضجُّر؛ فالمخاطِب يَضيق صدرُه عن إطالة الكلام بسبب ما ينوء به من إعياء الهموم، أو ما يعانيه من آلام الهوى؛ (نحو) قول الشاعر:

(قَالَ لِي كيفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَليلُ سَهَرٌ دائمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ)(١)

والشاهد فيه حذف المسند إليه، وهو قوله «أنا»، أي: «أنا عليل»؛ فحذف المبتدأ للاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب ما يُعانيه من تباريح الهوى ولواعج الشوق.

(وإمَّا)؛ أي: والنوع الثاني: ضيق المقام (لخوف فوات فرصةٍ) سانحة، وهي ما يُغتَنَم حصوله؛ فيخاف فوتها بإطالة الكلام (نحو قول الصيَّاد) عند عُروض إبصار الغزال: (غزالٌ). والأصل «هذا غزال فاصطادوه». فحذف «هذا» لأن رغبته في التسارع إليه تُوهمه أن في ذكره طولًا كثيرًا يمكن أن يُفلِت الصيدَ من اليد.

❁❁❁

(١) فـ(عليل)، أي: مريض ذو عِلّة، (سهرٌ) بالرفع أي: حالي سَهَرٌ. فيسأل سائل الشاعر: كيف حالك؟ وقد رأى علامات الحزن والتعب عليه؛ فقال: مريض، ذاكرًا سبب مرضه أنه: السهر الدائم والحزن الطويل على المحبوبة التي فارقته، وبعُد عنه لقاؤها.

٦- والتعظيم والتحقير؛ لصونه عن لسانك، أو صون لسانك عنه؛ فالأول، نحو: نجوم سماء، والثاني: نحو: قَوْمٌ إذا أَكَلُوا أَخْفَوْا حَدِيثَهُم.

٧- والمحافظة على وزن أو سجع، فالأول نحو:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْـ ـدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

والثاني، نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣].

٨- والتعميمُ باختصارٍ، نحو: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥]؛ أي: جميعَ عِبادِه؛ لأن حذفَ المعمولِ يُؤْذِنُ بالعمومِ.

٩- والأدب، نحو قول الشاعر:

قَدْ طَلَبْنَا فلَمْ نجِدْ لكَ فِي السُّؤْ دَدِ والمجدِ والمكَارِمِ مِثْلًا

١٠- وتنزيلُ المتعدِّي منزلةَ اللازمِ لعدَمِ تَعلُّقِ الغرَضِ بالمعمولِ، نحو: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

(و)السادس من دواعي الحذف: (التعظيمُ والتحقيرُ)؛ فالحذف للتعظيم (لصونه)؛ أي صون المحذوف (عن) الذِّكر بـ(لسانك، أو)؛ أي: والحذف للتحقير لـ(صون لسانك عنه)؛ أي: عن ذكر المحذوف.

(فالأول) الذي هو صونه عن لسانك، وهو ما كان للتعظيم؛ (نحو: نجومُ سماء) في قول أبي الطمحان القيني:

نجوم سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

أي: «هم نجوم سماء» فحذف اسم الممدوحين لصون الاسم عن مخالطة اللسان.

ونحو قولك: «مقررٌ للشرائع موضِّحٌ للدلائل فيجب اتباعه» تريد رسول الله ﷺ؛ فحذف لفظ «رسول الله ﷺ» صونًا له عن مخالطة اللسان.

(والثاني)، وهو ما كان لصون لسانك عنه، وهو ما كان للتحقير؛ (نحو) قول الشاعر:

(قَـومٌ إذا أكَلُـوا أَخْفَـوْا حَـدِيثَهُم) واستوثقوا من رِتاج الباب والدار[1]

أي: «هم قوم» فحذف «هم» تحقيرًا لهم وإيهامًا لصون اللسان عنهم لبخلهم.

(و)السابع من دواعي الحذف: (المحافظةُ على وزنٍ)، والوزن هو الإيقاع الحاصل من التفعيلات الناتجة عن كتابة البيت الشعري كتابة عروضية، وهو القياس الذي يعتمده الشعراء في تأليف أبياتهم، والأوزان الشعرية التقليدية ستة عشر وزنًا، وضع الخليل منها خمسة عشر والأخفش وزنًا واحدًا.

(أو) يكون الحذف للمحافظة على (سَجْع)، وهو في النثر: توالي فقرات تتشابه خواتمها، أو: اتفاق فاصلتي الكلام على حرف واحد في التقفية. وقد استحسن البديعيون من السجع ما تساوت فقرتاه بعدد الألفاظ كقولهم: «الزمان يعير ويرتجع، والدهر يمنح وينتزع».

ويكون الحذف للمحافظة على الفاصلة أيضًا؛ والفواصل هي في أواخر الآيات كالأسجاع في النثر، وهما كالقافية في النظم.

* (فالأول)، وهو المحافظة على الوزن؛ (نحو) قول سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري:

---

(١) فقوله: «أخفَوا حديثهم»؛ أي: خفضوا أصواتهم حتى لا يسمعهم أيُّ عابرِ سبيلٍ فيدُق بابهم. والرتاج: مزلاق الباب.

(نَحْـنُ بِمَـا عِنـدَنَا وَأَنْـتَ بِمَـا عِنْـ ـدَكَ رَاضٍ وَالـرَّأْيُ مُخْتَلِـفُ)(١)

فقوله: «نحن» مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: «نحن بما عندنا راضون» فالمحذوف هاهنا هو خبر الأول بقرينة الثاني.

فحذف الخبر وهو «راضون» لرعاية وزن الشعر؛ إذ لو ذُكِرَ لم يستقم وزن البيت.

* (والثاني)، وهو المحافظة على الفاصلة (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]) وكان الأصل «وما قلاك»، أي: «ما أبغضك»؛ فحُذِف ضمير المفعول لرعاية الفاصلة السابقة والآتية.

(و)الثامن من دواعي الحذف: (التعميمُ)؛ أي: تعميم الفعل وتعلُّقه بكل ما يمكن أن يتعلق به (باختصار)؛ أي: مع اختصار الكلام (نحو) قوله تعالى: (﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥])؛ أي: السلامة من الآفات؛ (أي): يدعو (جميعَ عباده)؛ أي: يدعو كل أحد؛ (لأن حذف المعمول) الذي هو المفعول به هنا (يُؤذن) أي: يُشعر (بالعموم)؛ فحصل التعميم مع الاختصار بخلاف ما لو ذُكِرَ المعمول؛ أي المفعول به؛ بصيغة العموم، فإنه وإن كان يُفيد العموم أيضًا لكن يفوت الاختصار حينئذ.

(و)التاسع من دواعي الحذف: (الأدبُ)؛ وذلك (نحو قول الشاعر) البحتري:

(قَدْ طَلَبْنَا فلَمْ نجدْ لكَ فِي السُّؤْ دَدِ والمجدِ والمكَارِمِ مِثْلًا)(٢)

---

(١) والمعنى: نحن راضون بما عندنا من الرأي، وأنت راضٍ بما عندك من الرأي وآراؤنا مختلفة؛ فكل إنسان يتبع رأيه؛ لأنه حسن باعتبار حاله وإن كان قبيحًا باعتبار حال آخر؛ فرب شيء حسن عند دنيء الهمة يكون قبيحًا عند عليِّها.

(٢) و(السؤدد): السيادة، و(المجد): النبل والشرف، و(المكارم): جمع المكرُمَة، وهي فِعل الخير.

يريد أن يقول: قد طلبنا لك مثلًا فلم نجد لك مثلًا في هذه المكارم؛ فحذف كلمة «مثلًا» الأولى، وهي مفعول «طلبنا»، كأنه يُنكِر أن يُطلَب له مَثَلٌ لرفعة شأنه وعلو منزلته، ولو أنه ذكر المفعول فقال: «قد طلبنا لك مثلًا» لَمَا حسُن أن تُذكر الكلمة مرة ثانية؛ بل يذكر ضميرها فيقال: «طلبنا لك مثلًا في كذا وكذا ولم نجده» والشاعر لا يريد هذا؛ فإن ذكر المثل في عدم الوجود أوقع في النفس من ذكر الضمير؛ كما أن حذفه في الإثبات في «طلبنا» أوقع في النفس كذلك.

(و)**العاشر** من دواعي الحذف: (تنزيلُ) الفعل (المتعدي منزلة) الفعل (اللازم) أي: الذي وُضِعَ في أصله غير طالبٍ للمفعول، ويكون هذا التنزيل (لعدم تعلُّق الغرض) أي: قصد المتكلِّم (بالمعمول)؛ فالغرض من الفعل مجرد إثباته للفاعل من غير اعتبار تعلُّقه بمن وَقَع عليه؛ فلا يُؤتَى بمفعولٍ مذكورٍ ولا منويٍّ أصلًا؟

(نحو) قوله تعالى: (﴿هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩])؛ فالأصل: هل يستوي الذين يعلمون الدِّين والذين لا يعلمونه، ثم حُذِفَ المفعول تنزيلًا لفعله منزلة اللازم؛ حيث إن الغرض من الفعل الماهية الكلية؛ أي: لا يستوي الذين وُجِدَت حقيقة العلم والدِّين فيهم، والذين لم تُوجد فيهم.

❁❁❁

ويُعَدُّ من الحذفِ إسنادُ الفعلِ إلى نائـبِ الفاعـلِ، فيُقـالُ: حُـذِفَ الفاعـلُ؛ للخوفِ منه، أو عليه، أو للعلْمِ به، أو الجهل، نحو: سُرِقَ المتـاعُ، ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء:٢٨].

(ويُعَدُّ من الحذف) الذي لا يُرتَكَب إلا لنكتة (إسنادُ الفعل إلى نائب الفاعل؛ فيُقال) حينئذ: (حُذِفَ الفاعلُ) أي: فاعل ذلك الفعل وأُقيم المفعول به أو غيره مقامه في الإسناد إليه على جهة قيامه به أو وقوعه منه إما (للخوف منه) نحو: «قُتِلَ قتيلٌ» إذا خِيف من القاتل بأن يُخشَى بذكره وإظهاره من انتقامه، (أو) للخوف (عليه) نحو: «شُتِمَ الأمير» إذا خِيف على الشاتم، (أو للعلم به) فلا حاجة لذكره، (أو الجهل) به فلا سبيل إلى ذكره (نحو) قولك: (سُرِقَ المتاعُ)؛ فحُذِفَ السارق في هذا المثال إما للخوف منه، أو للخوف عليه إن كان معلومًا، وإن كان مجهولًا كان حذفه للجهل به، (و)مثل قوله تعالى: (﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾) فحُذِفَ الفاعل للعلم به، وهو الله تعالى.

❁❁❁

الباب الثالث
في التقديم والتأخير

من المعلومِ أنه لا يُمكِنُ النطقُ بأجزاءِ الكلامِ دُفعةً واحدةً، بل لا بدَّ من تقديمِ بعضِ الأجزاءِ وتأخيرِ البعضِ، وليس شيء منها في نفسِه أَوْلَى بالتقدُّمِ من الآخرِ؛ لاشتراكِ جميعِ الألفاظِ من حيثُ هي ألفاظٌ في درجةِ الاعتبارِ، فلا بدَّ لتقديمِ هذا على ذاك من داعٍ يوجبه.

(في) بيان (التقديم والتأخير) العارِضَيْن للمسند أو المسنَد إليه أو متعلقاتهما.

والمراد بالتقديم والتأخير هنا إيراد اللفظ ابتداء أول النطق أو آخره، لا أنه كان مقدمًا ثم أُخر، ولا كان مؤخرًا ثم قُدِّم.

و(من المعلوم أنه لا يمكن) للإنسان (النطق بأجزاء الكلام) أي: بالألفاظ والكلمات التي هي أجزاؤه (دَفعةً واحدة) لكونه يستحيل فيها اجتماع بعض الأجزاء مع البعض (بل لا بد) للإنسان (من) ترتيبها و(تقديم بعض الأجزاء)؛ أي: أجزاء الكلام (وتأخير البعض)، ويجب أن يكون ترتيبها الوَضْعِيّ حسب ترتيبها الطبيعي، (وليس شيء منها) أي: من تلك الأجزاء (في نفسه) أي: في حَدِّ ذاته (أولى بالتقدم) أي: بوقوعه مقدَّمًا (من) الجزء (الآخر)؛ وذلك (لاشتراك جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ) أي: مع قطْع النظر عن عُرُوض معنى يُوجِب الصدارة (في درجة الاعتبار).

ومن البيِّن أن رتبة المسنَد إليه التقديم؛ لأنه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير؛ لأنه المحكوم به، وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتى تالية لهما في الرتبة؛ وحيث جاء هذا الأصل مغيَّرًا (فلا بد لتقديم هذا) أي: المتقدِّم الذي كان حقه التأخير بموجب هذا الأصل (على ذاك) أي: المتأخر الذي كان حقه التقديم بموجَبِهِ (من داعٍ يوجبه) أي: مزيَّة يدعو اعتبارها إلى التقديم ليُشعِر المقدَّم بالغرض الذي يشير المتكلم إليه.

❁❁❁

فمن الدواعي:

١- التشويقُ إلى المتأخِّرِ، إذا كان المتقدِّمُ مشعِرًا بغَرابةٍ، نحو:

والذي حَــارتِ البريــةُ فيــهِ حيــوانٌ مُــسْتَحْدَثٌ مِــنْ جَمــادِ

٢- وتعجيلُ المسرَّةِ أو الْمَسَاءَةِ، نحو: العفوُ عنك صَدَرَ به الأمْرُ، أو القِصاصُ حكَمَ به القاضي.

٣- وكونُ المتقدِّمِ مَحطَّ الإنكارِ والتعجُّبِ، نحو: أبَعْدَ طولِ التجرِبةِ تَنخدِعُ بهذه الزخارِفِ؟

دواعي التقديم:

(فمن الدواعي) للتقديم ما يلي:

الأول من دواعي التقديم: (التشويقُ) أي: تشويق المتكلِّم نفسَ السامع (إلى) العلم بخبر (المتأخر، إذا كان المتقدِّم) مشتملًا على وصفٍ موجِب لذلك؛ بأن كان (مُشعِرًا بغرابة)؛ حيث يُوجِب التشوق إلى المتأخر، ولذا إذا ذُكِرَ تمكَّن في ذهن السامع؛ لأن الحاصل بعد الشوق أمكن في النفس من المُنسَاق بلا شوق وانتظار؛ (نحو) قول المعري:

(والــذي حَــارتِ البريــةُ فيــهِ حيــوانٌ مُــسْتَحْدَثٌ مِــنْ جَمــادِ)(١)

فالمسنَد إليه هو الاسم الموصول، وهو (الذي)، والجملة التي بعده (حارت البرية فيه) صِلَةٌ له، والموصول وصلته متلازمان كأنهما شيء واحد، فالمخاطَب يتشوق فؤادُه لمعرفة الخبر؛ أي: المسنَد؛ لأن في المسنَد إليه غرابة، فيتساءل: ما الذي حارت البرية فيه؟ فجيء الخبر متأخرًا (حيوان مستحدث من جماد).

(١) فقوله: (والذي حارت البرية) أي: اختلفت الخلائق في أنه يُعادُ أو لا يُعادُ. وقوله: (مستحدث) أي: مخلوق. والمراد بالجماد: نطفة أو طينة آدم. والمعنى: تَحَيَّرَتِ البريةُ واختلفَتْ في المعاد الجسماني والنشور، وفي أن أبدان الأموات كيف تحيا من الرفات، وبعضهم يقول به وبعضهم يُنكره.

(و)**الثاني** من دواعي التقديم: (**تعجيلُ المسرة**) أي: السرور للسامع؛ لأنه يحصل بسماع اللفظ المشعِرِ بالسرور سرورٌ، فيتفاءل به، أي: يتبادر لفهم السامع حصول الخير (**أو**) تعجيل (**المساءة**) أي: السوء للسامع فيتشاءم به ويتبادر لفهمه حصول الشر.

فاللفظ إذا كان مُشعرًا بالمسرة والمساءة، وكان الغرض حصول واحد منهما للسامع بالتعجل قُدِّم هذا اللفظ؛ ليحصل المسرة أو المساءة بمستهل الكلام واللفظ المسموع أولًا؛ (**نحو**) قولك لمحكوم عليه: (**العفوُ عنك صدر به الأمر**)؛ ففي تقديم لفظ «العفو» تعجيل المسرة للسامع، (**أو**) قولك لمحكوم عليه: (**القصاصُ حكم به القاضي**) ففي تقديم لفظ «القصاص» تعجيل المساءة له.

(و)**الثالث** من دواعي التقديم: (**كونُ المتقدم محطَّ**) أي: موضع (**الإنكار والتعجب**) والغرابة؛ فأي شيء كان في الكلام محل الإنكار ومناط التعجب، فهو يقتضي أن يكون مقدَّمًا في الكلام؛ (**نحو**) قولك: (**أَبَعْدَ طول التجربة تنخدع**) أي: تنغشّ أنت (**بهذه الزخارف؟**)؛ أي: الزينة؛ فتقديم «طول التجربة» يُفيد أنه محل الإنكار ومناط التعجب لا نفس الانخداع؛ إذ لو كان المقصود جعل الانخداع نفسه مناطَ التعجب والإنكار لقُدِّم الانخداع وقيل: أتنخدع بهذه الزخارف بعد طول التجربة.

❁❁❁

٤- وسلوكُ سَبِيلِ الترقي، أي: الإتيان بالعامِّ أولًا، ثم الخاصِّ بَعْدَهُ؛ لأن العام إذا ذُكِرَ بعد الخاص لا يكون له فائدة، نحو: «هذا الكلام صحيح فصيح بليغ» فإذا قلت: «فصيح بليغ»، لا تحتاج إلى ذكر صحيح، وإذا قلت: «بليغ»، لا تحتاج إلى ذكر صحيح، ولا فصيح.

٥- ومراعاةُ الترتيب الوجودي، نحو: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٦- والنصُّ على عمومِ السلْبِ، أو سلْبِ العمومِ؛ فالأوَّلُ يكونُ بتقديمِ أداةِ العمومِ على أداةِ النفيِ، نحو: «كُلُّ ذلك لم يكنْ»، أي: لم يَقعْ هذا ولا ذاك. والثاني يكون بتقديمِ أداةِ النفيِ على أداةِ العمومِ، نحو: لم يكنْ كلُّ ذلك؛ أي: لم يَقعِ المجموعُ فيَحتمِلُ ثبوتَ البعضِ ويَحتمِلُ نفيَ كلِّ فردٍ.

(و)الرابع من دواعي التقديم: (سلوكُ سبيل الترقي) من رَقَى إلى الشيء رقيًا ورَقوًا: صعد به الأمر حتى بلغ غايته، والترقي هنا (أي: الإتيانُ بالعامِّ أولًا ثم الخاصِّ بعده) لغرض من أغراض ذكر الخاص بعد العام كالإيضاح بعد الإبهام؛ (لأن العامَّ إذا) لم يُقدَّم بل (ذُكِر بعد الخاص لا يكون له) حينئذ (فائدة)؛ وذلك (نحو) قولك: (هذا الكلام صحيح فصيح بليغ).

ففي هذا الكلام سلوك سبيل الترقي؛ لأن قولنا: «صحيح» عام شامل للفصيح والبليغ وغيرهما، فيفيد تقديمه فائدة الإيضاح بعد الإبهام؛ (فإذا) ذكرت الخاصَّ أولًا (قلت): هذا الكلام (فصيح بليغ)؛ فحينئذ (لا تحتاج إلى ذكر «صحيح») فهو أعم منهما، وإذا كان فصيحًا بليغًا فإنه صحيح بلا ريب، وكذا (وإذا قلت): هذا كلام (بليغ)؛ فأنت (لا تحتاج) حينئذ (إلى ذكر) ما هو أعم منه، فلا تقول (صحيح ولا) تقول (فصيح)؛ لأن الحكم بالخاص حكمٌ بالعام؛ لاستلزامه له فلا فائدة في ذكر العام بعد الخاص.

(و)**الخامس** من دواعي التقديم: (مراعاةُ الترتيب الوجودي) فيُقدَّم في اللفظ ما هو مُقدَّم في الوجود (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥])، فرُوعِيَ فيه الترتيب الوجودي، وقُدِّمَت السِّنة على النوم في الذِّكْر؛ لكونها متقدمة عليه في الوجود؛ لأن السِّنة عبارة عن الفتور الذي يتقدَّم النوم.

(و)**السادس** من دواعي التقديم: (النصُّ على عموم السلب) أي: إفادة عموم نفي الحكم وشموله لكل فرد من أفراد الموضوع والمقام يقتضي ذلك، (أو) النص على (سلب العموم) أي: نفي الحكم عن الأفراد المجملة التي لم تُفصَّل ولم تُعَيَّن بكونها كلًّا أو بعضًا؛ بل أُبقِيَتْ على شمولها للأمرين حيث اقتضى المقام ذلك.

يعني: إذا اجتمع في كلام أداة العموم كـ«كل وجميع» وأداة النفي كـ«لا» فتعيين أن المراد في هذا الكلام هل هو عموم السلب وشمول النفي؛ أو سلب العموم ونفي الشمول لا يتضح إلا بتقديم أحد أداة العموم وأداة النفي على الآخر.

فعموم السلب: أي كون السلب عامًّا شاملًا لجميع الأفراد؛ نحو: ﴿تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان:٢٤]، فإنه أمرٌ بترك إطاعة كل أحدٍ من الآثم والكافر منفردَيْن أو مجتمعَيْن.

وسلب العموم: أي انتفاء الاجتماع، لا انتفاء كل فرد، نحو: لا تأكُلِ السَّمَكَ وتَشْرَبَ اللبنَ. فالممنوع اجتماعهما لا أكلهما على سبيل الانفراد، فهذا هو الفرق بينهما.

(**فالأول**) أي: عموم السلب، ويُسمى شمول النفي (يكون بتقديم أداة العموم) ككل وجميع وأل الاستغراقية (على أداة النفي) حرفًا أو غيره، (نحو) قوله ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم لما قال له ذو اليدين: أقصرت الصلاة- أي: الظهر أو العصر- أم نسيتَ يا رسول الله؟ فقال: («كلُّ ذلك لم يكن») فإن تقديم «كل ذلك»

على «لم يكن» يُفيد سلب الكون عن كل فردٍ فردٍ (أي: لم يقع هذا) القصر (ولا ذاك) النسيان.

فلما كانت أداة العموم «كل» في «كل ذلك لم يكن» مقدَّمة على النفي أفاد نفي القصر والنسيان معًا، فهو في قوة أن يقال: لا شيء من ذلك بواقع.

(والثاني) أي: سلب العموم ويُسمَّى نفي الشمول أيضًا (يكون بتقديم أداة النفي) حرفًا أو غيره (على أداة العموم) لأنه صريح في إفادة سلب العموم ونفي الشمول؛ (نحو) أن يقول فيما مر: (لم يكن كل ذلك) فإنه يُفيد نفي الحكم عن جملة الأفراد (أي: لم يقع المجموع) أي: مجموع ذلك الصادق بالسلب عن البعض والسلب عن جميع الأفراد لا عن كل فردٍ؛ (فيحتمل ثبوت البعض) أي: والسلب عن البعض الآخر، (ويحتمل نفي كل فرد) لأن النفي توجَّه إلى شمول الفعل لكل ما ينتسب له خاصة دون أصل الفعل؛ إلا أن المحقَّق السلب عن البعض، فيُحمَل معنى التركيب عليه تفريقًا بين التقديم والتأخير، فيكون المعنى السلب عن البعض لا عن كل فرد.

٧- وتقويةُ الحُكْمِ إذا كان الخبر فعلًا، نحو: «الهلال ظهر»؛ وذلك لتكرر الإسناد.

٨- والتخصيصُ نحو: ما أنا قلتُ، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥].

٩- والمحافظة على وزن أو سجع، فالأول، نحو:

إذا نَطَقَ السَّفيهُ فلا تُجِبْهُ فخيرٌ مِنْ إجابَتِهِ السُّكوتُ

والثاني، نحو: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢].

(و)السابع من دواعي التقديم: (تقويةُ الحكم) أي: تقريره في ذهن السامع وتثبيته فيه دفعًا لتوهُّم كونه مما يُرمَى به من غير تحقيق (إذا كان الخبر فعلًا)؛ وذلك (نحو) أن تقول: (الهلال ظَهَرَ. وذلك)؛ أي: حصول تقوية الحكم فيه (لتكرر الإسناد)؛ ووجه تكرر الإسناد في هذه الصورة أن المبتدأ يَستدعي أن يُسنَد إليه شيءٌ؛ فإذا جاء بعده ما يصلُح أن يُسنَد إليه صَرَفَه إلى نفسه؛ فينعقد بينهما حكمٌ، ثم إذا كان الخبر فعلًا صرفه إليه ضميره ثانيًا؛ فصار الإسناد بهذا الاعتبار مُكَرَّرًا، وكان قولنا: «الهلال ظهر» بمثابة أن يُقال: «ظهر الهلال ظهر الهلال».

(و)الثامن من دواعي التقديم: (التخصيصُ) أي: تخصيص المتقدِّم بالمتأخِّر، (نحو) أن تقول: (ما أنا قلت) هذا. فـ«أنا» مبتدأ و«قلت» خبر، وقُدِّمَ المسند إليه هنا لأجل إفادة اختصاصه بانتفاء هذا القول عنه، أي: لم أَقُلْه وهو مقول لغيري. أي: انتفاء هذا القول مقصور عليّ وثابتٌ لغيري.

(و)من تخصيص المفعول قوله تعالى: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥])، أي: لا غيرك. ردًّا على مَن قال: أعبد غيرك. فإن تقديم المفعول هاهنا لقصد التخصيص، والمعنى: نخصك بالعبادة؛ فتقديم المفعول وما يُشبهه من المتعلقات يكون غالبًا للتخصيص.

(و)التاسع من دواعي التقديم: (المحافظةُ على وزن أو) المحافظة على (سجع) أو فاصلة.

(فالأول)؛ أي: المحافظة على الوزن (نحو) قول المُؤَمَّل المُحَارِبِي:

(إذا نَطَقَ السَّفيهُ فلا تُجِبْهُ ... فخيرٌ مِنْ إجابَتِهِ السُّكوتُ)(١)

وتقديم الخبر في البيت وهو قوله: «فخير من إجابته» على المبتدأ الذي هو «السكوت» لمحافظة وزن البيت؛ وإلا فالأصل: السكوت خيرٌ من إجابته.

(والثاني)؛ أي: المحافظة على الفاصلة؛ (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢]) فتقديم «ثم الجحيم» و«ثم في سلسلة» على الفعل في الآية للمحافظة على الفاصلة؛ وإلا فالأصل: ثم صلوه الجحيم ثم اسلكوه في سلسلة.

❁❁❁

(١) والسفاهة هي الخفة والطيش والجهل، وسَفه علينا أي جَهل، وسفَّهه؛ أي: جعله سفيهًا أو نسبه إلى السفه، والسفيه هو الجاهل الطائش الوقح، والمراد هنا بالسفيه: طويل اللسان، سيئ الكلام، قبيح الجواب.

دواعي التأخير:

ولم يُذكَرْ لكلٍّ من التقديمِ والتأخيرِ دواعٍ خاصَّةٌ؛ لأنه إذا تقدَّمَ أحدُ رُكْنَي الجملةِ تأخَّرَ الآخرُ، فهما متلازِمان.

(ولم يُذْكَر) أي: لم يذكر علماء المعاني (لِكُلٍّ من التقديم والتأخير دواعٍ خاصة) به، بل اكتَفَوا بذكر دواعي التقديم؛ وذلك (لأنه إذا تقدَّم أحدُ رُكْنَيِ الجملة تأخر) بالضرورة الركن (الآخر) ضرورةَ أن الشيئين إذا تقدَّم أحدهما على الآخر فالآخر متأخر عنه؛ (فهما متلازمان)؛ وحينئذ فالدواعي والنكات المقتضية للتقديم هي بعينها الدواعي والنكات المقتضية للتأخير، لا شيء غيرها(١).

---

(١) التقديم والتأخير: تقديم ما حقه التأخير في علم المعاني يفيد الحصر والقصر، أو يفيد الاختصاص، ويكون المقصور عليه هو المقدم، مثل قول الله: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ﴾، والمعنى: الأمْرُ لله فحسب وليس لغيره، أما لو قلت: (الأمر لله) فلا يوجد تقديم، ومن ثَمَّ فيُحْتَمَل العطف، فيمكن أن يقال: الأمر لله ولغيره. أما إذا قلت: (لله الأمر) أُغْلِقَ باب العطف، فكأنك قلت: لله الأمر فقط.

ومثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، يفيد الاختصاص، ويفيد القصر والحصر، فمعنى هذه الآية: أَحْصِرُوا تَوَكُّلَكُم في الله، واقْصُرُوا توكلكم على الله إن كنتم مؤمنين، وخُصُّوا الله بتوكلكم إن كنتم مؤمنين.

والمعنى: توكلوا على الله فحسب وليس على غيره، أما لو قلت: (توكلوا على الله) فلا يوجد تقديم، ومن ثَمَّ فيُحْتَمَل العطف، فيحتمل أن يقال: توكلوا على الله وعلى غيره.

ومثل قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، المعنى نستعين بالله -سبحانه وتعالى-، قدم المعمول على عامله ليدل على القصر والحصر، أي لا نستعين إلا بالله.

ومثل قول الله: ﴿وَأَنفُسَهُمۡ كَانُوٓاْ يَظۡلِمُونَ﴾، أنفسهم: مفعول به تَقَدَّمَ عَلَى عَامِلِهِ الفعل (يظلمون)، وقد نقول: (يظلمون أنفسهم)، وحينئذ يجوز أن تعطف قائلًا: ويظلمون الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، فهذا أسلوبُ قَصْرٍ بتقديمِ الجار والمجرور، أي: قَصَرَ غَيْبَ السماواتِ والأرضِ عليه سبحانه، فلو قلنا مثلًا: (غيبُ السماوات والأرض لله)، فيُحْتَمَلُ أن يقول قائل: غيب السماوات لله ولغير الله، أما: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: له وحده لا شريك له.

الباب الرابع
في التعريف والتنكير

إذا تَعَلَّقَ الغَرَضُ بتفهيم المخاطَبِ ارتباطَ الكلام بمعيَّنٍ، فالمقامُ للتعريف، وإذا لم يتعلق الغرضُ بذلك فالمقام للتنكير.

(في التعريف) أي: في بيان الأمور المقتضية لإيراد أحد أجزاء الكلام معرفةً (و)في (التنكير) أي: في بيان الأسباب لإيراده نكرة.

من الأساليب البلاغية التي تقتضيها أحوال المخاطَبين ويقصدها المتكلِّم أسلوب «التعريف والتنكير»؛ فإذا كان لكلٍّ من التقديم والتأخير والحذف والذكر أغراضه البلاغية وأهدافه التي تتعلق بالمعنى فإن «التعريف والتنكير» كذلك.

وآيات القرآن الكريم مملوءة بأمثلة الأسلوبَين المذكورَين، ولقد تكلم علماء النحو عن المعرفة والنكرة، وذكروا أقسام المعارف، فتحدثوا عن العَلَم والضمير واسم الإشارة، والاسم الموصول والمعرف بـ«أل» وغيرهم، ولكن حديثهم بالطبع كان من الناحية الإعرابية المحضة، أما علماء البيان فكان حديثهم من زاوية أخرى وفي مجال آخر؛ فقد تحدثوا عن الأغراض التي يكون من أجلها التعريف؛ سواء كان هذا التعريف بالضمير أم بغيره، كما تحدثوا عن الدواعي التي تقتضي التنكير.

فإنه (**إذا تعلَّقَ الغرضُ**)؛ أي: المقصود من الكلام (**بتفهيم المخاطَبِ**) بهذا الكلام (**ارتباطَ الكلام بـ**)شيء (**معيَّنٍ فالمقامُ للتعريف**)؛ لأن وضع المعارف على أن يُستعمل للشيء المعيَّن.

(**وإذا لم يتعلَّق الغرضُ**)؛ أي: المقصود من الكلام (**بذلك**) أي: بتفهيم المخاطَب ارتباط الكلام بمعين (**فالمقام**) حينئذ (**للتنكير**)؛ فإنه لا يدل بالوضع على المعيَّن.

❁❁❁

ولتفصيل هذا الإجمال نقول: من المعلوم أن المعارف: «الضَّمِيرُ» و«العَلَمُ» و«اسمُ الإشارة» و«الاسمُ الموصولُ» والمحلَّى بـ«أل» و«المضاف لواحد مما ذكر» و«المنادَى».

هذا هو بيان مقام التعريف والتنكير على الإجمال، (ولتفصيل هذا الإجمال) المذكور (نقول):

أولًا: التعريف:

(من المعلوم أن المعارِف) هي ما يلي:

أولًا: (الضميرُ)؛ نحو: أنا، وأنت، وهو.

(و)**ثانيًا:** (العَلَمُ)؛ نحو: طارق، وشارف، وأسيل، وحفصة، وعمر.

(و)**ثالثًا:** (اسمُ الإشارة)؛ نحو: هذا، وهذه، وهؤلاء، وأولئك.

(و)**رابعًا:** (الاسمُ الموصولُ)؛ نحو: الذي، والتي، واللذان، واللاتي.

(و)**خامسًا:** (المحلَّى بأَلْ)؛ نحو: القلم، والكتاب.

(و)**سادسًا:** (المضافُ لواحدٍ مما ذُكِرَ)؛ نحو: كتاب زيد.

(و)**سابعًا:** (المنادَى)؛ نحو: يا محمد.

فمقتضى التفصيل أن يُذكَر المقتضي لإيراد كل واحد من هذه الأقسام السبعة بخصوصه، ولذا سيُذكَر فيما يلي نكتة إيراد كل واحدٍ واحدٍ، ويُقدَّم الكلام على الضمير لكونه أعرف المعارف.

❁❁❁

الضمير:

أما الضمير، فيؤتى به لكون المقام للتَّكلُّم، أو الخطاب، أو الغَيْبَة، مع الاختصار، نحو: أنا رَجَوْتُكَ في هذا الأمر، و«أنت وعدتني بإنجازه».

والأصل في الخطاب أن يكون لمشاهَدٍ مُعَيَّن، وقد يخاطَبُ غيرُ المشاهَد إذا كان مستحضَرًا في القلب، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وغيرُ المعيَّنِ إذا قُصِدَ تعميمُ الخطاب لكل من يمكن خطابه، نحو: «اللئيم من إذا أحسنت إليه أساء إليك».

(أما) الضمائر فهي أسماء جامدة مبنية وُضِعَت للمتكلِّم أو للمخاطَب أو للغائب، وهي قسمان:

* بارزة: أي ظاهرة لفظًا وكتابة.

* ومستترة: أي غير ملفوظة ولا مكتوبة.

و(الضمير) على أنواع معروفة (فيؤتَى به لكون المقام للتكلُّم)؛ نحو: أنا فعلتُ. (أو) لكون المقام مقام (الخطاب)؛ نحو: أنت فعلتَ. (أو) لكون المقام مقام (الغَيْبة)؛ نحو: هو فَعَلَ. هذا (مع الاختصار)، وإنما قيل: «مع الاختصار»؛ احترازًا عن مثل قول الخليفة: «أمير المؤمنين يأمر بكذا»؛ فإنه وإن كان قد أُوتي فيه بالاسم الظاهر مع كون المقام للتكلُّم؛ لكن ليس فيه اختصار.

فالضمير يُؤتَى به لأحد المقامات السابقة (نحو) قولك: (أنا رجوتُكَ في هذا الأمر). فقد أوتي فيه بضمير المتكلِّم؛ لكون المقام للتكلم مع حصول الاختصار، وجُمِعَ بين «أنا» و«التاء» إشارة إلى أنه لا فرْق بين أن يكون الضمير متصلًا أو منفصلًا، وكذا يُقال في مقام الخطاب في وجه الجمع بين الضمير المتصل والمنفصل نحو قولك: (وأنت وعدتني بإنجازه)؛ ويتَضَمَّن هذا المثال مقام الغيبة أيضًا، وهو الهاء في «إنجازه».

(والأصل في) مقام (الخطاب أن يكون لـ)شيء (مشاهَد مُعيَّن) أما كونه لمشاهد؛ فلأن الخطاب هو توجيه الكلام إلى حاضر، وهو لا يكون في الأغلب إلا مشاهدًا، وأما كونه معيَّنًا؛ فلأن وضع مطلق المعارِف على أن تُستعمَل في معيَّن.

(وقد) يُعدَل عن هذا الأصل فـ(يخاطَبُ غيرُ المشاهَد)؛ وذلك (إذا كان) غير المشاهَد (مستحضَرًا في القلب) لجعل ذلك الحضور بمنزلة المشاهدة؛ (نحو) قولك في الفاتحة: (﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥])؛ فإن المخاطَب فيه، وهو ذاته تعالى، وإن لم يكن مشاهدًا لكنه لاستحضاره في القلب فجُعِلَ بمنزلة المشاهَد وخوطب خطاب المشاهَد.

(و) كذا قد يُخاطَب (غيرُ المعيَّن)؛ وذلك (إذا قُصِدَ تعميمُ الخطاب لكلِّ مَن يُمكنُ خطابُه)؛ أي: على سبيل البدل لا على سبيل التناول دفعة؛ (نحو) قولك: (اللئيمُ مَن إذا أحسنتَ إليه أساءَ إليكَ)؛ فإنك لا تُريد بهذا مخاطَبًا بعينه قصدًا إلى أن سوء معاملة اللئيم لا يختص واحدًا دون واحد؛ فكأنك قلت: «إذا أُحسِنَ إليه»، وفائدة العدول عن هذه العبارة إلى الخطاب: المبالغة في تشهير سوء معاملته؛ كأنك أحضرتَ كل واحدٍ ممن يُمكِن خطابه فخاطبته بذلك، وصوَّرتَ سوء معاملته في ذهنه.

❁❁❁

العَلَم:

وأما العَلَمُ فيُؤْتَى به لإحْضَارِ مَعْنَاه في ذهن السامع باسمه الخاصِّ، نحو: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

(وأما العَلَمُ) وهو اللفظ الذي يدل على معيَّن دون قرينة؛ نحو: «مصر- مكة- بغداد- تونس»، و«حفصة- هالة- خديجة».

وهو قسمان:

* العلم الشخصي. * والعلم الجنسي.

(فيُؤتَى به)؛ أي: بالعَلَم (لإحضار معناه في ذهن السامع)؛ أي: إحضاره (باسمه الخاصِّ) بمعناه؛ حيث لا يُطلَق باعتبار وضعه لهذا المعنى المخصوص على غيره، وإن أُطلق على الغير باعتبار وضعٍ آخر، كما في الأعلام المشتركة (نحو) قوله تعالى: (﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقَرة: ١٢٧])، فإبراهيم وإسماعيل عَلَمَان أُوتي بهما لأجل إحضار معناها في ذهن السامع باسمهما الخاص.

وقد يقصد به مع ذلك أغراض أخرى:

١) كالتعظيم في نحو: «ركب سيف الدولة».

٢) والإهانة في نحو: «ذهب صخر».

٣) والكناية عن معنى يصلح اللفظ له في نحو: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

(وقد يُقصَدُ به)؛ أي: بالعَلَم (مع ذلك) أي: مع إحضار معناه باسمه الخاص (أغراضٌ أخرى) باعتبار معناه الأصلي قبل العَلَمِيَّة؛ فإن الأعلام كثيرًا ما يُلحَظ فيها معانيها الأصلية؛ فيُقصَد حينئذ بها أغراضٌ أخرى (كـ)الأغراض التالية:

أولًا: (التعظيم)، وذلك (في نحو) قولهم: (ركب سيفُ الدولة) مما كان الاسم صالًحا للتعظيم والمقام مقامه.

(و)ثانيًا: (الإهانة)، وذلك (في نحو) قولهم: (ذهب صخرٌ) مما كان الاسم دالًّا على الإهانة، والمقام يقتضيها.

(و)ثالثًا: (الكناية عن معنى يصلُح اللفظ) أي: لفظ العَلَم (له)؛ وذلك (في نحو) قوله تعالى: (﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١])، فأبو لهب للإحضار والكناية أيضًا؛ لأنه عبَّر بأبي لهب عن مسماه، وقُصِدَ باعتبار معناه الأصلي، أي: مُلازِمُ اللهب؛ يكني عن كونه جهنميًّا؛ لأنه لازمٌ لملازمته للهب؛ فإن اللهب الحقيقي لهبُ نار جهنم؛ فيكون انتقالًا من الملزوم إلى اللازم باعتبار الوضع الأول.

❁❁❁

اسم الإشارة:

وأما اسم الإشارة فيؤتى به إذا تعَيَّنَ طريقًا لإحضار معناه كقولك: «بِعْنِي هذا» مشيرًا إلى شيء لا تعرف له اسمًا ولا وصفًا، أمَّا إذا لم يَتَعَيَّنْ طَرِيقًا لذلك، فيكون لأغراض أخرى:

١- كإظهار الاستغراب، نحو:

كَمْ عاقِلٍ عاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ ... وجَاهِلٍ جاهِلٍ تَلْقَاهُ مرْزُوقَا

هـذَا الَّذِي تَـرَكَ الأَوْهَـامَ حَـائِرَةً ... وصَـيَّرَ العَـالِمَ النِّحْرِيـرَ زِنـدِيقَا

٢- وكمال العناية به، نحو:

هذا الَّذِي تَعْـرِفُ البَطْحَاءُ وَطأَتَـهُ ... والبيـتُ يَعْرِفُـهُ والحِـلُّ والحَـرَمُ

(وأما اسم الإشارة) فهو اسمٌ يُعيِّن مدلوله تعيُّنًا مقرونًا بإشارة حسية؛ نحو: هذا القلم. والأصل في الإشارة أن تكون لمحسوس، وقد يُنزَّل غير المحسوس منزلة المحسوس.

والإشارة قد تكون للقريب مثل: هذا وهذه.

وقد تكون للمتوسط مثل: ذاك.

وقد تكون للبعيد مثل: ذلك وتلك.

(فيؤتى به)؛ أي: باسم الإشارة (إذا تعيَّن طريقًا لإحضار معناه) بأن لا يكون للمتكلِّم إلى إحضار شيء بعينه في ذهن المخاطَب طريق سوى الإشارة الحسية؛ (كقولك) مثلًا: (بعني هذا، مشيرًا)؛ أي: في حال كونك تشير (إلى شيء لا تعرف له اسمًا ولا) تعرف له (وصفًا)؛ فإنك لا تجد حينئذ طريقًا إلى إحضاره سوى الإشارة.

(أمَّا إذا لم يتعين) اسم الإشارة (طريقًا لذلك)؛ أي: لإحضار معناه (فيكون) حينئذ اسم الإشارة (لأغراض أخرى، كـ)الأغراض التالية:

أولًا: (إظهار الاستغراب)، والاستغراب من (استغرب)؛ أي: جاء بشيء غريب، و(الاستغراب): التعجب؛ (نحو) قول أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي:

(كَـمْ عاقِـلٍ عاقِـلٍ أَعْيَـتْ مَذَاهِبُـهُ ... وجَاهِـلٍ جاهِـلٍ تَلْقَـاهُ مَرْزُوقَـا

هـذَا الَّـذِي تَـرَكَ الأَوْهَـامَ حَـائِرَةً ... وصَـيَّرَ العَـالِمَ النِّحْرِيـرَ زِنـدِيقًا)

فقوله: «كم عاقل عاقل» أي: كامل العقل مُتناهٍ فيه؛ فإن تكرار اللفظ بقصد الوصفية يُفيد ذلك، كما يقال: «مررت برجل رجل»، أي: كامل في الرجولية.

وقوله: «أعيت مذاهبه»؛ أي: أعيته وأعجزته طرقُ معاشه، فلا ينال منها إلا قليلًا.

وقوله: «جاهل جاهل» أي: كامل الجهل.

وقوله: «العالم النحرير» أي: المتقِن للعلوم؛ من: «نحرَ العلومَ»؛ أي: أتقنها.

وقوله: «زنديقا» أي: كافرًا نافيًا للصانع الحكيم.

فالحُكم البديع الذي اختصَّ به المشار إليه في «هذا» أول البيت الثاني هو تصيير المشار إليه الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقًا، وإنما أظهر اسم الإشارة هاهنا للاستغراب؛ لأن الإشارة به في الأصل إلى محسوس؛ ففي التعبير به عن الأمر المعقول، وهو كون العاقل محرومًا والجاهل مرزوقًا، إظهاره في صورة المحسوس؛ فكأنه يقول: «هذا المتعين الذي صار كالمحسوس هو المختص بهذا الحكم البديع العجيب؛ وهذا أمر مستغرب جدًّا».

(و**ثانيًا**: يُستعمل اسم الإشارة لـ(كمالِ العناية به) أي: بالمشار إليه المعبَّر عنه به، وتلك العناية والاهتمام إما للتعظيم أو الإهانة حسب ما يرد عليه من صفة مدح أو ذم، على وجه لا يتطرق إلى عظمته أو ذلته التباس أصلًا؛ (نحو) قول الفرزدق في مدح زين العابدين:

(هذا الَّذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطأَتَهُ والبيتُ يَعْرِفُهُ والْحِلُّ والحَرَمُ)(١)

ومعنى البيت: هذا الممدوح الممتاز عما عداه الذي تراه رأي العين اختص بحكم لا يشترك فيه غيره، وهو كونه في الفضائل بحيث يعرفه ما ليس له روحٌ وعقل فضلًا عن ذوي العقول.

❁❁❁

٣- وبيانِ حاله في القرب والبعد، نحو: «هذا يوسف» و«ذاك أخوه» و«ذلك غلامه».

٤- والتعظيم، نحو: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، و﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البَقَرَة: ٢].

٥- والتحقير نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء:٣٦]، ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [الماعون:٢].

(و)ثالثًا: يُستعمل اسم الإشارة لـ(بيان حاله) أي: حال المشار إليه (في القرب والبعد) والمراد بالقرب هاهنا مقابل البعد فيشمل التوسط أيضًا؛ فالقرب (نحو: هذا يوسفُ)؛ فهو مثال القرب الحقيقي، (و)مثال التوسط: (ذاك أخوه) وهو مثال القرب الإضافي؛ أي بالنسبة إلى البعد، (و)مثال البعد: (ذلك غلامه).

(و)رابعًا: يُستعمل اسم الإشارة لغرض (التعظيمِ) بسبب دلالته على القرب أو البعد.

---

(١) فـ(البطحاء): مكة المكرمة، و(الوطأة): موضع القدم، وهي أيضًا كالضغطة، و(الحِلّ): ما جاوز الحرم من أرض مكة، ويقابله الحرم؛ فإذا أُطلق أُريد به حرم مكة المكرمة، وهي مواضع معروفة محددة بنوع من العلاقة وخارجها الحِلّ.

أما الأول؛ فلأن عظمة الشيء يقتضي التوجه إليه والتقرب منه (نحو) قوله تعالى: (﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩])، فقد أورد هاهنا اسم الإشارة الموضوع للقرب قصدًا لتعظيم القرآن، وإشعارًا بأنه مع قربه قد بلغ في كماله بحيث لا يُدرَك إلا بالإشارة.

(و) أما الثاني فوجه ذلك أن البعيد مسافة لكونه لا يُنال بالأيدي شأنه العظمة؛ فنُزِّل عِظم درجة المشار إليه، وشرف منزلته بمنزلة بُعد المسافة؛ نحو قوله تعالى: (﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البَقَرَة: ٢])، أي: ذلك الرفيع المنزلة في البلاغة، العزيز المرتبة في علومه وأسلوبه، هو الكتاب الكامل الذي يستحق أن يُسمَّى كتابًا حتى كأنه لا كتاب سواه.

(و)خامسًا: يُستعمل اسم الإشارة لغرض (التحقيرِ)؛ فاسم الإشارة كما يؤتى به بسبب دلالته على القرب والبعد لقصد تعظيم المشار إليه بالوجه الذي ذُكِر؛ فكذلك قد يُؤتى به بسبب هذه الدلالة لقصد تحقيره؛ فيُحمل القرب على دنوّ المرتبة وسفالة الدرجة، والبعد على البعد عن ساحة الحضور والخطاب؛ (نحو) قول الكفرة مشيرين للنبي ﷺ: (﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦])، فمقصودهم -لعنة الله عليهم- بإيراد اسم الإشارة المُفهِم للقرب تحقير شأنه ﷺ، ونحو قوله تعالى: (﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [المَاعون: ٢])، أي: فذلك البعيد لحقارته يدُعّ اليتيم، فقد عبر باسم الإشارة الموضوع للبعد قصدًا لحقارته، ومعنى (يدُعُّ): يدفع دفعًا بعنف وجَفْوَة؛ أي: يدفع اليتيم عن حَقِّهِ دفعًا شديدًا.

❁❁❁

الاسم الموصول:

وأما الموصول فيؤتى به إذا تَعَيَّنَ طريقًا لإحضار معناه، كقولك: «الذي كان معنا أمس مسافر»، إذا لم تكن تعرف اسمه، أما إذا لم يتَعَيَّنْ طَرِيقًا لذلك فيكون لأغراض أخرى:

١- كالتعليل، نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

٢- وإخفاء الأمر عن غير المخاطب، نحو:

وأخَذْتُ مَا جادَ الأمِيرُ بِهِ ... وَقَضَيْتُ حاجَاتِي كَمَا أهْوَى

٣- والتنبيه على الخطأ، نحو:

إِنَّ الذين تُرَونَهُمْ إخْوانَكُم ... يَشْفِي غليلَ صُدُورِهِمْ أنْ تُصْرَعُوا

(وأما) الاسم (الموصولُ)، وهو من الأسماء المُبهَمة؛ ولذا فهو محتاج إلى الصلة دائمًا؛ فالصلة هي التي تُزيل إبهامه، ألا ترى: أنك إذا قلتَ: «جاء الذي» فكأنك لم تقل شيئًا، فإذا قلت: «علَّم ولَدَك» فإن هذه الصلة بددت هذا الإبهام، والتعريف بالاسم الموصول دقيق المسلك يحتاج إلى غوْص، ويتطلب إعمالَ فكر.

والأغراض التي يؤتى من أجلها بالاسم الموصول كثيرة، تُدرك بالقريحة الجيدة والحس المرهف؛ (فيُؤتَى به)؛ أي: بالاسم الموصول (إذا تعيَّن) هذا الاسم (طريقًا لإحضار معناه)؛ بألا يكون للمتكلم عِلم سوى اتصافه بمضمون جملة، هي الصلة؛ فإذا رأيت عند صديقك شخصًا ما، ولكنك لا تعرفه، وأراد صديقك أن يذكر لك شيئًا منه فإنه لا وسيلة لهذه المعرفة إلا بالاسم الموصول، فيقول لك: الذي كان معنا أمس رجل فاضل.

و (كقولك) مثلًا: (الذي كان معنا أمسِ) قد (سافرَ) تقول ذلك (إذا لم تكن تعرف اسمه) ولا أحواله المختصة به سوى الصلة.

(أما إذا لم يتعين) الاسم الموصول (طريقًا لذلك)؛ أي: لإحضار معناه (فيكون) الاسم الموصول (لأغراضٍ أخرى؛ كـ)الأغراض التالية:

أولًا: (التعليل): بأن يكون التعبير عن المخبَر عنه بالموصول بصلته مشعرًا بعلة ثبوت الخبر للمخبَر عنه؛ وذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧])؛ فهذا التعبير مُشعِرٌ بأن إيمانهم وأعمالهم الصالحات عِلّة لكون الجنات لهم.

(و)**ثانيًا**: يؤتى بالاسم الموصول لـ(إخفاءِ الأمر عن غير المخاطَب) حيث لا يعرفه على وجه انتساب الصلة إلا المخاطَب؛ فإذا أراد المتكلِّم أن لا يَعرف أحد هذا الأمر إلا المخاطَب فيؤتى باسم الموصول (نحو) قول الشاعر:

(وأَخَــذْتُ مَــا جــادَ الأَمِيــرُ بِــهِ وَقَـضَيْتُ حاجَـاتِي كَمَـا أَهْـوَى)[١]

والتعبير عن هذا الشيء الذي جاد به الأمير بالموصول بصلته لإخفائه عن غير المخاطَب من الحاضرين؛ حيث لا يعرفه على هذا الوجه إلا المخاطَب.

(و)**ثالثًا**: يُؤتى بالاسم الموصول لغرض (التنبيهِ) أي: تنبيه المتكلِّم للمخاطَب (على الخطأ)؛ أي: على خطأ المخاطَب وغلطه، (نحو) قول عبدة بن الطيب يَعظُ بَنِيه:

(إِنَّ الــذين تُــرَونَهُمْ إخْــوانَكُم يَشْفِي غليلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا)[٢]

---

(١) فقوله: «جاد به» أي: تكرَّم بإعطائه.

(٢) فقوله: «تُرونهم» بصيغة المجهول، والمعنى على البناء للفاعل: تظنونهم؛ لأن استعمال «الإراءة» بمعنى الظن بصورة المبني للمجهول، وإن كان المعنى على البناء للفاعل. وقوله: «غليل صدورهم» أي: عطش قلوبهم وحقدهم.

وقوله: «أن تُصرَعوا» أي: تُصابوا وتهلكوا بالحوادث؛ ففي هذا التعبير من التنبيه على خطئهم في هذا الظن ما ليس في قولك لو قلتَ: «إن القوم الفلاني يشفي غليل صدورهم أن تُصرعوا».

❁❁❁

٤- وتفخيم شأن المحكوم به، نحو:

إِنَّ الّذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا   بَيْتًا دَعَائِمُهُ أعَزُّ وَأَطْوَلُ

٥- والتهويل تعظيمًا وتحقيرًا، نحو: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]، ونحو: «من لم يَدْرِ حقيقةَ الحال قال ما قال».

٦- والتهكم، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦].

(و)رابعًا: يُؤتى بالاسم الموصول لـ (تفخيمِ شأن المحكوم به)وتعظيمه من جهة إسناده إلى ذلك الموصول بصلته (نحو)قول الفرزدق:

(إِنَّ الَّذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا   بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ)(١)

فالإتيان بالموصول مع صلته وإسناد المحكوم به إليه يدل على فخامة شأن المحكوم به؛ لكونه رفع السماء التي لا بناءَ أعظم وأرفع منها في مرأى العين.

(و)خامسًا: يُؤتى بالاسم الموصول لغرض (التهويلِ تعظيمًا أو تحقيرًا)أي: تهويل معناه لقصد تعظيمه أو تحقيره؛ فقصد تعظيمه (نحو)قوله سبحانه وتعالى: (﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨])؛ فإن في هذا الإبهام الكائن في الموصول من التهويل والتعظيم ما لا يخفى لما فيه من الإيماء إلى أن تفصيله تقصُر عنه العبارة.

---

(١) فقوله: «سمك السماء»؛ أي: رفعها. وقوله: «بنى لنا بيتًا»؛ أي: بيت الشرف والمجد. وقوله: «دعائمه»؛ أي: قوائم ذلك البيت. وقوله: «أعز» من العزة بمعنى المَنَعَة. وقوله: «أطول» من الطَّوَل بالفتح بمعنى القوة، أو من الطُّول بالضم ضد القِصَر.

(و) قصد تحقيره (نحو) قولك: (مَن لم يدرِ حقيقةَ الحال قال ما قال).

فالموصول في قوله: «قال ما قال» يدل على أنه بلغ من التحقير غاية لا تُدرَك ولا تفي العبارة بتفصيلها.

(و) سادسًا: يُؤتى بالاسم الموصول لغرض (التهكُّم) والسخرية، (نحو) قوله تعالى حكاية عن الكفار: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦])؛ فإن قولهم: (الذي نُزِّلَ عليه الذكر)، إنما هو على وجه التهكم والاستهزاء منهم، كما قال في فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

❁❁❁

المُحلَّى بـ«أل»:

وأما المحلى بـ«أل» فيؤتى به إذا كان الغرضُ الحكايةَ عن الجنس نفسه، نحو: «الإنسان حيوان ناطق»، وتسمى «أل جنسية». أو الحكايةَ عن معهود من أفراد الجنس، وعهدُه إما بتقديم ذكره، نحو: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥-١٦]، وإما بحضوره بذاته، نحو: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وإما بمعرفة السامع له، نحو: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وتسمى «أل عهدية».

أو الحكايةَ عن جميع أفراد الجنس، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، وتسمى «أل استغراقية»، وقد يُرَادُ بـ«أل» الإشارةُ إلى الجنس، في فَرْدٍ ما نحو:

(وَلَقَدْ أَمُرُّ على اللئيمِ يسُبُّنِي فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِينِي)

وإذا وقع المحلى بـ«أل»خبرًا أفاد القصر، نحو: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

(وأما) الاسم (المُحلَّى بأَلْ فـ)إنه (يُؤتى به إذا كان الغرضُ) من الكلام (الحكايةَ عن الجنس نفسه)؛ أي: من غير اعتبار لما صَدَق عليه من الأفراد، ولكن لا بد فيه من اعتبار حضور الحقيقة الجنسية في الذهن؛ ليتميز عن اسم الجنس النكرة، فإن الغرض منه وإن كان هو الحكاية عن الجنس من حيث هو لكن لا باعتبار كونه حاضرًا في الذهن، (نحو) قولهم: (الإنسان حيوان ناطق).

فإن المراد بلفظ (الإنسان) نفس معناه الجنسي ومفهومه الذهني لا فرد من أفراده؛ لأن التحديد إنما يكون للحقيقة نفسها لا لأفرادها، (وتُسمى) هذه: (أَلْ جنسية) وأيضا تُسمى (أل طبعية)؛ فالحاصل أن الغرض الأصلي هاهنا: الحكاية عن الجنس نفسه من غير اعتبار لما صَدَق عليه من الأفراد.

(أو) يؤتى بالمُحلى بـ(أل) إذا كان الغرض (الحكايةَ عن) فرد (معهود) بين المتكلِّم والمخاطَب (من أفراد الجنس) واحدًا كان أو أكثرَ، (وعهدُهُ) المفاد باللام

(إما بتقدم ذِكْره) فيكون هذا الذكر طريقَ العهد لكونه قرينةً؛ (نحو) قوله تعالى: (﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾) الخطاب لأهل مكة أو لكفار قريش أو لجميع الكفار (﴿رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾) يعني موسى عليه السلام (﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾) الذي أرسلناه إليه وكذَّبه ولم يؤمن بما جاء به (﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦])؛ أي: شديدًا ثقيلًا غليظًا، فذَكَر الرسول أولًا مُنكَّرًا بإرادة بعض الرسل، ثم لما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل «أل العهدية»؛ إشارة إلى المذكور بعينه.

(وإما) أن يُؤتى بالمحلى بـ(أل) إذا كان الغرض الحكاية عن معهود من أفراد الجنس (بحضوره بذاته)؛ فيكون هذا الحضور طريق عهده (نحو) قوله تعالى: (﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]) فاليوم إشارة إلى اليوم الحاضر بذات المعهود في الخارج.

(وإما) أن يُؤتى بالمحلى بـ(أل) إذا كان الغرض الحكاية عن معهود من أفراد الجنس (بمعرفة السامع له) بواسطة القرائن، فتقوم هذه المعرفة مقام ذكره؛ (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]) أي: المعلومة لك، (وتُسمى ألْ عهديةً) أي: عهدية خارجية.

(أو) يؤتى بالمحلى بـ(أل) إذا كان الغرض (الحكايةَ عن جميع أفراد الجنس) وذلك بأن يُشار بـ«أل» إلى كل فرد مما يتناوله الجنس بحسب الوضع، (نحو) قوله تعالى: (﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢])؛ فقد أُشير فيه إلى كل فرد من أفراد جنس الإنسان بدليل الاستثناء، وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣]؛ لأن شرط الاستثناء المتصل -الذي هو الأصل في الاستثناء- دخول المستثنى في المستثنى منه قطعًا، وهذا الشرط لا يتحقق إلا بالعموم وإرادة الجميع، وتُسمى (أل): استغراقية حقيقية.

أو يؤتى بالمحلى بـ(أل) إذا كان الغرض الحكاية عن كل فرد مما يتناوله الاسم بحسب متفاهَم العرف؛ نحو: «جمع الأميرُ الصاغة» أي: صاغة بلده أو مملكته؛ لأن هذا هو المفهوم عرفًا، لا صاغة الدنيا (وتسمى (ألْ): استغراقيةً) عرفية.

(وقد يُرادُ بـ(أل) الإشارةُ إلى الجنس) لكن لا لقصده من حيث هو؛ بل من حيث تحققه (في) ضمن (فردٍ مَا)؛ وذلك (نحو) قول عميرة بن جابر الحنفي:

(وَلقَدْ أَمُرُّ على اللئيمِ يسُبُّني ... فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِيني)[١]

فالمراد بـ(اللئيم) جنسه في ضمن فَرْدٍ ما؛ وذلك لأن المرور إنما يُتصوَّر على الأفراد الخارجية لا على حقيقة الجنس من حيث هي، ولذا كان في المعنى كالنكرة وعومل معاملتها، وصح وصفه بالجملة.

(وإذا وقع) الاسم (المحلى بألْ) أي: بأي قسم من الأقسام المذكورة (خبرًا أفاد القصرَ)؛ أي: أفاد قصر ذلك الخبر على المبتدأ؛ سواء كان هذا القصر تحقيقًا بأن لا يوجد في غير ذلك المبتدأ المقصور عليه (نحو) قوله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]) أي: لا يوجد ذلك المعنى المذكور في الخبر في غير ذلك المبتدأ المقصور عليه، أو مبالغة لكماله في المقصور عليه، فيُعدُّ وجوده في غيره كالعدم، نحو: «زيد الشجاع» أي: هو الكامل في الشجاعة، حتى إن شجاعة غيره كالعدم لقصورها فيه عن رتبة الكمال، فكأنها مقصورة على زيد.

❁❁❁

(١) فـ«أمُر» بمعنى: أمضي، وعبر به للدلالة على تحقق إعراضه عنه. وقوله: «ثمت» هي (ثُمَّ) العاطفة وإذا كانت مع التَّاء اخْتُصَّت بعطف الْجمل. وَقَوله: «لا يعنيني»؛ أي: لا يهمني، أو بمعنى لَا يقصدني.

المضاف لمعرفة:

وأما المضاف لمعرفة فيؤتى به إذا تعَيَّنَ طريقًا لإحضار معناه أيضًا، كـ«كتاب سيبويه»، و«سفينة نوح». أما إذا لم يتعين لذلك فيكون لأغراض أخرى:

١- كتَعَذُّرِ التّعداد أو تعسره، نحو: «أجمع أهل الحق على كذا» و«أهل البلد كرام».

٢- والخروجِ من تبعة تقديم البعض على البعض، نحْو: حضر أمراء الجند.

٣- والتعظيم للمضاف، نحو: «كتاب السلطان حضر»، أو المضاف إليه، نحو: «هذا خادمي» أو غيرهما، نحو: «أخو الوزير عندي».

٤- والتحقير للمضاف، نحو: «هذا ابن اللص»، أو المضاف إليه، نحو: «اللص رفيق هذا»، أو غيرهما، نحو: «أخو اللص عند عمرو».

٥- والاختصارِ لضيق المقام، نحو:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانين مُصْعِدٌ ... جَنِيبٌ وجُثْمَانِي بِمَكّةَ مُوثَقُ

بدل أن يقال: «الذي أهواه».

الإضافة: هِيَ نسبَةٌ تَقْييدِيَّة بين اسمين تُوجِب لثانيهما الجَرَّ مطلقًا، ويُسمَّى الاسم الأول في الإضافة مضافًا، والاسم الثاني مضافًا إليه، ويُعْرَب المضاف بحسب موقعه في الجملة، ويكون المضاف إليه مجرورًا دائمًا، ثم الإضافة على قسمين: لفظية ومعنوية؛ فالأولى: تُفيد التخفيف فقط، والثانية: تُوجِب تعريف المضاف إذا كان المضاف إليه معرَّفًا؛ وإلا فتُفيدُ التخصيص.

(وأما المضاف لمعرفةٍ) من المعارف المذكورة (فيُؤتى به إذا تعيَّن طريقًا لإحضار) المتكلّم (معناه أيضًا) في ذهن السامع (كـ) قولهم: (كتاب سيبويه و) قولهم: (سفينة نوح عليه السلام)؛ إذا لم يكن لإحضاره طريق سوى الإضافة.

(أما إذا لم يتعين) المضاف (لذلك)؛ أي: لم يتعيَّن طريقًا لإحضار معناه (فيكون لأغراض أخرى كـ)الأغراض التالية:

أولًا: (تعذُّر التعداد أو تعسره)؛ فإذا تعذَّر أو تَعَسَّر التعداد فيُؤْتَى بالإضافة لإغنائها عن التعداد والتَّفْصِيل (نحو) قولهم: (أجمع أهل الحق على كذا) فإنه يتَعَذَّرْ كل مَن كان على الحق وتسميتهم، (و)نحو: (أهل البلد كرام) فتعداد أهل البلد وتسميتهم ولو أمكن؛ مُتَعَسِّرٌ قطعًا.

(و)ثانيًا من دواعي التعريف بالإضافة: (الخروج من تَبِعَة تقديم البعض على البعض) ودفْع الحرج الناشئ من ذلك التقديم؛ بأن يُورِث التقديم عداوة أو أذى (نحو) قولك: (حضر أمراء الجند) فإنه لو قيل: (فلان وفلان)، تُوُهِّمَ منه تعظيم بعضهم على بعضهم بالتقديم، وفيه غيظ المتقدَّم عليه.

(و)ثالثًا من دواعي التعريف بالإضافة: (التعظيم للمضاف) والتشريف له؛ (نحو) قولهم: (كتاب السلطان حضر). ففي إضافة الكتاب إلى السلطان تعظيمُ الكتاب الذي هو المضاف بأنه كتاب السلطان، (أو) القصد تشريف (المضافِ إليه)؛ وذلك (نحو) قولك: (هذا خادمي) فإن في إضافة الخادم إلى ياء المتكلم تعظيمَ المتكلم نفسه بأن له خادمًا، (أو) يكون التشريف لـ(غيرِهما)؛ أي: غير المضاف والمضاف إليه، (نحو) قولك: (أخو الوزير عندي) ففي الإخبار بعِنديَّة أخي الوزير للمتكلِّم تعظيمٌ للمتكلِّم بأن أخا الوزير لديه، وهو غير المضاف والمضاف إليه.

(و)رابعًا من دواعي التعريف بالإضافة: (التحقير للمضاف)؛ وذلك (نحو) قولهم: (هذا ابن اللص) تحقيرًا للمضاف بأنه ابن اللص، (أو) تحقير (المضافِ إليه)؛ وذلك (نحو) قولك: (اللص رفيق هذا) تحقيرًا للمشار إليه بهذا الذي هو المضاف بكون اللص رفيقه، (أو) تحقير (غيرِهما)، أي: غير المضاف والمضاف

إليه، (نحو) قولك: (أخو اللص عند عمرو) تحقيرًا لِعَمْرو بأن أخا اللص جليسه، وهو غير المضاف والمضاف إليه.

(و) خامسًا من دواعي التعريف بالإضافة: (الاختصار)؛ أي: في مقام يُناسبه الاختصار (لضيق المقام)، فإذا ضاق المقام عن التفصيل بسبب من الأسباب؛ ناسَبَ هنا الاختصار (نحو) قول جعفر الحارثي:

(هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانين مُصْعِدٌ ... جَنِيبٌ وجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ)[1]

فقوله: «هواي» هو المقصود بالتمثيل، ووجه اختياره أنه قيل: (هواي) (بَدَلَ أن يُقال: الذي أهواه) ونحو ذلك؛ للاختصار، فإن الاختصار هو المطلوب هاهنا لضيق المقام؛ لأنه قاله حالَ كونه في السجن، والحبيب على وشك الرَّحِيل، وهو حال ضِيق الصدر وفرْط الضجر، فاختار الاختصار لعدم الارتياح إلى الإكثار.

❁❁❁

(١) فقوله: «هواي» أي: مهوي ومَحْبُوبي. وقوله: «اليمانين» جمع يمان، وأصله يمانيّ نسبة لليمن. وقوله: «مُصعِد» من أصعد في الأرض؛ أي: سار ومضى فيها. وقوله: «جنيب»؛ أي: مجنوب مستتبع. وقوله: «جثماني بمكة موثق»؛ أي: جسمي وشخصي بمكة مقيَّدٌ.

المنادَى:

وأما المنادى؛ فَيُؤْتَى بِهِ إذا لم يُعْرَفْ للمخاطب عُنْوَانٌ خاص، نحو: «يَا رَجُـل»، و«يا فَتًى».

وقد يُؤْتَى به للإشارة إلى عِلَّة ما يطلب منه، نحو: «يا غُلَام أَحْـضِرِ الطَّعَـامَ»، و«يا خادم أَسْرِجِ الْفَرَسَ»، أو لغرض يمكن اعتباره هاهنا مما ذكر في النداء.

(وأما المنادى فـ)إنه (يُؤتى به إذا لـم يُعرَفْ للمخاطَب عُنْوَانٌ خاصٌّ) وكان الغرض طلب إقباله؛ فيُنادَى بعنوان عام؛ (نحو: يا رجلُ)، و: يا تلميذ، (و: يا فتى) إشارة إلى حصة مُعَيَّنَة من ذلك العنوان العام، فهو في التعريف بمنزلة اللام في العهد الخارجي.

(وقد يؤتى به)؛ أي: بالمنادَى (للإشارة إلى عِلَّة ما يُطلَب منه)؛ أي: من هذا المنادَى (نحو) قولك: (يا غلام أحضر الطعام. و)نحو قولك: (يا خادم أسرِجِ الفَرَس) ففي النداء بهذا العنوان إشارة إلى أن طلب إحضار الطعام وإسراج الفرس منهما لكونهما سببين للإحضار والإسراج.

(أو) يؤتى بالمنادى (لغرض يمكن اعتباره هاهنا مما ذُكِرَ في) الكلام على (النداء) في بحث الإنشاء وبيان أحواله كما علمت سابقًا.

❁❁❁

ثانيًا: التنكير:

وأما النكرة فيؤتى بها إذا لم يُعلَم للمحكيّ عنه جهةُ تعريف، كقولك: «جاء هاهنا رجل» إذا لم يُعرَف ما يُعَيِّنُهُ من عَلَمٍ، أو صِلَة، أو نحوهما.

وقد يؤتى بها لأغراض أخرى:

١- كالتكثير والتقليل، نحو «لفلان مال»، و﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة ٧٢] أي: مال كثير، ورضوان قليل.

٢- والتعظيم والتحقير، نحو:

لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ ... وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبُ

(وأما النكرة فـ) إنه (يؤتى بها)؛ أي: بالنكرة (إذا لم يعلم للمحكي عنه جهة تعريف)، وحاصل الكلام أن عدم المعرفة على قسمين:

القسم الأول: جهة تعريف حقيقية.

القسم الثاني: جهة تعريف ادعائية.

فالمتكلم إذا لم يعلم للمحكي عنه جهة تعريف حقيقة أو ادعاء؛ أي: لم يعلم جهة تعينه من علم أو صلة فيُؤْتَى بالنكرة.

مثال الأول: (كقولك: جاء هاهنا رجل) فيكون التنكير هاهنا لعدم قدرة المتكلم على أزيد من ذلك؛ أي: (إذا لم يعرف ما يُعَيِّنُه)؛ أي: يعين هذا الرجل (مِنْ عَلَم أو صلة أو نحوهما).

ومثال الثاني الذي هو الادعاء، وذلك بأن تتجاهل وتريد تَخْييل أنك لا تعرف منه إلا جنسه، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ﴾ [سبأ: ٧]؛ فنكَّرُوه ﷺ مع أنه ﷺ كان أشهر عندهم من الشمس؛ تجاهلًا، كأنهم لم يكونوا يعرفون منه عليه الصلاة والسلام إلا أنه رجل ما.

فالتنكير هو ما شاع في جنسه دون أن يدل على معيَّن، هذا هو حقيقة التنكير، (وقد يؤتى بها)؛ أي: بالنكرة (لأغراض أخرى) تُستفاد منه، ويدل عليها التنكير وهي تُستفاد من السياق لا من التنكير وحده، فالسياق هو الذي يدلك على المراد من هذا التنكير، وهذه الأغراض (كـ)ما يلي:

أولًا من دواعي التنكير (التكثير والتقليل) أي: كإفادة تكثير معناه وتقليله لمناسبة المقام ذلك التكثير أو التقليل، (نحو) قولهم: (لِفلان مالٌ، و)نحو قوله سبحانه وتعالى: (﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢])؛ فالتنكير في الأول للتكثير، وفي الثاني للتقليل على ما يقتضيه المقام. (أي): له (مال كثير، ورضوان قليل) من الله أكبر من كل شيء.

(و)**ثانيًا** من دواعي التنكير: (التعظيم)، والمراد به ارتفاع الشأن (والتحقير)، والمراد به انحطاط الشأن إلى حد لا يمكن معه أن يُعرَف.

والفرق بين التعظيم والتكثير: أن التعظيم راجعٌ إلى رفعة الشأن، والتكثير راجع إلى الكميات في المقادير والأعداد، وكذا الفرق بين مقابليهما، وهما التحقير والتقليل؛ أن الأول يرجع إلى الامتهان ودناءة القدر، والثاني إلى قلة الأفراد والأجزاء.

والتنكير للتعظيم أو التحقير (نحو) قول ابن أبي السمط:

(لَهُ حاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ   وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ العُرْفِ حَاجِبُ)(١)

فإن التنكير في الحاجب الأول للتعظيم، وفي الثاني للتحقير؛ لأن مقام المدح يقتضي أن الحاجب، أي: المانع عن كل ما يعيب الممدوح؛ عظيم، والحاجب عن المعروف والإحسان ينسلب حقيره فكيف بعظيمه!

---

(١) فيشينه أي: يعيبه. والحاجب الأول هو أيّ حاجب. والحاجب الثاني المراد به: ليس له حاجب ما.

٣- والعموم بعد النفي، نحو: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]؛ فإن النكرة في سياق النفي تَعُمّ.

٤- وقصد فرد معين، أو نوع كذلك، نحو: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥].

٥- وإخفاء الأمر، نحو: «قال رجل: إنك انحرفت عن الصواب»، تُخْفِي اسمَه حتى لا يلحقه أذى.

(و) ثالثًا من دواعي التنكير: (العموم بعد النفي) فالقاعدة المُسلَّمة أن النكرة في سياق النفي تعم؛ ضرورة أن انتفاء فرد مبهم لا يكون إلا بانتفاء جميع الأفراد؛ فإذا وقعت النكرة بعد النفي يعم معنى تلك النكرة؛ بأن ينسحب عليها حكم النفي؛ وذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ [المَائدة: ١٩])؛ لأن معناه: (ما جاءنا أحد من بشير) على أنه سلب كلي؛ (فإن النكرة في سياق النفي تعم) كما قُرِّر.

(و) رابعًا من دواعي التنكير: (قصدُ فردٍ معيَّن)؛ أي: شخص معين من حيث صدق مفهوم الجنس والنكرة عليه، وليس المراد بالمعيَّن المتعيِّن في الخارج حتى يكون منافيًا لكون النكرة موضوعة للوحدة الشائعة المبهمة لا للوحدة المخصوصة المعينة.

(أو) أي: ومن دواعي التنكير قصد (نوعٍ كذلك) أي: نوع معين من أنواع اسم الجنس المنكَّر، وذلك لأن التنكير كما يدل على الوحدة شخصًا فكذلك يدل على الوحدة نوعًا.

وذلك (نحو) قوله تعالى: (﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]) أي: كل فرد مما يصدق عليه الدابة من نوع من الماء مختص بجنس تلك الدابة.

(و)خامسًا من دواعي التنكير (إخفاء) المتكلِّم (الأمرَ) عن المخاطَب (نحو قولك: (قال رجلٌ: إنك انحرفت عن الصواب). فأنت (تُخْفِي اسمَه)؛ أي: اسم قائل ذلك (حتى لا يلحقه أذى) من المخاطَب؛ إذ لو قلت: (قال زيد كذا) لكاد يتضرر من المخاطَب.

الباب الخامس
في الإطلاق والتقييد

معنى الإطلاق والتقييد:

إذا اقتصر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه، فالحكم مطلق، وإذا زيد عليهما شيء مما يتعلق بهما، أو بأحدهما فالحكم مُقَيَّد.

والإطلاق يكون حيث لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بِوَجْهٍ من الوجوه؛ ليذهب السامع فيه كلَّ مذهب ممكن.

والتقييد حيث يتَعَلَّق الغرض بتقييده بوجه مخصوص، لو لم يْرَاعَ تفوت الفائدة المطلوبة.

ولتفصيل هذا الإجمال نقول: إن التقييد يكون بالمفاعيل ونحوها، والنواسخ، والشرط، والنفي، والتوابع، وغير ذلك.

أما المفاعيل ونحوها فالتقييد بها يكون لبيان نوع الفعل، أو ما وقع عليه أو فيه أو لأجله، أو بمقارنته، أو بيان المبهم من الهيئة أو الذات، أو بيان عدم شمول الحكم، وتكون القيود محط الفائدة، والكلام بدونها كاذبًا، أو غير مقصود بالذات، نحو: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦].

التقييد:

هو ذِكر المفاعيل والجار والمجرور مع الفِعل، نحو: (رَكَضَ خوفًا منه)، فقولنا: (خوفًا منه) تقييد لِفعل الركض، وكذلك من التقييد ذكرُ الإضافة والحال والتمييز والاستثناء، والجار والمجرور مع الفاعل، نحو: (حضر القاضي إلى القاعة)، وضدُّه الإطلاقُ؛ فـ(إذا اقتُصِرَ في الجملة) والتي تتكون في الأصل من ركنين: مُسند إليه ومُسند (على ذِكرِ المسنَد والمسنَد إليه) فقط وقُطِعَ النظر عن تعلقهما بمتعلقاتهما؛ (فالحكم) حينئذ (مُطلق)؛ نحو: (حضر القاضي).

(و)أما (إذا زِيد عليهما)؛ أي: على ركنيِ الجملةِ (شيءٌ مما يتعلق بهما)؛ أي: بهذين الركنين، (أو) مما يتعلق (بأحدهما) ولوحظ تعلقُهما أو تعلقُ أحدهما به، (فالحكم) حينئذ (مقيد).

والحاصل أن للجملة ركنين: المسند إليه والمسند، وما بقي ما عدا هذين الركنين يُسمى (قيدًا)، سواء أكان شرطًا أم غير شرط، أو التوابع أو المفاعيل أو النفي.

(و)هذا بيانٌ لمعنى المطلَق والمقيد، وأما بيان مقامهما فـ(الإطلاق)، أي: إطلاق ركني الجملة عن القيود (يكون حيث لا يتعلق الغرضُ)، أي: في حال كون الغرض من الجملة لا يتعلق (بتقييدِ الحكم) الذي تقتضيه (بوجه من الوجوه)، وذلك (ليَذْهب السامع) لهذه الجملة (فيه)، أي: في هذا الغرض (كلَّ مذهَب ممكن) ويجوز تعلقُه بكل ما يمكن تعلقه به.

(و)أما (التقييد) فيكون (حيث يتعلق الغرض) من هذه الجملة (بتقييده)؛ أي: تقييد الحكم (بوجه مخصوص) من الوجوه التي سيأتي ذكرُها بحيث (لو لم يُرَاعَ) ذلك التقييد (تفوت الفائدةُ المطلوبة)؛ فإن ذلك التقييد يدل على أن المطلوب ليس هو ما يفيد الحكم فقط؛ بل هو مع زيادة ما يُفيده ذلك التقييد، فلو لم يُراعَ ذلك التقييد لم يحصل ما هو المطلوب من الفائدة.

(ولتفصيل هذا الإجمال) السابق عن بيان مقام الإطلاق والتقييد (نقول) ما يلي:

مُقيدات ركني الجملة:

(إن التقييد) لركني الجملة أو أحدهما (يكون بـ) عدة مقيِّدات: وهي:

أولًا: (المفاعيل) كالمفعول به والمفعول لأجله، والمفعول المطلق وغيرها، (ونحوها) كالحال والتمييز والاستثناء.

(و)ثانيًا: (النواسخ) وهي الكلمات التي تدخل على المبتدأ والخبر فتنسخهما، أي تُغير حركة إعرابهما، وهي: كان وأخواتها، وكاد وأخواتها، والأحرف المشبَّهة بـ «ليس»، و«لا» النافية للجنس، و«ظن» وأخواتها.

(و)ثالثًا: (الشرط).

(و)رابعًا: (النفي).

(و)خامسًا: (التوابع)، (وغير ذلك) مما يصح التقييد به.

أولًا: المفاعيل:

(أما المفاعيل) وهي تسمية تشمل المفعول به والمفعول المطلق، والمفعول له والمفعول معه (ونحوها) كالحال والاستثناء والتمييز، (فالتقييد بها)؛ أي: تقييد الفعل بالمفاعيل قد (يكون لـ)أمور:

الأول: (بيان نوع الفعل)، كما في المفعول المطلق الذي يكون لبيان النوع؛ نحو: (أكرمتُ إكرامَ أهل الحسب)، وإنما خُص الكلام بهذا القسم من المفعول المطلق -أي: الذي يكون لبيان النوع-؛ احترازًا عن المفعول المطلق للتأكيد، فإن مفهومه ليس بزائد على ما يُفهَم من الفعل؛ فلا يزيد فائدته عن فائدة مطلق الحكم.

(أو) **والثاني:** بيان (ما وقع عليه) الفعل من المفعول به؛ كقولك: (حفظتُ القرآن).

(أو) **والثالث:** بيان ما وقع (فيه) الفعل من الظرف والمفعول فيه؛ نحو: (جلستُ أمامَك).

(أو) **والرابع:** بيان ما وقع (لأجله) الفعل من المفعول له، مثل: (ضربت تأديبًا).

(أو) **والخامس:** بيان ما وقع الفعل (بمقارنته) من المفعول معه، كقولنا: (سرت وطريق المدينة).

(أو) والسادس: (بيان المُبهم من الهيئة)، وذلك في الحال مثل: (ضربت قائمًا)، (أو) المبهم من (الذات) وذلك في التمييز، نحو: (طبتَ نفسًا).

(أو) والسابع: (بيان عدم شمول الحكم) كما في الوصف المخصِّص، كقولك: (جاءني رجلٌ عالم)، فإنك إذا قلتَ: (جاءني رجل)، كان شاملًا للجاهل والعالم كليهما، فإذا قلتَ: (عالم) أخرجتَ الجاهلَ؛ فيكون التقييد به لبيان عدم شمول الحكم للجاهل.

(وتكون القيودُ) المُقيَّد بها، أيّ قيودٍ كانت (محطَّ الفائدة) في الجملة، (و) يكون (الكلامُ بدونها كاذبًا أو) يكون بدونها (غيرَ مقصود بالذات) ضرورةَ أن الكلام إذا اشتمل على قيد زائد على مجرد الإثبات والنفي فهو الغرض الخاص والمقصود من الكلام؛ وذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدّخان: ٣٨])، فإن قيد (لاعبين) هو المقصود بالنفي، والكلام بدونه كاذب بالضرورة.

❁❁❁

ثانيًا: النواسخ:

وأما النواسخ فالتقييد بها يكون للأغراض التي تؤديها معاني ألفاظ النواسخ، كالاستمرار أو الحكاية عن الزمن في «كان»، والتوقيت بزمن معين في «ظَلَّ» و«بات» و«أصبح» و«أمسى» و«أضحى»، أو بحالة معينة في «دامَ»، والمقاربة في «كاد» و«كرب» و«أوشك»، واليقين في «وجد» و«ألفى» و«درى» و«تعلم»، وهَلُمَّ جرًّا.

فالجملة في هذا تنعقد من الاسم والخبر، أو من المفْعولَيْنِ فقط، فإذا قلت: «ظننت زيدًا قائمًا» فمعناه: زيدٌ قائمٌ على وجه الظن.

(وأما النواسخ) والمراد بالنواسخ هاهنا: الأفعال الناسخة لحكم المبتدأ والخبر، كـ«كان» وأخواتها، و«ظن»، وأفعال المقاربة؛ (فالتقييد) أي: فتقييد الحكم الذي في الجملة الداخلة عليها هذه النواسخ (بها) أي: بهذه النواسخ (يكون للأغراض) والمقاصد (التي تؤديها معاني ألفاظ) هذه (النواسخ)، وذلك (كـ) الأغراض الآتية:

أولًا: (الاستمرار) مطلقًا بالنسخ بفعل «كان»؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨]، (أو الحكاية عن الزمن في) النسخ بِفِعل (كان) في قولك: «كان زيد منطلقًا»، فإن تقييد الحكم فيه بـ«كان» للغرض الذي هو المراد من «كان»، وهو الحكاية عن الزمان الماضي، سواء كان مستمرًّا أو منقطعًا، فكأنك قلتَ: (زيد منطلق في الزمان الماضي).

(و)ثانيًا: (التوقيت بزمن مُعيَّن في) النسخ بفعل (ظلَّ)؛ فإن معنى «ظل»: اتصاف المخبَر عنه بالخبر نهارًا، (و)النسخ بفعل (بات)، ومعنى «بات»: اتصافُه به ليلًا، (و)النسخ بفعل (أصبح)، ومعنى «أصبح»: اتصافه به في الصباح، (و)النسخ بفعل (أمسى) ومعنى «أمسى»: اتصافه به في المساء، (و) النسخ بفعل (أضحى)، ومعنى «أضحى»: اتصافه به في الضحى.

(أو) التوقيت لأمر (بحالة معينة في) النسخ بـ(دامَ) نحو: «دام زيد مريضًا».

(و)ثالثًا: (المقاربة في) النسخ بـ(كاد، وكرب، وأوشك) من أفعال المقاربة.

(و)رابعًا: (اليقين في) النسخ بـ(وجد، وألفى، ودَرَى، وتعلم) من أفعال القلوب.

(وهلم جرًّا) إلى غير ذلك من النواسخ(١)، إلا أن التعبير: «هلم جرًّا» ليس المقصود به المعنى الحسي: أي الجَرّ أو السَّحْب، وإنما المقصود به الاستمرار على الشيء وتعميمه، نحو: «انتشر الخبر في المدرسة وهلم جرًّا»؛ أي: واستمر في الانتشار حتى وصل إلى الناس جميعًا.

(فـ)الحاصل مما مر أن (الجملة في هذا) أي: في تقييد الحكم بالنواسخ (تنعقد من الاسم والخبر) والنواسخ إنما هي تكون قيودًا للحكم فيها، وهذا في غير أفعال القلوب، (أو) تنعقد (من المفعولَيْنِ فقط) وهذا في أفعال القلوب؛ لأن المفعولَيْن فيها هما المبتدأ والخبر، وتلك الأفعال قيود، (فإذا قلتَ) مثلًا: (ظننتُ زيدًا قائمًا. فـ)إن (معناه: «زيدٌ قائمٌ» على وجه الظن) فالجملة في هذا انعقدت من المفعولين، وفِعل الظن قيدٌ للحكم.

❁❁❁

---

(١) «هلم» اسم فِعل أمر، تُستعمل لازمة ومتعدية، وتأتي بمعنى: «أقبل»، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨]، فـ«هَلُمَّ» اسم فِعْل أمر، مَبْنِي على الفتح، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا تقديره: «أنت»، وقد تُستعمل بلفظ واحد للمفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث، نحو: هَلُمَّ يا رجالُ! هَلُمَّ يا نساء! وقد يلحقون بها الضمائر، نحو: هَلُمَّ، هَلُمَّا، هَلُمِّي، هَلُمُّوا.

و«جرًّا»: هو مصدر فِعل «جر» بمعنى «سحب».

ثالثًا: الشرط:

وأما الشرط فالتقييد به يكون للأغراض التي تؤديها معاني أدوات الشرط؛ كالزمان في «متى» و«أيّان»، والمكان في «أين» و«أنى» و«حيثما»، والحال في «كيفما». واستيفاءُ ذلك، وتحقيق الفرق بين الأدوات يُذْكَر في عِلْم النحو، وإنما يفرق هاهنا بين «إن» و«إذا» و«لو» لاختصاصها بمزايا تُعَدُّ من وجوه البلاغة.

فـ«إنْ» و«إذا» للشرط في الاستقبال، و«لو» للشرط في المُضِيّ، والأصل في اللفظ أن يتبع المعنى، فيكون فعلًا مضارعًا مع «إن» و«إذا»، وماضيًا مع «لو»، نحو: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]، «وإذا تُرَدُّ إلى قليل تقنعُ»، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

(وأما الشرط فـ) إن (التقييد به)، أي: بالشرط (يكون للأغراض) والمقاصد (التي تؤديها معاني أدوات الشرط) المختلفة في مقام يقتضي تلك الأغراض؛ وذلك (كـ)ما يلي:

أولًا: غرض عموم (الزمان) في الاستقبال (في) لفظة (متى)؛ نحو: متى تأتِ أكرمْكَ، (و)في لفظة (أيان)؛ نحو: أيان تأتِ أكرمْك.

(و)ثانيًا: غرض عموم (المكان في) ألفاظ: (أين وأنى وحيثما)، نحو: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

(و)ثالثًا: غرض عموم (الحال في) لفظ (كيفما).

فيُعتبَر في كل مقام ما يناسبه من معاني تلك الأدوات.

(واستيفاءُ) الكلام في (ذلك)؛ أي: في أدوات الشرط (وتحقيقُ الفرق بينَ) هذه (الأدوات) إنما (يُذكَر في علم النحو).

وأما الأدوات التي يَذكرها البلاغيون فهي: (إن، وإذا، ولو) والحديث عنها ينحصر في مطالب ثلاثة:

* المطلب الأول: الفرق بين هذه الأدوات.

* المطلب الثاني: استعمال بعضها مكان بعض؛ حينما تدعو الحاجة لذلك.

* المطلب الثالث: الجُمل التي تدخل عليها هذه الأدوات.

(و)تفصيل ذلك أنه (إنما يُفرَّق هاهنا)؛ أي: في علم البلاغة (بين) الألفاظ الثلاثة: (إنْ، وإذا، ولوْ)؛ وذلك (لاختصاصها)؛ أي: هذه الثلاثة (بمزايا) جمع مزِيَّة بمعنى الفضيلة، وبمعانٍ لطيفة، وتلك المعاني اللطيفة (تُعَدُّ من وجوه البلاغة) ولم يتعرض لها النحويون.

(فـ)أما (إنْ وإذا) فهما (للشرط في الاستقبال)؛ بمعنى أنهما تُفيدان تعليق المتكلم في حال وقوع مضمون الجزاء بوقوع مضمون الشرط في المستقبل.

(و)أما (لو) فهي (للشرط في المُضي)، بمعنى أنها تدل على أن الجزاء كان فيما مضى بحيث يقع على تقدير وقوع الشرط.

ثم لما كان معنى «إن» و«إذا» الشرط في الاستقبال، ومعنى «لو» الشرط في المُضيّ، (و) لما كان (الأصل في اللفظ أن يَتبع المعنى) المعبَّر به عنه (فيكون) الفعل الموجود في الجملة (فعلًا مضارعًا مع) كل مِنْ لَفْظَتَي (إنْ وإذا، و) يكون فعلًا (ماضيًا مع) لفظة (لوْ)، ولا يخالف ذلك لفظًا إلا لنكتة؛ لأن الدلالة على المعنى بما يطابقه هو مقتضى الظاهر، ومخالفته بلا فائدة لا يجوز في باب البلاغة؛ وذلك (نحو) قوله تعالى: (﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩])(١)، دخلت (إن) على فعل مضارع، وكذا مع (إذا) في قول أبي ذؤيب:

---

(١) قيل: «المُهل»: ما أُذيب من جواهر الأرض، فوقع فيه مع «إن» فعل مضارع.

والنفس راغبة إذا رغَّبْتها ... وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ[1]

ومحل الاستشهاد قوله: «إذا تُرَدُّ» فدخلت «إذا» الظرفية على المضارع.

وفي قوله تعالى: (﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]) وقع الفعل الماضي مع «لو».

❁❁❁

والفرق بين «إن» و«إذا»: أَنَّ الأصل عدم الجزم بوقوع الشرط مع «إن»، والجزم بوقوعه مع «إذا»، ولهذا غلب استعمال الماضي مع «إذا»، فكأن الشرط واقع بالفعل، بخلاف «إن»، فإذا قلت: «إنْ أَبْرأ مِنْ مَرَضِي أتصدقْ بألف دينار»، كنت شاكًّا في البرء، وإذا قلت: «إذا برئتُ من مرضي تصدقتُ»، كنتَ جازمًا به أو كالجازم.

وعلى ذلك فالأحوال النادرة تُذْكَرُ في حَيِّزِ «إنْ»، والكثيرة في حَيِّزِ «إذا».

(والفرق بين) لفظتي («إنْ» و«إذا») مع كونهما تشتَرِكَان في أنهما للشرط في الاستقبال (أنَّ الأصل) هو (عدم الجَزْم)؛ أي: عدم القَطْع (بوقوع الشرط مع) حرف («إنْ»، والجَزْم)؛ أي: القطع (بوقوعه)؛ أي: وقوع الشرط (مع) لفظة(«إذا») فـ«إذا» تُستعمل فيما هو مُحقَّق الوقوع.

و«إن» تُستعمل فيما هو مشكوك، ففِعل الشرط إما أن يكون المتكلم جازمًا بوقوعه، أو يَغلب على ظنه أنه واقع، ففي هاتين الصورتين تُستعمل «إذا» تقول: آتيك إذا طلعت الشمس، ونلتقي إذا نضج الثمر، فأنت جازم بطلوع الشمس ويغلب على ظنك أن الثمر سينضج.

---

(١) فقوله: «رغبتها» بمعنى: أطْمَعْتَهَا. ومعنى البيت: النفس راغبة إلى مالٍ كثير إذا رُغِّبَت النفس إليه، وإذا تردّها وتصرِفها عن المال الكثير إلى مال قليل فتقنع وترضى به.

وقد يكون فِعل الشرط مشكوكًا فيه، والشك: ترددُ النفس بين شيئين، وقد يترجح عند المتكلم عدم الوقوع، وفي هاتين الحالتين؛ أعني: حالة تساوي الوقوع وعدمه، أو ترجيح عدم الوقوع في اجتهاد المخاطِب فتُستعمل «إن»، (ولهذا) أي: ولأجل أن الأصل في «إذا» الجزم بالوقوع وفي «إن» عدم الجزم به (غلب استعمالُ الماضي مع) لفظة (إذا) لدلالة المضي على تحقق الوقوع نظرًا إلى نفس اللفظ، وإن نُقِلَ هاهنا إلى معنى الاستقبال، (فكأنَّ الشرط واقع بالفعل)، وهو يناسب مُفاد «إذا» الذي هو الجزم بالوقوع، فناسب استعمال الماضي معها لفظًا.

وإن صار بدخولها بمعنى المستقبل؛ (بخلاف) حرف (إنْ) فتُستعمل غالبًا فيما ليس بمحقَّق، أو نادر الوقوع، وإن استُعملت في غيره فعلى سبيل الحكاية أو التأويل.

وإنما قلنا بأن ذلك هو «الأصل»؛ لأنهما قد تُستعملان على خلاف ذلك، فتُستعمل «إن» في مقام الجزم، وتُستعمل «إذا» في مقام الشك؛ لاعتبارات خطابية، لكن هذا الاستعمال ليس على الأصل الذي تُستعملان فيه بالحقيقة اللغوية.

(فإذا قلتَ) مثلًا: (إنْ أبرأ)؛ أي: أُشفى (من مرضي) هذا (أتصدقْ بألف دينارٍ. كنتَ) حينئذ (شاكًّا في البُرء)؛ أي: الشفاء، (وإذا قلتَ) مثلًا: (إذا برئتُ) أي: شُفيت (من مرضي) هذا (تصدقتُ. كنتَ) حينئذ (جازمًا)؛ أي: قاطعًا (به)؛ أي: بالشفاء منه (أو) كنت حينئذ (كالجازم)؛ أي: كالظانّ غلبةَ الظن بالشفاء؛ فإن المراد بالجزم في قولهم: إن أصل «إذا» الجزم بوقوع الشرط ما يشمل اليقين وغلبة الظن.

(وعلى ذلك) أي: على كون أصل «إن» عدم الجزم بالوقوع وأصل «إذا» الجزم بالوقوع؛ (فالأحوال النادرة) الوقوع (تُذْكَر في حَيِّزِ) حرف (إنْ، و)الأحوال (الكثيرة) الوقوع تُذكر (في حَيِّزِ) لفظة (إذا)؛ لكون النادر غيرَ مقطوع به في الغالب؛ بخلاف الكثير فإنه يُقطَع به في الأكثر.

❁❁❁

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف: ١٣١]؛ فلكون مجيء الحسنة محققًا؛ إذ المراد بها مطلق الحسنة الشامل لأنواع كثيرة، كما يفهم من التعريف بـ«أل الجنسية» ذُكِرَ مع «إذا»، وَعُبِّرَ عنه بالماضي، ولكون مجيء السيئة نادرًا؛ إذ المراد بها نوع مخصوص، كما يفهم من التنكير، وهو الجَدْب ذُكِرَ مع «إنْ»، وعُبِّرَ عنه بالمضارع، ففي الآية من وصفهم بإنكار النعم، وشدة التحامل على موسى عليه السلام ما لا يخفى.

(ومن ذلك قوله) سبحانه و(تعالى) في محكم آياته: (﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾)؛ أي: الخصلة الحسنة من الخصب بكثرة المطر وصلاح الثمار ورخاء الأسعار والسعة، والعافية والسلامة من الآفات (﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾)؛ أي: أُعطيناها باستحقاق وهي مختصة بنا، ونحن أهلها على العادة التي جرت لنا في سعة الأرزاق وصحة الأبدان، ولم يروا ذلك من فضل الله فيشكروه على إنعامه، (﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾) خصلة (﴿سَيِّئَةٞ﴾) من الجدب والقحط (﴿يَطَّيَّرُواْ﴾)؛ أي: يتشاءموا (﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]) من المؤمنين به.

(فلكون مجيء الحسنة محقَّقًا) وكثيرَ الوقوع، (إذِ المراد بها)؛ أي: بالحسنة (مطلق الحسنة الشامل لأنواع كثيرة) مثل: الخصب والرخاء ونمو المال، وكثرة الأولاد وغير ذلك من سائر أنواع الحسنات كما مر، (كما يُفهَم من التعريف)، أي: تعريف لفظ «الحسنة» (بأل الجنسية)؛ فإنه يدل على أن المراد حقيقة الحسنة، لكن لا من حيث هي لعدم وجودها في الخارج، بل من حيث تحققها في ضمن أي فرد لأي نوع؛ فلكون مجيء الحسنة محققًا (ذُكِر مع) لفظة (إذا) الدالة على الجزم، (وعُبِّر عنه بالماضي) المشعِر بتحقق الوقوع؛ لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه، (ولكون مجيء السيئة نادرًا) بالنسبة إلى الحسنة المطلقة، (إذ المراد بها)؛

أي: بالسيئة (نوعٌ مخصوص كما يُفهم من التنكير) الدال على التقليل، (وهو) أي: ذلك النوع المخصوص (الجدْب) أي: القحط واليُبس كما مر (ذُكِر مع) حرف (إنْ) الدالة على عدم الجزم بالوقوع.

(وعُبِّر عنه بالمضارع) المشعِر بعدم التحقق؛ فإن كلًّا منهما يُناسبه النادر (ففي الآية) الكريمة (من وصْفهم)؛ أي: وصف قوم موسى (بإنكار النِّعَم وشدة التحامل)؛ أي: الظلم والجور (على موسى عليه السلام ما لا يخفى)؛ فإنها تدل على أن الحسنة كثيرة الدَّور فيما بينهم، وقطعية الحصول بهم، وأن السيئة قليلة غير قطعية الوقوع بهم، وذلك من كمال فضله تعالى ورحمته، ثم هؤلاء لا يشكرون الله تعالى؛ بل يدعون أنهم أحقاء باختصاص هذه الحسنات، وينسبون السيئة إلى موسى عليه السلام، ويتشاءمون به؛ فهم أقبح الناس كفرًا، وأسوؤهم إنكارًا.

❁❁❁

و«لو» للشرط في المضي، ولذا يليها الفعل الماضي، نحو: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

ومما تقدم يعلم أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب، فإذا قلت: «إن اجتهد زيد أكرمته» كنت مخبرًا بأنك ستكرمه، ولكن في حال حصول الاجتهاد لا في عموم الأحوال، ويتفرع على هذا أنها تُعَدّ خَبَرِيَّة أو إنشائية باعتبار جوابها.

(و)أما (لوْ) فهي حرف امتناع لامتناع؛ أي: يُفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط؛ فهي موضوعة (للشرط) أي: للدلالة على استتباع الأول من طرفيها للثاني، وتعليق الثاني على الأول (في المضي) مع الإشعار بانتفائهما وصدق نقيضهما في الواقع؛ (ولذا) أي: ولأجل كونها للشرط في المضي (يليها الفعل الماضي)؛ إذ الأصل في اللفظ أن يتبع المعنى كما ذُكِرَ قُبيل هذا، ويكون الجواب مرتبطًا باللام؛ (نحو) قوله

سبحانه وتعالى: (﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣])؛ ففيه تعليق لإسماعهم على علم الخير فيهم في الماضي مع انتفائهما في الواقع.

(ومما تقدَّم) من كون الشرط قيدًا كالمفعول ونحوه (يُعلَم أن المقصود بالذات) والمعتبَر في أصل الإفادة (من الجملة الشرطية هو الجواب) والجزاء، والشرط ليس مقصودًا لذاته؛ بل إنما ذُكِرَ على أنه قيدٌ للحكم فيه؛ (فإذا قلت) مثلًا: (إن اجتهد زيدٌ أكرمتُهُ) فالمقصود بالذات والمعتبر لأصل الإفادة هو الإخبار بإكرام زيد.

وأما الشرط فهو قيدٌ فيه ليس بمقصود لذاته، فكأنك (كنتَ مخبرًا بأنك ستكرمه)، أي: ستكرم زيدًا، (ولكن) إكرامك له إنما هو (في حال حصول الاجتهاد) منه (لا في عموم الأحوال) المختلفة، (ويتفرَّع على هذا) يعني يتفرع على القاعدة المذكورة «أن المقصود بالذات الجواب» (أنها)؛ أي: الجملة (تُعَدُّ) جملة (خبرية أو) تُعد جملة (إنشائية باعتبار جوابها).

فإن كان الجواب خبرًا كانت الشرطية خبرية، وإن كان إنشاءً كانت إنشائية؛ إذ لم يخرج الجواب بسبب ذلك القيد على كونه جملة خبرية أو إنشائية.

❁❁❁

رابعًا: النفي:

وأما النفي، فالتقييد به يكون بسلب النسبة على وجه مخصوص مما تفيده أحرف النفي، وهي ستة: «لا» و«ما» و«إن» و«لن» و«لم» و«لما».

فـ«لا» للنفي مطلقًا، و«ما» و«إن» لنفي الحال إن دخلا على المضارع، و«لن» لنفي الاستقبال، و«لم» و«لما» لنفي المضيّ، إلا أنه بـ«لمَّا» ينسحب على زمن التكلم ويختص بالمتوقع؛ وعلى هذا فلا يقال: «لما يقم زيد ثم قام» ولا «لما يجتمع النقيضان» كما يقال: «لم يقم ثم قام»، و«لم يجتمعا» فـ«لمَّا» في النفي تقابل «قَدْ» في الإثبات، وحينئذٍ يكون منفيها قريبًا من الحال، فلا يصح: لما يجيء محمد في العام الماضي.

(وأما النفي فـ) إن (التقييد به)؛ أي: بالنفي (يكون بسلب النسبة) بين ركني الجملة (على وجه مخصوص مما تفيده)؛ أي: من الأوجه التي تفيدها (أحرف النفي) المختلفة، (وهي) أي: أحرف النفي (ستة) أحرف:

أولًا: (لا) النافية. (و)**ثانيًا:** (ما). (و)**ثالثًا:** (إنْ).

(و)**رابعًا:** (لنْ). (و)**خامسًا:** (لَمْ). (و)**سادسًا:** (لَمَّا).

(فـ)**الحرف الأول:** (لا) النافية، وهي حرف غير عامل، وهي (للنفي مطلقًا) أي: تفيد النفي مطلقًا؛ يعني: غير مُقَيَّد بنفي الماضي، أو الحال، أو الاستقبال، وتدخل على الفعل نحو: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

(و) **الحرفان الثاني والثالث:** (ما، وإنْ)، وهما (لنفي الحال إنْ دَخَلا على المضارع) وهذا عند الإطلاق، وأما عند التَّقْيِيد بزمان من الأزمنة فلِما قُيِّد به.

و«ما» على قسمين:

الأول: نافية حجازية عامِلة عمل (ليس)، وهي حرف يَرفع المبتدأ وينصب الخبر.

الثاني: نافية لا عمل لها، وهي حرف مُهْمَل لا عمل له، ينفي الفعل الماضي، نحو: (ما سافر خالد)، والفعل المضارع، نحو قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾ [يونس: ١٥].

وكذلك «إن» النافية بمعنى «ما» فتعمل عمل «ليس»، ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، وتدخل على الجمل الاسمية، نحو: قول الشاعر:

إنِ المرء ميتًا بانقضاء حياته

(و)**الحرف الرابع**: (لن)، وهي (لنفي الاستقبال) نفيًا مؤكَّدًا؛ فهي حرف استقبال ونصب ونفي، تدخل على الفعل المضارع فتنصبه وتنفي عمله، وتقلبه من الحاضر إلى المستقبل؛ نحو: (الكافر لن يدخل الجنة).

(و)**الحرفان الخامس والسادس**: (لم ولما) تشتركان في أنهما (لنفي المُضيِّ) أي نفي حصول الفعل وجزم الفعل المضارع، وقلب زمن حصول الفعل من الحاضر إلى الماضي؛ فهما حرفا نفي وجزم وقلْب. (إلا أنه) أي: النفي (بلمَّا) يختص بأمور، وهي:

خصائص النفي بـ(لما):

أولًا: أنه (ينسحب على زمن التكلم)؛ أي: يستمر نفيها إلى زمن التكلم، ويجب أن يتصل بحال النطق؛ نحو: «انطلق خالدٌ ولمَّا يصل» أي: حتى هذه اللحظة لم يصلْ، ولكنه قد يصل بعد لحظة، وأما بـ«لم» فقد ينسحب وقد يتصل، نحو: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ [الإخلاص: ٣]، وقد ينقطع مثل: ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

(و)**ثانيًا**: (يختص) النفي بلما (بِالمُتوقَّع) الحصول، بخلاف «لم»؛ فإن نفيها يكون للمتوقع وغيره؛ (وعلى هذا) الذي ذُكِرَ من استمرار النفي بـ«لما» إلى زمان التكلم، ومن كون النفي بها متوقع الحصول (فلا يُقال: «لما يقم زيد ثم قام»)؛ لكونه منافيًا للأمر الأول.

فإن قوله: «ثم قام» يدل على انقطاع النفي قبل زمان التكلُّم، (ولا) يقال («لما يجتمع النقيضان»)؛ لكونه منافيًا للأمر الثاني؛ فإن المنفي هاهنا، وهو اجتماع النقيضين، لكونه مستحيلًا فهو غير متوقَّع الحصول.

(كما يقال: «لم يقم ثم قام»، و)كما يُقال: (لم يجتمعا) بكلمة «لم» فيهما؛ لكونها لنفي المضي مطلقًا؛ ولعدم اختصاصها بالمتوقَّع؛ (فـ)حرف («لمَّا» في النفي تُقابل) حرف («قدْ» في الإثبات) فكما أن «قد» لتقريب الإثبات إلى الحال كذلك «لما» لتقريب النفي إليه؛ (وحينئذ يكون منفيها)؛ أي: المنفي بـ«لما» (قريبًا من الحال؛ فلا يصح) أن يُقال: (لمَّا يجئ محمدٌ في العام الماضي)؛ لأن معنى «لمَّا يجئ محمد» نفي مجيئه في الزمان الماضي، ولكنه قريب من الزمان الحال، فقوله: «في العام الماضي» يُنافيه.

وثالثًا: يختص النفي بلما بجواز حَذْف مَجْزُومِهَا؛ نحو: «قاربت الباخِرَة الميناء ولمَّا» أي: ولما تَدْخله.

رابعًا: امتناع اقترانها بأداة الشرط؛ فلا يجوز القول: «إن لمَّا يصل».

والحاصل من الكلام في أدوات النفي أنه يُعتبر في كل مقام ما يُنَاسِبُه من معاني تلك الأدوات.

❁❁❁

خامسًا: التوابع:

وأما التوابع فالتقييد بها يكون للأغراض التي تقصد منها.

فالنعت يكون للتمييز، نحو: «حضر عَلِيٌّ الكاتِبُ»، والكشف، نحو: «الجِسْم الطويل العريض العميق يشغل حيزًا مِنَ الفراغ»، والتأكيد، نحو: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والمدح، نحو: «حَضَرَ خالد الهمام»، والذَّمّ، نحو: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]، والتَّرَحُّم، نحو: «أحسن إلَى خالد المسكين».

(وأما التوابع) فهي ألفاظ متأخرة دائمًا تتقيَّد في إعرابها بإعراب الأسماء التابعة لها، يعني أنها تتبع متبوعها في الرفْع والنَّصْب والجر، (فالتقييد بها)، أي: بالتوابع (يكون للأغراض) والمقاصد (التي تُقصَد منها) ثم لا بد لكل منها من فائدة تخصه.

أنواع التوابع:

أولًا: النعت. **ثانيًا**: عطف البيان. **ثالثًا**: عطف النسخ.

رابعًا: التوكيد. **خامسًا**: البدل.

أولًا: النعت:

(فـ) الأول من التوابع: (النعت) وهو الذي يُكمِّل متبوعه ببيان صفة من صفاته و(يكون) لعدة أغراض، وهي:

أولًا: يكون (للتمييز) أي: لتمييز الموصوف عما عَدَاهُ؛ حيث يُراد نَفْي تشريكه مع الغير في الاسم؛ (نحو: حضر عَلِيّ الكاتب)؛ فإنك إذا قلتَ: «حضر عَلِيّ» احتمل أن يكون المراد به فلانًا أو آخر مما يعرض له الاشتراك في التسمية، وإذا قلت: «الكاتب» خرج المحتمِل الآخر، وتميَّز ما هو المراد.

(و)ثانيًا: (الكشف) عن معنى الموصوف في مقام يقتضي التفسير والتعريف؛ كجهل المخاطَب بحقيقة الموصوف (نحو: الجسم)، وهو جوهر قابل للأبعاد الثلاثة (الطويل العريض العميق يشغل حيزًا)(١).

(و)ثالثًا: (التأكيد) والمراد بالتأكيد هاهنا مطلق المُقَرّر لا المعنى الاصطلاحي، وذلك إذا كان الموصوف متضمنًا لمعنى ذلك الوصف؛ (نحو) قوله تعالى: (﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾)، وكقوله تعالى: ﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]، ومثل: «أمس الدابر لا يعود».

(و)رابعًا: (المدحِ)؛ وذلك (نحو) قولك: (حضر خالد الهمام)، فـ«الهمام» للمدح فقط، ومعناه: السيد الشجاع السخي.

(و)خامسًا: (الذمّ)، وذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المَسَد: ٤]) فـ«حمالة الحطب» لِلذَّمِّ.

(و)سادسًا: (الترحُّمِ)، وهو لغة: مصدر «ترحَّم عليه» بمعنى: «عطف عليه»؛ (نحو) قولك: (أحسِن إلى خالدٍ المسكين).

وإنما يكون الوصف للمدح في الأول والذم في الثاني والترحم في الثالث؛ إذا تعيَّن الموصوف قبل ذلك الوصف؛ إما بأن لا يكون له شريك في الاسم، أو يكون المخاطَب يعرفه بعينه قبل الوصف، وإلا يكون الوصف للتمييز.

❁❁❁

---

(١) والحيز هو عند المتكلمين: الفراغ فالمتوهَّم الذي يشغله شيء ممتد كالجسم أو غير ممتد كالجوهر الفرد، وعند الحكماء هو السطح الباطن من الحاوي المماس للسطح الظاهر من المحوَّى. (من الفراغ)؛ فإن هذه الأوصاف مما يكشف عن معنى الجسم ويفسره.

ثانيًا: عطف البيان:

وعطف البيان يكون لمجرد التوضيح، نحو: «أقسم بالله أبو حفص عمر».

أو للتوضيح مع المدح، نحو: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

ويكفي في التوضيح: أن يوضح الثاني الأولَ عند الاجتماع، وإن لم يكن أوضحَ منه عند الانفراد، كـ«علي زين العابدين»، و«العسجد الذهب».

(و) الثاني من التوابع: (عطف البيان) وهو (يكون) للإيضاح في الأصل، كما قالوا في تفسيره: «هو الذي يوضِّح متبوعه»، لكنه قد يكون (لمجرد التوضيح) بدون إرادة المدح كما هو أصله، (نحو) قول الأعرابي لما جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن أهلي ببادية بعيدة، وإني على ناقة دبراء عجفاء نقباء. وطلب أن يعطيه شيئًا يوصله لأهله، فظنه عمر كاذبًا، فلم يعطه، فانطلق الأعرابي فَحَلَّ ناقَتَهُ وجعل أبيات منها:

(أَقْسَمَ بالله أَبُو حَفْصٍ عُمَرْ) ما مسها من نقب ولا دبر[1]

فـ«عمر» لإيضاح قوله: «أبو حفص» فقط.

(أو) يكون (للتوضيح مع) قصد (المدح) أيضًا؛ وذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ [المَائدة: ٩٧])، فإن قوله: (البيت الحرام) كما يوضح المتبوع يُشْعِرُ بِكَوْنِهِ موصوفًا بالحرمة، ومنعوتًا بتعظيم الاحترام والمنع من الانتهاك والامتهان، فهو عطف بيان جِيءَ بِهِ للإيضاح والمدح كليهما، لا للإيضاح فقط.

---

(١) والنقب: ضعف في أسفل الخف في الإبل، والدبر: جراحة الظهر.

(ويكفي في التوضيح)، أي: في توضيح عطف البيان متبوعَهُ (أن يوضِّح الثاني) الذي هو عطف البيان (الأولَ) الذي هو المتبوع (عند الاجتماع) معه (وإن لم يكن الثاني (أوضحَ منه)؛ أي: من الأول (عند الانفراد)؛ أي أن المراد بتوضيح عطف البيان متبوعَه؛ أن يحصل من اجتماعهما إيضاح لم يحصل من أحدهما على الانفراد، سواء كان أوضح من متبوعه أو لا، (كـ)قولنا: «جاء (عليٌّ زينُ العابدين». و)كقولنا: («المسجد الذهب) تجب فيه الزكاة»؛ ولذا يصح أن يكون المتبوع أوضح من التابع.

❁❁❁

ثالثًا: عطف النسق:

وعطف النسق يكون للأغراض التي تؤديها أحرف العطف، كالترتيب مع التعقيب في «الفاء»، ومع التراخي في «ثم».

(و)الثالث من التوابع: (عطف النَّسَق) أي: العطف بالحرف.

والعطف: تابع مقصود بالنسبة مع متبوعه؛ أي كما يكون هو مقصودًا بتلك النسبة يكون متبوعه أيضًا مقصودًا بها، ويتوسط بين ذلك التابع وبين متبوعه أحد حروف العطف المعروفة نحو: «اذهب أنت وأخوك إلى البيت»، و (يكون) عطف النَّسَق (للأغراض) والمقاصد (التي تُؤَدِّيها أحْرُف العطف) المختلفة؛ وذلك (كالترتيب مع التعقيب في) العَطْفِ بحرف (الفاء).

ومعنى التعقيب: أن يُجْعَل المعطوف ملابسًا لمدلول الفعل بعد ملابسة المعطوف عليه به بدون المهلة والتراخي؛ نحو: «جاء أحمد فمحمد»، (و)مثل الترتيب (مع التراخي) والمهلة (في) العطف بحرف (ثُمَّ) وحرف «حتى»؛ نحو: «جاء أحمد ثم محمد»؛ إلا أن المهلة في «حتى» أقل منها في «ثم»؛ فهي متوسطة بين «الفاء» و«ثم».

وإنما سُمِّيَ بـ«عطف النسق»؛ لأن المعطوف فيه يكون مع متبوعه على نَسَقٍ واحد؛ لكون كل منهما مقصودًا بالنسبة.

رابعًا: التوكيد:

والتوكيد: يكون للتقرير ودفع توهم الشمول، أو السهو، أو عدم الشمول، نحو: زارني الأمير نفسه، وسلم الجيش عامته.

(و)الرابع من التوابع: (التوكيد)، وهو كل ثان ذُكِرَ تقريرًا لما قبله، وهو نوعان: لفظي ومعنوي.

فاللفظي: يكون بتكرار المؤكَّد بلفظه أو بمرادفه.

والمعنوي: يكون بالألفاظ: «نفس، وعين، وكلا، وكلتا، وكل، وجميع، وعامة»، ويلحق بها بعضُ ألفاظ العدد التي تفيد العموم تأويلًا لا صراحة، وهي من ثلاثة إلى عشرة، والعدد المُرَكَّب.

وهو أيضًا قسمان: تَوْكِيد النسبة، وتوكيد الشمول.

فالأول: هو الذي يرفع توهُّم متعلقات ما قبله، نحو: «حضر المديرُ عينُه» فإنه رَفَعَ احتمال مجيء رُفَقَائِهِ مثلًا.

والثاني: هو الذي يرفع تَوَهُّم عدم إرادة الشمول؛ نحو: «حضر المُعَلِّمُون كُلُّهُمْ».

فـ**(التوكيد يكون للتقرير ودفْع توهم الشمول، أو السهو أو عدم الشمول؛ نحو قولك: «زارني الأمير نفسُه»، و«سَلَّم الجيشُ عامتُه»)**.

❁❁❁

خامسًا: البدل:

والبدل يكون لزيادة التقرير والإيضاح، نحو: «قدم ابني عليٌّ» في بدل الكل، و«سافر الجندُ أغلَبُهُ» في بدل البعض، و«نفعني الأستاذُ علمُهُ» في بدل الاشتمال.

(و)**الخامس من التوابع:** (البدلُ)، وهو التابع المقصود بالحكم دون المتبوع نحو: «أكرمني صديقي زيد»، وهو أنواع، والمقصود في البلاغة ثلاثة:

الأول: بدل الكل: وهو ما يُساوي المبدَل منه في المعنى مساواة تامة، ويُسمى «بدل المطابقة»، نحو: «كان الخليفة عمر عادلًا».

الثاني: بدل البعض: وهو ما يكون البدل فيه جزءًا حقيقيًّا من المبدَل منه، ولا بد من اتصاله بضمير يعود إليه، نحو: «قرأت الدرس نصفه».

الثالث: بدل الاشتمال: وهو ما يدل على معنى في متبوعه، نحو: «أعجبني المعلم شرحُه».

و(يكون) البدل (**لزيادة التقرير والإيضاح**)؛ لأنه يُقصَد بالذكر أصالة، والمبدل منه إنما يُذكَر توطئة وتَمْهِيدًا، ولا خفاء في أن الذِّكر بعد التوطئة يُفيد زيادة التقرير والإيضاح؛ (**نحو**) قولك: (**«قَدِمَ ابني عليٌّ»**) وذلك (**في بدل الكل**، و)قولك: (**«سافر الجندُ أغلَبُهُ»**) وذلك (**في بدل البعض**، و)قولك: (**«نفعني الأستاذُ علمُه»**) وذلك (**في بدل الاشتمال**)(١).

❁❁❁

(١) ولم يُذكَر بدل الغلط؛ لأن المذكور من فائدة البدل -وهي زيادة التقرير والإيضاح- لا يتأتَّى فيه؛ إذ من المعلوم أن ذِكْر «زيد» على سبيل الغلط في قولك: «جاءني زيدٌ حمارٌ»، ليس توطئة لذكر «حمار» فلا يكون ذكر البدل هاهنا لزيادة التقرير والإيضاح، ثم إنه إنما لم يُتَعَرض لبيان فائدة هذا النوع من البدل، وخُص الكلام ببيان فائدة غيره من أنواعه؛ لأنه لا يقع في فصيح الكلام.

الباب السادس
في القصـــر

تعريف القصر:

القصْرُ: تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوصٍ، ويَنقسِمُ إلى حقيقيٍّ وإضافيٍّ.

فالحقيقيُّ: ما كان الاختصاصُ فيه بحسَبِ الواقعِ والحقيقةِ، لا بحسبِ الإضافةِ إلى شيءٍ آخَرَ، نحو: لا كاتِبَ في المدينةِ إلا عليٌّ. إذا لم يكنْ غيرُه فيها من الكتَّابِ.

والإضافيُّ: ما كان الاختصاصُ فيه بحسبِ الإضافةِ إلى شيءٍ معيَّنٍ، نحو: ما عليٌّ إلا قائمٌ؛ أي أن له صفةَ القيامِ لا صفةَ القعودِ، وليس الغرَضُ نفيَ جميعِ الصفاتِ عنه ما عدا صفةَ القيامِ. وكلٌّ منهما يَنقسمُ إلى:

قصْر صفةٍ على موصوفٍ، نحو: لا فارسَ إلا عليٌّ.

وقصْرِ موصوفٍ على صفةٍ، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فيجوزُ عليه الموتُ.

(القصر) لغةً: مِنْ قَصَرْتُ الشيء: إذا حَبَسْتَه؛ يقال: قصرت اللقحة على فرسي: إذا جعلت لبَنَها له لا لغيره، وقيل: من قصْر الشيء على كذا: إذا لم يتجاوز به إلى غيره، وهذا أوفق.

ومنه قول الله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، أي أنَّ بعض النِّساء في الجَنةِ قَصَرْنَ أَنْفُسَهنَّ على أَزْواجِهِنَّ فلا يَبْغِينَ بهم بَدلًا، ولا يَرْفَعْنَ أَبْصارهُنَّ إلى غير أَزْواجِهِنَّ مِن الرِّجال. فهؤلاءِ الحورُ مُخَصَّصاتٌ لأزْواجِهِنَّ فلا يَطْمَعْنَ في غَيرِ الزَّوجِ، وكذلكَ لا يَطْمَعُ الرِّجالُ في غيرِ المُخَصَّصِ لهم مِن النِّساء.

والقصر اصطلاحًا: (تخصيص شيء بشيء) أي: جعْل الشيء خاصًّا بشيء ومنحصرًا فيه، والمراد بذلك الإخبار بثبوت الشيء الثاني للشيء الأول دون غيره،

والشيء الأول إن أُريد به الموصوف كان المراد بالشيء الثاني الصفة والعكس، (بطريق مخصوص) أي: معهود معين من الطرق المصطَلَح عليها، كالنفي والاستثناء وغير ذلك، كقولنا في القصر بين المبتدأ والخبر: «إنما زيد قائم»، وفي القصر بين الفعل والفاعل: «ما ضربت إلا زيدًا».

وخرج بقوله: «بطريق مخصوص» نحو: «خصصت زيدًا بالعلم» فلا يُسمى قصرًا اصطلاحًا.

أسلوب القصر يتكون من:

الأول: مقصور، وهو الشيء الأول المخصَّص.

والثاني: مقصور عليه، وهو الشيء المخصَّص به.

والثالث: أداة القصر، وستأتي.

وقد يُسمى القصر بالحصر، فيكون المقصور محصورًا، والمقصور عليه محصورًا فيه، فقولك: «ما قَدِمَ إلا خالدٌ» يُستفاد منه تخصيص القدوم بخالد ونفيه عن غيره ممن يُظَن منه ذلك، وما قبل «إلا» وهو القدوم يُسَمَّى مقصورًا ومحصورًا، وما بعدها، وهو خالد، يسمى مقصورًا عليه، ومحصورًا فيه و«ما» و«إلا» أداة القصر.

أقسام القصر:

(وينقسم) القصر بحسب الواقع والحقيقة (إلى) قسمين: قصر (حقيقي، و)قصر (إضافي) بالاستقراء؛ لأن القصر يستلزم النفيَ إن كان عن كل ما عدا المقصور عليه فهو الحقيقي، وإلا فهو الإضافي.

(فـ)**الأول: القصر (الحقيقي)**: وهو تخصيص الشي بالشيء بحسب الحقيقة، وفي نفس الأمر لا يتجاوزه إلى غيره أصلًا؛ أي: (ما كان الاختصاص فيه) ملحوظًا (بحسب الواقع والحقيقة) أي: بحسب ذاته، بمعنى أنه لا يتجاوز المخصص به إلى

غيره أصلًا في نفس الأمر وفي الحقيقة، (لا) ملحوظًا (**بحسب الإضافة إلى شيء آخر**).

أي: من غير ملاحظة شيء دون شيء آخر، ومن غير ملاحظة حال المخاطَب من تردد أو اعتقاد خلافٍ أو شَرِكَة، وهذا ينتظم حكمين: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه؛ فلا يتجاوز الشيء الأول المقصور الشيءَ الثاني المقصور عليه إلى جميع غير هذا الشيء الثاني كما في تقسيمه الآتي، (نحو) قولك: (**لا كاتِبَ في المدينة إلا عليٌّ**).

أي: فإنه قصر حقيقي (**إذا لم يكن غيره**)؛ أي: غير عليّ (**فيها**)، أي: في المدينة (**من الكُتَّاب**)، وقَصَرْتَ صفة الكاتبية على عليٍّ ونفيتها عن جميع مَن عداه، فلا تتجاوزه صفة الكاتبية إلى غيره أصلًا، ونحو: «ما خاتم الأنبياء والرسل إلا محمد ﷺ» فقد قصرتَ ختمها على محمد ﷺ، ونفيته عن كل مَن عداه، فلا يتجاوزه الختم إلى غيره أصلًا، وإنما سُمِّيَ هذا القسم حقيقيًّا؛ لأن التخصيص ضد المشاركة.

ومعنى هذا القسم هو الذي ينافي المشاركة منافاة تامة فهو الأولى أن يُتخذ حقيقة للتخصيص، والأنسب بأن يُسمَّى بهذا الاسم.

(و) **الثاني: القصر (الإضافي)**، وهو (**ما كان الاختصاص فيه**) ملحوظًا (**بحسب الإضافة إلى شيء معين**)، بألا يتجاوزه إلى ذلك الشيء، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة، (نحو) قولك: (**ما عليٌّ إلا قائم**). فإنه قصرٌ إضافي (**أي أن له**) أي: لعلي (**صفةَ القيام لا صفةَ القعود**)؛ يعني: أنك قصرت عليًّا على صفة القيام ونفيت اتصافه بصفة القعود، فلا يتجاوز عليٌّ صفةَ القيام إلى صفة القعود، فالغرض أنه لا يتجاوز القيام إلى القعود (**وليس الغرض نفي جميع الصفات عنه**) أي: عن علي (**ما عدا صفة القيام**) أي: بل الغرض نفي صفة القعود فقط، فلذا يتجاوز عليٌّ صفة

القيام إلى غير صفة القعود من العلم أو الشعر أو الكتابة، وإنما سُمِّيَ هذا القسم إضافيًّا لا حقيقيًّا؛ لأن معناه لا ينافي المشاركة منافاة تامة لصحة وجود مشاركة أخرى، فلا يُناسب أن يُسمَّى حقيقيًّا؛ بل يُسمى إضافيًّا؛ لأن التخصيص فيه بالإضافة إلى مُعيَّن.

والمقصود في القصر الإضافي المبالغة؛ لأن هناك مَن يتصف بهذا الوصف غير المقصور عليه، ولكننا قصرناه عليه بالإضافة إلى غيره؛ لأننا نجده الحري بهذا الوصف نحو: «إنما الشاعر المتنبي»، فالواقع والتاريخ يُثبتان شعراء كثيرين، ونحو: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾، فالواقع يشهد بأن له عليه الصلاة والسلام صفات كثيرة غير صفة الرسالة؛ فهو قائد وزوج وأب، ففي هذين المثالين القصر إضافي.

(وكلٌّ منهما) أي: من القصر الحقيقي والقصر الإضافي (ينقسم) باعتبار حال المقصور والمقصور عليه (إلى) قسمين:

القسم الأول: (قصر صفة)، والمراد بالصفة هنا: المعنى القائم بالغير وجوديًّا كان أو عدميًّا؛ فتُقصَر (على موصوف)؛ فقصر الصفة على الموصوف بالنسبة إلى الحقيقي هو: أن يُحكَم بأن هذه الصفة لا تتجاوز هذا الموصوف إلى كل موصوف غيره، وإن كان الموصوف يتجاوزها إلى غيرها، وهذا موجود كثيرًا، كقولنا: «لا إله إلا الله»؛ فإن الألوهية حكمنا بأنها لا تتجاوز مصدوق اسم الجلالة إلى غيره، كما أنها كذلك في نفس الأمر.

وكقولنا: «ما خاتم الأنبياء والرسل إلا محمد»، فقد حكمنا بأن ختم النبوة والرسالة لا يتجاوزه ﷺ إلى غيره، ولا يقتضي ذلك أنه لا يتجاوز هذه الصفة إلى غيرها من الصفات كالشفاعة.

وأما قصر الصفة على الموصوف بالنسبة إلى القصر الإضافي فهو: أن يُحكَم بأن هذه الصفة لا تتجاوز هذا الموصوف إلى موصوف آخر معين واحدًا أو متعددًا، وإن كانت هي تتجاوز إلى غير ذلك المعيَّن (نحو) قولك: (لا فارسَ إلا عليٌّ) إذا اعتقد المخاطَب أن الفارسية وصفٌ لخالد فقط أو له ولعلي؛ فقصرتَ في هذا القول الفارسية على عليٍّ بحيث لا تتعداه إلى خالد فقط، وإن كانت تتعدى إلى غير خالد، ومعلوم أن هذا أيضًا لا يقتضي كونَ عليٍّ مقصورًا على صفة الفارسية؛ بل يجوز أن يتعداها إلى الكتابة وغيرها.

هذا، ويصح أن يُجعَل هذا مثالًا للحقيقي؛ حيث قدَّرنا «لا فارس في المدينة إلا عليٌّ» وكانت صفة الفارسية لا تتعدى غير عليٍّ من سكان المدينة في نفس الأمر الواقع.

(و)القسم الثاني: (قصر موصوف على صفة) وهذا بالنسبة إلى الحقيقي، هو أن يُحكَم بأن هذا الموصوف لا يتجاوز هذه الصفة إلى غيرها، وإن كانت الصفة تتجاوزه إلى غيرها، نحو: «ما زيد إلا كاتب» إذا أُريد أن زيدًا لا يتصف بغيرها من الصفات، وإلا فهذا القسم بالمعنى المذكور- وهو كون الموصوف ليس له إلا صفة واحدة- مُحال؛ لتعذر إحاطة المتكلم بصفات الشيء، حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية.

وأما بالنسبة إلى الإضافة، فهو أن يُحكَم بأن هذا الموصوف لا يتجاوز هذه الصفة إلى صفة أخرى واحدة أو صفات أخرى معينة، لكن يجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر؛ (نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤]) حيث اعتقدوا أن محمدًا يتصف بكونه رسولًا، وبأنه لا يجوز عليه الموت، فقصر في هذا القول على كونه رسولًا فقط، وإن كانت الرسولية -وهو الوصف- يتعدى محمدًا إلى غيره كنوح عليه السلام؛ بحيث لا يتَعَدَّاهُ وصف الرسولية إلى كونه لا يجوز عليه الموت (فيجوز عليه الموت).

والقصْرُ الإضافيُّ يَنقسمُ -باعتبارِ حالِ المخاطَبِ- إلى ثلاثةِ أقسامٍ: قصْرُ إفرادٍ: إذا اعتَقَدَ المخاطَبُ الشرِكَةَ، وقصْرُ قلْبٍ: إذا اعْتَقَدَ العكسَ، وقصْرُ تعيينٍ: إذا اعْتَقَدَ واحدًا غيرَ معيَّنٍ.

وللقصْرِ طرُقٌ، منها: النفيُ والاستثناءُ، نحو: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

ومنها: (إنما) نحو: إنما الفاهِمُ عليٌّ.

ومنها: العطْفُ بلا، أو بل، أو لكن، نحو: أنا ناثِرٌ لا ناظِمٌ، وما أنا حاسبٌ بل كاتبٌ.

ومنها: تقديمُ ما حقُّه التأخيرُ، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

(والقصر الإضافي) سواء كان قصر صفةٍ على موصوف أو قصر موصوف على صفة (ينقسم باعتبار حال المخاطَب) أي: اعتقاده (إلى ثلاثة أقسام) بخلاف القصر الحقيقي فإنه قسمان فقط؛ إذ لا يجري فيه الانقسام إلى الثلاثة باعتبار حال المخاطَب:

القسم الأول: (قصر إفراد)؛ وذلك (إذا اعتقد) المراد الاعتقاد الشامل للتجويز، فيدخل فيه الظن بل الوهم، (المخاطَب الشَّرِكَة) أي: شركة صفتين في موصوف واحد في قصر الموصوف على الصفة، وشركة موصوفين في صفة واحدة في قصر الصفة على الموصوف، ومثال هذا القصر في قصر الموصوف: أن الصحابة ﭬ لما استعظموا موته ﷺ وصاروا كأنهم أثبتوا له ﷺ صفتين: الرسالة والتبرؤ عن الموت قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾، وإنما سُمي هذا القصر «قصر إفراد»؛ لأن المتكلِّم ينفي بهذا القصر الشركة المعتقدَة للمخاطَب، ويُفْرِد موصوفًا بِصِفَةٍ أو صِفَةً بِمَوْصُوفٍ.

(و)القسم الثاني: (قصْر قلب)؛ وذلك (إذا اعتقد) المخاطَب (العكس) أي: عكس الحكم المثبَت، والمراد بالعكس: ما ينافي ذلك الحكم.

ففي قصر الصفة: إذا اعتقد المخاطَب أن المسافر محمد لا عَلِيّ، تقول: «ما سافر إلا علي» حصرًا للمسافر في عَلِيّ، ونفيًا له عن محمد.

وفي قصر الموصوف إذا اعتقد أن محمدًا قاعد لا قائم تقول: «ما محمد إلا قائم»، أي: لا قاعد، وسُمِّيَ هذا القسم «قصر القلب»؛ لأن المتكلِّم قَلَبَ وبَدَّلَ فيه حكمَ المخاطَب كله بغيره بخلاف قصر الإفراد؛ فإنه وإن كان فيه قلب وتبديل إلا أنه ليس لكل حكم المخاطَب، بل فيه إثبات البعض ونفي البعض.

(و) **القسم الثالث**: (قَصْرُ تَعْيِين)؛ وذلك (إذا اعتقد) المخاطَب (**واحدًا غير معين**) أي: الاتصاف بصفة واحدة غير معينة من صفتين أو صفات في قصر الموصوف أو اتصاف واحد غير معين من موصوفين فأكثر بالصفة في قصر الصفة.

* فالأول كأن يعتقد المخاطَب اتصاف الأرض بصفة واحدة من صفتي التحرك والسكون من غير تعيين، فتقول: «الأرض متحركة لا ساكنة».

* والثاني كأن يعتقد أن الشاعر زيد أو عمرو أو خالد، فتقول: «ما شاعر إلا زيد»، وسُمي هذا القسم «قصر التعيين»؛ لأن المتكلِّم عيَّن الموصوف الذي هو غير معيَّن، أو الصفة التي هي غير مُعَيَّنَة عند المخاطَب.

طرق القصر:

(**وللقصر**) سواء كان حقيقيًّا أو إضافيًّا (**طُرُق**) أي: أسباب لفظية تُفِيدُهُ، وهي كثيرة، يُذكر (**منها**) هاهنا أَرْبَعَة؛ لأنها التي يحصل بها القصر الاصطلاحي بخلاف القصر الذي يحصل بغيرها فليس باصطلاحي:

الطريق الأول: (**النفي**) بأداة من أدواته كـ«ليس» و«ما» و«إن» وغيرها من أدوات النفي (**والاستثناء**) أي: مجموعهما، يعني: النفي ثم الاستثناء بإلا أو إحدى أخواتها، وفي هذا الطريق يكون المقصور مقدمًا على أداة الاستثناء، وهي مقدمة على المقصور

عليه؛ سواء ذُكر المقصور؛ (نحو): قولك: «ما جاءني أحدٌ إلا خالد»، وقوله تعالى: (﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١])، أي: ما هذا إلا ملك كريم، وهذا الحصر إضافي، يعني أن النسوة قلن: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أم لم يُذكر لمقصور؛ نحو: «ما جاءني إلا خالد»؛ فإن الغرض المقصود منه النفي والإثبات المحقِّقان للقصر، وليس الغرض منه إثبات الحكم فقط، وإلا لقيل: «جاءني خالد».

وسواء في ذلك في قصر الصفة على الموصوف؛ كالمثالين المذكورين، أو قصر الموصوف على الصفة نحو: «ما زيد إلا شاعر»، وسواء كان قصر قلب أو إفراد أو تعيين بحسب حال المخاطَب.

هذا، وقد عُلِمَ مما قُرِّرَ هنا أن الاستثناء من الإثبات نحو قولك: «جاء الناس إلا زيدًا» لا يُفيد القصر؛ لأن الغرض منه الإثبات، والاستثناء قيدٌ مصحِّحٌ له، فكأنك قلت: «جاء الناس المغايرون لزيد».

(و)**الطريق الثاني** (منها)؛ أي: من طرق القصر: القصر بـ(إنما) المركبة من (إن) التي هي لتوكيد النسبة و(ما) الكافَّة، فـ(إنما) المركبة من هاتين الكلمتين تُفِيدُ القصر لتضمنها معنى (ما) و(إلا) الذي هو النفي والإثبات، بدليل إطباق المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣] أن معناه: ما حرم عليكم إلا الميتة.

وفي هذا الطريق يُذكَر المقصور أولًا، أي: بعد (إنما) ثم يُذكر المقصور عليه، فيكون ما أُخِّر من فاعل أو مفعول بمنزلة الواقع بعد إلا، وهو المقصور عليه، ولا يجوز تقديمه على غيره؛ لما يلزم عليه من الإلباس؛ سواء في قصر الصفة على الموصوف؛ (نحو) قولك: (إنما الفَاهِم) اسم فاعل من الفهم: أي صاحب الفهم والعقل (عليٌّ). أو في قصر الموصوف على الصفة نحو: (إنما خالد كاتب)، وسواء في ذلك الأقسام الثلاثة بحسب حال المخاطَب.

الفرق بين (إنما) و(النفي والاستثناء):

الفرق بين (إنما) وبين (النفي والاستثناء): مع كون (إنما) متضمنة لمعناهما أن الأصل في (إنما) أن تُستعمل في الحكم الذي من شأنه ألا يجهله المخاطَب ولا يُنكره، بخلاف النفي والاستثناء؛ فإن الأصل فيهما أن يكون ما استُعملا فيه مما يجهله المخاطَب ويُنكِرُهُ.

(و) **الطريق الثالث** (منها)؛ أي: من طرق القصر: **(العطف بلا، أو) العطف بـ(بل، أو) العطف بـ(لكن)**، وهذه الثلاثة حروف تقتضي ثبوت حكم ما قبلها لما بعدها.

وفي هذا الطريق يكون المقصور عليه هو المقابل لما بعد (لا) أو الذي يأتي بعد (بل) و(لكن)، ثم الحكم الذي تُفيد هذه الحروف ثبوت ضده لما بَعْدَهَا، إما إثباتٌ؛ فيكون الثابت لما بعدها نفيًا، فقصر الموصوف على الصفة (نحو) قولك: **(أنا ناثرٌ لا ناظمٌ)**.

فالمقصور عليه كونه ناثرًا؛ إذ هو المقابل لما بعد لا، وقصر الصفة على الموصوف نحو قولك: (خالد شاعر لا محمد) فالمقصور عليه هو خالد؛ إذ هو المقابل لما بعد لا، (و) إما نفيٌ، فيكون الثابت لما بعدها إثباتًا، **فقَصْرُ المَوْصُوف** على الصفة نحو: (ما أنا حاسبٌ بل كاتبٌ)، فالمقصور عليه كونه كاتبًا، إذ هو المذكور بعد (بل)، وقصر الصفة على الموصوف نحو: **(ما عمرو شاعرًا بل زيد)** فالمقصور عليه زيد؛ إذ هو المذكور بعد (بل)، وسواء في ذلك كله الأقسام الثلاثة بحسب حال المخاطَب.

(و) **الطريق الرابع** (منها)؛ أي: من طرق القصر: **(تقديمُ ما حقه التأخيرُ)** كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المعمولات- مثل المفعول والمجرور والحال- على العامل، وتقديم بعض المعمولات على بعض، وفي هذا الطريق يكون المقصور عليه

هو المقدَّم، سواء بَقِيَ بعد التقديم على حاله نحو: (زيدًا ضربتُ)، أم لا؛ (نحو): (أنا كفيتُ مهمك)، وقوله تعالى: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥])، وسواء في ذلك قصر الصفة أو الموصوف، وسواء في ذلك الأقسام الثلاثة بحسب حال المخاطب.

وقد عُلِمَ سابقًا أن القصر بقسميه يتضمن إثباتًا ونفيًا، وليس ذلك كله منطوقًا أو مفهومًا، بل تارة يكون كله منطوقًا؛ مثل: (زيد قائم لا قاعد)، وتارة يكون بعضه منطوقًا وبعضه مفهومًا، فإن كان طريقه (إنما) فهو إثبات للمذكور بالمنطوق ونفي لغيره بالمفهوم؛ نحو: (إنما خالد قائم)، فإثبات القيام لخالد منطوق، ونفيه عن غيره مفهوم.

وإن كان طريقه النَّفْي والاستثناء فحكم المستثنى منه ثابت بالمنطوق، وحكم المستثنى بالمفهوم؛ نحو: (ما قام أحد إلا زيد)، وإن كان طريقه التقديم فالحكم للمذكور منطوق، ونفيه عن غيره بالمفهوم.

الْقَصْرُ اصْطِلاحًا:

هو تخصيصُ أَمْرٍ بأَمْرٍ آخَرَ من خلال وسيلةٍ من وسائل القصرِ، مثل: (**لا يَدْخُلُ هذا المكانَ إلا المصريُّون**)؛ حيث قَصَرَ دخولَ هذا المكانِ على المصريين فَحَسب. فدخولُ هذا المكانِ مُخَصَّصٌ ومقصورٌ على المصريين وليس غيرهم، ومنه قول الله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢][١].

أسلوب القصر يتكون من:

١- المَقْصُور. ٢- المقصور عليه. ٣- أداة القصر.

مثل: إِنَّما طارِقٌ طَبيبٌ[٢].

---

(١) الحُور: جمع حَوْرَاء، وهي البنت التي يكون بياضُ عَيْنِهَا شديدَ البَياض، وسوادُه شديدَ السَّواد. وحور عين، والعين: جمع عيناء، والعيناء هي واسعة العين.

(٢) أداة القصر: إنّمَا، والمقصور: طارق، والمقصور عليه: كريم.

أسلوب الْقَصْرِ:

وهذا الأسلوب هو أسلوب عربي معروف، وهو مِنْ أَقْوَى الأساليب التي يُؤْتَى بها لتمكين الكلام وتَقْرِيرِهِ في الذهن؛ لدفع ما فيه من إنكار أو شَكٍّ، يقول البلاغيون: للحصر والقصر أساليب وألفاظ ، ومن هذه الألفاظ:

١- النفي والاستثناء:

من أساليب القَصْرِ والحَصْرِ أنْ يُؤتَى بنَفْيٍ ثم يُتْبَع باستثناء، مثل قول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ لأنَّ قوله (ما) نافية، ومن ثَمَّ جاء إتباعها بـ(إلا) الدالة على التَّحَقُّق من قَصْرِ العِلَّةِ على ما قُصِرَتْ عليه، وهي: أنَّ الله لم يخلق الخلق إلا لِعِلَّةٍ واحدة وهي عبادته سبحانه وتعالى.

ويقع المقصور عليه بعد أداة الاستثناء، مثل: (ما خالدٌ إلا نَجَّارٌ)، فـ(خالد) موصوف، و(نَجَّار) صفة، وقَصَرَ الموصوف على الصفة، أي: قَصَرَ خَالِدًا على النِّجارة.

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤]، فكلمة (ينطق) تشمل كل مَا يَخْرُجُ من الشَّفَتَيْن مِنْ قَوْلٍ أو لفظ، أي: ما يخرج نطقه ﷺ عن رأيه، إنما هو بوحى من الله ﷻ.

ولقد جاءت الآيتان بأسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء، وهذا واضح في إثبات أن كلامه ﷺ محصورٌ في كونه وحيًا لا يتكلم إلا به، وليس بغيره.

وقول: (لا إله إلا الله).

١- نفي في قوله: (لا إله). ٢- إثبات في قوله: (إلا الله).

فـ: (لا إله) نَفَتِ الألوهيةَ عن كُلِّ مَا سِوَى الله سبحانه وتعالى، و(إلا الله) أَثْبَتَتِ الأُلوهِيَّة لله وحْدَهُ لا شريك له، وجُمْلَة القصر في قوة جملتين، إحداهما مثبتة،

والأخرى مَنْفِيَّة، وطريقُ القصر في كلمة التوحيد: النفي والاستثناء، أي: لا مَعْبُود حق إلا الله، فلا يُعْبَد إلا الله، ولا يجوز أن يُصرف أيٌّ نوع من أنواع العبادة لغير الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ دلالة على حَصْر مَقْصدِ الخلق في علَّةٍ واحدةٍ؛ لأن أسلوبَ النفي المتبع بالاستثناء هو أعلى أدوات وأساليب القصر والحصر عند البلاغين.

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فهذا أسلوبُ قَصْرٍ، يفيد قصر العبادة وإثباتها لله وحده، بحيث لا يشاركه فيها أحد.

فلو قالت الآية: (**وقضى ربك أن تعبدوه**)، فَلِقَائِلٍ أن يقول: ونَعْبُدُ غَيْرَهُ؛ لأن باب العطف هنا مفتوح لم يُغْلَق.

كما لو قُلْت: ضربتُ فلانًا وفلانًا وفلانًا، هكذا باستخدام العطف، إنما لو قلت: ما ضربْتُ إلا فلانًا، فقد أَغْلَقْت باب العطف.

إذن: جاء التعبير بأسلوب القَصْرِ ليقول: اقْصرُوا العبادة عليه سبحانه، وانْفُوهَا عن غيره.

٢- **إنما**:

ومن أساليب الحَصْرِ والقَصْر (**إنما**)، فعندما تسمع كلمة: (**إنما**) فاعلم أنها أداة قصر، مثل قول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالِ بالنِّياتِ**» حُصِرَت الأعمال في النيات، وقُصِرت الأعمالُ على النَّوَايا.

ويأتي المقصور بعد (إنما)، أما المقصور عليه فيأتي مؤخرًا، مثل: (**إِنَّما خالدٌ نَجَّارٌ**)، وهذا يعني أننا قَصَرْنا (**خالدًا**) على النجارة، لكن إذا قلنا: (**إِنَّما النَّجَّارُ خالدٌ**)، فنحن في هذه الحالة قَصَرْنا النجارة على خالد.

وعندما تَقْصرُ إنسانًا على وَصْفٍ فذلك يُسَمُّونه: «قصر موصوف على صفة»، وعندما نقول: (إنما خَالِدٌ طَبِيبٌ). فهذا يعني أنَّ خالدًا طبيب فقط، وهو ليس مهندسًا ولا كاتبًا ولا ضابطًا.

أما إن قلت: (إِنَّما الطَّبِيبُ خَالِدٌ)، فهذا يعني أنه لا يوجد طبيب إلا خالد؛ فكأنَّك تَنْفِي عن الآخرين أنهم أطباء، وأن خالدًا فقط هو الطبيب، ويحتمل أن يكون عالمًا أو كاتبًا...إلخ.

إن الله سبحانه يحصر الولاية في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥].

ولم يقل: (أولياؤكم) بالجمع، تنبيهًا أن الولاية لله على الأصالة، ولرسوله وللمؤمنين على التبع. ومعنى (إنما) وجوب اختصاصهم بالموالاة، وأصل الكلام إنما وليكم الله ورسوله والمؤمنون، وليس اليهود ولا النصارى ولا.. ولا..، فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة، ثم نظم في سلك إثباتها له، إثباتها لرسوله وللمؤمنين على سبيل التبع.

ومثل: (إنما الكريم زيد) كأن القائل قد استقرأ آراء الناس، ولم يجد كريمًا إلا زيدًا، وكأنه يقول: «زيد كريم وغير زيد ليس بكريم»، واختصر الجملتين في جملة واحدة بقوله: «إنما الكريم زيد»، وأثبت بهذا القول الكرم لزيد ونفاه عن غيره. أما إن قال القائل: «زيد كريم» فهذا القول لا يمنع أن يكون غيره من الكرماء.

ومثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، وإذا قلتَ: «إنما الرجل زيد»، أي: أنك قَصَرْت الرجولة على زيد. وإن قلتَ: إنما الكريمُ حَاتِم، تكون قد قَصَرْت الكَرَمَ على حَاتِم.

وقول الله سبحانه وتعالى: (**إِنَّمَا الصدقات**) معناها: أن الصدقات محصورة في هؤلاء ولا تتعداهم .

٣- التقديم والتأخير:

تقديم ما حقه التأخير في علم المعاني يفيد الحصر والقصر، أو يفيد الاختصاص، ويكون المقصور عليه هو المقدم، مثل قول الله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾، والمعنى: الأمْرُ لله فحسب وليس لغيره، أما لو قلت: (**الأمر لله**) فلا يوجد تقديم، ومن ثَمَّ فيُحْتَمَل العطف، فيمكن أن يقال: الأمر لله ولغيره. أما إذا قلت: (**لله الأمر**) أُغْلِقَ باب العطف، فكأنك قلت: لله الأمر فقط.

ومثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، يفيد الاختصاص، ويفيد القصر والحصر، فمعنى هذه الآية: احْصرُوا تَوَكُّلَكُم في الله، واقْصُرُوا توكلكم على الله إن كنتم مؤمنين، وخُصُّوا الله بتوكلكم إن كنتم مؤمنين.

والمعنى: توكلوا على الله فحسب وليس على غيره، أما لو قلت: (**توكلوا على الله**) فلا يوجد تقديم، ومن ثَمَّ فيُحْتَمَل العطف، فيحتمل أن يقال: توكلوا على الله وعلى غيره. لكن إذا قلت: (**وعلى الله توكلوا**) أُغْلِقَ باب العطف، فكأنك قلت: توكلوا على الله فقط دون غيره.

ومثل قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ووجه دلالتها على المقصود ما ذكره اللغويون، من أن تقديم المعمول على عامله يدل على القصر والحصر، والمعنى نستعين بالله -سبحانه وتعالى- قدم المعمول على عامله ليدل على القصر والحصر، أي: لا نستعين إلا بالله.

ومثل: «لزيدٍ مالٌ ليس لغيره»، وإذا قدمنا الجار والمجرور وهو المتعلّق فنقول: «لفلانٍ كذا»، وهذا يعني أن غير فلانٍ ليس له كذا.

وإنْ قلنا: «خالد له كذا» فيصح أن نقول: «ولطارقٍ كذا، ولزهير كذا، ولعمر كذا، ولسعيد كذا، ولفاطمة كذا، و..و..».

أما إذا قلت: «لعُثْمَانَ كذا» فمعناها: امتناع أن يكون لغير عثمان شيء من مثل ما قلت.

ومثل قول الله: ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٧]، أنفسهم: مفعول به تَقَدَّمَ عَلَى عَامِلِهِ الفعل (**يظلمون**)، وحين تجد معمولاً تقدم على عامله فاعلمْ أنَّ هذا أسلوبُ قَصْرٍ، وقد نقول: (**يظلمون أنفسهم**)، ويصح أن تعطف قائلاً: **ويظلمون** الناس. ولكن حين نقول: أنفسهم يظلمون، فمعنى ذلك أنه لا يتعدى ظلمهم أنفسهم، ويكون الكلام فيه قصر وتخصيص.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١٢٣]، فهذا أسلوبُ قَصْرٍ بتقديمِ الجَار والمجرور، أي: قَصَرَ غَيْبَ السماواتِ والأرضِ عليه سبحانه، فلو قلنا مثلاً: (**غيبُ السماوات والأرض لله**)، فَيُحْتَمَلُ أن يقول قائل: غيب السماوات لله ولغير الله، أما: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: له وحده لا شريك له.

القصر نوعان:

١- قصر موصوف على صفة، مثل: (**إِنَّمَا الشاعرُ طارقٌ**)، فنحن في هذه الحالة قَصَرْنا الشَّاعِرِيَّة على (طارق).

ومثل: (**مَا طارق إلا شَاعِرٌ**)، فقد قَصَرَ طارق، وهو الموصوف على الشاعرية، وهي الصفة.

٢- قصر صفة على موصوف، مثل قولك: (**إِنَّمَا طلحةُ ضابطٌ**)، فهذا يعني أن (**طلحةَ**) ضابط فَقَط، وهو ليس طبيبًا أو مُهَنْدِسًا أو شاعرًا.

أما إن قلت: (**إِنَّما الضَّابطُ طَلْحَةُ**)، فهذا يعني أنه لا يُوجَدُ ضابط إلا طلحة؛ فكأنَّكَ نَفَيْتَ عنِ الآخَرِين أنهم ضُبَّاطٌ، وأن طلحةَ فقط هو الضابط، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ طَبِيبًا وخَطِيبًا وعالِمًا مَعَ كَوْنِهِ ضابطًا.

وحينما تقول: (**لا إلَه إلاَّ الله**) فَقَدْ قَصَرْتَ وَصْفَ الإلَهيّة الحَقِيقِية على موصوف، وهو الله وحده، وهذا من قَصْرِ الصِّفَةِ على المَوْصوفِ.

وحينما تَقولُ: (**مَا لإبْلِيسَ مِنْ عَمَلٍ في النَّاسِ إلاَّ الْوَسْوَسَةُ وَالإغْوَاءُ**)، فإنَّك قَصَرْتَ عَمَلَ إبْلِيسَ فِي النَّاسِ عَلَى صِفَتَي الْوَسْوَسَةِ وَالإغْوَاءِ.

عَمَلُ إبليسَ فِي النَّاسِ موصوفٌ، والوسوسةُ والإغواء كل منهما صفةٌ، وهذا من قصر الموصوف على الصفة.

الباب السابع
في الوصل والفصل

الوصلُ: عطْفُ جملةٍ على أخرى، والفصلُ: تركُه. والكلامُ ههنا قاصِرٌ على العطْفِ بالواوِ؛ لأن العطْفَ بغيرِها لا يَقعُ فيه اشتباهٌ، ولكلٍّ من الوصلِ بها والفصْلِ مواضعُ.

يَجِبُ الوصلُ في مَوضِعَيْنِ:

الأوَّلُ: إذا اتَّفقَتِ الجملتانِ خبرًا أو إنشاءً، وكان بينَهما جِهةٌ جامعةٌ؛ أي: مناسبةٌ تامَّةٌ، ولم يكنْ مانِعٌ من العطْفِ، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣-١٤]، ونحو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة:٨٢].

الثاني: إذا أوْهمَ ترْكُ العطْفِ خلافَ المقصودِ، كما إذا قلتَ: لا وشفاه اللهُ. جوابًا لمن يَسألُك: هل بَرِئَ عليٌّ من المرضِ؟ فترْكَ الواوِ يوهِمُ الدعاءَ عليه، وغرضُك الدعاءُ له.

(الوصل) لغة: الجمع، واصطلاحًا: عطفُ جملة على أخرى.

فقوله: (عطْف) المراد به هنا عطفُ النسق، وهو التابع المتوسِّط بينه وبين متبوعه حرفٌ من حروف العطف.

وقوله: (جملةٍ) هي في اللغة: بعض الشيء، وأما في الاصطلاح فهي: المركَّب الإسنادي.

والعطف نوعان:

١- قد يكون عطف مفردٍ على مُفرد. ٢- وقد يكون عطف جملةٍ على جملة.

وهذا الباب مُتعلِّقٌ بالجُمَل، فعطف المفردات ليس داخلًا هنا، إلا إذا قُصِدَ بالمفرد أنه في قوَّة الجملة، فحينئذٍ يأتي الكلام فيه.

وقوله: (على) جملة (أخرى)، المراد به ما يشمل العطفَ الواقعَ بين الجمل المتعددة، كعطف جملتين على جملتين، فإنه ربما لا تتناسب جملٌ أربع مترتبة، بحيث تُعطَف واحدة على ما قبلها، بل تتناسب الأُوليان والأُخريان، فيُعطَف كل اثنتين أولًا ويُعطَف الأخريان على الأوليين؛ لمناسبة مجموع الأخريين لمجموع الأوليين.

(والفصل) لغة: القطع، واصطلاحًا: (ترْكه)؛ أي: ترك عطف جملةٍ أَتَتْ مِنْ بعدِ أُخرى، والمراد به: تركُ العطف حالَ إمكانه لفظًا مع بقاء الكلام على حاله، ولا يتأتَّى ذلك إلا في جملة مذكورة بعد أخرى.

فالحاصل أن الفصل والوصل: هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف، والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في موقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها.

وليس هذا التعريف للوصل والفصل مطلقًا، بل لنوع منهما، وهو الواقع في الجمل، وإنما خُصَّ الكلامُ ببيان هذا النوع من الوصل والفصل؛ لأن فيه من زيادة الغموض والبحث ما ليس فيما يقع في المفردات، وما يجري مجراها؛ لأنه في الغالب واضح.

(والكلام هاهنا) أي: في هذا الكتاب (قاصرٌ على العطف بالواو)، أي: عطف الجملة الثانية على الجملة الأولى بالواو خاصة؛ لأنك لا تصلُ بين الجملتين إلا إذا كان جامعٌ بينهما، فيُشترط في العطف أن تكون بينهما جهةٌ جامعةٌ، وهذا خاص بالواو؛ لأنها لمطلق الجمع، ولا يحسُن العطف بها حتى يُراعَى ما هو أخص جامعًا بينهما، فالحاصل أنه لم يتعدَ الكلام هنا إلى العطف بغير الواو؛ (لأن العطف بغيرها)، أي: بغير الواو من كل ما يدل على التشريك في الحصول الخارجي، (لا يقع فيه اشتباه)؛ لأن غيرها يفيد معانٍ مخصوصة، فإذا تحقق معنى منها وقُصِد التشريك

حَسُن العطفُ بالحرف الدال عليه، وإن لم توجد جهة جامعة غير التشريك بالعطف يكون بالواو.

وأيضًا الكلام هنا قاصر على العطف بين الجملتين اللتين لا محل لهما من الإعراب؛ لأن التي لا محل لها من الإعراب تُعتبر نسبتها وما يتعلق بها من المفردات، فإذا عطفت بالواو بينهما قصدتَ النص على اجتماعهما في الواقع، ولا يحسُن ذلك إلا إذا كان بينهما جامعٌ، وهو التوسط بين الكمالين بلا إيهام أو كمال الانقطاع مع الإيهام، وإلا فلا يحسن لعدم وجود الجامع بينهما، واستخراج هذا الجامع يتوقف على معرفة ما يأتي من الأحوال، بخلاف إذا كانت الجملة الأولى لها محل من الإعراب؛ فإنها لا تُعتبَر نسبتها وتكون بمنزلة المفرد.

فإذا قصدت تشريك الثانية لها في الحكم وعطفتها عليها بالواو؛ فإنه لا يحسُن إلا إذا وُجِدَ جامع بينهما، ولا يتوقف استخراجه على ما يأتي.

(ولكلٍّ من الوصل بها)؛ أي: بالواو (والفصلِ) بين الجملتين اللتين لا محل لهما من الإعراب (مواضعُ) جميعها سبعةٌ:

موضعان منها للوصل، وخمسة منها للفصل، والضابط في ذلك أن الجملتين إما أن يحصل إيهام خلاف المقصود بفصل إحداهما عن الأخرى، أو بوصلها دون فصلها، أو بهما معًا أو لا يحصل بواحد منهما؛ فالاحتمالات أربعة:

فإن حصل إيهام خلاف المقصود بالفصل وجب الوصل، ويُسمَّى كمال الانقطاع مع الإيهام.

وإن حصل إيهام خلاف المقصود بالوصل، فَصَلْتَ، سواء كان الإيهام؛ لأن عطفها على الأخرى يُوهم العطف على غيرها، ويُسمى شِبه كمال الانقطاع، أو كان لأن لإحدى الجملتين حكمًا لا تريد أن تُعطيه للأخرى، ويُقال له: توسط بين الكمالين مع الإيهام.

وإن حصل الإيهامُ بكل منهما فعلى البليغ أن ينظر في ذلك ويدفع أقوى الضررين بأخفهما.

وإن لم يحصل إيهام بواحد من الأمرين؛ فإما أن يكون جامع -أي: تناسب معنوي- أو لا؛ فإذا كان ما بينهما اتحادًا تامًّا، ويُسمى كمال الاتصال، أو تباينًا تامًّا، ويُسمى كمال الانقطاع؛ فيجب الفصل بينهما، وإن كان توسطًا فإما أن تكون الثانية في منزلة جواب سائل فيجب الفصل، ويُسمى شبه كمال الاتصال، أو لم تكن في منزلة جواب فيجب الوصل، ويُسمى توسطًا بين الكمالين؛ أي: مع عدم الإيهام، وإن لم يكن جامعٌ فيجب الفصل، ويُسمى كمال الانقطاع.

وظهر من هذا أن كمال الانقطاع صورتان يجب فيهما الفصل، وأن التوسط بين الكمالين صورتان أيضًا يجب الوصل في صورة ما إذا كان بينهما جامع ولا إيهام، ويجب الفصل في صورة ما إذا أُوهِم خلاف المقصود بالوصل.

وأما حكم الوصل والفصل في المفردَيْن، وكذا في الجملتين اللتين لهما محل من الإعراب؛ فيُعلَم من حكم الجملتين اللتين لا محل لهما، وهو أنه إذا أمكن من جهة الصناعة عطف أحدهما على الآخر بالواو:

فإن كان بينهما جامع وصلتها نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، لما بين كل لفظين منها من التقابل، فوُصِلَ لدفع توهُّم عدم اجتماعهما، ونحو قولك: خالد يكتب ويُشعِر. لما بين الكتابة والشعر من التَّنَاسُب الظاهر؛ إذ كلٌّ منهما إنشاء كلام.

وإن لم يكن جامعٌ فصلْتَهما نحو قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

(مواضع الوصل) بين الجملتين اللتين لا محل لهما من الإعراب (بالواو):

(يجب) بحسب البلاغة التي هي مطابقة لمقتضى الحال (الوصل) بالواو (في موضعين): التوسط بين الكمالين مع عدم الإيهام، وكمال الانقطاع مع الإيهام:

الموضع (الأول) من الموضعين:

فيما (إذا اتفقت الجملتان خبرًا أو إنشاء) أي: في أحدهما؛ إذ لا يمكن اجتماعهما على كل من الجملتين في حالة واحدة، وهذا صادق بثمانِ صور، كلها من باب التوسط؛ لأن اتفاقهما إما في اللفظ والمعنى معًا، وهذا صورتان خبريتان لفظًا ومعنى وإنشائيتان كذلك، وإما في المعنى فقط، وهذه ست صور إنشائيتان معنى خبريتان لفظًا، أو الأولى خبر، والثانية إنشاء، أو العكس، وخبريتان معنى إنشائيتان لفظًا، أو الأولى إنشاء والثانية خبر، أو العكس، (وكان) أي: تحقق (بينهما) أي: بين طرفي كل من الجملتين المتفقتين (جهة جامعة) أي: علاقة مخصوصة تجمعهما في العقل أو الوهم أو الخيال، وتقرب أحدهما من الآخر؛ (أي: مناسبة تامة) يعني: ظاهرة قريبة، فلا يُقبَل العطف بالواو إذا كانت المناسبة خفية بعيدة، (ولم يكن) مع تلك المناسبة التامة (مانع من العطف) أي: من عطف إحدى الجملتين المذكورتين على الأخرى، ويسمى الاتفاق المذكور توسطًا بين الكمالين مع عدم الإيهام، فإن وُجِدَ مانع من العطف؛ بأن اقتضى خلاف المقصود فيجب الفصل، أي: ترك العطف، وهو الموضع الخامس من مواضع الفصل كما سيأتي.

وهذا الموضع (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]) فهاتان جملتان متفقتان خبرًا، وبينهما جهة جامعة بين المسندين والمسند إليهما جميعًا؛ لأن الأبرار ضد الفجار، والكون في النعيم ضد الكون في الجحيم، ومع ذلك ليس بينهما ما يمنع من العطف، (ونحو) قوله سبحانه

وتعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾ [التوبة: ٨٢]) فهما جملتان اتفقتا إنشاء، ووجد الجامع بينهما، واتحاد المسند إليه فيهما، وتناسب المسندين لما بين الضحك والبكاء من التضاد مع عدم وجود مانع من العطف، وإنما اعتُبِرَ التضاد جهة جامعة؛ لأن التضاد عند الوهم كالتضايف عند العقل، فكما لا ينفك أحد المتضايفين عن الآخر عند العقل، كذلك لا ينفك أحد المتضادين عن الآخر عند الوهم، ولذلك الارتباط الوهمي تجد الضد أقرب خطورًا بالبال مع الضد الآخر من سائر المغايرات غير المتضادة بعضها مع بعض.

الموضع (الثاني) من مواضع الوصل:

(إذا أوهم ترك العطف) أي: عطف الثانية على الأولى، وكان بينهما كمال الانقطاع (خلاف المقصود) للمتكلِّم أي: فإنه يدفع ذلك الإيهام بالعطف الذي هو الوصل، ويُسَمَّى هَذَا كمال الانقطاع مع الإيهام، ولا جامع فيه (كما إذا قلتَ: لا وشفاه الله) وأنت قاصدٌ النَّفْيَ لمضمون كلام مسئول عنه فقلته (جوابًا) أي: قولًا على وجه الجواب (لمن يسألك: هل برئ عليٌّ من المرض) فقولك: «لا» نفي لمضمون المسئول عنه، أي: «ما برئ عَلِيّ مِنَ المَرَضِ»، وقولك: «شفاه الله» دعاء بالشفاء له، فكلمة «لا» تضمنت جملةً خبرية، و«شفاه الله» جملة إنشائية، فبينهما كمال الانقطاع وهو سبب للفصل وترك العطف، (فـ)كان حقه أن يُفصَل بـ(ترك الواو) أي: بعدم عطف الثانية على الجملة المقدرة بأن يُقال: «لا شفاه الله»؛ ولكن وجب الوصل هنا؛ لأن الكلام المشتمل على ترك الواو (يُوهم الدعاء عليه) أي: على المريض بعدم الشفاء، (و)الحال أن (غرضك) أي: مقصودك هو (الدعاء له) أي: لِعَلِيٍّ بِالشفاء؛ فيجب الوصل بالواو لعطف الثانية على الأولى دفعًا لهذا الإيهام.

ثم هذا الوجوب بالنسبة للفصل، وإلا فيمكن دفعُ الإيهام بطريق آخر غير الوصل؛ بأن تسكت بعد قولك: لا. أو تتكلم بما يدفع الاتصال، ثم تقول: شفاه الله.

مواضعُ الفصْلِ:

يَجِبُ الفصْلُ في خمسةِ مواضعَ:

الأوّلُ: أن يكونَ بينَ الجملتين اتِّحادٌ تامٌّ، بأن تكونَ الثانيةُ بدلاً من الأُولى، نحو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء:١٣٢-١٣٣].

أو بأن تكونَ بيانًا لها، نحو: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه:١٢٠]، أو بأن تكونَ مؤكِّدةً لها، نحو: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق:١٧]. ويقالُ في هذا الموضعِ: إنَّ بينَ الجملتين كمالَ الاتِّصالِ.

(مواضع الفصل) بالواو:

(يجب الفصل) بالواو بين الجملتين اللتين لا إعراب لهما بحسب البلاغة (في خمسة مواضع): كمال الاتصال وكمال الانقطاع بلا إيهام، وشبه كمال الاتصال وشبه كمال الانقطاع، والتوسط بين الكمالين مع الإيهام:

الموضع (الأول) من مواضع الفصل: (أن يكون بين الجملتين اتحاد تام) في المعنى كأنهما الشيء الواحد فيجب الفصل؛ إذ لو وصل وعُطِفَ بالواو لكان بمنزلة عطف الشيء على نفسه لشدة المناسبة بينهما، وهو ممتنع، وهذا الاتحاد التام يكون بأحد ثلاثة أمور:

الأمر الأول: (بأن تكون) الجملة (الثانية بدلًا من) الجملة (الأولى) أي: بدل بعض أو اشتمال فقط، يعني: حيث كانت الجملة الأولى غير وافية بتمام المراد؛ لكونها مجملة أو خفية الدلالة، وكان المقام يقتضي اعتناء بشأن المراد؛ إذ لا بد حينئذ لإتمام المراد وإيفائه من الإتيان بالبدل الوافي بتمام المراد كمال الوفاء، ولم يُقتَصَر على الثانية؛ لأن قصدها مرتين أوكد، وقد علل جماعة الفصلَ في هذا القسم بأن المُبدل منه في نية الطرح عن القصد الذاتي؛ فصار العطف عليه كالعطف على ما

لم يُذكَر، وقيل: لأن المبدل والمبدل منه كالشيء الواحد؛ وذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى حكاية عن قول نبيه هود عليه السلام لقومه: (﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٣٢-١٣٣])، فإن المراد من هذا القول التنبيه على نِعم الله تعالى، والمقام يقتضي اعتناءً واهتمامًا بشأن ذلك التنبيه، لكونه ذريعة للتشكر الذي هو مبدأ لكل خير وطاعة، والجملة الأولى لكونها دالَّةً على تلك النِّعم إجمالًا، ولأن إحالة تَفْصِيلِهَا على علم المخاطبين المعانِدِين بكفرهم غير وافٍ بتمام هذا المراد الذي هو التنبيه على نِعَمِهِ تَعَالى، فأوردت جملة ثانية بطرق البدل منها وفُصِّلَت فيها النِّعم، وسُميت أنواعها من غير إحالة على علمهم؛ لتكون وافية بتأدية المراد كمال الوفاء.

(أو) أي: **والأمر الثاني**: (بأن تكون) الجملة الثانية (بيانًا لها)؛ أي: للجملة الأولى، يعني: حيث كانت الأولى قاصِرَة لخفاء معناها، والمقام يقتضي إزالته، فإنه يؤتى بالثانية على أنها عطف بيان للإيضاح، وذلك (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾) أي: إلى آدم عليه السلام (﴿الشَّيْطَانُ﴾) أي: ألقى الشيطان وسوسته إليه، فهذه الجملة فيها خفاء؛ إذ لم تتبين تلك الوسوسة فبُيِّنَت بقوله: (﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠]).

(أو)؛ أي: **والأمر الثالث**: (بأن تكون) الجملة الثانية (مؤكِّدَة لها)؛ أي: للجملة الأولى، وهو على نوعين:

النوع الأول: أن تكون الثانية مؤكِّدة للأولى توكيدًا معنويًّا، بأن يختلف مفهومهما؛ ولكن يلزم مِنْ تَقَرُّر معنى إحداهما تَقَرُّر معنى الأخرى، والموجِب لذلك دفع توهُّم السامع التجوُّز في الأولى نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]؛ فإنه لما بُولغ في وصف الكتاب في الجملة الأولى ببلوغه إلى أقصى الكمال

بجعل المبتدأ ﴿ذَٰلِكَ﴾ وتعريف الخبر باللام جاز أن يتوهم السامع قبل التأمل في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مَجَازًا، فأتبع ذلك بالجملة الثانية وهي ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ دفعًا لهذا التوهم، وكانت هذه الثانية مؤكدة للأولى تأكيدًا معنويًا؛ لأن كمال الكتاب باعتبار ظهوره في الاهتداء به، وذلك بظهور حقيته وهو مقتضى الجملة الأولى، ونفي الريب، أي: بُعده عن الحالة التي تُوجِد الريب في أحقيته لازم لكماله في ظهور أحقيته.

النوع الثاني: أن تكون الثانية مؤكدة للأولى توكيدًا لفظيًا بأن يكون مضمون الأولى هو مضمون الثانية، والموجِب لذلك دفع توهم السامع الغلطَ والسهو في الأولى؛ (نحو) قوله تعالى: (﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٧]) فمضمون الجملتين متحد؛ إلا أنه لما جاز أن يَتوهم السامع قبل التأمل وقوع الغلط والسهو في الجملة الأولى أتبعها بالثانية دفعًا لهذا التوهم، وكانت هذه الثانية مؤكدة للأولى توكيدًا لفظيًا. ثم التمثيل بهذا مَبْنِيٌّ على أنه لم يُقْصَدْ بالثانية استئناف الإخبار بنسبتها، وإلا كانت بدلَ كلٍّ من الأولى.

(ويُقال في هذا الموضع) الأول الذي هو الاتحاد التام بين الجملتين، والحاصل في الأمور الثلاثة: (إن بين الجُملتين كمالُ الاتصال)؛ لأن الثانية هي الأولى أو بدلٌ منها أو بيانٌ لها، فبينهما كمال الاتصال؛ أي: تمام الاتحاد.

❁❁❁

الثاني: أن يكونَ بينَ الجملتين تباينٌ تامٌّ؛ بأن يَخْتَلِفا خَبَرًا وإنشاءً، كقولِه:

وقـال رائِـدُهُمْ أرسُـوا نُزَاوِلُهَـا فحَتْـفُ كُلِّ امـرِئٍ يجـري بمقـدارِ

أو بألا يكونَ بينَهما مناسَبةٌ في المعنى، كقولِك: عليٌّ كاتِبٌ، الحمامُ طائرٌ؛ فإنه لا مناسَبةَ في المعنى بينَ كتابةِ عليٍّ وطيرانِ الحمامِ.

ويقالُ في هذا الموضِعِ: إن بين الجملتين كمالَ الانقطاعِ.

الثالثُ: كونُ الجملةِ الثانيةِ جوابًا عن سؤالٍ نَشأَ من الجملةِ الأولى، كقولِه:

زَعَـمَ العـواذِلُ أنَّـني في غَمْـرَةٍ صَـدَقُوا ولَكِـنْ غَمْـرَتي لا تَـنْجَلِي

كأنه قيل: أصدقوا في زعمهم أم كذبوا؟ فقال: صدقوا.

ويُقَالُ: بينَ الجملتين شِبهُ كمالِ الاتِّصالِ.

الموضع (الثاني) من مواضع الفصل: (أن يكون بين الجملتين تباين تام)؛ أي: في المعنى، فيجب الفصلُ؛ لأن العطف بالواو يقتضي كمالَ المناسبة فيهما، والمناسبة مُنَافِيَة لكمال الانقطاع الذي هو تمام التباين، ويكون بأحد أمرين:

الأمر الأول: (بأن يختلفا خبرًا وإنشاء) أي: في كون إحداهما خبراً والأخرى إنشاء، وهذا صادق بثمانِ صور، كلها من باب كمال الانقطاع؛ لأن اختلافهما إما في اللفظ والمعنى معًا، وهذا أربع صور: الجملة الأولى خبرٌ لفظًا إنشاء معنى، والثانية إنشاء لفظًا خبر معنى، أو عكسها، والجملة الأولى إنشاء لفظًا ومعنى، والثانية خبر لفظًا ومعنى أو عكسها، أو في المعنى فقط. وهذا أربع صور أيضًا: خبران لفظًا أولاهما إنشاء معنى، وخبران لفظًا أولاهما خبر معنى، وإنشاءان لفظًا أولاهما خبر معنى، وإنشاءان لفظًا أولاهما إنشاء معنى.

وهذا الأمر الأول (كقوله)؛ أي: الأخطل:

(وقال رائِدُهُمْ أرسُوا نُزَاوِلُهَا   فحَتْفُ كُلِّ امرِئٍ يجري بمقدارِ)(١)

والشاهد في قوله «نُزاولها»؛ فإنه فصله عن قوله «أرسوا»؛ ففصل بين الجملتين لاختلافهما؛ لأن الأول أمر، والثاني خَبَر، فامتنع العطف بينهما؛ لاختلافهما خبرًا وطلبًا لفظًا ومعنى، وهو كمال الانقطاع، ومثله قولك: لا تدْنُ من الأسد يأكلك.

(أو) أي: والأمر الثاني: (بألا يكون بينهما) أي: بين طرفي كل من الجملتين مع اتفاق نسبتهما في الخبرية أو الإنشائية (مناسبة في المعنى) أي: جامعة بينهما، فلا تعطف الثانية على الأولى مع اتفاقهما لانتفاء الجامع، إما عن المسند إليهما فقط كقولك: «زيد طويل وعمرو قصير»؛ حيث لا جامعَ بين زيد وعمرو من صداقة وغيرها، وإن كان بين الطول والقصر جامع التضاد، أو عن المسندين فقط كقولك: «زيد طويل وعمرو عالم» عند فرض الصداقة بين زيد وعمرو، أو عنهما معًا (كقولك: «عليٌّ كاتب، الحمام طائر»)، ونحو: «زيد قائم، العِلم حسن»؛ (فإنه لا مناسبة في المعنى بين كتابة عليٍّ وطَيَرَان الحمام)، ولا بين قيام زيد وحُسن العلم؛ أي: بين المسند إليهما علي والحمام في الأولى، وزيد والعلم في الثانية، وبين المسندين الكتابة والطيران في الأولى، والقيام والحسن في الثانية.

(ويُقال في هذا الموضع) الثاني بقسميه اللذين أولهما التباين بين نسبتَي الجملتين، والثاني انتفاء المناسبة بين طرفي كل من الجملتين مع اتفاق نسبتيهما: (إن

---

(١) فقوله: «رائِدُهُمْ»: الرائد هو الذي يتقدم القومَ لطلب الماء والكلأ. وقوله: «أرسُوا» أي: أقيموا بهذا المكان المناسب للحرب. وقوله: «نُزَاوِلُهَا» أي: نحاول أمرَ الحربِ ونحتال لإقامتها بأعمالها. والحتف: الموت بمباشرة أعمال الحرب.

والمعنى: أقيموا في هذا المكان نقاتل العدو، ولا تحجموا عن قتاله خَشْيَةَ الموت؛ فإن المرء، باشر الحرب أم لا، لا يجري عليه حتفُه إلا بقدر الله وقَضَائِهِ؛ فلكل إنسان أجل محدود ينتهي إليه، فلا الإقدام يُدنيه، ولا الإحجام يُقصيه.

بين الجملتين كمال الانقطاع) بلا إيهام، فإن الموضع الثاني من الوصل أيضًا يُقال فيه: «إن بين الجملتين كمال الانقطاع»، لكن يقال فيه: «كمال الانقطاع مع الإيهام»؛ فاختلاف الحكم بين هذين الكمالين بوجوب الوصل في أحدهما والفصل في الآخر؛ بسبب إيهام خلاف المراد وعدمه.

الموضع (الثالث) من مواضع الفصل: (**كون الجملة الثانية جوابًا عن سؤالٍ**) مقدَّر الوقوع (**نشأ من الجملة الأولى**) أي أن الجملة الأولى اقتضت سؤالًا، ودلَّت عليه بالفحوى، أي: قوة الكلام باعتبار قرائن الأحوال، وكأنه واقع بالفعل محقَّق مصرح به، وتكون الجملة الثانية جوابًا عن هذا السؤال، وحينئذ فتُفصَل الثانية عن الأولى؛ إذ لا يُعطَف جواب سؤال على كلام آخر؛ (كقوله) تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ أي: مع طهارتها من الزَّلَل ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي: منطبعة من أصلها على طلب شيء لا ينبغي؛ فإن الجملة الأولى اقتضت سؤالًا خاصًا بقرينة التوكيد؛ لأن مضمونها- وهو الحكم بنفي تبرئة النفس- يتبادر منه أن ذلك لانطباعها على السوء؛ فكان المقام مقام تردُّد في ثبوت أمرها بالسوء، وكقول الشاعر:

زَعَمَ العواذِلُ أَنَّني في غَمْرَةٍ ... صَدَقُوا ولَكِنْ غَمْرَتِي لا تَنْجَلِي(١)

والشاهد في قوله: «زعم العواذل» و«صدقوا» فهناك سؤال مقدر؛ فـ(كأنه قيل) للشاعر: (أصدقوا)؛ أي: العوازلُ (في زعمهم) هذا (أم كذبوا) فيه؟ (فقال) الشاعر: (صدقوا).

---

(١) فقوله: (غمرة)، أي: شدَّة. وقوله: (تنجلي)، أي: تنكشف. والمعنى: إني كما قالوا، ولكن غمْرتي ليست كغيرها من الغمرات؛ فإنها غالبًا تنجلي، وغمرتي لا تنجلي، ولا مطمع لي في فلاحي.

(ويُقال) في هذا الموضع الثالث: إن (بين الجملتين) أي: الأولى التي هي منشأ السؤال المُقدَّر، والثانية التي هي مستأنفة جوابًا للسؤال المقدر (شبه كمال الاتصال)؛ لأن اتصال الجواب بالسؤال ليس كاتصال الأقسام الثلاثة من كمال الاتصال، أي: البدل وعطف البيان والتأكيد مع متبوعاتها؛ لكونها متحدة معها؛ بخلاف الجواب بالنسبة إلى السؤال، فإنه مغاير له؛ لكنه شبيه باتصال هذه الأقسام في أن الجملة الأولى في هذه الأقسام كما هي مستتبعة للثانية، ولا توجد الثانية بدون الأولى؛ كذلك السؤال مستتبع للجواب، والجواب لا يوجد بدون السؤال، فلذا يُقال لهذا الاتصال: «شبه كمال الاتصال».

❁❁❁

الرابعُ: أن تُسبَقَ جملةٌ بجملتين يَصِحُّ عَطفُها على إحداهما؛ لوجودِ المناسَبةِ، وفي عطفِها على الأخرى فسادٌ، فيُترَكُ العطْفُ دفعًا للوَهْمِ، كقولِه:

وتظُنُّ سَلْمَى أنَّنِي أبغِي بها ... بدَلًا أراهَا في الضَّلالِ تَهِيمُ

فجملةُ: «أُراها» يَصِحُّ عطفُها على تَظنُّ، لكن يَمنَعُ من هذا توهم العطف على جملة «أبغي بها»، فتكون الجملة الثالثة من مظنوناتِ سَلْمى، مع أنه ليس مرادًا.

ويقالُ: بينَ الجملتين في هذا الموضعِ شِبْهُ كمالِ الانقطاعِ.

الموضع (الرابع) من مواضع الفصل: (أن تُسبَق جملة بجملتين يصح عطفُها) أي: عطف الجملة المسبوقة اللاحقة (على إحداهما) أي: على إحدى الجملتين السابقتين (لوجود المناسبة) أي: الجامعة العقلية أو الوهمية أو الخيالية بين المسندين والمسند إليهما في الجملة المسبوقة، وإحدى السابقتين عليها، (وفي عطفها) أي: الجملة المسبوقة (على) الجملة (الأخرى فسادٌ) للمعنى المراد (فيُترَك العطفُ) أي: فيجب الفصل بترك عطف المسبوقة على إحدى السابقتين التي تُناسبها في كل من المسند والمسند إليه (دفعًا للوهم) أي: لوهم السامع عطف المسبوقة على

السابقة غير المقصودة، ويُسمى هذا الفصل قطعًا؛ لقطعه توهم خلافِ المقصود، أو لأن كل فصل قَطْع؛ فيكون من باب تسمية المقيد باسم المطلق.

وهذا الموضع (كقوله)؛ أي: الشاعر:

(وتظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبغِي بها بَدَلًا أُرَاهَا في الضَّلالِ تَهِيمُ)(١)

(فجملة «أُراها» يصح عطفها على) جملة (تظن) لوجود المناسبة بين هاتين الجملتين، وهي الاتحاد بين مسنديهما؛ لكون «أرى» بمعنى «أظن»، وشبه التضايف بين المسند إليه في الأولى وبينه في الثانية؛ فإن المسند إليه في الأولى «سلمى»، وهي محبوبة، وفي الثانية الضمير المستتر في «أرى» العائد إلى الشاعر المتكلِّم، وهو محب، فيتوقف تعقُّل كل منهما على تعقل الآخر باعتبار وصف المحبوبية والمحبية، فبين الجملتين مناسبة باعتبار المسندين والمسند إليهما، فلو عطف جملة «أراها» على جملة «تظن سلمى» لكان صحيحًا وموافقًا لمراد الشاعر؛ إذ المعنى حينئذ: إن سلمى تظن كذا وأظنها كذا. (لكن يمنع من هذا) أي: من عطف أراها على تظن بأن يقول الشاعر: «وأراها...» إلخ (توهُّم عطفها على جملة «أبغي بها») السابقة عليها (فتكون الجملة الثالثة) وهي جملة «أراها» أيضًا (من مظنونات سلمى) ويكون معنى الشعر الإخبار بظن سلمى أنها تَظُنُّنِي موصوفًا بوصفين:

أحدهما: أني أبغي وأطلب بها بدلًا.

والآخر: أني أظن أنها تَهِيمُ فِي أَوْدِيَةِ الضلال.

(مع أنه ليس مرادًا) للشاعر.

---

(١) فقوله: «أبغي»، أي: أطلب. وقوله: «أراها»، أي: أظنها. وقوله: «تهيم»؛ من هام: إذا ذهب في الأرض من العِشق وغيره، أي: تتحيَّر في أودية الضلال.

(ويقال) في هذا: إن (بين الجملتين في هذا الموضع) الرابع (شِبه كمال الانقطاع)؛ لِتَحَقُّقِ الْمُشَابَهَةِ بينه وبين كمال الانقطاع؛ في كون الجملتين متغايرتين مع وجود المانع من العطف؛ إلا أن المانع في صورة كمال الانقطاع هو التباين التام، أو عدم وجود المناسبة، وهاهنا المانع هو إيهام غير المراد.

❁❁❁

الخامسُ: ألا يُقصَدَ تشريكُ الجملتين في الحكْمِ لقيامِ مانِعٍ، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، فجملةُ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لا يَصِحُّ عطفُها على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؛ لاقتضائِه أنه من مَقولِهم، ولا على جملةِ: ﴿قَالُوا﴾ لاقتضائِه أن استهزاءَ اللهِ بهم مقيَّدٌ بحالِ خُلُوِّهم إلى شياطينِهم. ويقالُ: بينَ الجملتين في هذا الموضعِ توسُّطٌ بينَ الكمالَيْنِ.

الموضع (الخامس):

من مواضع الفصل: (ألا يُقصَد تشريك الجملتين في الحكم)؛ أي: تشريك الجملة الثانية للجملة الأولى في حكمها الإعرابي الذي لها، مثل كونها خبرَ مبتدإٍ أو صفة أو مفعولًا أو نحو ذلك، أو في قيد زائد على مفهومها؛ مثل الظرف والشرط ونحوهما؛ (لقيام مانع) من ذلك التشريك؛ أي: من العطف، وهو لزوم تشريك الثانية للأولى في ذلك القيد أو الحكم الإعرابي، والتشريك فيه نقيض المقصود؛ لأن المقصود الاستئناف فيجب الفصل، سواء كان بينهما جهة جامعة أم لا؛ (كقوله سبحانه و(تعالى) حكاية عن حال المنافقين: (﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾) أي: وإذا خلا المنافقون من المؤمنين ورجعوا (﴿إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾) أي: رؤسائهم من الكافرين (﴿قَالُوا﴾) لشياطينهم (﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾) أي: بقلوبنا من حيث الثبات على الكفر وعداوة المسلمين (﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾) أي: بالمسلمين فيما نُظهِر لهم من المداراة. قال تعالى:

(﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾)، أي: يجازيهم بالطرد عن رحمته في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين ودين الإسلام، ففي الكلام مُشاكلة؛ وإلا فالاستهزاء مستحيل على الله تعالى؛ (فجملة ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ لا يصح عطفها على) جملة (﴿إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾) التي هي محكية لـ﴿قَالُوٓاْ ﴾ (لاقتضائه) أي: العطف المذكور (أنه) أي: أن قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ (من مقولهم)؛ لأنه يلزم حينئذ تشريك جملة ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ لجملة ﴿إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ في كونها مفعولَ ﴿قَالُوٓاْ ﴾، فيلزم أن تكون هي أيضًا مقولة قول المنافقين، وليس كذلك؛ أي: لم يُقصد تشريكها للأولى في الحكم الإعرابي، وهو كونها من مقولهم، بل هو استئناف على أنه من مقول الله تعالى، ففصل بترك العطف دفعًا لإيهام خلاف المقصود، (ولا)؛ أي: وليست جملة ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ معطوفة (على جملة ﴿قَالُوٓاْ ﴾) وذلك (لاقتضائه) أي: العطف المذكور (أن استهزاء الله بهم) وهو مضمون جملة: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ (مقيد بحال خلوهم إلى شياطينهم)؛ لأن جملة ﴿قَالُوٓاْ ﴾ مُقيد بظرف هو ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ ﴾ بمعنى أنهم إنما يقولون: ﴿إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ في حال خلوهم إلى شياطينهم لا في حال وجود أصحاب النبي ﷺ، فلو عطف على هذه الجملة جملة ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ لزم تشريكها لها في كونها مقيدةً بذلك الظرف؛ فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم أيضًا مختصًّا بحال خلوهم إلى شياطينهم؛ مع أن استهزاء الله بهم دائم غير مقيد بحال الخلو.

(ويقال) في هذا: إن (بين الجملتين في هذا الموضع) الخامس (توسُّط بين الكمالين) أي: بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال؛ لأن الجملة الثانية في هذا الموضع لا تكون متحدة مع الجملة الأولى؛ بأن تكون بدلًا منها أو بيانًا لها أو مؤكدة لها، كما في كمال الاتصال، ولا مباينة عنها؛ بأن تكون مخالفة لها في الخبرية والإنشائية، أو لم يوجد بينهما وبين الجملة الأولى مناسبة في المعنى، كما في كمال

الانقطاع، بل هي مع كونها مغايرة للجملة الأولى في المفهوم، والمقصود تكون موافقة لها في الخبرية، وتوجد بينها وبين الجملة الأولى مناسبة وجهة جامِعَة أيضًا؛ فلا تكون فيها بالنسبة إلى الجملة الأولى كمال الاتصال ولا كمال الانقطاع، بل هي بَيْن بَيْن، فلذا يقال هاهنا: «إن بين الجملتين توسطًا بين الكمالين»، ولهذا الوجه بعينه يقال في الموضع الأول من الوصل أيضًا: أن بين الجملتين توسطًا بين الكمالين؛ إلا أن الحكم قد اختلف في هاتين الصورتين للتوسط؛ لوجود مانع من العطف هاهنا وعدمه هناك.

❁❁❁

الباب الثامن
في الإيجاز والإطناب والمساواة

كُلُّ ما يَجولُ في الصدرِ من المعاني يُمْكِنُ أن يُعبَّرَ عنه بثلاثِ طُرُقٍ:

١- المساواةُ: وهي تأديةُ المعنى المرادِ بعبارةٍ مساويةٍ له، بأن تكونَ على الحدِّ الذي جَرَى به عُرفُ أوساطِ الناسِ، وهُمُ الذين لم يَرتَقُوا إلى درجةِ البلاغةِ، ولم يَنحطُّوا إلى درجةِ الفَهاهةِ، نحو: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام ٦٨].

٢- والإيجازُ: وهو تأديةُ المَعْنَى بعبارةٍ ناقصةٍ عنه مع وفائِها بالغَرَضِ، نحو: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، و: قِفا نَبْكِ من ذِكْرى حبيبٍ ومنْزِلِ.

فإذا لم تَفِ بالغرضِ سُمِّيَ إخلالًا، كقولِه:

والعَيْشُ خيرٌ في ظِلا ... لِ النَّوْكِ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا

مرادُه أن العيشَ الرَّغْدَ في ظلالِ الحُمْقِ خيرٌ مِن العيشِ الشاقِّ في ظلالِ العقلِ.

(كل ما يجول) أي: يدور ويخطر (في الصدر) أي: في صدر الإنسان وذِهْنِه (من المعاني) أي: المقاصد (يمكن أن يُعبَّر عنه) تعبيرًا مقبولًا من البليغ (بثلاث طرق) وهناك ثلاث طرق أخرى للتعبير عنه، إلا أنها غير مقبولة؛ وذلك لأن المعنى المراد إما أن يؤديه البليغ بلفظ مساوٍ له أو لا.

فالأول يسمى المساواة. والثاني إما أن يكون ناقصًا عنه أو زائدًا عليه، والناقص إما وافٍ به ويُسمى إيجازًا، أو غير وافٍ ويُسَمَّى إِخْلالًا، والزائد إما لفائدة ويُسَمَّى إطنابًا، وإما مُعيَّنًا ويسمى حشوًا أو غيرَ معيَّن، ويُسَمَّى تطويلًا.

فصارت الطرق ستة:

ثلاثة مقبولة، وهي: المساواة، والإيجاز، والإطناب.

وثلاثة غير مقبولة، وهي: الإخلال، والتطويل، والحشو.

وبتقييد القبول بالبليغ يُعلَم أن المراد بقبول تلك الطرق وعدم قبولها بالنظر لخصوص المتكلم البليغ، وبهذا الاعتبار يكون الكلام البليغ منقسمًا إلى أقسام ثلاثة: مساوٍ، وموجز، ومطنب. وأما كلام أوساط الناس فلا يُوصَف بواحد من الثلاثة:

الطريقة الأولى: (المساواة):

قَدَّمَها لقلة مباحثها، ولأن مقامها مقام الإتيان بالأصل؛ حيث لا مقتضي للعدول عنه؛ بخلاف مقام الإيجاز؛ فإنه مقام ترك أحد المسندين أو المتعلقات، ومقام الإطناب فإنه مقام ذِكر ما لا يُحتاج إليه في أصل المعنى؛ كقصد البسط أو رعاية الفاصلة.

(و) المساواة (**هي: تأدية المعنى المراد**) الذي قَصَد المتكلم إفادته للمخاطَب (**بعبارة مساوية له**)؛ أي: منطبقة عليه، بمعنى أنها دالة عليه بالمطابقة، ليس فيها حذف عن أصلها، ولا زيادة بتكرير أو تَتْمِيم أو اعتراض أو غيرها، فقولنا: «جاءني إنسان» و«جاءني حيوان ناطق» كلاهما على طريقة المساواة، وإن كان بينهما تفاوت من حيث الإجمال والتفصيل؛ لأن كلًّا أدى المعنى المراد دالًّا عليه مطابقة، (**بأن تكون**) تلك العبارة (**على الحد الذي جَرَى به عُرف أوساط الناس**) أي: تعاملوا به في مجرى عُرفهم في تأدية المعنى التي تعرض لهم الحاجة إلى تأديتها في الحوادث اليومية.

(و) المراد بأوساط الناس (**هم الذين لم يرتقوا**) أي: لم يبلغوا في ارتقائهم من جهة أداء المعاني (**إلى درجة البلاغة**) التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أي: لم يرتقوا إلى درجة البلغاء (**ولم ينحطُّوا إلى درجة الفَهَاهة**) أي: العجز عن أداء أصل المعنى المراد، بمعنى أنهم لم ينحطوا إلى درجة البسطاء، فهؤلاء حيث كانوا عامة بالنسبة للبلغاء لا يلاحظون النكات التي يقتضيها الحال، وإنما يأتون بكلام يُؤَدِّي

أصل المعنى ويكون صحيحًا لمطابقته للغة والنحو والصرف، فلا يُوصَف كلامهم بواحد من الأقسام الثلاثة، لما قدمنا أن تقسيم التعبير إلى الثلاثة خاص بالكلام البليغ.

نعم؛ إذا أدى البليغ مقصوده بكلام على قدر أداء الأوساط يُسمى هذا الكلام مساواة.

المساواة نوعان:

أحدهما: مساواة مع الاختصار، وهي أن يتحرى البليغ في تأدية المعنى أوجز ما يكون من الألفاظ، كقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن:٦٠]، و(**نحو**) قوله سبحانه وتعالى: (﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٨])، فهذا الكلام مساوٍ؛ لأن المعنى قد أُدِّيَ بما يَسْتَحِقّه من التركيب الأصلي، والمقام يقتضي ذلك؛ إذ لا مقتضٍ للعدول عنه إلى الإيجاز والإطناب.

النوع الثاني: مساواة بدون اختصار، ويُسمى «المتعارف»، وهو تأدية المعاني بألفاظ على قدرها من غير طلب الاختصار؛ كقوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن:٧٢].

(و)**الطريقة الثانية**: (**الإيجاز، وهو**) لغة: التقصير، يقال: أوجزت الكلامَ؛ أي: قصرته.

واصطلاحًا: (**تأدية المَعْنَى**) المراد للمتكلِّم (**بعبارة ناقصة عنه**) أي: عن المعنى المراد بأن تكون أقل من الحد الذي جرى به عُرف أوساط الناس، (**مع وفائها**) أي: العبارة (**بالغرض**) أي: بالمعنى الذي هو الغرض المقصود، بأن تكون دلالتها عليه واضحة في تراكيب البلغاء، لا خفاء فيها؛ (**نحو**) قوله ﷺ فيما أخرجه الشيخان: («**إنما الأعمال بالنيات**») أي: صحة الأعمال بالنيات؛ فهذه الجملة القصيرة جَمَعَت

حكمَ الأعمال جميعها بأنها لا تصح إلا بنية، وإنما قدرنا الصحة؛ لأنها أكثر لزومًا للحقيقة من الكمال؛ لأنه متى وُجِدَ الكمال وُجِدَت الصحة من غير عكس.

(و)نحو قول امرئ القيس في معلقته المشهورة:

(قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حبيبٍ ومنزِلِ) بِسقط اللوى بين الدخول فحومل(١)

فهذا الكلام مع كونه ناقصَ العبارة؛ لأن الأصل: «إن تقفا نبكِ»؛ فهو ظاهر الدلالة على المراد؛ لأن وقوع المضارع مجزومًا بعد الأمر قرينة واضحة على حذف الشرط، فهذا الكلام يفي بالغرض؛ لأن دلالته على الغرض المطلوب مع نقصان اللفظ واضح في تراكيب البلغاء.

(فإذا لم تَفِ) العبارة الناقصة عن المعنى المراد (بالغرض) بأن يكون اللفظ ناقصًا مع خفاء الدلالة على ذلك الغرض؛ بحيث يُحتاج فيها إلى تكلُّف وتعسُّفٍ (سُمِّيَ) تأدية المعنى بها (إخلالًا) وحذفًا رديئًا؛ فهو تأدية المعنى بعبارة ناقصة عنه مع عدم وفائها؛ حيث إن التوصل إلى المحذوف فيه بتكلف، ويُسمَّى أيضًا عِيًّا وتقصيرًا، (كقوله) أي: قول حِلِّزة اليشكري:

عـــيش بجـــد لا يـــضـ ـــرك النـوك مـا أوليـت جـدًّا
(والعَــيْشُ خيـــرٌ في ظِـــلا لِ النَّـوْكِ ممـــنْ عـاشَ كَـدًّا)(٢)

---

(١) فقوله: «قِفا»: أمر من الوقوف خاطب به اثنين كانا يسيران معه. وقوله: «نَبكِ»: فِعل مضارع من البكاء. وقوله: «منزل»: أي: المكان الذي كان ينزل به أحبابه. و«سقط اللوى» و«الدخول» و«حومل» مواضع.

(٢) فقوله: «العَيْشُ» أي: المعيشة بمعنى ما يُتعيَّش به من مأكل ومشرب، وفيه حذف الصفة، والتقدير: والعيش الرغد. والمراد برغده كونه لذيذًا. وقوله: «ظِلالِ» جمع «ظلة»، وهي ما يُتَظَلَّل به. و«النَّوْك»؛ أي: الحمق؛ أي: فقدان العقل الذي يُتأمل به في عواقب الأمور.

وقوله: «ظلال النوك» من إضافة المشبه به للمشبه، أي: في نوك شبيه بالظلال بجامع الاشتمال.

وقوله: «ممنْ»؛ أي: مِنْ عَيْش مَن.

وقوله: «كَدًّا» أي: مكدودًا مُتْعَبًا.

فظاهره يُفيد أن العيش ولو بالنكد والتعب مع الحمق خير من العيش النكد والشاق ولو مع العقل، وهو غير صحيح؛ لاستوائهما في النكد، وزيادة الثاني بالعقل الذي من شأنه التوسعة وإطفاء بعض نكدات العيش؛ فلا يكون هذا المعنى مرادَ الشاعر بل (مراده أن العيش الرغد) أي: الناعم فقط (في ظلال الحُمْقِ) أي: مع رذيلة الجهالة وفقدان العقل (خير من العيش الشاقِّ) المتعب صاحبه (في ظلال العقل)، والبيت لا يفي بهذا المعنى المراد؛ لأن اعتبار الرغد في المصراع الأول في ظلال العقل في المصراع الثاني غير معلوم من الكلام، ولا يدل عليه دلالة واضحة؛ إذ لا يفهم السامع هذا المراد من البيت حتى يتأمل في ظاهر الكلام فيجده غير صحيح؛ فلأجل صحة الكلام قُدِّر ما ذُكِرَ من الأمرين في البيت[1].

❁❁❁

---

(١) الإيجاز لغة: يقال: أَوْجَزَ في صَلاتِه: إذا خفَّفها، ولم يُطِلْ فيها، والقصر في الصلاة: هو أن تكون صلاة الظهر والعصر والعشاء ركعتين بدلًا من أربع ركعات.

الإيجاز عند البلاغيين: هو تأدية المعنى المراد بألفاظ قليلة، والإيجاز نوعان: (إيجاز قَصْر - إيجاز حذف).

٣- والإطنابُ: وهو تأديةُ المعنى بعبارةٍ زائدةٍ عنه مع الفائدةِ، نحو: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا ﴾ [مريم:٤]؛ أي: كَبِرْتُ، فإذا لم تكنْ في الزيادةِ فائدةٌ سُمِّيَ تطويلًا إن كانت الزيادةُ غيرَ متعيِّنةٍ، وحشْوًا إن تَعيَّنَتْ؛ فالتطويلُ، نحو: وأَلْفَى قولَها كذِبًا ومَيْنًا، والحشْوُ، نحو: وأَعلَمُ علْمَ اليومِ والأمْسِ قبلَه.

(و)الطريقة الثالثة: (الإطناب: وهو) لغة: المبالغة؛ يُقَال: أطنب في الكلام؛ أي: بالغ فيه، واصطلاحًا: (تأدية المعنى بعبارة زائدة عنه) بأن تكون أعلى من حد عُرف أوساط الناس (مع الفائدة) الداعية إلى الزيادة، وهي تقويته وتوكيده؛ (نحو) قوله تعالى حكاية عن قول زكريا ودعائه عليه السلام: (﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾) أي: رق وضعف (﴿ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾) أي: من الكبر، وخص العظم؛ لأنه عمود البدن وبه قوامه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، (﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا﴾)؛ أي: فشا في رأسي الشيب؛ واشتعلت النار: إذا تفرقت في التهابها وصارت شُعَلًا؛ (أي: كَبِرْتُ) وشِختُ، فأوردت بدل: «كبرت» تلك العبارة الزائدة عليه بكثير؛ لفائدة مزيد التقرير والتثبيت للضعف المطلوب تأديته بهذا الكلام؛ لأنه لما بيَّن أن العظم الذي هو عمود البدن، وأصل بنائه وَهَن؛ ثَبَتَ تساقط القوة وتقَرَّر أمْرُ الضعف بالضَّرُورة، ثم قَرَّرَ هذا المعنى في الجملة الثانية بطريق الاستعارة التي هي أحسن وأبلغ من الحقيقة، وتشبيه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفُشُوِّه فيه.

(فإذا لم تكن في الزيادة) أي: زيادة العبارة عن المعنى المراد (فائدة) داعية إلى ذلك (سُمِّيَ) تأدية المعنى على الوجه المذكور (تطويلًا إن كانت الزيادة) في الكلام (غير متعيِّنة)؛ فالتطويل هو: أن يزيد اللفظ على أصل المعنى لا لفائدة، بشرط ألا يتعين المزيد، (و)سمي التأدي المذكور (حشوًا إن تعينت) الزيادة؛ فالفرق بين الحشو والتطويل تعيين الزيادة وعدم ذلك التعيين؛ مع اشتراكهما في كون الزيادة بلا فائدة.

(فالتطويل نحو) قول عدِي بن زيد العبادي من قصيدة طويلة يخاطب بها النُّعمانَ ابن المنذر، حين كان حابسًا له ويُذكِّرُهُ فيها ما وقع لجذيمة الأبرش والزباء من الخطوب:

وقددت الأديم لراهشيه (وألفى قولَها كذِبًا ومَيْنَا)[١]

والشاهد: أن الكذب والمين في هذا القول واحد، ولا فائدة في الجمع بينهما؛ إذ مقام هذا الكلام ليس مقتضيًا للتأكيد؛ فأحدهما زائد بلا فائدة، وليس المزيد متعينًا؛ لأن المعنى يصح بكل منهما، فزيادة أحدهما تطويل.

(والحشوُ، نحو) قول زُهير بن أبي سُلمى من قصيدته التي قالها في الصلح الواقع بين قيس وذبيان:

(وأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قبلَهُ) ولكنني عن عِلْمِ ما في غدٍ عَمِ[٢]

والشاهد فيه الحشو، فإن قوله: «قبله» زائد لدخول القَبْلِية في مفهوم «الأمس»، ومتعين للزيادة، وليس كالمَيْن بالنسبة إلى الكذب؛ فيكون حشوًا[٣].

---

(١) فقدَّدَتْ يعني: قطعتْ؛ أي: الزباء ملكة تدمر. والأديم هو الجلد. ولراهشيه؛ أي: إلى أن وصل القطع للراهشين، والراهشان: عرقان في باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع؛ والضمير المضاف إليه يعود لجذيمة الأبرش ملك الحيرة، الذي قتلته الزباء. و«ألفى»؛ أي: وجد جذيمة الأبرش. والمين: الكذب. والمراد الإخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء وقطعت راهشيه، وسال منه الدمُ حتى مات، وأنه وجد ما وعدته من تَزوُّجِه بها كذبًا.

(٢) فقوله: «عِلم اليوم» مصدر مبين للنوع، أي: وأعلم علمًا متعلقًا بهذين اليومين. وقوله: «عَمِ» أي: جاهل وغير عالم ماذا يكون غدًا. ومعنى البيت: إن علمي قد يُحيط بما مضى وبما هو حاضر؛ ولكنني عمي القلب عن الإحاطة بما هو مُنتَظَر متوقَّع؛ فهو يريد: لا أدري ماذا يكون غدًا.

(٣) الإطناب لغة: مصدر أَطْنَبَ يُطْنِب أَطْنِبْ إطنابًا، يقال: أَطْنَبَ الرَّجُلُ في الكَلاَمِ: أطال وبَالَغ فِيهِ.

الإطناب عند البلاغيين: هو تأدية المعنى بلفظ زائد، مثل قول الله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤]، فأصل المعنى المراد من سيدنا =

دواعي الإيجاز:

ومن دواعي الإيجازِ: تسهيلُ الحفْظِ، وتقريبُ الفهْمِ، وضيقُ المقامِ، والإخفاءُ وسآمةُ المحادَثةِ.

(ومن دواعي الإيجاز) أي: الأسباب الداعية إلى تأدية المتكلم المعنى المراد بطريق الإيجاز:

أولاً: (تسهيل الحِفظ)؛ فإن حِفْظ العبارة القليلة أسهلُ من حفظ الكثيرة بالضرورة.

(و) **ثانيًا:** (تقريب الفهم) على السامع كما في قول الشاعر:

وسورة أيام حززن إلى العظم

أي: قطعن اللحم إلى العظم، فاختير هاهنا الإيجاز وحذف المفعول ليقرُب فهمُ المراد فلا يُتوهم إرادة غيره؛ لأن المقصود أن الحزَّ بلغ إلى العظم، فلو ذكر المفعول، أعني: «اللحم»، لَرُبَّمَا تَوَهَّمَ السامع قبل ذِكر ما بعده أن الحز لم ينته إلى العظم، وإنما كان في بعض اللحم، فحُذِفَ دفعًا لهذا الوهم وتقريبًا لفهم المراد.

(و) **ثالثًا:** (ضيق المقام) عن إطالة الكلام؛ بسبب خوف فوات فرصة أو نحو ذلك، كقول الصياد: «غزال فاصطادوه»، فالحذف هاهنا لضيق المقام بسبب خوف فوات الفرصة بالإطالة بذِكْره.

(و) **رابعًا:** (الإخفاء) عن غير المقصود سماعه عن الحاضرين، كما تقول: «جاء» تريد زيدًا، لقيام قرينة عند المقصود سماعه دون غيره من الحاضرين.

=

زكريا هو: (رب إني قد كبرت) عبر عنه في الآية بكلمات زائدة عن المعنى المراد، وهذه الزيادة ليست عبثًا؛ بل هي لفائدة وهى إظهار الضعف وتأكيده.

(و)خامسًا: (سآمة المحادثة) من تطويل الكلام، بأن يُقصَد تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيُحذَف، ويُكتفى بدلالة الحال، وتُترك النفس تجول في الأشياء المُكتفى بالحال عن ذِكْرها.

ولهذا القصد يؤثَر الإيجاز في المواضع التي يُراد بها التعجب والتهويل على النفوس، ومنه قوله تعالى في أهل الجنة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣]، فحذف الجواب؛ إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى؛ فجعل الحذف دليلًا على ضيق المقام من وصف ما يشاهدونه، وتُركت النفوس تقدِّر ما شاءته، ولا تبلغ مع ذلك كُنه ما هنالك، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام:٢٧]، أي: لرأيت أمرًا عظيمًا لا تكاد تُحيطُ به العبارة (١).

---

(١) الإيجاز نوعان: (إيجاز قصر - إيجاز حذف).

إيجاز القصر: هو تأدية المعاني الكثيرة بعبارة قصيرة بدون حذف، مثل: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾ [البقرة: ١٧٩] فإنه لا حَذْفَ فيه، مع أن معناه كثير يزيد على لفظه؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِلَ كان ذلك داعيًا له ألا يقدم على القتل.

ومن أمثلة الإيجاز أيضًا: قوله تعالى فيما يخاطب به النبي عليه الصلاة والسلام: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فإن الله جَمَعَ في هذه الآية مكارمَ الأخلاق؛ لأن قوله: (خُذِ العَفْوَ) أمر بإصلاح قوة الشهوة فإن العفو ضد الجهل وقوله: (وأعرض عن الجاهلين) أمر بإصلاح قوة الغضب؛ أي: أعرض عن السفهاء واحلم عنهم، ولا تكافئهم على أفعالهم، هذا ما يرجع إليه منها، وأما ما يرجع إلى أمته، فدل عليه بقوله: (وأمر بالعرف) أي: بالمعروف والجميل من الأفعال.

ولهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه فيما روي عنه: أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لها من هذه الآية، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»، فهذا الحديث جمع من العبارات القليل، ولكنها حرمت الضرر مطلقًا من النفس أو من الغير.

إيجاز الحذف: هو ما يكون بحذف شيء من أصل الكلام، ومثل قولك: (آسِفٌ) لمن تعتذر له، والتقدير: أنَا آسِفٌ.

=

ومثل قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ [المائدة: ٣] أي: حُرِّمَ عليكم تناولُها. ومثل قولك: أَكَلْتُ فَاكِهَةً وَمَاءً، والتقدير: أَكَلْتُ فَاكِهَةً وَشَرِبْتُ مَاءً. ومثل قول الله عن قوم نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، والتقدير: أغرقوا...، فماتوا...، فحوسبوا...، فعُوقِبُوا ...، فأدخلوا نارًا؛ فالذي يغرق يسقط في الماء، لا يسقط في النار.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: واسأل أهل القرية.

ومثل قول الله: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥-٦]. إنّ الفعل: (يَشْرَبُ) يُعَدَّى لغةً بحرف (مِنْ)، لكنّه جاء في الآية هنا متعدّيًا بحرف (الباء) فَلِماذا؟ بالتأمّل يظهر لنا أنّ الفِعْلَ (يشرب) ضُمِّنَ معنَى الفِعْلِ: (يتلذّذ) أو (يَرْتَوِي) الذي يُعَدَّى بحرف (الباء) فَعُدِّيَ تعديته، والتقدير: عينًا يَشْرَبُ منها مُتلذّذًا بها عبادُ الله، فأغنى (يَشْرَبُ بها) عن عبارة: يشربُ منها ويتلذّذ بما يشرب عباد الله.

وللحذف صور، منها:

١- حذف الحرف: كما في قوله تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي: من قومه، ومنه قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: ٤] أي: يا رب بحذف حرف النداء.

٢- حذف المضاف: كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الممتحنة: ٦]؛ أي: يرجو رحمة الله، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]؛ أي: تنصروا دين الله.

٣- حذف المضاف إليه: كما في قول الله تعالى: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]؛ أي: بعشر ليال. ومنه قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[الروم: ٤]، أي: من قبل ذلك ومن بعده.

٤- حذف الموصوف: كما في قوله: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن: ٥٦]؛ أي: حور قاصرات الطرف، ومنه قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص: ٦٧] أي: وعمل عملًا صالحًا.

دواعي الإطناب:

ومن دواعِي الإطنابِ: تثبيتُ المعنى، وتوضيحُ المرادِ، والتوكيدُ ودفعُ الإيهامِ.

(ومن دواعي الإطناب) ما يلي:

أولًا: (تثبيت المعنى) أي: تمكينه وتقريره في ذهن السامع؛ نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١-٢] والأصل: هو الصمد.

(و)ثانيًا: (توضيح المراد) أي: زيادته، نحو قولك: خالد عندي. لمن قال: أين خالد؟

=

٥- **حذف الصفة:** كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]؛ أي: كل سفينة صالحة، بدليل ما قبله وهو قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾.

٦- **حذف القسم أو جوابه:** فحذف القسم كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]، والتقدير: واللهِ لقد زَيَّنَّا السماءَ الدنيا بمصابيح.

ومنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩] والتقدير: واللهِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ في الصالحين.

ومن حذف جواب القسم قوله وتعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ١-٢]، والتقدير: ص والقرآن ذي الذكر لَنُهْلِكَنَّ أعداءَك.

٧- **حذف الشرط أو جواب الشرط:** مثل قول الله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ [الشورى: ٩]، والتقدير: إنْ أرادوا أولياء فالله هو الولي.

ومن حَذْفِ جواب الشرط قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، والتقدير: لكان هذا القرآن. وقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، إنّ الفعل (يَقْبَلُ) يتعدَّى لغة بحرف (من)، فيقال: قَبِلَ الله منه توبته. ولكنْ عُدّيَ هنا بحرف (عَنْ)؛ لأنّه ضُمِّنَ معنى الفِعْلِ (عَفَا) أو (صَفَحَ) فَعُدِّي تعديته، والتقدير: وهو الذي يَقْبَلُ التوبةَ من عباده؛ إذْ يَعْفُو ويَصْفَحُ عنهم.

القيمة البلاغية للإيجاز: الاختصار، وإثارة الذهن، وتوفير الوقت.

(و)ثالثًا: (التوكيد)، نحو قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، فكرر اسم الإشارة تأكيدًا في أنهم كما خُصصوا في الدنيا بالهدى؛ خُصصوا بالفلاح في الآخرة.

(و)رابعًا:(دفع الإيهام) أي: إزالة اللبس؛ حيث يُوهم الضمير مثلًا أنه غير الأول، نحو قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ [آل عمران: ٢٦] فلو قال: (تؤتيه) لأوهم أنه الأول، ونحو قوله تعالى: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] لأنه لو قال: (عليهم دائرته) لأوهم أن الضمير عائد إلى الله تعالى(١).

---

(١) الإطناب عند البلاغيين: هو تأدية المعنى بلفظ زائد، مثل قول الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧] من الإطناب؛ لأنّ المشركين لا يُزكّون. والداعي لهذا الإطناب حثُّ المؤمنين على أداء الزكاة، وتحذيرهم من المنع؛ إذ أبان الله أنّهُ من صفات المشركين، وفيه دلالة على أنَّ من آثار الشرك جَفَافَ الرحمة على ذوي الحاجات، فهم لا يشعرون بمشاعر ذوي الحاجات، بخلاف المؤمنين بالله واليوم الآخر؛ إذ الإيمان يولّد في قلوبهم خلق الرحمة، وعاطفة حبّ العطاء ومساعدة ذوي الحاجات.

أنواع الإطناب:

١ - عطف الخاص على العام: وهو أن تذكر شيئًا خاصًا بعد إدخاله في شيء عام سبق، ويأتي هذا النوع للتنويه بشأن الخاص وبيان فضله، مثل: أُحِبُّ النَّاسَ وأَبِي وَأُمِّي. فذِكْرُ (أبي وأمي) بعد كلمة (الناس) مع أنهما داخلان في الناس، وذلك للتنبيه على زيادة فضلهما. ومثل قول الله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فذكر جبريل وميكال مع دخولهما في الملائكة للتنبيه على زيادة فضلهما. ومنه قول النبي ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ والسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ». فذكر السمع والطاعة مع دخولهما في التقوى لمزيد الاهتمام بهذا الأمر، وتأكيد لمزيد العناية بمقام السمع والطاعة.

ومثل قوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، نلاحظ أنَّ الصَّلاة الوسْطى -وهي في أظهر الأقوال صلاةُ العَصْر- داخلةٌ في عموم لفظ (الصَّلَوات)، لكن خُصَّتْ بالذكر وعُطِفَتْ على عموم الصلوات؛ اهتمامًا بشأنها، وتوجيهًا لتخصيصها بعناية فائقة خاصّة، وهذه =

أقسام الإيجاز

الإيجازُ إما أن يكونَ بتضمُّنِ العبارةِ القصيرةِ معانيَ كثيرةً، وهو مركزُ عنايةِ البُلَغاءِ، وبه تَتفاوتُ أقدارُهم، ويُسمَّى: إيجازَ قِصَرٍ، نحو: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

=

فائدة الإطناب بذكرها؛ إذْ هي داخلةٌ في عموم لفظ (الصّلوات) الوارد قبلها في النص. هذا المثال من عطف الخاص على العام.

٢- **عطف العام على الخاص**: وهو أن يذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم، مع العناية بشأن الخاص، مثل: أُحِبُّ أبي والنَّاسَ. فذِكْرُ (أبي) قبل كلمة (الناس) مع أنها داخلة في الناس، وذلك للتنبيه على زيادة فضله.

ومثل: قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٨]، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآية المؤمنين والمؤمنات وهما عامَّان يدخل فيهما من ذكر قبل ذلك لإفادة العموم، مع العناية بالخاص لذكره مرتين، مرة بلفظه، ومرة مندرجًا تحت العام.

٣- **التفصيل بعد الإجمال**: وذلك أن يُذْكَر المعنى مجملًا، ثم يأتي بعد ذلك مفصلًا، مثل: (الكلامُ ثلاثةٌ: اسم وفعل وحرف)، فجاء الإجمال (ثلاثة) ثم جاء التفصيل (اسم وفعل وحرف).

ومثل قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٢-١٣٣]، ففي الآية تفصيل بعد إجمال؛ حيث أَبْهَمَ الأنعام والبنين في قوله: (بِمَا تَعْلَمُونَ)، ثم ذكرها موضحةً في قوله: (بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) وذلك تشويقًا إلى معرفتها وتنبيهًا إلى شرفها.

٤- **التكرير**: هو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لغرض ما، مثل: كقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤-٥].

٥- **الاعتراض**: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، ومثل: (كانت أمِّي -يرحمُها الله- سيِّدَةً مُؤمِنَةً)، فكل من (سبحانه- يرحمها الله) جملة اعتراضية فيها إطناب.

القيمة البلاغية للإطناب: توضيح المعنى في ذهن السامع أو القارئ.

وإما أن يكونَ بحذْفِ كلمةٍ أو جملةٍ أو أكثرَ، مع قرينةٍ تُعَيِّنُ المحذوفَ، ويُسمَّى: إيجازَ حذْفٍ، فحذفُ الكلمةِ كحذفِ (لا) في قولِ امرِئ القيسِ:

فقلتُ يمينُ اللهِ أبرحُ قاعدًا ولو قَطَعُوا رأسي لَدَيْكِ وأوصَالِي

(الإيجاز) من حيث هو نوعان: إيجاز القصر وإيجاز الحذف، وذلك لأنه (إما أن يكون) الإيجاز حاصلًا (بتضمن) أي: باقتضاء (العبارة القصيرة) أي: القليلة (معانيَ كثيرة) اقتضتها تلك العبارة بدلالة الالتزام أو التضمن، بلا حذف شيء في نفس تركيبها، (وهو) أي: هذا النوع من الإيجاز (مركز عناية البلغاء) لزيادة اعتنائهم إلى الإتيان بالمعاني الكثيرة بلفظ يسير، ولا يقدر عليه غيرهم من أوساط الناس، (وبه تتفاوت أقدارهم) أي: مراتبهم في البلاغة.

(ويسمى) هذا الإيجاز (إيجازَ قِصَرٍ) على وزن عِنَب؛ لوجود الاقتصار في العبارة مع كثرة المعنى؛ (نحو: قوله) سبحانه و(تعالى) في كتابه الكريم: (﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ ﴾) أي: في نفس القتل بالقتل عند وجود شروطه (﴿حَيَوٰةٌ﴾)، وهذا القول يَفضُل ما كان عن العرب أوجز كلامه في هذا المعنى، وهو قولهم: «القتل أنفى للقتل» من وجوه:

أحدها: أن عدة حروف ما يُناظره منه، وهو «القصاص حياة» عشرة في التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر.

ثانيها: ما فيها من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها، فيكون أزجر عن القتل بغير حق؛ لكونه أدعى إلى الاقتصاص.

ثالثها: ما يُفيده تنكير «حياة» من التعظيم؛ وذلك لمنعهم عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد، أو النوعية، وهي الحياة الحاصلة للقاتل بانكفافه، والمقتول بالكف عنه.

رابعها: اطراده، بخلاف قولهم فإن «القتل يَنفي القتل» هو ما كان على الاقتصاص لا غيره.

خامسها: سلامته من التكرير الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم.

سادسها: استغنائه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فإن تقديره: القتل أنفى للقتل من تركه.

سابعها: أن القصاص ضد الحياة، فالجمع بينهما «طباق».

(وإما أن يكون) الإيجاز حاصلًا (بحذف كلمة) أي: بسبب حذف كلمة، سواء كانت اسمًا أو فعلًا أو حرفًا.

(أو) بسبب حذف (جملة) فيشمل حذف فِعل الشرط وحده وحذفه مع أداته، وحذف جواب الشرط (أو) بسبب حذف (أكثر) من كلمة واحدة، كحذف المضافين أو جملة واحدة (مع قرينة تُعيِّن المحذوف) من دلالة الحال أو دلالة العقل أو دلالة العادة، أو دلالة الصناعة النحوية، (ويُسمى) هذا النوع من الإيجاز: (إيجازَ حذف)؛ لحصوله بحذف شيء من الكلام.

(فحذف الكلمة) الواحدة كثير، وله مواضع متعددة، منها حذف أحد حروف المعاني، (كحذف «لا») النافية (في قول امرئ القيس) بن حجر بن الحارث الكندي:

(فقلتُ يمينُ اللهِ أبرحُ قاعدًا ولو قَطَعُوا رأسي لَدَيْكِ وأوصَالِي)(١)

وجواب «لو» محذوف لتقدُّم ما أغنى عنه، كأنه قال: ولو قطعوا رأسي ما برحت.

فقوله «أبرح قاعدًا» أي: لا أبرح قاعدًا. فحُذِفَت «لا» في هذا الموضع وهي مرادة.

---

(١) والأوصال: الأعضاء، واحدتها وصل، و(لديك): عندك، . وأبرح: أزال.

وحذفُ الجملةِ؛ كقولِه تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر:٤] أي: فَتَأَسَّ واصبِرْ. وحذْفُ الأكثرِ، نحو قولِه تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف ٤٥-٤٦] أيْ: أَرسِلُوني إلى يوسُفَ لِأَسْتَعْبِرَه الرؤيا، ففَعَلوا، فأتاه، وقالَ له: يا يوسُفُ.

(وحذف الجملة) الواحدة، وهذا لا تكاد تجده إلا في كتاب الله تبارك وتعالى؛ ذلك أن الجملة ذات فائدة مستقلة، وحينما تُحذَف فإن ذلك سيُحدِث خللًا في المعنى ونقصًا في الغرض المقصود، فلا يستطيع أحد أن يرتب كلامه بحيث إذا حذفت منه جمل مستقلة يؤدي الغرض المراد، لكن كلام رب العالمين المعجز يُعطي المعاني كاملة مع حلاوة الإيجاز في هذا الحذف الناشئة عن روعة الإعجاز، وذلك كثير في كتاب الله تعالى؛ (كقوله) سبحانه و(تعالى) في كتابه الكريم: (﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤]، أي: فتَأَسَّ) بتكذيب الرسل من قبلك، (واصبر) على تكذيبك؛ فحُذِفَت هذه الجملة التي هي الجزاء للشرط ووُضع موضعها ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر:٤]، استغناء بالسبب عن المسبب، فإن تكذيب الرسل المتقدمين سبب للتأسي.

(وحذف الأكثر) من جملة واحدة (نحو قوله) سبحانه و(تعالى) حكاية عن أحد الفتيَيْن الذي أرسله العزيز إلى يوسف ليستعبره ما رآه: (﴿فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٥-٤٦])، فإن هذا الكلام حُذِفَ فيه أكثر من جملة واحدة، وهي خمس جمل مع ما لها من المتعلقات، لا يستقيم المعنى إلا بها؛ (أي: أرسلوني) أي: (إلى يوسف)، وهو متعلق بجملة (أرسلون)، ثم حذف ما يلي:

الجملة الأولى: (لأستعبره الرؤيا)؛ أي: لأطلب منه تعبيرها وتفسيرها.

والجملة الثانية: (ففعلوا) أي: فأرسلوه.

والجملة الثالثة: (فأتاه).

والجملة الرابعة: (وقال له).

والجملة الخامسة: (يا يوسف) فإن (يا) نائبة مناب جملة أدعو.

والقرينة على حذف هذه الجمل ظاهرة، وهي أن نداء يوسف يقتضي أنه وصل إليه، وهو متوقف على فِعل الإرسال والإتيان إليه، ثم النداء محْكِيّ بالقول، والإرسال معلوم أنه إنما طُلِبَ للاستعبار؛ فحذف كل ذلك إيجازًا للعلم به؛ لئلا يكون ذِكره تطويلًا لعدم ظهور الفائدة في ذكره مع العلم به.

❁❁❁

أقسام الإطناب

الإطنابُ يكونُ بأمورٍ كثيرةٍ، منها: ذِكْرُ الخاصِّ بعدَ العامِّ، نحو: اجتهِدوا في دروسِكم واللغةِ العربيَّةِ.

وفائدتُه: التنبيهُ على فضْلِ الخاصِّ، كأنه لرفعتِه جنسٌ آخرُ مغايرٌ لما قبلَه.

ومنها: ذكْرُ العامِّ بعدَ الخاصِّ، كقولِه: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

(الإطناب) من حيث ما يتحقق به (يكون)؛ أي: يحصل (بأمورٍ كثيرة) منها ما يلي:

الأول (منها) أي: من أقسام الإطناب: (ذِكْر الخاص بعد العام):

على سبيل العطف لا على سبيل الوصف أو الإبدال؛ لأن ذِكره بعده على سبيل أحد الأمرين من قبيل الإيضاح بعد الإبهام كما هو ظاهر، وذِكر الخاص بعد العام (نحو) قولك: (اجتهدوا في دروسكم واللغة العربية)، فذِكر اللغة العربية بعد الدروس مع أنها فرد من أفرادها إطناب.

(وفائدته) أي: عطف الخاص على العام: (التنبيه على فضل الخاص) المذكور بعد العام؛ لأن ذكره منفردًا بعد دخوله فيما قبله إنما يكون لمزية له، فـ(كأنه) أي: الخاص (لرفعته) أي لوصفه الذي به حصل له الرفعة والمزية على سائر أفراد العام (جنس آخرُ مغاير لما)؛ أي: لجنس العام المذكور (قَبْلَهُ) بحيث لا يشمله ذلك العام ولا يُعلم حكمه منه، فلذا صح ذكره بعد ذلك العام على سبيل العطف المقتضي للتغاير.

(و)(الثاني (منها):

أي: من أقسام الإطناب: (ذكر العام بعد الخاص) على سبيل العطف بالواو خاصة، وفائدته: التنبيه على كون الخاص أحق بالحكم مع عدم اختصاص هذا الحكم به؛ (كقوله) سبحانه و(تعالى) حكاية عن نبيه نوح على نبينا وعليه السلام: (﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾) أي: ما صدر مني، من ترك الأفضل، ودعائي على الكفار كالانتقام منهم (﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾) وكانا مسلمين (﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ﴾) أي: منزلي، وقيل: مسجدي. وقيل: سفينتي (﴿مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨])، إلى يوم القيامة فبدأ بنفسه؛ لأنها أولى بالتخصيص والتقديم، ثم ثَنَّى بالمتصلين به؛ لأنهم أحق بدعائه من غيرهم، ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات؛ ليكون ذلك أبلغ في الدعاء وللإشارة إلى التعميم بعد التخصيص المطلوبين في الدعاء.

❁❁❁

ومنها: الإيضاحُ بعدَ الإبهامِ، نحـو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء:١٣٢-١٣٣].

ومنها: التوشيع، وهو أن يؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسر باثنين، كقوله:

أُمسي وأُصبح مِنْ تَـذْكَارِكُمْ وَصِـبًا　　　يَـرْثِي لِيَ المـشفِقَانِ الأهـلُ والـولدُ

ومنها: التكريرُ، لغرَضٍ؛ كطولِ الفصلِ، في قولِه:

وإنَّ امْـرَأً دَامـتْ مواثيـقُ عهـدِه　　　عَلى مثـلِ هـذا إنـه لكـريمُ

وكزيادةِ الترغيبِ في العفوِ، في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]. وكتأكيدِ الإنذارِ، في قولِه تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤].

(و)الثالث (منها) أي: من أقسام الإطناب: (الإيضاح بعد الإبهام)؛ أي: إيضاح شيء بعد إبهامه، وفائدته أن يتمكن في النفس فضل تمكُّن؛ لأن الإشعار به إجمالًا يقتضي التشوق له، ومقتضى الجبلة أن الشيء إذا جاء بعد التشوق يقع في النفس فضل وقوع، ويتمكن فيها زيادة تمكن؛ (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٣٢-١٣٣])، فقولـه تعـالى: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ بيان وتفصيل لنعم الله تعالى بعد ذِكره إبهامًا وإجمالًا بقوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾؛ لأن المراد بما تعلمون النِّعم؛ كما يُشعِر به لفظ الإمداد، فيفيد زيادة التمكن في النفس، والمقام يقتضي ذلك التمكن؛ لكون المقام مقام تنبيههم على نعم الله تعالى، وإيقاظهم عن سِنَة غفلتهم عنها.

(و)الرابع (منها) أي: من أقسام الإطناب: (التوشيع: وهو أن يُؤتَى في آخر الكلام) كعجز البيت (بمثنى مفسَّر بـ) اسمين (اثنين) أحدهما معطوف على الآخر، أو بجمع مفسَّر بأسماء (كقوله)، أي: قول الشاعر:

(أُمسي وأُصبح مِنْ تَذْكَارِكُمْ وَصِبًا ... يَرْثِي لِيَ المشفِقَانِ الأهلُ والولدُ)(١)

والشاهد أن قوله: (الأهل والولد) تفسير وبيان للمثنى الذي هو (المشفقان).

ومثال الجمع المفسر بأسماء: قولك: «إن في زيد ثلاث خصال: الكرم، والشجاعة، والحلم».

(و)الخامس (منها) أي: من أقسام الإطناب: (التكرير) وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر (لغرض) أي: لفائدة ونُكتة، وقيد التكرير بالغرض ليكون إطنابًا؛ لأنه إذا كان لغير غرض فهو تطويل كما تقدم، وذلك الغرض كالأغراض الآتية:

أولًا: (كطول الفصل) بين اسم إن الأولى وخبرها، (في قوله)، أي: قول الشاعر:

أقيدٌ وحبسٌ واغترابٌ وفرقةٌ ... وهجرُ حبيبٍ إن ذا لعظيم

(وإِنَّ امْرَأً دَامتْ مواثيقُ عهدِه ... علَى مثلِ هذا إنه لكريمُ)

كأنه قال: أتجمع عليَّ حبسًا وتقييدًا واشتياقًا إلى حبيب وبكاء مع بُعد بيني وبينه! إن ذلك أمر منكر فظيع يتضايق نطاق الصبر عن احتماله والبقاء معه، وأشار بذلك إلى اجتماع هذه الأشياء عليه، ونبه على عجزه في احتمالها؛ لولا كرم عِرقه واستحكام عقده؛ فإنه باقٍ على العهد مُدَاوِم ودّه على اجتماع هذه الأحوال عليه، وإن رجلًا ثبت على أولية شأنه ومبادئ مواثيقه مع ما يقاسيه من تزاحم هذه البلايا على قلبه لكريم الأصل، نبيه الشأن وثيق العقيدة.

---

(١) فـ(تذكار) مصدر معناه: الحفظ والاستحضار، أي: الحفظ في الذهن. وقوله: (صبا): معناه الشوق. وقوله: (يرثي)، أي: يرق ويرحم. والمعنى: أنني دائمًا أذكركم وأستحضركم في ذهني، ومن شدة اشتياقي لكم يرق لي أهلي وولدي.

والشاهد أنه لما طال الكلام بين اسم إن وخبرها أُعيدت (إن) مرة ثانية في قوله: (إنه لكريم)؛ لأن تقدير الكلام: وإن أمرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا لكريم؛ لكن بين الاسم والخبر مدى طويل؛ فإذا لم تُعَد (إن) مرَّة ثانية لم يأتِ على الكلام بهجة ولا رَوْنَق، وهذا لا يتنبه لاستعماله إلا الفصحاء إما طبعًا وإما عِلمًا.

(و)**ثانيًا**: (كزيادة الترغيب في العفو) مثلًا (في قوله) سبحانه و(تعالى) في محكم كتابه: (﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾) بحملهم إياكم على ترك طاعة الله (﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾) أي: فكونوا منهم على حذر، ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم، (﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤])، يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم؛ فالعفو والصفح والمغفرة ألفاظ بمعنى واحد، وهو ترك الذنب وعدم المعاقبة عليه، أطنب بها لزيادة الترغيب في العفو.

(و)**ثالثًا**: (كتأكيد الإنذار)؛ أي: الردع والتخويف (في قوله) سبحانه و(تعالى) في كتابه الكريم: (﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤]) فإن المخاطَبين لما تكاثروا في الأموال، وألهاهم ذلك عن عبادة ربهم حتى زاروا المقابر؛ أي: ماتوا، زجرهم المولى عن الانهماك في تحصيل الأموال، ونَبَّهَهُمْ على أن اشتغالهم بتحصيلها وإعراضهم عن الآخرة خطأ بقوله: ﴿كَلَّا﴾ فإنها مفيدة للردع والزجر، وخوَّفهم تعالى على ارتكاب ذلك الخطأ بقوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ما أنتم عليه من الخطأ إذا عاينتم ما أمامكم من لقاء الله تعالى وأهوال المحشر، وكرر هذا القول تأكيدًا للردع والإنذار وعطف بثم، لتدل للمخاطَبين والسامعين على أن الإنذار الثاني أبلغ وآكد وأقوى من الأول؛ باعتبار زيادة اهتمام المنذِر به، لا باعتبار أنه زاد شيئًا في المفهوم.

❁❁❁

ومنها: الاعتراض، وهو توسُّط لفظٍ، بينَ أجزاءِ جملةٍ، أو بينَ جملتين مرتبطتَيْن معنًى لغرضٍ، نحو:

إنَّ الثَّمانينَ وَبُلِّغْتَهَا ... قد أحْوَجتْ سمعي إلى تَرْجُمَانْ

ونحو قولِه تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧].

ومنها: الإيغال، وهو ختم الكلام بما يفيد غرضًا يتم المعنى بدونه، كالمبالغة في قول الخنساء:

وإنَّ صَخْرًا لتَأتَمُّ الهداةُ بِه ... كأنه عَلَمٌ في رأسه نارُ

(و)السادس (منها) أي: من أقسام الإطناب: (الاعتراض، وهو توسُّط لفظ) أي: جملة معترضة واحدة أو أكثر منها، بشرط أن يكون هذا المتوسط لا محل له من الإعراب جزمًا (بين أجزاء جملة).

والمراد بالجملة: مجموع المسندَين مع المتعلقات والفضلات والتوابع المفردة، ولو بالعطف، لا ما يتركب من المسندين فقط (أو) توسط لفظ (بين جملتين مرتبطتين معنى) بأن كانت الجملة الثانية مبينة للأولى أو مؤكدة لها، أو معطوفة عليها أو بدلًا منها؛ وذلك التوسط (لغرض) أي: لنكتة سوى دفْع الإيهام، فخرج بقيد التوسط الإيغال، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة لا يتم المعنى بدونها، وخرج باشتراط أن لا محل من الإعراب لهذا المتوسط التتميم؛ فإنه الإتيان بفضلة في كلام لا يُوهِم خلاف المقصود، من مفعول أو حال أو نحو ذلك، فيوجد للمأتي فيه محل من الإعراب، وخرج بكون الغرض سوى دفع الإيهام: ما يكون بجملة أو أكثر في الأثناء؛ لدفع الإيهام فإنه من صور التكميل، وأما البعض الآخر من صور التكميل، وهو ما يكون آخرًا فهو خارج بقيد التوسُّط.

وهذا القسم من الإطناب (نحو) قول عوف بن محلم الشيباني يشكو ضعفه:

(إِنَّ الثَّمَانينَ وَبُلِّغْتهَا قد أَحْوَجتْ سمعي إلى تَرْجُمَانْ)(١)

والشاهد أن قوله: (**وبلغتها**) اعتراض في أثناء الكلام لفائدة، وهي هنا الدعاء للمخاطَب بما يسرُّه ويستجلب إقباله، ويتمنَّاهُ كل أحد من طول العمر، وازدادت مناسبته بذكر الثمانين التي هي من طول العمر.

(ونحو قوله) سبحانه و(تعالى) في كتابه الكريم: (﴿وَيَجْعَلُونَ﴾) أي: يجعل المشركون (﴿لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَ﴾) يجعلون (﴿لَهُم﴾) أي: لأنفسهم (﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾) من الذكور.

فقوله تعالى في الآية: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ جملة معترَضَة؛ لأنه مصدر منصوب بفعل مقدَّر؛ أي: أُسَبِّحُهُ تسبيحًا، وهي أيضًا وقعت بين أجزاء جملة واحدة؛ لأن المراد بالجملة الواحدة مجموع المسنَد إليه والمسنَد مع المتعلَّقات والفضلات، ولو بالعطف لا مجموع المسنَد إليه والمسنَد فقط؛ فقوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ لكونه معطوفًا على قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ أيضًا من المتعلقات كالمعطوف عليه.

والجملة المعترضة واقعة بين هذين المتعاطفين، وفائدة الاعتراض هاهنا التنزيه لله تعالى، وهو في غاية المناسبة للمقام؛ لأن المقصود من هذا الكلام بيان شناعتهم في نسبة البنات إليه تعالى، ونسبة البنين لأنفسهم، فبيان تنزيهه تعالى وبُعده عما أثبتوا له في أثناء الكلام تزداد به الشناعة في هذه النسبة.

ومثال الاعتراض بين الجملتين المتصلتين معنى قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٢-

---

(١) فالثمانين؛ أي: سَنَةً التي مضت من عمري. وبُلِّغتها: أي: بلغك الله إياها. وقوله: (قد أحوجت سمعي)، أي: لما ثقل بمضيها. وقوله: (ترجمان)، أي: مفسِّر بصوت أجهر من الصوت الأول.

٢٢٣]؛ فإن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ اعتراض بين جملتين؛ إحداهما قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، وثانيتهما قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، وهما متصلتان معنى؛ لأن قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ بيان لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ لما فيه من الإجمال، فإن المكان الذي أمر بإتيانهن منه مبهم؛ فبين بأنه موضع الحرث بقوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾.

(و)السابع (منها) أي: من أقسام الإطناب: (الإيغال، وهو) في الأصل مِن: أوغل في البلد: إذا أسرع السير فيها حتى أبعد فيها.

وفي الاصطلاح: (ختم الكلام)، سواء كان شعرًا أو غيره (بما) أي: بلفظ مفردًا كان أو جملة، (يُفيد غرَضًا) لا يتوقف أصل المعنى عليه، بل (يتم) أصل (المعنى) المراد (بدونه) وذلك الغرض (كالمبالغة في قول الخنساء) في مدح أخيها صخر:

(وإنَّ صَخْرًا لتَأْتَمُّ الهداةُ به ... كأنه عَلَمٌ في رأسه نارُ)(١)

فوَصْفُ صخرٍ بالجبل وافٍ بأصل المقصود، أي: تحقق اقتداء الهداة به بإلحاقه بالجبل المرتفع الذي هو أظهر المحسوسات في الاهتداء به، ووصف الجبل بأنه على رأسه نار للمبالغة؛ لأن وصف الجبل بوجود نار على رأسه أبلغ في ظهوره في الاهتداء به مما ليس كذلك؛ فتنجر المبالغة إلى المشبه الممدوح بالاهتداء به.

❁❁❁

(١) فـ(عَلَم)؛ أي: جبل مرتفع. والمعنى: لَتأتَمُّ بصخر الهداةُ للناس إلى المعالي فكيف بالمهتدين؛ كأن صخرًا جبل مرتفع في أعلاه نار.

ومنها: التذييلُ: وهو تَعقيبُ الجملةِ بأخرى تَشتمِلُ على معناها تأكيداً لها. وهو إما أن يكونَ جاريًا مَجرَى المَثَلِ؛ لاستقلالِ معناه، واستغنائه عما قبلَه، كقولِه تعالى: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، وإما أن يكونَ غيرَ جارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ؛ لعَدمِ استغنائِه عمَّا قبلَه، كقولِه تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧].

(و)الثامن (منها) أي: من أقسام الإطناب: (التذييل، وهو) لغة: جعل الشيء ذيلًا للشيء، واصطلاحًا: (تعقيب الجملة بأخرى)، أي: جعل الجملة عقيب جملة أخرى، أي: الإتيان عقب جملة بجملة أخرى لا محل لها من الإعراب، و(تشتمل) هذه الجملة الثانية المعقَّب بها (على معناها) أي: على معنى الأولى المعقبة، والمراد باشتمالها على معناها: إفادتها لما هو المقصود من الأولى، ولو مع الزيادة، لا أنها تفيد نفس معنى الأولى بالمطابقة، وإلا كان ذلك تكرارًا، وتعقيب الجملة بأخرى هنا يكون (تأكيدًا لها) أي: لقصد التأكيد والتقوية بتلك الجملة الثانية للأولى.

(وهو) أي: الكلام الذي يحصل به التذييل، وهو الجملة الثانية ضربان:

(إما أن يكون) الكلام (جاريًا مجرى المثل)؛ بأن يُقصد بالجملة الثانية المذيَّل بها حكم كلي يكون منفصلًا عما قبله (لاستقلال معناه) أي: لاستقلاله في إفادة معناه (واستغنائه عما قبله) أي: عن التقييد بما قبله، فيكون في هذا الوصف ملحقًا بالمَثل؛ لأن المَثل عبارة عن كلام تام نُقِلَ عن أصل استعماله لكل ما يُشبه حال الاستعمال الأول، فشأن المثل الاستقلال، (كقوله) سبحانه و(تعالى) في كتابه الكريم: (﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾) أي: الإسلام (﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾) أي: زال الكفر (﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾)، أي: مضمحلًا وذاهبًا.

فهذه الجملة مع كونها متضمنة لمعنى الأول، وهو ذهاب الباطل، ولهذا كانت تأكيدًا لها، قد قُصِدَ بها حكمٌ كليٌّ لا يتوقف معناه على الأولى؛ فصدق على هذا القول اسم هذا الضرب من التذييل.

(وإما أن يكون) الكلام (غيرَ جارٍ مجرى المثل) بأن لا يستقل بالإفادة (لعدم) استقلاله بإفادة المعنى المراد منه، وعدم (استغنائه عما قبله) أي: فيتوقف في إفادة معناه على ما قبله، وإنما لم يجرِ هذا النوع من التذييل مجرى المثل؛ لأن المثل وصفه الاستقلال؛ لأنه كلام تامّ نُقِلَ عن أصل استعماله لكل ما يُشبه حال الاستعمال الأول، وهذا النوع لم يكن مستقلًّا (كقوله) سبحانه و(تعالى) في محكم آياته: (﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم﴾) جزاء عقاب (﴿بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ﴾) أي: ذلك الجزاء المخصوص، وهو إرسال سيل العرم عليهم وتبديل جنتيهم (﴿إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾)، مثل آل سبأ، فهذه الجملة الثانية التي هي ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾؛ حيث أُريد بالجزاء فيها الجزاء المخصوص المعيَّن بما في الجملة الأولى، غير جارية مجرى المثل في الاستقلال، ومفهوم النسبتين مختلف، فإن مفهوم الأولى أن آل سبأ جزاهم الله بسبب كفرهم؛ لأن ذلك الجزاء المخصوص لا يقع إلا للكفور مع التأكيد بها؛ لكونها في معنى العلة الأولى، وكأنه قيل: (جزيناهم بسبب كفرهم)؛ لأن ذلك الجزاء لا يستحقه إلا مَن اتصف بهذا السبب، وهذا التأكيد مناسب هنا؛ لما فيه من الزجر عن الكفر المناسب للتقبيح بشأنه.

❁❁❁

ومنها: الاحتراسُ وهو: أن يُؤْتَى في كلامٍ يُوهِمُ خلافَ المقصودِ بما يَدفَعُه، نحو:

فَسَقَى ديارَكِ غيرَ مُفسِدِها ... صَوْبُ الربيعِ ودِيمةٌ تَهْمِي

ومنها: التكميل: وهو أن يؤتى بفضله تزيد المعنى حسنًا، نحو: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]؛ أي: مع حبه، وذلك أبلغ في الكرم.

(و)التاسع (منها) أي: من أقسام الإطناب: (الاحتراس): من حرس الشيء: حفظه، (وهو: أن يُؤتَى في كلام يُوهِم خلاف المقصود بما) أي: بقول (يدفعه) أي: يدفع ذلك الإيهام، سواء كان هذا القول مفردًا أو جملة، وسواء كان للجملة محلٌّ من الإعراب أو لا، وسواء كان في أول الكلام أو وسطه أو آخره؛ (نحو) قول طرفة بن العبد يمدح قتادة بن مسلمة الحنفي على كرَمِه وصنيعه في قصيدته الميمية:

(فَسَقَى ديارَكِ غيرَ مُفسِدِها ... صَوْبُ الربيعِ ودِيمةٌ تَهْمِي)[1]

فإن قوله «فسقى ديارك صوب الربيع» يُفهَم منه أن المقصود سقاها ما لا يُفسِد، ولكن الإطلاق يُوهِم ما هو أعم أو أنه دعاء عليه بخراب الديار وفسادها، فأتى بقوله: «غير مفسدها» دفعًا لإيهام خلاف المقصود.

وسُمِّيَ هذا النوع احتراسًا؛ لأن فيه الاحتراس والتوقي من توهم خلاف المقصود، ويُسمَّى تكميلًا أيضًا لتكميل المعنى بدفع الإيهام عنه.

(و)العاشر (منها) أي: من أقسام الإطناب: (التكميل، وهو: أن يؤتى) في كلام لا يُوهِم خلاف المقصود (بفضلة) أي: ما ليس بجملة مستقلًّا، ولا ركن كلام كالمفعول أو المجرور أو نحو ذلك، (تزيد) هذه الفضلة (المعنى) التام بدونها (حسنًا) في الغرض المسوق له الكلام (نحو) قوله سبحانه وتعالى: (﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ

---

(١) فـ(صوب الربيع) أي: المطر النازل زمنَ الربيع؛ أي: نزول المطر ووقوعه في الربيع. و(دِيمة): المطر المسترسل. و(تهمي)؛ أي: تسيل.

عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾)، أي: يُطعمونه (مع حبه) واشتهائه الناشئ عن الحاجة إليه؛ (وذلك أبلغ في الكرم) والتنزه عن البخل المذموم من مجرد إطعام الطعام، ولو كان كرمًا أيضًا، فزيادة الفضلة هاهنا، وهو قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ تزيد في مدح الأبرار بالكرم الذي هو الغرض المسوق له الكلام حسنًا ومبالغة، وإن كان أصل المدح يتم بدونها.

❁❁❁

الخاتمة

في إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

إيراد الكلام على حسب ما تقدم من القواعد يسمى «إخراج الكلام على مقتضى الظاهر»، وقد تقتضي الأحوال العدول عن مقتضى الظاهر، ويورَد الكلام على خلافه في أنواع مخصوصة:

منها: تنزيل العالم بفائدة الخبر، أو لازمها منزلة الجاهل بها؛ لعدم جريانه على موجَبِ عِلْمِه، فيُلْقَى إليه الخبر كما يُلْقَى إلى الجاهل، كقولك لمن يؤذي أباه: «هذا أبوك».

ومنها: تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، إذا لاح عليه شيء من علامات الإنكار، فيؤكد له، نحو:

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضًا رُمْحَه ... إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحْ

وكقولك للسائل المستبعد حصولَ الفرج: «إن الفرج لقريب». وتنزيل المنكر أو الشاكِّ منزلة الخالي، إذا كان معه من الشواهد ما إذا تأمله زال إنكاره أو شَكُّهُ، كقولك لمن ينكر منفعةَ الطب، أو يشك فيها: «الطب نافع».

تختلف صُور إلقاء الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المُخاطَب، فيكون الخبر ابتدائيًّا إذا كان المُخاطَب خاليَ الذهن غير متردد ولا مُنكِر للخبر، أو يكون الخبر طلبيًّا إذا كان المخاطَب مترددًا في قبوله، يطلب إثباته والوقوف على حقيقته، فيُستحسن في هذه الحالة تأكيد الكلام للمخاطب؛ حتى يستقر الحكم في ذهْنه، ويتمكن من نفسه، ويطرح الخلاف فيه وراءه ظهريًّا.

وقد يكون الخبر إنكاريًّا، إذا كان المخاطَب منكرًا للحكم جاحدًا له، معتقدًا خلافَه، ويكون التأكيد في النفي كما يكون في الإثبات.

وقد ورد أن الكِنْدي الفيلسوف ركب إلى أبي العباس المُبرِّد، وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشوًا، فقال أبو العباس: في أي موضع وجدتَ ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم، ويقولون أإن عبد الله قائم؟ ثم يقولون: إن عبد الله لقائم! فالألفاظ متكررة والمعنى واحد.

فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فالأول إخباره عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني. و(إيراد الكلام) أي إخراجه، (على حسب ما تقدَّم من) هذه (القواعد) وهي أن يورد الخبر للمخاطب الخالي الذهن مجردًا من المؤكِّدات.

وللمتردد الشاك مقرونًا ببعض المؤكدات على وجه الاستحسان، وللمنكر مقرونًا بالمؤكدات بحسب درجة إنكاره وجوبًا، (يُسمى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر) أي: مقتضى ظاهر الحال، وهو الأمر الداعي إلى إخراج الكلام مكيَّفًا بكيفية ما، سواء أكان ذلك الداعي ثابتًا في الواقع أو بالنظر لما عند المتكلم، كتنزيل غير المنكِر منزلة المُنكِر، أو تنزيل غير السائل منزلة السائل، (وقد تقتضي الأحوال العدول) أي: الرجوع (عن مقتضى) هذا (الظاهر) لاعتبارات خفية، (ويورَد الكلام على خلافه) أي: على خلاف الظاهر (في أنواع مخصوصة) من أساليب البلاغة:

(منها) أي: من أنواع الأساليب البلاغية المقتضية للعدول عن الظاهر: (تنزيل المخاطَب (العالِم بفائدة الخبر) أي: مضمونه، (أو لازمها) أي: ما يقتضيه مضمون العِلم بالخبر من عمل، أو بهما معًا؛ أي: العِلم بمضمون الخبر والعمل به، (منزلة) المخاطَب (الجاهل بها) أي: بفائدة الخبر؛ (لعدم جريانه) أي: لعدم سلوكه (على موجَب علمه) أي: ما يقتضيه هذا العِلم من عملٍ، (فيُلقَى إليه الخبر) حالَ كونه عالمًا به، (كما يُلقَى) ذلك الخبر (إلى الجاهل) الطالب لحكم الخبر، (كقولك لمَن يؤذي

أباه: هذا أبوك) أو قولك لمن يتكاسل عن الفرائض: الصلاة واجبة؛ تنبيهًا على غفلته، وتقريعًا لعدم سلوكه على مقتضى المعلوم له. وهذا الأسلوب يكثر في خطاب الوُعَّاظ.

(ومنها) أي: من الأساليب البلاغية المقتضية للعدول عن الظاهر: (تنزيل المخاطَب (غير المنكِر) لخلو ذهنه وعدم تردده (منزلةَ المنكِر إذا لاح) أي: ظهر (عليه شيءٌ من علامات الإنكار، فيؤكد) الكلام (له، نحو) قول حجل بن نضْلة القَيْسي:

(جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضًا رُمْحَه ... إنَّ بَنِي عَمِّك فِيهِمْ رِمَاحُ)[1]

فقوله: إن بني عمك فيهم رماح، خبر يَعرِف مضمونه شقيقٌ، وقد ألقاه الشاعر إلى ابن عمه على طريقة المنكِر له؛ بدليل تأكيده بإن.

(وكقولك للسائل المستبعِد حصولَ الفرج) ليأسه من وقوعه: (إن الفرج لقريب) فتؤكد الجملة بإن وبلام التوكيد الداخلة على الخبر، تريد تقريب الحكم المستبعَد في ذهنه.

(و) منها (تنزيل المنكِر) للخبر المعتقد خلافه، (أو الشاكِّ) المتردد في قبول الخبر (منزلة الخالي) الذهن غير المنكر أو الشاكّ، فلا يعتد بإنكاره ولا يُلتفت إليه، (إذا كان معه من الشواهد) الواضحة والأدلة القاطعة (ما إذا تأمله) أي: تأمل ما عنده من هذه الأدلة وتفكر فيها (زال إنكاره) إذا كان منكرًا، (أو شكُّه) إذا كان شاكًّا، (كقولك لمَن يُنكِر منفعةَ الطب، أو يشكُّ فيها: الطب نافعٌ) فكان الظاهر يقتضي تأكيد الخبر بما يُناسب الشك أو الإنكار في نفس المخاطب، ولكنه أورده على طريقة الابتداء؛ إشعارًا بأن ذلك مما لا يُجادَل فيه؛ فضلًا عن أن يُنكر.

---

(١) شقيق: ابن عم الشاعر، عارضًا رمحه: مستعرِضًا له على فخذه استخفافًا، يقول لشقيق ابن عمه، وقد جاء واضعًا الرمح على فخذه بالعرض شأن المستهين بأعدائه: هون عليك يا شقيق ولا تلْقَنا بهذا الاستخفاف؛ كأنك وحدك الرامح المجيد للطعان، فإن في بني عمومتك من يصغرُ إليك نفسك إذا نازلك.

ومنها: وضع الماضي موضع المضارع؛ لغرض، كالتنبيهِ على تحقق الحصول، نحو: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، أو التفاؤل، نحو: "إن شفاك الله اليوم تذهب معي غدًا".

وعكْسُهُ، أي: وضع المضارع موضع الماضي؛ لغرض، كاستحضار الصورة الغريبة في الخيال، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ [فاطر: ٩]، أي: فأثارت.

وإفادة الاستمرار في الأوقات الماضية، نحو: ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [الحجرات: ٧]، أي: لو استمر على إطاعتكم.

(ومنها) أي: من أساليب إخراج الكلام على خلاف مُقتضى الظاهر: (وضعُ) الفعل (الماضي موضعَ المضارع؛ لغرض) بلاغي خفي، (كالتنبيهِ على تحقق الحصول) واستقراره، وهو ما يفيده الفعل الماضي، بخلاف المضارع المفيد للحصول في الحال أو الاستقبال، (نحو) قوله تعالى مجيبًا عن شُبهة الكفار لما نَسبوا النبي إلى الكذب بعد أن توعدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ فلم يروا منه شيئًا: (﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾) .

فقال: أتى، وكان الظاهر يقتضي أن يقول: يأتي، وإنما عَدَل عن المضارع إلى الماضي لوجوب العذاب في حقهم، فكأنه تحقق ووقع بهم. (أو) يأتي بالماضي محل المضارع لغرض (التفاؤلِ، نحو) قولك للمريض ترجو شفاءه: (إن شفاكَ الله اليوم تذهب معي غدًا) وكان الظاهر يقتضي أن تقول: إن يشفِكَ، فتعدل عنه لما في نفسك من رجاء حصول الشفاء.

(وعَكْسُهُ، أي: وضع) الفعل (المضارع) المفيد للتجدد والحدوث (موضعَ الماضي) المفيد للثبوت؛ (لغرض) بلاغي، (كاستحضارِ الصورة الغريبة) ماثلة (في

الخيال، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾) وقد بدأ بالجملة الاسمية تأكيدًا وحصرًا للفعل الفريد على فاعله الخالق ﷻ، ولغرابة الفعل وفرادته أورده بصيغة المضارع، وكان حقه أن يُورد بصيغة المُضيّ، (أي: فأثارت) وإنما عدل إلى صيغة المضارع لما فيها من تجدُّد الحدث، ومثوله في الذهن حاضرًا.

(و) قد يوضع المضارع في محل الماضي لغرض (إفادةِ الاستمرار في الأوقات الماضية، نحو: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾، أي) اعلموا أن رسول الله كائنٌ فيكم وموجود معكم على حال تريدون أن يطيعكم، وينزل على ما ترونه صوابًا، وهو (لو استمر على إطاعتكم) في كثير من الأمور التي أردتموه ينزل عليها لهلكتم أو شقيتم.

❁❁❁

ومنها: وضع الخبر موضع الإنشاء؛ لغرض، كالتفاؤل، نحو: هداك الله لصالح الأعمال.

وإظهار الرغبة نحو: «رزقني الله لقاءك»، والاحترازِ عن صورة الأمر تأدُّبًا، كقولك: ينظر مولاي في أمري.

وعكسُهُ، أي: وضع الإنشاء موضع الخبر؛ لغرض، كإظهار العناية بالشيء، نحو: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٢٩]، لم يقل: «وإقامة وجوهكم»، عناية بأمر الصلاة، والتحاشي عن موازاة اللاحق بالسابق، نحو: ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هود: ٥٤]، ولم يقل: «وأشهدكم»، تحاشيًا عن موازاة شهادتهم بشهادة الله، والتسوية، نحو: ﴿ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ [التوبة: ٥٣].

(ومنها) أي: من أساليب إيراد الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لغرض بلاغي: (وضعُ الخبر موضعَ الإنشاء؛ لغرض) بلاغي خفي، (كالتفاؤلِ) بحصول المراد، (نحو) دعائك لمَن تُحب وترجو صلاحه: (هداك الله لصالح الأعمال) وكان الظاهر يقتضي أن تدعو له بالجملة الطلبية الدعائية: اللهم اهده. فعدلت عن هذه الصيغة إلى الخبر تفاؤلًا بحصول الصلاح، وكأن أمرًا قد وقع وفُرِغ منه، (وإظهارِ الرغبة) في وقوع المطلوب، (نحو) قولك لمن ترجو لقاءه: (رزقني الله لقاءك)، وكان الظاهر يقتضي أن تَطلب ذلك قائلًا: اللهم ارزقني لقاءك، فتعدل عن الطلب إلى الإخبار؛ إظهارًا لرجاء حصول اللقاء، (و) يُعدل عن الطلب إلى الإخبار لغرض (الاحترازِ عن صورة الأمر) إذا كان المطلوب منه أعلى مكانة، فلا يؤمر (تأدبًا) ومراعاة للمقام، (كقولك) لسيدك أو ولي أمرك تطلب منه العناية بك: (ينظر مولاي: في أمري) وكان ظاهر الكلام أن يكون: انظر في أمري، بصيغة الأمر، وإنما عدل عنه إلى الإخبار لغرض بلاغي؛ هو مراعاة المقام والتأدب مع المخاطب.

(وعكْسُهُ، أي) عكس السابق، وهو: (وضع الإنشاء موضع الخبر؛ لغرض) بلاغي، (كإظهارِ العناية بالشيء) والاهتمام به لشرفه أو أهميته، (نحو) قوله تعالى: (﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٢٩]).

فقال: أمَرَ بالقسط وأقيموا، و(لم يَقُلْ: وإقامة وجوهكم) بعطف المصدر على المصدر، وإنما أورده بصيغة الأمر؛ (عنايةً بأمر الصلاة) نظرًا لمكانتها، (والتحاشي) أي: التَّجَنُّب (عن موازاة) أي: مساواة (اللاحق) أي: التالي (بالسابق) عليه، (نحو) قوله تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام لمَّا كفر قومه بما جاء به واتهموه في عقله: (﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هُود: ٥٤]).

فقال: أُشهِد الله بصيغة الخبر، واشهدوا بصيغة الأمر، و(لم يقل: وأُشهدكم) مراعاة لظاهر الكلام بعطف الخبر على الخبر (تحاشيًا عن موازاة شهادتهم بشهادة الله)؛ لأن إشهاده اللهَ على براءته من الشرك إشهادٌ صحيح، وإشهادهم هو من قبيل الاستهزاء بهم، والتهوين من شركهم.

(والتسوية) بين الفعل وعدمه، (نحو) قوله تعالى في بيان عاقبة المنافقين: (﴿أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ [التوبة: ٥٣]) فقوله: أنفقوا طوعًا أو كرهًا، وإن كان لفظه لفظَ أمر، إلا أن معناه معنى الشرط والجزاء. والمعنى: سواء أنفقتم طائعين أو مكرهين فلن يُقبل ذلك منكم.

❁❁❁

ومنها: الإضمار في مقام الإظهار؛ لغرض، كادعاءِ أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، كقول الشاعر:

أَبَتِ الوِصالَ مخافَةَ الرُّقَباءِ وأَتَتْك تحتَ مَدارعِ الظَّلْماءِ

الفاعل ضمير لم يتقدم له مرجع، فمقتضى الظاهر الإظهار.

وتمكين ما بعد الضمير في نفس السامع؛ لتشوقه إليه، أولًا، نحو: «هي النفس ما حَمَّلْتَها تتحَمَّلُ»، ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، «نعم تلميذًا المؤدبُ».

وعكسه، أي: الإظهار في مقام الإضمار؛ لغرض، كتقوية داعي الامتثال، كقولك لعبدك: «سيدك يأمرك بكذا».

(ومنها) أي: من الأساليب البلاغية الداعية لإيراد الكلام على خلاف مقتضى الظاهر: العدول بـ(الإضمار في مقام الإظهار)، والأصل في الخطاب أن يوضع الضمير مسبوقًا بما يعود عليه ويفسره، وقد يُعدل عن هذا الأصل فيُقدَّم الضمير على مرجعه (لغرض) بلاغي ما، (كادعاءِ أن مرجع الضمير) أي: مَن يعود عليه الضمير (دائمُ الحضور في الذهن) فالضمير يعود على متقدِّم حاضر في الذهن، (كقول الشاعر) صفي الدين الحلي ٧٥٠هـ يمدح السلطان الأرتق المنصور نجم الدين أبا الفتح:

(أَبَتِ الوِصالَ مخافَةَ الرُّقَباءِ وأَتَتْك تحتَ مَدارعِ الظَّلْماءِ)(١)

(و) يُعدل كذلك عن الإظهار إلى الإضمار لغرض (تمكينِ ما بعد الضمير في نفس السامع؛ لتشوقه إليه أولًا) لورود الضمير مبهمًا بغير مرجع يفسره، فيتشوف السامع إلى مرجع الضمير وتفسيره، (نحو) قول علي بن الجهم:

---

(١) الوصال: القرب والتواصل، الرقباء: جمع الرقيب؛ يريد الوُشَاة، مدارع: جمع مدرعة؛ ثوب من صوف وجُبَّة مشقوقة المقدَّم. يقول: أبت أن تواصلك وتقربك خوف الحراس والوشاة، وأتتك ليلًا متخفية بالظلام. فأبى: فعل ماضٍ مبني على الفتح و(الفاعل ضمير) متصل مَبْنِيّ في محل رفع (لم يتقدم له مرجع) يعود عليه، (فمقتضى الظاهر) أن يُورد الكلام على صيغة (الإظهار) وعدل عنه إلى الإضمار بدون مرجع للضمير تمثلًا لصاحبه في ذهنه.

(هي النفسُ ما حمَّلتَهَا تتحَمَّل) وللدهر أيامٌ تجور وتعدل

يقول: القصة أن النفس مهما حملْتَها من مهام جسام تحَمَّلَتْ ذَلِكَ، والدهر مُتغيِّر بين عَدْلٍ وظُلْمٍ، فتحمل ما جالدتك به الأيام، وقد ساق الكلام مَساق الإضمار بضمير القصة الذي لا يُفْهَم إلا بالتفسير، ليكون المستمع متشوقًا لما بعد الضمير.

ومنه قوله تعالى: (﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾) أي: الشأن والأمر وَحْدانية الله، (نِعْمَ تلميذًا المؤَدَّبُ) أي: نعم هو، بدليل تفسير الضمير بالتمييز، وإنما عدل عن الإظهار في هذه المواضع إلى الإضمار تشويقًا للسامع، وتمكينًا للكلام من نفسه بعد أن انتظره.

(وعكْسُه، أي: الإظهارُ في مقام الإضمار) فقد يَستدعي المقام الإتيانَ بالضمير؛ فيُعدل عنه إلى الإتيان بالاسم ظاهرًا؛ (لغرض) بلاغي ما، (كتقويةِ داعي الامتثال) أي: الاستجابة للطلب، (كقولك لعبدك) مخاطبًا له: (سيدُك يأمرك بكذا) تريد نفسَك، فعدلت عن الإضمار بقولك: أنا آمرك بكذا، إلى الإظهار بقولك: سيدك؛ وأسندتَ الأمر إلى المظهر؛ ليكون ذلك أدعى لامتثال الأمر والاستجابة لك.

❁❁❁

ومنها: الالتفات، وهو نقل الكلام من حالة التكلم أو الخطاب أو الغَيْبَةِ إلى حالة أخرى من ذلك، فالنقل من التكلم إلى الخطاب، نحو: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٢٢]، أي: أُرْجَع، ومن التكلم إلى الغَيْبَةِ، نحو: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾. ومن الخطاب إلى التكلم، كقول الشاعر:

أتطلبُ وَصْلَ رَبَّاتِ الجَمالِ ... وقد سَقَطَ المشيبُ على قَذالِي

ومنها: تجاهل العارف، وهو: سوق المعلوم مساق غيره؛ لغرض، كالتوبيخ، نحو:

أيا شَجرَ الخابُور ما لَكَ مُورِقًا ... كأنَّكَ لم تجزعْ على ابن طَرِيفِ

(ومنها) أي: من الأساليب البلاغية التي يجري فيها الكلام على خلاف مقتضى الظاهر: (الالتفات، وهو نقل الكلام) وهذا من إضافة المصدر إلى مفعوله، والتقدير: نقل المتكلم للكلام (من حالة التكلم) إذا كان يخاطب نفسه فينتقل من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب مثلًا، (أو الخطاب) إذا كان يخاطب غيرَه الحاضر، فينتقل من خطابه بضمير المخاطب إلى خطابه بضمير الغيبة مثلًا، (أو الغَيْبَة) إذا كان المتكلم يريد غائبًا فينتقل من ضمير الغيبة (إلى حالة أخرى من ذلك) أي: إلى الخطاب مثلًا.

(فالنقل من) ضمير (التكلم إلى) ضمير (الخطاب نحو) قوله تعالى على لسان صاحب يس، الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى داعيًا قومه: (﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢])، كان الخطاب إلى نفسه فعاد به على قومه، فقال: (ترجعون)، والظاهر أن يخاطِبَ نفسه به، (أي: أُرجَع) فأبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم؛ ليتلطف بهم ويداريهم، ولأنه أدخل في إمحاض النصح؛ حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه.

(و) يكون النقل (من) ضمير (التكلم إلى) ضمير (الغَيْبَة نحو) قوله تعالى: (﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١-٢]) يمتن الله على نبيه ﷺ بأنه أعطاه جامع العطايا وهو الكوثر، ويطلب منه جامع الشكر وهو الصلاة والزكاة، وقد انتقل بالخطاب من ضمير المتكلم في قوله: إنا، إلى ضمير الغائب في قوله: ربك، وكان ظاهر الكلام أن يقول: فصلِّ لنا، مراعاة لقوله: أعطيناك، ولكنه عدل عن التكلم إلى الغيبة بذكر الرب؛ إشعارًا باستحقاقه مجامع الشكر. (و) يعدل في الكلام (من الخطاب إلى التكلم كقول الشاعر) يخاطب نفسه:

(أتطلبُ وَصْلَ رَبَّاتِ الْجَمالِ ... وقد سَقطَ المشيبُ على قَذالي)

يستنكر الشاعر على نفسه ما تمناه من علائق الحب ووصل الغانيات، في حين أنه قد بلغ منه المشيب مبلغًا ملأ رأسه حتى سقط على قفاه.

وقد التفت الشاعر من ضمير الخطاب في قوله: أتطلب، يعني أنت؛ يريد نفسه، إلى ضمير التكلم في قوله: قذالي. (ومنها: تجاهل العارف) أو مزْج الشك باليقين (وهو: سوق) أي: إيراد الكلام (المعلوم) للمتكلم أو المخاطب (مَساق غيره) تجاهلًا منه به؛ (لغرض) بلاغي، (كالتوبيخ، نحو) قول الفارعة أو ليلى بنت طَرِيف ترثي أخاها الوليدَ بن طريف الشاري:

(أيا شَجرَ الخابُور ما لَكَ مُورقًا ... كأَنَّكَ لم تجزعْ على ابن طَرِيفِ)(١)

فاستعملتْ كأن المفيدة للتشبيه، متجاهلة علمها بعدم جزعه مستنكرة لذلك.

❁❁❁

(١) الخابور: شجر له زهْر أصفر زاوٍ، تقول: ما لي أراك يا شجرَ الخابور مزهرًا يانعًا كأنك لم تدرِ بمقتل أخي ولم تجزع عليه.

ومنها: أسلوب الحكيم، وهو تَلَقِّي المخاطب بغير ما يترقبه، أو السائل بغير ما يطلبه؛ تنبيهًا أنه الأَوْلَى بالقصد؛ فالأول: يكون بحمل الكلام على خلاف مراد قائله، كقول القَبَعْثَرَى للحَجَّاج -وقد توعده بقوله: لأحْمِلَنَّكَ على الأدهم-: مثلُ الأمير يحمل على الأدهم والأَشْهَب، فقال له الحجاج: أردتُ الحديدَ، فقال القَبَعْثَرَى: لأن يكون حديدًا خير من أن يكون بليدًا. أراد الحَجَّاج بالأدهم القيدَ، وبالحديد المعدنَ المخصوص، وحملهما القَبَعْثَرَى على الفرس الأدهم الذي ليس بليدًا.

والثاني: يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخر، مناسب لحالة السائل، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: «ما بال الهلال يبدأ دقيقًا، ثم يتزايد حتى يصير بدرًا، ثم يتناقص حتى يعود كما بدأ؟»، فجاء الجواب، عن الحكمة المترتبة على ذلك؛ لأنها أهم للسائل، فنزل سؤالهم عن سبب الاختلاف منزلة السؤال عن حكمته.

(ومنها: أسلوب الحكيم) أو المغالطة على حد تعريف الإمام عبد القاهر، وهو لغة: كل كلام محكم، (و) اصطلاحًا (هو: تَلَقِّي الْمُخَاطِبِ بغير ما يترقبه) بسبب حمل كلام المخاطب على خلاف ما أراده، (أو السائل بغير ما يطلبه؛ تنبيهًا على أنه الأَوْلى بالقصد) والإرادة.

(فالأول) أي: تلقي المخاطب بخلاف ما يترقب: (يكون بحمل الكلام على خلاف مراد قائله، كقول) الغضبان بن (الْقَبَعْثَرَى) الشَّيباني، وقد زعموا أنه لم يكذب قط (للحَجَّاج، وقد توعده) الحجاج لَمَّا سمع أنه اجتمع بنَدَامى في بستان عنب.

وقد ذكروا سيرته، فقال القبعثرى وهو يلهو بعنقود عنب في يده: قطع الله عنقه وسقاني مِنْ دَمِهِ. فأبلغ أحد الوشاة كلمته إلى الحجاج، فاستدعاه وقال له: أنت الذي

قلت: قطع الله عنقه وسقاني دمه؟ قال: نعم، وقد قصدتُ عنقودَ العنب الذي كان بيدي. فتوعده الحجاج (بقوله: لأحمِلَنَّكَ على الأدهم) وهو القيد يتوعده بالحبْس.

فرد عليه القبعثرى موجهًا الكلام وِجْهة مخالفة لوجهة الحجاج: (مثلُ الأمير) يعني الحجاج، وكان واليًا على الكوفة، (يحمل على الأدهم والأشْهَب) يريد الأسود الكُميت من الخيل، والأبيض الأشهب منها، أي: مثل الأمير يمنح ويعطي فلا عجب.

(فقال له الحَجَّاج) مبينًا مراده بالأدهم: (أردتُ الحَدِيدَ) أي: السلاسل، (فقال القَبَعْثَرَى) مغيرًا وَجْهَ الخِطَاب: (لأَنْ يكون حديدًا) يعني: فرسًا حديدًا نابهًا من كِرام الخيل، (خيرٌ مِنْ أن يكون بليدًا) مُسْتَرْذلًا، وهكذا (أراد الحَجَّاجُ بالأدهم القيدَ، وبالحديد المعدنَ المخصوص) المصنوع منه القيد، (وحملهما القَبَعْثَرَى على الفرس الأدهم الذي ليس بليدًا) تنبيهًا على أنه الأَوْلى بالقصد، والأليق بأفعال الأمراء الأجواد، ليصرف ما في نفس الحجاج من نية عقابه إلى خير منها.

(و) النوع (الثاني) من أسلوب الحكيم: (يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخرَ مناسبٍ لحالة السائل) فيجيب السائل بغير ما يُطلب في سؤاله؛ تنبيهًا له على وجه السؤال الصحيح، (كما في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩])، جمع ميقات، وأصله موقات، قُلبت الواو ياء لكسر ما قبلها؛ أي: معالم يوقِّت بها الناسُ مزارعَهم ومتاجرهم ومحالَّ ديونهم، وصومهم وفِطرهم وعِدد نسائهم، وأيام حيضهنَّ ومُدد حملهنَّ، وغير ذلك، ومعالم للحج يُعرف بها وقته. وقد ورد في سبب نزول الآية أنه قد (سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: ما بال الهلال يبدو دقيقًا) مثل الخيط، (ثم يتزايد) ولا يزال يمتلئ (حتى يصير بدرًا) مكتملًا، (ثم يتناقص) بعد كماله (حتى يعود كما بدأ) فلا يكون على حال واحد؟

(فجاء الجواب) الإلهي (عن الحكمة المُتَرَتِّبَة على ذلك) ولم يجبهم عن حال الهلال زيادة ونقصًا؛ (لأنها أهم للسائل، فنزل سؤالهم عن سبب الاختلاف منزلة السؤال عن حكمته) وقد أورد الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهو سؤالهم عن السبب إلى الجواب عن الحكمة لأولويتها؛ والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حِكمة وصواب، من غير اختلاج شُبهة ولا اعتراض شك في ذلك؛ حتى لا يسأل عنه؛ لما في السؤال من الإبهام بمقارفة الشك.

❁❁❁

ومنها: التغليب، وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه، كتغليب المذكر على المؤنث في قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]، ومنه: (الأبوان) للأب والأم، وكتغليب المذكر والأخف على غيرهما، نحو: «القمرين»، أي: الشمس والقمر، و«العمرين»، أي: أبي بكر وعمر.

والأكثر على الكل، نحو: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] أُدخل شعيب بحكم التغليب في ﴿لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ مع أنه لم يكن فيها قَطُّ حتى يعود إليها.

وكتغليب العاقل على غيره، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

(ومنها: التغليب) وهو لغة: إيراد اللفظ الغالب، (وهو) عُرفًا (ترجيح أحد الشيئين على الآخر في إطلاق لفظه عليه) لتناسب بينهما أو اختلاط؛ وذلك أنهم أجروا المختلفَين مجرى المُتَّفِقَين، بتغليب أحدهما على الآخر، لخفَّته أو شهرته، (كتغليب المذكر على المؤنث) لخفته، (في قوله تعالى) عن مريم بنت عمران: (﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]) على أن من هنا تبعيضية، والتغليب مشعر ببلوغها -عليها السلام- مبلغ القانتين من الأنبياء والصالحين حتى عُدَّت منهم، (ومنه:

الأبوان) كلمة تقال (للأب والأم) بجامع المشابهة بينهما في الوالدية، (وكتغليب المُذكَّر والأَخَفِّ على غيرهما) يعني المؤنث والأثقل، (نحو) إطلاق (القمرين، أي) على (الشمس والقمر) تغليبًا للمُذكَّر، وهو القمر على المؤنث، وهي الشمس لخفة المذكر، (و) إطلاق (العُمَرَيْن) على خليفتي رسول الله ﷺ الراشدين، (أي: أبي بكر وعمر) وإنما غَلَّبوا عُمر فأطلقوه على الاثنين لطول خلافته بالنسبة لأبي بكر، (و) إطلاق (الأكثر على الكل) تغليبًا، (نحو) قوله تعالى على لسان قوم شعيب: (﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]) بضمير الجمع، (أُدخل شعيب بحكم التغليب في ﴿لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ مع أنه لم يكن فيها قَطُّ حتى يعود إليها) فإن الأنبياء معصومون أن يقع منهم صغيرة فيها نوع نُفْرة فما بال الكفر! (وكتغليب العاقل على غيره، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾) جمع عالَم بفتح اللام، وهو الجنس من أجناس الموجودات، يقال: عالَم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وقد جمعوه جمع العقلاء بالياء والنون، مع أن منه ما ليس بعاقل تغليبًا للعاقل.

ثانيًا: علم البيان

علم البيان

البيانُ: علْمٌ يُبْحَثُ فيه عن التشبيهِ والمَجازِ والكِنايةِ.

التشبيه

التشبيهُ: إلحاقُ أمْرٍ بأمرٍ في وصْفٍ بأداةٍ لغرضٍ.

والأمرُ الأوَّلُ يُسَمَّى المُشبَّهَ، والثاني المُشبَّهَ به، والوصفُ وجهَ الشبَهِ، والأداةُ: الكافُ أو نحوُها، نحو: «العلْمُ كالنورِ في الهدايةِ». فالعلْمُ مشبَّهٌ، والنورُ مشبَّهٌ به، والهدايةُ وجهُ الشبهِ، والكافُ أداةُ التشبيهِ.

البيان لغة: هو الإفصاح والوضوح والقُدرة على التصرف في الكلام، وتصريفه في وجوه مختلفة، و(علم البيان) عبارة عن قواعد يُعرف بها كيفية إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، بعضها أدل على المعنى وأوضح له من بعض، فـ(البيان: علم يُبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية)، وهي طُرق للدلالة على المعنى.

القسم الأول من أقسام البيان هو (التشبيه):

والتشبيه لغة: التمثيل، وهو مصدر مُشتق من الفعل «شبَّه» بتضعيف البَاء، يقال: شبَّهت هذا بهذا تشبيهًا، أي: مثَّلْتُه به، واصطلاحًا في عُرف البلاغيين: (إلحاق أمر بأمر) يُشاكله (في وصف) واحد أو أكثر لا في جميع صفاته (بأداة) من أدوات التشبيه (لغرض) بلاغي.

(والأمر الأول) الذي تريد إلحاقه (يُسمى المشبَّه) لأنه تشبهه بشيء، (و) الأمر (الثاني) الذي تريد إلحاق الأول به يُسمى (المشبه به، والوصف) الجامع بينهما هو (وجه الشبه) وقد يُشبه المشبه المشبه به في أكثر من وجه، ولكن لا يُشبه من كافة الأوجه؛ وإلا كان هو إياه، (والأداة) أي: أداة التشبيه هي (الكاف أو نحوها) كمثل، وكأن ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه، (نحو: العلم كالنور في الهداية).

وهذا التشبيه مستوفٍ لجميع الأركان، (فالعلم مُشبه، والنور مشبه به) وهما طَرَفَا التشبيه، (والهداية وجه الشبه) وهي الصفة الجامعة بين العلم والنور، (والكاف أداة التشبيه) المُقرِّبة للطَّرَفَينِ.

ومما سبق يتبين أن التشبيه يتكون من الأجزاء التالية:

أركان التشبيه:

١ - المشبَّه. ٢- المشبَّهُ به.

٣- أداةُ التشبيه(١). ٤ - وَجْهُ الشَّبَه.

(١) أدوات التشبيه قد تكون حَرْفًا، وقد تكون اسْمًا، وقد تكون فِعْلًا، هكذا:
أ- أداة التشبيه حرف، وله لفظان: (الكاف- كأنَّ).
ب- أداة التشبيه اسم، هكذا: (مِثْل- مَثِيل- مُمَاثِل- شِبْه- شبيه- مُشَابِه- نَظِير- مُنَاظِر).
ج- أداة التشبيه فعل، هكذا: (شَبِهَ- يُشْبِهُ- شَابَهَ- يُشَابِه- مَاثَل- يُمَاثِل- نَاظَرَ- يُنَاظر).

ويَتعلَّقُ بالتشبيهِ ثلاثةُ مباحث:

الأوَّلُ في أركانِه، والثاني في أقسامِه، والثالثُ في الغرَضِ منه.

المبحث الأول: أركان التشبيه

أركانُ التشبيهِ أربعةٌ: المُشبَّهُ والمُشبَّهُ به، ويُسَمَّيَان طرَفَي التشبيهِ، ووجهُ الشبَهِ، والأداةُ.

والطرفان: إما حسيان، نحو: «الورق كالحرير في النعومة».

وإما عقليان نحو: «الجهل كالموت».

وإما مختلفان نحو: خلقه كالعطر.

(ويتعلق بالتشبيه ثلاثة مباحث:

الأول) منها: يبحث (في أركانه) الأربعة الآنفة من طرفي التشبيه وأداته ووجه الشبه، (و) المبحث (الثاني) منها: يبحث (في أقسامه، و) المبحث (الثالث): يبحث (في الغرض منه) الباعث عليه.

المبحث (الأول) من مباحث التشبيه (في أركان التشبيه):

سبق أن (أركان التشبيه أربعة)، هي: (المُشَبَّه) المراد إلحاقه بِشَيْءٍ، (والمُشبه به) وهو الشَّيْء المراد إلحاق المشبه به، (و) كلّ مِنَ المشبه والمُشَبَّه بِهِ (يُسمَّيان طَرَفَيِ التَّشْبِيه)، وهما ركنا التشبيه الأساسيان، وبدونهما لا يكون تشبيهٌ، (ووجه الشبه) وهو الوصف الجامِع، أو الأوصاف المشتركة بين طرفي التشبيه، (والأداة) التي تُقرب المشبه إلى المشبه به، وتكون ملفوظة أو مقدرة.

(والطرفان) المشبه والمشبه به: (إمَّا حسيان) يُدركان بإحدى الحواس الخمسة: البصر، والشم، والذوق، والسمع، واللمس، (نحو: الورق كالحرير في النعومة) فالورق هو المشبه، والحرير مشبه به، وهما مما يُدْرَكُ بِحَاسَّةِ اللَّمْس.

(وإما عَقْلِيّان) أي: يُدركان عقلًا لا حِسًّا، (نحو: الجهل كالموت) فالمشبه هو الجهل والمشبه به هو الموت، وهما معقولان يُعْرَفَان بالعقل فلا يُشاهدان أو يسمعان أو يلمسان..، إلخ حقيقة إلا على سبيل المجاز.

(وإما مُختلفان) بأن يكون المشبه عقليًا والمشبه به حسيًا، أو العكس، (نحو: خُلُقُه كالعطر) شبَّه الخُلق وهو معقول بالعطر وهو مشموم؛ بجامع الطِّيب فيهما.

❁❁❁

ووجهُ الشبَهِ: هو الوصفُ الخاصُّ الذي قُصِدَ اشتراكُ الطرفَيْن فيه، كالهدايةِ في العلْمِ والنورِ.

وأداةُ التشبيهِ: هي اللفظُ الذي يدُلُّ على معنى المشابَهةِ؛ كالكافِ، وكأنَّ، وما في معناهما. و(الكافُ) يَلِيها المُشبَّهُ به، بخلافِ (كأنَّ) فيَلِيها المُشبَّهُ، نحو:

كأنَّ الثُّرَيَّا راحةٌ تَشْبُرُ الدُّجَى   لتَنظُرَ طالَ الليلُ أم قد تَعَرَّضا

(ووجه الشبه هو) المعنى أو (الوصف الخاص الذي قُصِدَ اشتراكُ الطرفين) أي: المُشبه والمشبه به (فيه) تحقيقًا أو تخييلًا، (كالهداية في العلم والنور) فهي الصفة الجامعة بين العلم والنور.

(وأداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على معنى المشابهة) والاشتراك، وهي حروف وأسماء وأفعال، (كالكاف) وهي الأصل في التشبيه لبساطتها، (وكَأَنَّ) حرف مركب عند أكثر علماء اللغة من الكاف، وأَنَّ، (وما في معناهما) مِمَّا يُفِيدُ قُرْبَ المشبه من المشبه به في صفته.

(و«الكاف») الأصل فيها أن (يليها المشبه به، بخلاف «كأنَّ» فيليها المشبه) فلا تدخل على المشبه به، (نحو) قول كشاجم، أو السري الموصلي:

كــأنَّ الثُّرَيَّــا راحَــةٌ تَــشْبُرُ الــدُّجَى   لتَنظُرَ طـالَ الليلُ أم قـد تَعَرَّضَـا(١)

فكأن أداة التشبيه وقد تلاها المشبه، وهو الثريا.

❁❁❁

وكأنَّ: تفيدُ التشبيهَ إذا كان خبرُها جامِدًا، والشكَّ إذا كان خبرُها مُشْتَقًّا نحو: كأنك فاهمٌ. وقد يُذكرُ فعلٌ يُنْبِئُ عن التشبيهِ، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

وإذا حُذِفَتْ أداةُ التشبيهِ ووجهُه سُمِّيَ تشبيهًا بليغًا، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠] أي: كاللباسِ في السترِ.

(و«كأنَّ» تفيد التشبيه) مطلقًا عند الجمهور، وقيدها بعضهم بالتشبيه، (إذا كان خبرها) اسمًا (جامدًا) نحو: هَجَمَ الجنودُ كأنهم أُسود، (و) تفيد (الشك) والظن (إذا كان خبرها) فعلًا أو وصفًا (مشتقًّا) يعمل عمل الفعل، (نحو: كأنك فاهمٌ) أي: أظنك.

(وقد يُذكر فعلٌ) غير دال على التشبيه باعتبار أصل وضعه، ولكنه (يُنبئ عن التشبيه) مبالغة وتحقيقًا كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]؛ أي: تيقنوه عارضًا إن كان الفعل يفيد اليقين، أو ترجيحًا (نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩]) أي: ظَنَنْتهم(٢).

---

(١) فالثُّريا: كوكب بالسماء معروف، راحة: أي: كف يد، تُشبر: أي: تقيس بالشبر، يقول مستطيلًا ليله: كأن الثريا الموجودة في السماء راحة يد تقيس انقضاء الليل بمقياس صغير هو الشبر، فيا له من ليل طويل لا يُرْجَى انقضاؤه، ذلك الذي يُقاس على طوله وعرضه بالشبر.

(٢) يتضح أن المشبَّهَ والمشبَّهَ به يأتيان على التفصيل التالي:

أ- حِسِّيَّانِ: يُدْرَكانِ بإحدى الحواسِّ الخمسِ الظاهرةِ، نحو: الموظَّفُ كالثَّعْلَبِ في المَكْرِ.

ب- عقليَّانِ: يُدرَكانِ بالعَقْلِ، نحو: الجهلُ كالموتِ.   ج- مختلفانِ:

=

(و) ينقسم التشبيه باعتبار ذكر الأداة وحذفها إلى:

* تشبيه مُرسل:

وهو الذي ذُكِرت فيه الأداة، نحو قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، يعني: شجرة الزقوم، شبهها برؤوس الشياطين بجامع القُبح في كُلٍّ؛ لأنَّ الشيطانَ مكروهٌ مستقبحٌ فِي طباع الناس، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخالطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان.

* تشبيه مؤكد: وهو ما حُذِفت منه أداة التشبيه: نحو كقول الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياءِ....

وتأكيد التشبيه حاصل من ادعاء أن المُشبه عين المشبه به.

(إذا حُذِفت أداة التشبيه ووجهه، يُسمى تشبيهًا بليغًا) وهو في الدرجة العُليا من البلاغة، لتأكيد التشبيه بحذف الأداة وإجماله بحذف وجه الشبه؛ فكأن المشبه هو

=

* المشبَّهُ حسيٌّ، والمشبَّهُ بِهِ عقليٌّ، نحو: صَدِيقُ الفَسَادِ كالموتِ.
* المشبَّهُ عقليٌّ والمشبَّهُ به حسيٌّ، نحو: الجَهْلِ كالظَّلَامِ.

واعلمْ أنَّ العقليَّ هو ما عدا الحسيّ، فيشملُ المدركَ ذهنًا: كالرأيِ، والخلقِ، والحظِّ، والأملِ، والعلمِ، والذكاءِ، والشجاعةِ. ويشملُ أيضًا الوهميَّ، وهو ما لا وجودَ لهُ، ولا لأجزائهِ كلِّها، أو بعضِها في الخارجِ، ولو وُجِدَ لكانَ مدركًا بإحدَى الحواسِّ. ويشملُ أيضًا الوجدانيَّ: وهو ما يدركُ بالقوى الباطنةِ؛ كالغمِّ، والفرحِ، والشبعِ، والجوعِ، والعطشِ، والريِّ.

فالحسيانِ يشتركانِ في الأمور التالية:

١- في صفةٍ مبصرةٍ، كتشبيهِ الأمير بالنهارِ في الإشراقِ.

٢- أو في صفةٍ مسموعةٍ، نحو: غرَّدَ تغريدَ الطيورِ، وكتشبيهِ الأصواتِ الحسنةِ في قراءة القرآن بالمزامير.

٣- أو في صفةٍ مذوقةٍ، كتشبيهِ الفَوَاكِهِ الْحُلْوَةِ بالعَسَلِ.

٤- أو في صفةٍ ملموسةٍ، كتشبيهِ الجسمِ بالحريرِ، مثل: للطِّفْلِ جِلْدٌ مثل الحَرِير.

٥- أو في صفةٍ مشمومةٍ، كتشبيهِ الوردة بالمسكِ.

المشبه به، وذلك (نحو) قوله تعالى: (﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبإ: ١٠]، أي: كاللباس في السّتْر) فحذفُ الكاف وهو الأداة والستر وهو وجه الشبه الجامع بين طرفي التشبيه.

ومنه قول أبي القاسم الزاهي يصف حسناوات:

سَفَرن بدورًا وانتقبن أهِلَّة ... ومِسْنَ غُصونًا والْتَفَتْنَ جَآذِرا

ففي هذا البيت أربعة تشبيهات هي من التشبيه البليغ، إذ لم يذكر فيها أداة التشبيه ولا وجه الشبه، سفرن بدورًا؛ أي: كشفن أوجههن فكأنها البدور، وانتقبن أهلة؛ أي: لبسن النقاب فكن كالبدور إذا غطى الليل جزءًا منها فصارت أهِلَّةً، ومسن غصونًا: أي: تَبَخْتَرْنَ في مشيهن كالغُصُونِ المتمايلة، والتفتن جآذِرًا: أي: حانت مِنْهُنَّ الْتِفَاتَةٌ فكأنهن غزلانًا.

❁❁❁

المبحث الثاني: في أقسام التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام:

* تشبيه مفرد بمفرد نحو: «هذا الشيء كالمسك في الرائحة».

* وتشبيهُ مُرَكَّب بمركب، بأن يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة حاصلة من عدة أمور، كقول بشار:

كـأَنَّ مُثَـارَ النَّقْـعِ فـوقَ رُؤُوسِـنَا ... وأَسْـيَافَنَا لَيْـلٌ تَهَـاوَى كَوَاكِبُـهْ

فإنه شبه هيئة الغبار وفيه السيوف مضطربة، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط في جهات مختلفة.

(ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه) أي: المُشبه والمشبه به (إلى أربعة أقسام:

١ - تشبيهُ مفردٍ بمفرد) وهو ما كان التشبيه فيه مقصورًا على تشبيه صورة بصورة من غير زيادة، أو صورة بمعنى، والتشبيه المفرد إما يكون مطلقًا، وإما يكون مقيدًا.

* فالمفرد المطلق (نحو: هذا الشيء كالمسك في الرائحة) فشبه الشيء وهو مفرد بالمسك وهو مفرد؛ بجامع طيب الرائحة في كلٍّ.

* والمقيد نحو: التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، فالمشبه هنا هو التعليم مقيد بكونه في الصغر، وليس مُطلق التعليم، والمشبه به النقش مُقيد بكونه في الحَجَر، وليس مطلق النقش؛ فلا بد من مراعاة هذا القيد، وإلا فسد التشبيهُ، ووجه الشبه هو الثبات ودوام الأثر، فطرفا التشبيه مُفردان مقيدان.

٢ - (وتشبيهُ مركَّبٍ بمركَّب) وهو ما كان التشبيه فيه تشبيهًا لأمر بأمرين أو بأكثر، (بأن يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة حاصلة من عدة أمور، كقول بَشَّار) بن بُرد يصف معركة:

كـأنَّ مُثَـارَ النَّقْـعِ فـوقَ رُؤوسِـنَا وأسْـيَافنَا لَيْـلٌ تَهَـاوَى كَوَاكِبُـهْ[١]

يقول: كنا في المعركة والغبار من حولنا مرتفعٌ يلفُّنا كليل حالك، وأسيافنا تهوي لامعة على رؤوس الأعداء كأنها كواكب تطلب وشُهب تطرد الشياطين، (فإنه شبه هيئة) مركبة من (الغبار) المثار (وفيه السيوف) متحركة حركات سريعة (مضطربة) وإلى جهات مختلفة، هذا كله هو صورة المشبه عبارة عن هيئة مكونة من اجتماع أجزاء هذه الصورة، وقد شبه هذه الهيئة (بهيئة الليل) المكونة من الظلام (وفيه الكواكب تتساقط) هاوية (في جهات مختلفة) ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار في جوانب شيء مظلم.

❁❁❁

* **وتشبيه مفرد بمركب؛ كتشبيه الشقيق بهيئة أعلام ياقُوتِيَّة منشورة على رماح زَبَرْجَدِيَّة.**

* **وتشبيه مركب بمفرد، نحو قوله:**

يـا صَـاحِبَيَّ تَقَـصَّيَا نَظَرَيْكُمَـا تَرَيَـا وُجُـوهَ الأرضِ كيـفَ تَـصَوَّرُ
تَرَيَـا نَهَـارًا مُشْمِـسًا قـدْ شَـابَهُ زَهْـرُ الرُّبَـا فَكَأَنَّمَـا هـوَ مُقْمِـرُ

فإنه شبه هيئة النهار المشمس الذي اختلطت به أزهار الربوات بالليل المقمر.

٣- (وتشبيه مُفرد بمركب) يعني يكون فيه المشبه صورة مفردة، والمشبه به هيئة مركبة، (كتشبيه الشقيق) وهو نوع من الزهر الأحمر (بهيئة أعلام ياقُوتِيَّة منشورة على رماح زَبَرْجَدِيَّة) في قول الصنوبري الشاعر:

(وكـــأن محمـــرَّ الـــشَّقِيـ ـــق إذا تَـــصَوَّبَ أو تَـــصَعَّدَ

---

(١) النقع: الغُبار المرتفع.

أعـــلام يَـــاقُوتٍ نُـــشِرْ ... نَ عَلَـــى رِمَـــاحٍ مِـــنْ زَبَرْجَـــد)

فالمشبه هو الشقيق، وهو الزهر الأحمر المنقط بسواد عند تصوبه وتصعده، والمشبه به مركب، وهو الهيئة الحادثة من نشر أجرام حمر مبسوطة على رؤوس سيقان خضر مستطيلة؛ كأنها أعلام.

٤ - (وتشبيه مُركب بمفرد، نحو قوله) هو أبو تمام يصف الربيع:

(يـا صَـاحِبَيَّ تَقَـصَّيَا نَظَرَيْكُمَـا ... تَرَيَـا وُجُـوهَ الأرضِ كيـفَ تَـصَوَّرُ

تَرَيَـا نَهَـارًا مُشْمِـسًا قـدْ شَـابَهُ ... زَهْـرُ الرُّبَـا فَكَأَنَّمَـا هـوَ مُقْمِـرُ)(١)

يقول لصاحبيه: استقصيا النظر إلى هذا الخضرة اليانعة المتكاثفة، فإنها لكثرتها جعلت النهار المشمس يشبه الليل المقمر، (فإنه شبه هيئة النهار المشمس الذي اختلطت به أزهار الربوات) وهي صورة مركبة شبهها (بالليل المقمر) وهي صور مفردة.

❁❁❁

---

(١) تقصيا: بالِغَا في النظر، وشَابَهُ: خالطَهُ، والرُّبى: جمع ربوة وهي المكان المرتفع، وخص زهر الربا؛ لأنها أنضر وأشد خضرة، وفي الكلام حذف مضاف أي: لون زهر الربا.

وينقسم باعتبار الطرفين أيضًا إلى ملفوف ومفروق.

فالملفوف: أن يؤتى بمُشبَّهَيْن أو أكثر، ثم بالمشبه بها، نحو:

كأَنَّ قلوبَ الطيرِ رَطْبًا ويابسًا لدى وَكْرِهَا العُنَّابُ والْحَشَفُ البَالِي

فإنه شبه الرَّطْبَ الطَّرِيَّ من قلوب الطير بالعُنَّابِ، واليابس العتيق منها بالتمر الرديء. والمفروق: أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر و آخر، نحو:

النَّشْرُ مِسْكٌ والوجوهُ دَنَا نِير وأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وإن تعدد المشبه دون المشبه به، سُمِّيَ تشبيهَ التسوية، نحو:

صُدْغُ الحَبيبِ وحَالِي كِلاهُمَا كَالليالي

وإن تعدد المشبه به دون المشبه، سُمِّيَ تشبيهَ الجَمْع، نحو:

كأنما يَبْسِمُ عن لُؤْلُؤٍ مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحْ

(وينقسم) التشبيه (باعتبار الطرفين أيضًا) يعني المشبه والمشبه به (إلى) تشبيه (ملفوف ومفروق) وذلك إذا تعدد الطرفان.

(فالملفوف: أن يؤتى بمشبَّهين، أو أكثر) عن طريق العطف أو غيره، (ثم بالمشبه بها) كذلك، (نحو) قول امرئ القيس:

كأَنَّ قلوبَ الطيرِ رَطْبًا ويابسًا لدى وَكْرِهَا العُنَّابُ والْحَشَفُ البَالِي (١)

(فإنه شبه الرَّطْبَ الطَّرِيَّ من قلوب الطير بالعُنَّابِ، واليابس العتيق منها بالتمر الرديء) وفائدة هذا النوع من التشبيه فضلًا عن اختصار اللفظ حُسنُ الترتيب.

(والمفروق): هو الجمع بين طرفي كل تشبيه أي: (أن يؤتى بمشبه ومشبه به، ثم آخر وآخر، نحو) قول المُرقِّش الأكبر يصف نساء:

(١) والعُنَّاب: حَبٌّ أحمر، وَكْرها: أعشاشها، والحشَف: أردأ التمر.

(النَّشْرُ مِسْكٌ والوجوهُ دَنَا نِيرٌ وأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ)(١)

فقد صور المرقش رائحةَ صويحباته بأنه كريح المسك الطيبة الضائعة في المكان، وشبه وجوههن في استدارتها وإشراقها بالدنانير، وشبه أناملهن بالنبات الرقيق الأحمر، فجاء بكل تشبيه وقد استجمع طرفيه، ثم يتلوه تشبيه مستجمع طرفيه وهكذا.

(وإن تعدد المُشبه دون المشبه به) يعني تعدد المشبه مع اتحاد المشبه به (سُمِّيَ تَشْبِيهَ التسوية) أي: أن يشبه الشاعر شيئين بشيء واحد، (نحو:

صُدْغُ الْحَبِيبِ وحَالِي كِلاهُمَا كَاللَيالِي
وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي)

شبه في الأول صدغ الحبيب -أي: شعره المتدلي على صدغه بين أذنيه وعينيه- وحاله هو، بالليالي في السواد. وفي الثاني شبه ثغر الحبيب- مقدم أسنانه- ودموعه، باللآلي في الحجم والإشراق.

(وإن تعدد المشبه به دون المشبه) يعني مع اتحاد المشبه (سُمِّيَ تشبيهَ الجمع، نحو) قول البحتري:

بَاتَ نَدِيمًا لِيَ حَتَّى الصَّبَاحْ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحْ(٢)
(كأنما يَبْسِمُ عن لُؤْلُؤٍ مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحْ)

ورقه كأسنان المنشار، تُشبَّه الأسنان بالأبيض منه. والمشبَّه في هذا القول أسنان محبوبه الأغيد الجميل، والمشبَّهُ به متعدِّد، فهو اللؤْلُؤُ المنضَّد، والْبَرَدُ، والأقاح.

---

(١) النشر: الرائحة الطيبة المنتشرة، أطراف الأكف: الأنامل، عنم: نبات أملس له أزهار قِرْمِزيّة، يُتّخَذُ خِضَابًا.

(٢) الأغْيَدُ: الناعم الذي يَتَمايل ويتثَنّى في لِينٍ، يريد حبيبته. مَجْدولُ: ملفوفُ القامة، والوِشاحُ: نسيج عريضٌ يُرَصَّعُ بالجوهر، تَشُدُّهُ المرأة بين عاتقها وكَشْحَيْها. مُنَضَّدٌ: مرصوفٌ بتناسُق. أَقَاح: جمع أُقْحُوانة، وهي نبت زَهْرُه أصفر أو أبيض.

وَيَنقسمُ باعتبارِ وجهِ الشبَهِ إلى تمثيلٍ وغيرِ تمثيلٍ؛ فالتمثيلُ: ما كان وجهُه مُنْتَزَعًا من مُتَعَدِّدٍ؛ كتشبيهِ الثُّرَيَّا بعُنْقودِ العِنبِ الْمُنَوِّرِ:

وغيرُ التمثيلِ: ما ليس كذلك؛ كتشبيهِ النجمِ بالدرهمِ، وَيَنقسمُ بهذا الاعتبارِ أيضًا إلى: مفصَّلٌ، ومجمَلٌ؛ فالأوَّلُ: ما ذُكِرَ فيه وجهُ الشبَهِ، نحو:

وثَغْرُهُ في صَفَاءٍ   وأدْمُعِي كاللآلي

والثاني: ما ليس كذلك، نحو: النحوُ في الكلامِ كالْمِلحِ في الطعامِ.

(وينقسم) التشبيه (باعتبار وجه الشبه) أي: بالنظر إلى الوصف الجامع بين المشبه والمشبه به (إلى) تشبيه (تمثيل، وغير تمثيل.

فالتمثيل: ما كان وجهه) أي: وجه الشبه فيه وصفًا (منتزعًا من متعدد، كتشبيه الثُّرَيَّا) وهي مجموعة من النجوم في صورة الثور (بعُنْقُودِ العِنَبِ المنور) في قول أبي قيس بن الأسلت:

وقدْ لاحَ في الصبحِ الثريا كما ترى   كعنقودِ ملاحيةٍ حين نورا (١)

(وغير التمثيل: ما ليس كذلك) أي: ما لم يكن وجه الشبه فيه وصفًا منتزعًا من متعدد، (كتشبيه النجم بالدرهم) بجامع اللمعان والاستدارة في كُلٍّ.

(وينقسم بهذا الاعتبار أيضًا) يعني بالنظر إلى وجه الشبه من حيث ذِكْره وعدمه (إلى مفصل) يعني بتفصيل وجه الشبه بين المشبه والمشبه به، (ومجمل) بإبهام وجه الشبه.

(فالأول) وهو المفصل: (ما ذكر فيه وجه الشبه، نحو:

وثَغْرُهُ في صَفَاءٍ   وأَدْمُعِي كاللآلي)

---

(١) الملاحي: نوع من العنب أبيض في حبه.

حيث شبه الشاعر ثَغرَ محبوبه باللآلئ بجامع الصفاء بينهما، ويُسمى مفصلًا؛ لأن الشاعر يفصل وجه الجمع بين طرفي التشبيه مما يسهل على السامع الوقوف على الجهة الجامعة بينهما.

(والثاني) أي: التشبيه المجمل: (ما ليس كذلك، نحو: النحو في الكلام كالمِلح في الطعام) حيث شبه النحو المقيد بكونه في الكلام، بالملح المقيد بكونه في الطعام، ولم يَفصل وجه الشبه بين طرفي التشبيه: هل الجامع بينهما القِلة في كل منهما، أم الفائدة فيهما، أم أن زيادة أحدهما يفسد موضوعه أم غير ذلك.

❁❁❁

ويَنقسمُ باعتبارِ أداتِهِ إلى:

مؤكّدٍ؛ وهو ما حُذِفتْ أداتُه نحو: هو بَحْرٌ في الجُودِ، ومُرْسَلٍ: وهو ما ليس كذلك نحو: هو كالبحرِ كَرَمًا.

ومن المؤكَّدِ ما أُضيفَ فيه المُشبَّهُ به إلى المُشبَّهِ، نحو:

والريحُ تَعْبَثُ بالغصونِ وقدْ جَرَى ... ذَهَبُ الأصيلِ على لُجَيْنِ الماءِ

(وينقسم) التشبيه (باعتبار أداته) من حيث ذِكْرها وحذفها (إلى) قسمين:

تشبيه (مؤكد، وهو: ما حُذفت أداته) وهو بحسب حذف الأداة مع وجه الشبه: مؤكد مجمل، وهو التشبيه البليغ؛ كالعلم نور، والأُم مدرسة، وبحسب حذف الأداة مع ذكر وجه الشبه: مؤكد مفصل، (نحو: هو بحر في الجود) فشبه بالبحر بجامع الجود في كل، وحذف أداة التشبيه.

(و) تشبيه (مرسل، وهو: ما ليس كذلك) أي: ما ذُكر فيه أداة التشبيه، ويكون بحسب وجه الشبه؛ إما مرسلًا مجملًا أو مفصلًا، (نحو: هو كالبحر كرمًا) فشبهه بالبحر بجامع العطاء والكرم مع ذكر أداة التشبيه.

ونحو قوله تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، يعني شجرة الزقوم، شبهها برؤوس الشياطين بجامع القُبح في كُلٍّ؛ لأنَّ الشيطانَ مكروهٌ مستقبحٌ فِي طباع الناس، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخالطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان.

(ومن) التشبيه (المؤكد ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه، نحو) قول الشاعر:

(والريحُ تَعْبَثُ بالغصونِ وقدْ جَرَى ذَهَبُ الأصيلِ على لُجَيْنِ الماءِ)

أي: أصيل كالذهب على ماء كاللجين وهي الفضة المذابة.

والتشبيه المؤكد أَوْجَز وأبْلَغ، وأشد أنواع التشبيه وَقْعًا في النفس، أما أنه أوجز فَلِحَذْفِ أداته، وأما أنه أبْلَغ فلإيهامه أنَّ المشبه عين المشبه به.

❁❁❁

المبحث الثالث: في أغراض التشبيه

الغرضُ من التشبيهِ:

إما بيانُ إمكانِ المُشبَّهِ، نحو:

فــإنْ تَفُــقِ الأنــامَ وأنــتَ مــنهمْ فــإنَّ المــسكَ بعــضُ دمِ الغــزالِ

فإنه لما ادَّعَى أن الممدوحَ مباينٌ لأصلِه بخصائصَ جعلَتْه حقيقةً منفردةً احتجَّ على إمكانِ دَعْواه، بتشبيهِه بالمسْكِ الذي أصلُه دمُ الغزالِ.

وإما بيانُ حالِه كما في قولِه:

كأنَّــكَ شــمسٌ والملــوكُ كواكــب إذا طلعتْ لـم يبـدُ مـنهنَّ كوكـبُ

أما (الغرض من التشبيه) فيعود في الأغلب إلى المُشبه، وقد يعود إلى المشبه به. فما يعود على المشبه من أغراض التشبيه، (إما بيان إمكان المشبه) أي: إمكان وجوده؛ وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالَف فيه ويُدَّعى امتناعه، (نحو) قول المتنبي:

(فــإنْ تَفُــقِ الأنــامَ وأنــتَ مــنهمْ فــإنَّ المــسكَ بعــضُ دمِ الغــزالِ)

والأنام: الخلق، (فإنه) أراد أنه فاق الأنام في الأوصاف الفاضلة، إلى حد بطل معه أن يكون واحدًا منهم، بل صار نوعًا آخر -برأسه- أشرف من الإنسان، و(لما ادعى أن الممدوح مباينٌ) أي: مخالف (لأصله) من جنس الإنسان، متميز (بخصائصَ جعلته حقيقة منفردة) في الناس، ولأن تلك الدعوى غريبة تحتاج إلى دليل (احتج) الشاعر (على إمكان دعواه بتشبيهه بالمسك الذي أصله دم الغزال) وهو مع ذلك لا يُعد في الدماء؛ لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا يوجد منها شيء في الدم، وخلوه من الأوصاف التي كان الدم بسببها دمًا.

(وإما بيان حاله) على جهة التعظيم، (كما في قوله) أي: النابغة يمدح النعمان بن المنذر:

(كأنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكب إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ)

فالنعمان يُشْبه الشمس والملوك دونه يشبهون الكواكب، والحال أن الشمس إذا طلعت محت بضوئها أنوار الكواكب حولها، فالوجه عِظَم حال النعمان وصِغَر حال الملوك الآخرين إذا قيسوا به.

❁❁❁

وإما بيانُ مقدارِ حالِه، نحو:

فِيهَا اثنتانِ وأربعونَ حَلُوبةً سُودًا كخافيةِ الغرابِ الأَسْحَمِ

شبَّهَ النُّوقَ السودَ بخافِيَةِ الغرابِ؛ بيانًا لمقدارِ سوادِها.

(وإما بيان مقدار حاله) قوة وضعفًا، (نحو) قول عنترة:

(فِيهَا اثنتانِ وأربعونَ حَلُوبةً سُودًا كخافيةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ[١])

(شبه النوق السود بخافية الغراب؛ بيانًا لمقدار سوادها) فقد أثبت لها سوادًا زائدًا على ما يُعهد في جنسها.

❁❁❁

(١) حلوبة: صفة لموصوف محذوف؛ أي: ناقة، خافية الغراب: هي الريش القصير في جناحه عكس القوادم، الأسحم: شديد السواد.

وإما تقريرُ حالِه، نحو:

إنَّ القلــوبَ إذا تنــافرَ ودُّهَــا مثـلُ الزجاجـةِ كـسرُهَا لا يجـبرُ

شبَّهَ تَنافُرَ القلوبِ بكسْرِ الزجاجةِ؛ تثبيتًا لتعذُّرِ عودتِها إلى ما كانت عليه من المودَّةِ.

وإما تزيينُه، نحو:

سَــــودَاءُ واضــــحةُ الجبيـــــن كمُقْلَــةِ الظَّــبْيِ الغَرِيــر

شبَّهَ سوادَها بسوادِ مُقْلَةِ الظبْيِ؛ تَحسينًا لها.

وإما تقبيحُه، نحو:

وَإِذَا أَشَــارَ مُحَــدِّثًا فكأنــه قِــردٌ يُقَهْقِــهُ أو عجــوزٌ تَلطِــمُ

(وإما تقرير حاله، نحو) قول الشاعر:

(إنَّ القلــوبَ إذا تنــافرَ ودُّهَــا مثـلُ الزجاجـةِ كـسرُهَا لا يجبرُ)(١)

(شبه تنافُر القلوب) واختلافها (بكسر الزجاجة) العسير إصلاحه ورده إلى ما كان؛ (تثبيتًا لتعذر عودتها) أي: القلوب (إلى ما كانت عليه من المودة) قبل حصول النُّفْرة والخلاف.

(وإما تزيينه) أي: تزيين المشبه للسامع بتصويره له في أجمل صورة، بأن يلحقه بمشبه به قد استقر في النفس حسنُه وجماله؛ ليتخيله السامع كذلك فيرغب فيه، (نحو) قول الشاعر:

(سَــــودَاءُ واضــــحةُ الجبيـــــن كمُقْلَــةِ الظَّبْــي الغَرِيــرِ)(٢)

---

(١) تنافر: تخالف وتباعد، ودها: حبها، يجبر: يصلح بعد كسره.

(٢) الغرير: الحسن الشكل.

(شبه سوادها بسواد مُقلة الظبي؛ تحسينًا لها) فسواد عين الظبي مما يميل إليه الذوقُ ويستحسنه، فإلحاق سواد الوجه به يقرنُه معه في الوهم فيحبب للسامع.

(وإما تقبيحه) أي: تقبيح المشبه بذكره مقرونًا بمشبه به يمجه الذوق وتعافه النفس، (نحو) هجاء المتنبي لابن كيغلغ:

(وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فكأنه قِردٌ يُقَهْقِهُ أو عجوزٌ تلطِمُ)

شبهه حالَ حديثه وهو يُشير بيديه بقرد يضحك مقهقهًا، أو بعجوز تلطم خديها؛ تنفيرًا للسامعين من المهجو، وزراية به بإيراده على هذه الحال من المشبه به.

❁❁❁

وقد يعودُ الغرَضُ إلى المُشبَّهِ به إذا عُكِسَ طرَفَا التشبيهِ، نحو:

وبدَا الصَّباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ وجْهُ الخليفةِ حينَ يمتَدَحُ

ومِثلُ هذا يُسَمَّى بالتشبيهِ المقلوبِ.

(وقد يعود الغرض إلى المشبه به إذا عُكِسَ طَرَفَا التشبيه) بأن يُجعل الفرع أصلًا والأصل فرعًا، (نحو) قول محمد بن وهيب الحميري يمدح الخليفة:

(وبدَا الصَّباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ وجْهُ الخليفةِ حينَ يُمْتَدَحُ)

جعل وَجْه الخليفة كأنه أعرفُ وأشهرُ وأتمُّ وأكملُ في النور والضياء من الصَّباح، فاستقام له بحكم هذه النيَّة أن يجعل الصباحَ فرعًا، ووجهَ الخليفة أصلًا، وهذا أبلغ وأحسن وأمدح من تشبيه الوجه بالصباح؛ لأن تشبيه الوجه بالصباح أصل متَّفق عليه لا يُنكر ولا يُستكثر، وإنما الذي يُستكثر تشبيه الصباح بالوجه. (ومثل هذا يُسمى بالتشبيه المقلوب) أو المعكوس.

❁❁❁

المجـاز

المَجازُ: هو اللفظُ المستعمَلُ في غيرِ ما وُضِعَ له؛ لعَلاقةٍ مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ المعنى السابقِ؛ كالدُّررِ المستعمَلةِ في الكلماتِ الفصيحةِ في قولِك: فلانٌ يَتكلَّمُ بالدُّررِ؛ فإنها مستعمَلةٌ في غيرِ ما وُضِعَتْ له؛ إذ قد وُضِعَتْ في الأصلِ للآلِئِ الحقيقيَّةِ، ثم نُقِلَتْ إلى الكلماتِ الفصيحةِ لعَلاقةِ المشابَهةِ بينهما في الحسْنِ، والذي يَمنعُ من إرادةِ المعنى الحقيقيِّ قرينةُ (يَتكلَّمُ).

وكـ(الأصابعِ) المستعمَلةِ في الأناملِ في قولِه تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]، فإنها مستعمَلةٌ في غيرِ ما وُضِعَتْ له؛ لعَلاقةِ أن الأُنْمُلَةَ جُزءٌ من الأُصْبُعِ، فاستُعمِلَ الكلُّ في الجزءِ، وقرينةُ ذلك أنه لا يُمكِنُ جعلُ الأصابعِ بتمامِها في الآذانِ.

والمَجازُ إنْ كانَتْ عَلاقَتُه المُشَابَهةُ بينَ المعنى المَجازيِّ والمعنى الحقيقيِّ، كما في المثالِ الأوَّلِ يُسَمَّى استعارةً، وإلا فمَجاز مُرْسَل كما في المثالِ الثاني.

المجاز لغةً:

جَازَ يَجُوز جُزْ جَوْزًا وجَوازًا ومَجازًا، تقول: (جاز المكان)، أي: تَخَطَّاهُ وتَعَدَّاهُ، وتقول: جَازَ هذا الأمر: قُبِلَ وصَحَّ وَنَفَذ، كما تقول: جَازَ المُسَافِرُ الطَّرِيقَ: سَارَ فِيهِ حَتَّى تَعَدَّاه وتَخَطَّاه وقَطَعَهُ.

والمجاز اسم مكان؛ كالمَطَاف والمَزَاز، والألف فيه منقلبة عن واو، وقيل: هو مصدرٌ مِيمِيٌّ.

واصطلاحًا: (هو اللفظ المُستعمَل في غير ما وُضِع له) من معنى أصيل مُصطلح عليه في التخاطب؛ (لعلاقة) بين المعنى الأصلي المنقول عنه والمعنى المُستعمل فيه استعمالًا جديدًا، (مع) وجود (قرينة) أي: دلالة مَقالية أو حالية (مانعة) أي: صارفة للذهن (من إرادة المعنى السابق) الموضوع له اللفظ في الأصل، (كالدرر) جمع دُرَّة، وهي اللؤلوة، (المُستعملة في الكلمات الفصيحة في قولك: فلان يتكلم بالدرر) أي:

يتكلم كلامًا فصيحًا يُشبه في رونقه وجماله الدرر، (فإنها) لفظة (مُستعملة في غير ما وُضعت له؛ إذ قد وُضِعت في الأصل) يعني في أصل استعمالها المُصطَلح عليه (للآلئ الحقيقية)، فإذا ذُكرت الدرر مجرَّدَةً من القرينة انْصَرَفَ الذِّهْن إلى المقصود منها وهو اللآلئ، (ثم نُقلت) لفظة الدرر (إلى) الدلالة على (الكلمات الفصيحة) التي يَنطق بها فلان الفصيح، (لعلاقة) جامعة بين الدرر والفصاحة، هذه العلاقة هي (المشابهة بينهما في الحسن) كما أن الكلام الفصيح ينتظم في سياقه من تركيب الكلمة إلى الكلمة، فهو يشبه سلك النظم المجموع فيه الدرة إلى الدرة، (والذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي) للفظة الدرر وجود (قرينة) أي: دلالة على أن المقصود التشبيه وليس الحقيقة، وهي قوله: (يتكلم) فالإنسان إنما يتكلم بكلام وليس بجواهر حقيقية.

(وكالأصابع المُستعملة) على سبيل المجاز (في الأنامل) كما (في قوله تعالى) يحكي حالَ المنافقين لدى نزول الصواعق بهم: (﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]) يريدون أن يتقوا بها صوتَ الصواعق المُرسلة عليهم لإهلاكهم، (فإنها) أي: الأصابع (مُستعملة في غير ما وُضِعت له) من وضعها الحقيقي؛ وإنما استعمالها هنا استعمالٌ مجازي (لعلاقة) غير المشابهة، هي علاقة الجزئية، وذلك (أن الأُنملة جزء من الأصبع، فاستُعْمِل الكل) وهو الأصابع (في الجزء) وهو الأنامل، أي: أَطلق الكل وأراد الجزء، (وقرينة ذلك) أي: الدلالة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهو الأصابع (أنه لا يمكن جعْل الأصابع بتمامها في الآذان) وإنما عَدل عن الحقيقة إلى المجاز اتساعًا في الكلام؛ ليدل أنهم لشدة إدخال أناملهم في آذانهم اتقاء للصواعق، كأنهم بسبيل إدخال أصابعهم كاملة.

(والمجاز) على قسمين: (إن كانت علاقته المشابهة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي) أي: الإتيان بما هو معروف عند السامع ليقيس عليه المشبه؛ بشرط وجود علاقة مشابهة بين الطرفين في وجه من الوجوه، ولا يُذكر المشبه اكتفاء

بالمشبه به، فكأن الطرفين اتحدا في صورة واحدة، (كما في المثال الأول) وهو قوله: فلان يتكلم بالدرر، حيث شبه كلام الأديب في حُسن انسجامه وبراعة انتظامه بالدر المسلوك في العِقْد، وحذف المشبه وهو الكلام اكتفاء بالمشبه به وهو الدر؛ إمعانًا في الإيهام بالاتحاد بين الطرفين، وذلك النوع من المجاز (يُسمى استعارة) والقرينة الدالة على أن المعنى الحقيقي غير مراد قوله: يتكلم بالدرر، حيث يَفهم السامع أن المتكلم يريد التشبيه، (وإلا) أي: إن لم تكن العلاقة بين المعنيين قائمة على التشبيه (فمجاز مرسل) وقد سُمي بذلك لإرساله وإطلاقه عن التقييد بعلاقة خاصة. مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي كالسببية والمسببية، والحالية والمحلية، واعتبار ما كان واعتبار ما سيكون والجزئية والكلية، (كما في المثال الثاني) حيث أطلق الكل وأراد الجزء.

ومِمَّا سبق يَتَبَيَّنُ أَنَّ المَجازَ في الاصطلاح:

هو استِعمال لفظٍ على غيرِ معناه الحقيقيِّ الأصليِّ الذي وضِع له، بِشرطِ أن تكون هناك علاقةٌ بين المعنيينِ: «المستعمل المجازِيّ والحقِيقِيّ»، مع وجودِ قرينةٍ تمنع المعنى الحقيقي، وتوجِّه الذِّهن إلى المعنى المجازيِّ.

ومثل: (**المَرْأَةُ تَلْبَسُ الذَّهَبَ - الأَبُ يَنْطِقُ بالذَّهَبِ**).

جاءت كلمة (الذهب) مرتينِ، فهي في المثال الأولِ تدل على المعنى الحقيقي، وهو الذهب الحقِيقِيّ الذِي تلبسه النِّساء، وهو المعدِن، فاسْتُعْمِلتِ استعمالًا حقِيقِيًّا على المعنى الأصلِيّ الذي وُضِعت له الكلِمة ابتِداءً، وهو الذهب المعروف الذي يذهب إِليهِ التّفكير مباشرةً.

لكِن جاءت كلمة (الذهب) في المثالِ الآخرِ تدلّ على المعنى المجازِيِّ، أي: الكلام الغالي والنّصائح النفِيسة، ولا يراد الذهب الحقِيقِيّ الذي يلبس، فاسْتُعْمِلَت استعمالًا مجازِيًّا على غيرِ المعنى الأصلِي الذي وضِعت له الكلِمة ابتِداءً.

العلاقة:

وعلاقة المشابهة بين المعنيين «الحقِيقيّ والمجازِيّ» هي القيمة الغالية؛ لأن الذّهب مِن أغلى المعادنِ وأنفسِها.

القرينة:

أما القرِينة التي تمنع المعنى الحقِيقِيّ في الجملةِ الأخِيرةِ **(الأب ينطق بالذهبِ)**، فالقرينة هي «ينطِق بالذهبِ»؛ لأنّ الأب لا ينطق بالذهب؛ فالذّهب لا يخرج من الفم.

ومثل: **(رأيت قمرًا في السّماءِ- رأيت قمرًا ينظّف البيتِ)**.

جاءت كلمة (قمرًا) مرتين، فهي في المثال الأوّلِ تدلّ على المعنى الحقيقيّ، وهو القمر الذي في السماءِ، فاستعمِلتِ استعمالًا حقِيقيًّا على المعنى الأصلِيّ الذي وضِعت له الكلِمة ابتِداءً.

بينما جاءت كلمة **(قمرًا)** في المثالِ الآخرِ، تدل على المعنى المجازِيّ، أي: المرأة الحسناء الجمِيلة، ولا يراد القمر الحقِيقيّ الذي في السّماءِ، فاستعمِلت استِعمالًا مجازِيًّا على غيرِ المعنى الأصلي الذي وضِعت له الكلمة ابتِداءً.

العلاقة:

وعلاقة المشابهة بين المعنيين «الحقِيقِيّ والمجازِي» هي الجمال؛ لأنّ العرب يصِفون المرأة الحسناء بالقمرِ.

القرينة:

أما القرينة التي تمنع المعنى الحقيقي في الجملةِ الأخيرةِ **(رأيت قمرًا ينظّف البيت)**، فالقرينة هي «ينظّف البيت»؛ لأنّ القمر الحقِيقي الذي في السماء لاينظّف البيت.

ومثل: **(رأيت أسدًا في القفصِ - رأيت أسدًا يخطب الجمعة)**.

جاءت كلمة (أسدًا) مرتينِ، فهي في المثال الأوّلِ تدل على المعنى الحقيقيّ، وهو الأسد الحقيقيّ الذي يعيش في حديقةِ الحيوان أو في الغاباتِ، فاستعمِلتِ استعمالًا حقيقيًا على المعنى الأصليّ الذي وضِعت له الكلِمة ابتداءً، وهو الحيوان المعروف الذي يذهب إليهِ الذِّهن مباشرةً.

لكِن جاءت كلِمة (أسدًا) في المثالِ الآخرِ تدل على المعنى المجازيِّ، أي: خطيب الجمعة الشّجاع، ولا يراد الأسد الحقيقي الذي في القفص، فاستعمِلت استِعمالًا مجازيًا على غيرِ المعنى الأصلي الذي وضِعت له الكلمة ابتِداءً.

العلاقة:

وعلاقة المشابهةِ بين المعنيين «الحقِيقِيِّ والمجازِيّ» هي الشَّجاعَة؛ لأنّ الأسد معروفٌ بالشجاعةِ، وهو أشهر الحيواناتِ في هذِه الصِّفةِ.

القرينة:

أما القرينة التِي تمنع المعنى الحقيقي في الجملةِ الأخيرة (**رأيت أسدًا يخطب الجمعة**)، فالقرينة هي «يخطب الجمعة»؛ لأنّ الأسد الحقيقي الذي يفترس الحيواناتِ لا يخطب الجمعة.

شروط المجاز:

١- استعمال كلمة استِعمالًا غير حقيقيٍّ.

٢- وجود علاقةٍ بين المعنى الحقيقيِّ والمجازيِّ.

٣- وجود قرينةٍ تمنع المعنى الحقيقي الأصلي[1].

---

(١) الحقيقة هي استعمالُ كلمةٍ استِعْمَالًا أصْلِيًّا، أي: فيما وُضِعَتْ لَهُ على المعنى الحقيقي المباشر، وليس بتَشْبيهٍ ولا استعارة ولا مجاز، مثل: (المَرْأَةُ تَلْبَسُ الذَّهَبَ- رَأَيْتُ قَمَرًا في السَّماءِ - رَأَيْتُ أَسدًا في القَفَصِ).

الفَرْقُ بين الحقيقةِ والمجَاز:

=

الاستعارة(١)

الاستعارةُ: هي مَجازٌ عَلاقتُه المشابَهةُ، كقولِه تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] أي: من الضلالِ إلى الهُدى، فقد استُعمِلَت الظلماتُ والنورُ في غيرِ معناهما الحقيقيّ، والعَلاقةُ المشابَهةُ بينَ الضلالِ والظلامِ والهُدى والنورِ، والقرينةُ ما قبلَ ذلك.

يقول الإمام عبد القاهر في الأسرار: (الاستعارة) في الجملة (هي): أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اختُصَّ به حين وُضع، ثم

=

نُفَرِّقُ بين الحقيقة والمجاز من خلال السِّيَاقِ والقَرِينَة، مثل: (المَرْأَةُ تَلْبَسُ الذَّهَبَ- رَأَيْتُ قَمَرًا في السَّماءِ- رَأَيْتُ أَسَدًا في القَفَصِ)، فهذه المعاني حقيقة؛ حيث استُعْمِلَت الألفاظُ على حَقِيقَتِها ومعانيها المباشرة.

ومثل: (الأمُّ يَخْرُجُ مِنْ فَمِها الذَّهَبُ- رَأَيْتُ قَمَرًا يُنَظِّفُ البيتَ- رَأَيْتُ أَسدًا يَخْطُبُ الجمعةَ)، فهذه المعاني مجازية؛ حيث استُعْمِلَت الألفاظُ على غير حَقِيقَتِها، والذي صَرَفَ الفكر من الحقيقة إلى المجاز إنما هي القرائن.

ولْنَعْلَمْ أَنَّ الأصلَ في الكلام هو الحقيقة، ولا ينصرف الكلام من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة، كما سبق في الأمثلة الماضية.

مثال على الحقيقة والمجاز: (قامَتِ المدرسةُ بِرحلةٍ)، لهذا المثال مَعْنيانِ:

١- المعنى الأصلي: وهو أَنْ تَقومَ المَدْرَسةُ بأَبْوابها وفصولها ومقاعدِها وجرسها بِرِحْلَةٍ، وهذا مُسْتَبْعَدٌ.

٢- المعنى المجازي: وهو أَنْ يقومَ بَعْضُ طلابِ المدرسةِ مع بَعْضِ المدَرِّسين برحْلَةٍ، وَذلك هُوَ المعْنى المَقْصودُ.

(١) الاسْتِعارَةُ: فعلها: اسْتَعارَ يَسْتَعِير اسْتَعِرْ استِعارَةً، فهو مُسْتَعِيرٌ، تَقُولُ: استعارَ أي: طَلَبَ الإعارَة، مثل: (اسْتَعارَ طارقٌ الكتابَ مِنَ المكتبة)، فالمستعِير هو: طارق، والمستعار منه هو: المَكتبة، والشَّيءُ المستعار هو: الكتاب. وهذه العمليةُ تُسَمَّى اسْتِعارَةً.

الاستعارة في اللغة: أَنْ يطلبَ المستعيرُ شيئًا من المستعار منه؛ لينتفع به مُدَّةً من الوقت دُونَ أن يدفع أَجْرًا، ويَرُده الـمُسْتَعِيرُ إلى الـمُستعار منه عند انتهاءِ الوقْتِ المُحَدَّدِ لَهُ، أو يردها عندما يطلبها المستعيرُ. فَإِنْ دَفَعَ أَجْرًا كان هذا إيجارًا.

يَستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارِيَّة.

فهي على ذلك التعريف (مجاز) حيث يتجاوز باللفظ أصلَ وضعه ومعناه الذي جُعل له إلى وضع جديد ومعنى مغاير، (علاقته) بين المعنيين الحقيقي التليد والمجازي الجديد هي (المشابهة)؛ حيث تَجعل الاسم المستعار كالصفة للمستعار له، (كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، أي): أنه سبحانه أنزل القرآن على نبيه ليُخرج به الناس (من الضلال)؛ ضلال الكفر والشرك (إلى الهدى)؛ هدى التوحيد والإسلام لله، (فقد استُعملت لفظتا (الظلمات والنور في غير معناهما الحقيقي) المتعارف عليهما بين الناس في الاستعمال الوضعي للغة، (والعلاقة) بين المعنى الجديد والآخر التليد، أي: القديم لكل لفظة منهما هي (المشابهة بين الضلال) وهو المعنى المجازي، (والظلام) وهو المعنى الحقيقي؛ لمَّا كان الظلام مظنة التخبط والحيرة وعدم الاهتداء؛ فأشبه السائر فيه حال الضال لا يهتدي إلى سبيل، (والهدى والنور) حيث إن النور مظنة البصيرة والاهتداء إلى الجادة والصراط المستقيم، (والقرينة) المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لكل من الظلمات والنور هي (ما قبل ذلك) من ذكر الكتاب المُنزَّل لغرض الهداية.

❁❁❁

وأصلُ الاستعارةِ تشبيهٌ حُذِفَ أحدُ طَرَفَيْه، ووجهُ شبهِه، وأداتُه.

والمُشبَّهُ يُسَمَّى مُسْتَعارًا له، والمُشبَّهُ به مُسْتَعارًا منه، ففي هذا المثالِ المستعارُ له الضلالُ والهُدى، والمستعارُ منه هو معنى الظلامِ والنورِ، ولفظُ الظلْماتِ والنورِ يُسَمَّى مستعارًا.

(وأصل الاستعارة) كما هو مستفاد من العلاقة بين المعنيين: (تشبيهٌ حُذِفَ أحد طرفيه) إما المشبه مع التصريح بالمشبه به، وإما بحذف المشبه به والإتيان بشيء من لوازمه يدل عليه، (ووجه شبهه، وأداته) ليحصل الإيهام بالاتحاد التام بين المشبه والمشبه به، والاستعارة بذلك الحذف أبلغ من التشبيه، وأمكن في النفس منه، حيث يُتناسى التشبيه ويُدعى أن المشبه هو المشبه به.

(والمشبه يُسمى مستعارًا له) حيث يُستعار له المعنى المجازي، (والمشبه به) يسمى (مستعارًا منه، ففي هذا المثال) أي: قوله: لِيُخرج الناس من الظلمات إلى النور نجد أن (المستعار له هو الضلال، والهدى) فقد وقع كل منهما مشبهًا، (والمستعار منه هو معنى الظلام، والنور) فقد وقعا مشبهًا بهما، (ولفظ الظلمات والنور يُسمى مستعارًا) أي: المعنى المستعار من الوضع اللغوي للظلام والنور إلى الوضع المجازي للضلال في الأول والهُدى في الثاني.

ومما سبق يتبين أن الاسْتِعارةَ: هي طَلَبُ الإعارَةِ، مثل: (**اسْتَعَارَ طارقٌ الكتابَ مِنَ المكتبة**)، فالمستعِير هو: طارق، والمستعار منه هو: المَكتبة، والشَّيءُ المستعار هو: الكتاب. وهذه العمليةُ تُسَمَّى اسْتِعَارَةً.

الاستعارة عند البلاغيين:

أَنْ يُسْتَعمل لفظٌ استعمالًا مجازيًّا على غير معناه الحقيقي، مع وجود علاقةٍ بين المعنيين (**الحقيقيّ والمجازيّ**)، بشرط وجود قرينةٍ تمنع المعنى الحقيقي الأصلي.

ومثل لفظ (قمر) في قولك: (أبصرت قمرًا في السماء) استعمل اللفظ هنا؛ ليدل على القمر الحقيقي المعروف فهو استعمالٌ حقيقيٌّ، أي أن اللفظة مستعملةٌ فيما وُضِعَتْ لها.

أما إذا استعمل لفظ (قمر) في مثل قولك: (أبصرت قمرًا يُجَهِّز الطعام)؛ ليدل به على المرأة الجميلة الحسناء، فهو مجازٌ، أي أن اللفظة مستعملةٌ في غير ما وُضِعَتْ لها.

وعندما استعمل لفظ (قمر) ليدل به على المرأة الجميلة لعلاقة المشابهة بينهما في الجمال؛ لأن العرب يصفون المرأة الجميلة بالقمر، أتى بقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهي: (يجهز الطعام)؛ لأن القمر لا يجهز الطعام، فصار قوله (يجهز الطعام) قرينةً مانعةً من إرادة المعنى الحقيقي.

ومثل لفظ (الذهب) في قولك: (طارق يبيع الذهب) استعمل لفظ (الذهب) هنا؛ ليدل على المعدن المعروف فهو استعمالٌ حقيقيٌّ، أي أن اللفظة مستعملةٌ استعمالًا أصليًّا فيما وضعت لها.

أما إذا استعمل لفظ (الذهب) في مثل قولك: (طارقٌ يتكلم بالذهب)؛ ليدل به على الكلام النفيس فهو مجازٌ، أي أن اللفظة مستعملةٌ في غير ما وُضِعَتْ لها.

وعندما استعمل لفظ (الذهب) ليدل به على الكلام لعلاقة المُشَابَهَة بينهما في حسن هذا الكلام وعظمته، أتى بقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، وهي: (يتكلم بالذهب)؛ لأن الذهب لا يمكن أن يخرج من الفم، فصار قوله (يتكلم) قرينةً مانعةً من إرادة المعنى الحقيقي.

ومثل لفظ (أسد) في قولك: (هذا أسدٌ يأكل غزالةً) استعمل اللفظ هنا؛ ليدل على الحيوان المفترس المعروف، فهو استعمالٌ حقيقيٌّ، أي أن اللفظة مستعملةٌ فيما وضعت لها.

أما إذا استعمل لفظ (أسد) في مثل قولك: (**هذا أسدٌ يمسك سيفًا**)؛ ليدل به على الرجل الشجاع فهو مجازٌ، أي أن اللفظة مستعملةٌ في غير ما وضعت لها.

وعندما استعمل لفظ (**أسد**) ليدل به على الرجل لعلاقة المشابهة بينهما في الشجاعة، والذى يمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينةٌ، وهى: (**يمسك سيفًا**) لأن الأسد لا يمسك السيف، فصار قوله (**يمسك**) قرينةً مانعةً من إرادة المعنى الحقيقي.

فالقرينة هي المانعة عن الحقيقة؛ إذ اللفظ لا يدل على المعنى المجازي بنفسه دون قرينة.

فكما أن لفظ (**أسد**) إذا استعمل في المجالات المذكورة للدلالة على الحيوان المفترس المعروف فهو حقيقةٌ.

وإذا استعمل للدلالة به على الرجل الشجاع فهو مَجَازٌ، وعلاقتُه الْمُشَابَهَة.
والاستعارة أصلُها تَشْبِيهٌ حُذِفَ منه واحد من الركنين (**المشَبّه- والمشبه به**).

❁❁❁

وتَنقسمُ الاستعارةُ إلى: مُصَرَّحةٍ، وهي: ما صُرِّحَ فيها بِلفظِ المُشبَّهِ به كما في قولِه:

فَأَمْطَرَتْ لؤلؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ ... وَرْدًا وعَضَّتْ على العُنَّابِ بالبَرَدِ

فقد استعارَ اللؤلؤَ والنَّرْجِسَ والوردَ والعُنَّابَ والبَرَدَ للدموعِ والعيونِ والخدودِ والأناملِ والأسنانِ.

وإلى مَكْنيَّةٍ، وهي: ما حُذِفَ فيها المُشبَّهُ به، ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمِه كقولِه تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤]، فقد استعارَ الطائرَ للذُّلِّ ثم حذفَه، ودلَّ عليه بشيءٍ من لوازمِه، وهو الجَناحُ، وإثباتُ الجَناحِ للذُّلِّ يُسمُّونه استعارةً تخييليَّةً.

(وتنقسم الاستعارة) بحسب ذِكْر المشبه به من عدمه (إلى مُصَرَّحَة، وهي: ما صُرِّحَ فيها بلفظ المشبه به) أي: بلفظ المُستعار منه (كما في قوله) وهو الوأواء الدمشقي:

فَأَمْطَرَتْ لؤلؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ ... وَرْدًا وعَضَّتْ على العُنَّابِ بالبَرَدِ

صوَّر محبوبته وهي تبكي في صورة كلية لها أجزاء، حيث شبه دموعَها باللؤلؤ المتساقط كالمطر من عينين ناعستين كزهر النرجس، وقد انهمرت دموعُها على خديها الحمراوين في لون الورد ونعومته، يريد أنها استحيت لما رآها فاحمر خداها وعضت على أناملها المخضوبة كالعناب بأسنان بيضاء تشبه البرد، (فقد) شبه خمسة أشياء بخمسة أشياء، حيث (استعار اللؤلؤَ، والنَرْجِسَ، والوَرْدَ، والعُنَّابَ، والبَرَدَ للدموع، والعيون، والخدود، والأنامل، والأسنان) على الترتيب؛ أي: أمطرت دمعًا كاللؤلؤ من عين كالنرجس، وسقت خدًّا كالورد، وعضت أنامل مخضوبة كالعناب بأسنان كالبرد. غير أن الاستعارة أحالت هذا النثر البارد إلى قطعة فنية رائعة، وصورة كلية شاملة لجزئيات غاية في الجمال.

(وإلى) استعارة (مَكْنِيَّةٍ وهي: ما حُذف فيها المشبه به) أي: المشبه به فيها مخفي غير مُصرَّح به، (ورمز إليه بشيء من لوازمه) أي: مخفي فيها لفظ المشبه به، (كقوله تعالى) في الحث على بِر الوالدين ورحمتهما: (﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤]) جعل لذُلِّه لهما جناحًا خفيضًا على سبيل الاستعارة المكنية، (فقد استعار الطائرَ للذُّلِ) فالذل مُشبه أو مُستعار له، والطائر مشبه به أو مستعار منه، (ثم حذفه، ودل عليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح، وإثبات الجناح للذل يسمونه استعارة تَخْيِيْلِيَّة) حيث يكون فيها إثبات لازم المشبه به للمشبه.

وقد أشار المؤلفون- رحمهم الله- إلى نوعَي الاستعارة، وهما:

أولًا: الاستعارة التصريحية:

وهي الّتي يُذْكَرُ فيها المشبَّهُ به، ويُحْذَفُ المشبهُ، مثل: (**خَطَبَ الْأَسَدُ الْجُمُعَةَ**)، فـ(**المشبَّه**): الشيخ، و(**المشبَّه به**): الأسد.

إنَّ كلمة (**الأسد**) قد استعيرت بذاتها من الحيوان المفترس، وأُطْلِقَتْ على الشيخ الذي خطب الجمعة، فهي استعارة تصريحيّة، إذْ جاء فيها التصريح بالمشبه به.

ومثل: (**وَجَدتُ ثَعْلَبًا يَبِيعُ الْخُبْزَ**)، فـ(**المشبَّه**): البائع، و(**المشبَّه به**): **ثَعْلَبًا**.

إنَّ كلمة (**ثَعْلَبًا**) قد استعيرت بذاتها من الحيوان المفترس، وأُطْلِقَتْ على البائع الذي يبيع الخبز؛ لِيَدُلَّ على الخَديعةِ والمكر والدَّهاءِ، فهي استعارة تصريحية، إذْ جاء فيها التصريح بالمشبه به.

ومثل: (**زَارَ بَيْتَنَا بَحْرٌ في الفِقْهِ**)، فـ(**المشبَّه**): الزَّائر، و(**المشبَّه به**): بَحْر.

إنَّ كلمة (بَحْر) قد استعيرت بذاتها من البحر الحقيقي، وأُطْلِقَتْ على الزائر الذي زارَ البيْتَ؛ لِيَدُلَّ على كثرة العلم، فهي استعارة تصريحيّة، إذْ جاء فيها التصريح بالمشبه به.

ومثل قول الله تعالى خطابًا لرسوله ﷺ: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ٢] في هذه الآية استعارتان تصريحيتان:

١ - استعارة كلمة (الظلمات) للدَّلالة بها على الكُفْرِ والجهل.

(المشبَّه): الجهل والكفر، و(المشبَّه به): الظلمات. إنَّ كلمة (الظلمات) قد استعِيرَتْ بذاتها من الظلام المعروف، وأُطْلِقَتْ على الكفر الذي خرج الناس منه، فهي استعارة تصريحيّة، إذْ جاء فيها التصريح بالمشبه به.

٢ - استعارة كلمة (النور) للدلالة بها على الإسلام.

(المشبَّه): الإسلام، و(المشبَّه به): النور. إنَّ كلمة (النور) قد استعِيرَتْ بذاتها من النور المعروف، وأُطْلِقَتْ على الإسلام الذي دخل الناس فيه، فهي استعارة تصريحيّة، إذْ جاء فيها التصريح بالمشبه به.

ومثل قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فـ(المشبَّه): الدين الإسلامي، و(المشبه به): الحبل. شُبِّهَ الدِّين الإسلامي بالحبل، وحذف المشبَّه، وذُكِرَ المشَبَّه به، وهو الحبل، فهي استعارة تصريحيّة، إذْ جاء فيها التصريح بالمشبه به(١).

(١) إذا أردتَ أن تُنْشِئَ استعارةً، فعليك أن تنشئ تشبيهًا مُفَصَّلًا في البداية، ثم احذف منه (وجْهَ الشبه)، ثم احذف أداة التشبيه، ثم احذف المُشَبَّه، ثم أدْخِلْهُ في جملةٍ مفيدةٍ، هكذا: (المُجَاهِد كالأسد في الشجاعة)، ثم تُحَوِّله إلى تشبيه مجمل، هكذا: (المجاهد كَالأَسَدِ)، ثم تحوله إلى تشبيه بليغ هكذا: (المجاهد أَسَدٌ)، ثم تحذف طرفًا من أركان التشبية: المشبه والمشبه، هكذا: (رأيت أسدًا يجاهد في سبيل الله).

ثانيًا: الاستعارة المكنية:

هي أن تَذْكُرَ المشَبَّهَ، وتَحْذِفَ المشَبَّهَ بِهِ، وتُشير إلى هذا المحذوف بشيءٍ مِنْ صفاته ولوازِمِهِ، مثل قول الله تعالى: ﴿ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴾ [الملك: ٧-٨].

ففي الآية استعارتان:

١ - شَبَّهَ الله تعالى جهنمَ بإنسانٍ، وذَكَرَ المشَبَّهَ، وهو جهنم، وحَذَفَ الْمُشَبَّهَ به، وهو (الإنسان)، وجاء بصفة من صفاته، وهو الشهيق، فهي استعارة مَكْنِيَّةٌ. فالمشبَّه: جهنم، والمشبَّه به: إنسان له شهيق.

٢ - شَبَّهَ الله تعالى جهنمَ بإنسانٍ يُسْأَلُ، وذَكَرَ المشَبَّهَ، وهو جهنم، وحَذَفَ الْمُشَبَّهَ به، وهو (الإنسان)، وجاء بصفة من صفاته، وهو سؤال الملائكة لها، فهي استعارة مَكْنِيَّةٌ. فالمشبَّه: جهنم، والمشبَّه به: إنسان يُسْأَل.

ومثل قول الله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤]، شَبَّهَ الله تعالى الذُّلَّ بـ(طائر) له جناح ، وذَكَرَ المشَبَّهَ، وهو الذّل، وحَذَفَ الْمُشَبَّهَ به، وهو (الطائر)، وجاء بصفة من صفاته، وهو جناح، فهي استعارة مَكْنِيَّةٌ، فالمشبَّه: الذّل، والمشبَّه به: طائر .

ومثل قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ ﴾ [يونس: ٢٤]، شَبَّهَ الله تعالى الأرض بـ(امرأة) تتزَيَّن، وذَكَرَ المشَبَّهَ، وهو الأرض، وحَذَفَ الْمُشَبَّهَ به، وهو (المرأة أو الفتاة)، وجاء بصفة من صفاتها، وهو التَّزَيُّن، فهي استعارة مَكْنِيَّةٌ، فالمشبَّه: الأرض، والمشبَّه به: امرأة.

❁❁❁

وتَنقسِمُ الاستعارةُ إلى أصليَّةٍ، وهي: ما كان فيها المستعارُ اسْمًا غيرَ مشتَقٍّ؛ كاستعارةِ الظلامِ للضلالِ والنورِ للهُدَى.

وإلى تبعيَّةٍ، وهي: ما كان فيها المستعارُ فعْلًا أو حرْفًا أو اسْمًا مشتَقًّا، نحو: ركِبَ فلانٌ كَتِفَيْ غريمِه. أي: لازَمَه ملازَمةً شديدةً، وقولِه تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ [لقمان: ٥]؛ أي: تَمَكَّنُوا من الحصولِ على الهدايةِ التامَّةِ، ونحو قولِه:

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحًا ... فَلِسانُ حالِيَ بِالشِّكَايَةِ أَنْطَقُ

أي: أدَلُّ، ونحو: «أذقته لباس الموت»، أي: ألبسته إياه.

(وتنقسم الاستعارة) بحسب اللفظ المستعار (إلى أصلية، وهي: ما كان فيها المُستعار اسمًا) جامدًا لذات (غير مُشتق)، وذلك (كاستعارة الظلام للضلال، والنور للهدى) في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، فالظلام والنور اسمان مستعاران جامدان، فالاستعارة في الآية تصريحية أصلية؛ لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر مُعتبر أولًا، وكالذل في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ حيث استُعير لفظ المشبه به وهو الطائر، للمشبه وهو الذل، على طريق الاستعارة المكنية الأصلية. (وإلى) استعارة (تَبَعِيَّةٍ) أي: تابعة لاستعارة أخرى، أو لأن جريانها في المشتقات والحروف تابعٌ لجريانها أولًا في الجوامد، وفي كليات معاني الحروف (وهي: ما كان فيها المستعار) غير اسم جامد كأن يكون (فعلًا، أو حرفًا، أو اسمًا مشتقًّا، نحو: ركب فلان كَتِفَيْ غريمه، أي: لازمه ملازمة شديدة) على طريق الاستعارة التصريحية التبعية؛ حيث شبه اللزوم الشديد بالركوب، بجامع السلطة والقهر، واستُعِيرَ لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم، رَكِبَ بِمَعْنَى لَزِمَ. فهي استعارة جارِيَة أولًا في الجامد، وهو الركوب، ثم تَبِعَهَا ذلك في المشتق وهو الفعل ركب. (وقوله

تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ [لقمان: ٥]، أي: تَمَكَّنُوا من الحصول على الهداية التامَّة) فعلى حرف جر بمعنى الاستعلاء والتمكن، يعني أنهم مستعلين ومتمكنين من الهدى، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. (ونحو قوله:

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحًا   فَلِسانُ حالِيَ بِالشِّكَايَةِ أَنْطَقُ

أي: أدلّ) حيث شبه الحال بإنسان ناطق بالشكوى، وقد أتى بالمشبه وحذف المشبه به فلم يُصرح به، بل ذكر لازمه، وهو اللسان الذي لا تقوم الدلالة الكلامية إلا به، على سبيل الاستعارة المكنية، واللفظ المستعار (أنطق) أفعل تفضيل مشتق من النطق، وقد جرت الاستعارة أولًا على النطق المستعار، ثم نُقلت إلى الاسم المشتق منه وهو أفعل التفضيل.

(ونحو: أذقته لباسَ الموت، أي: ألبسته إياه) بجامع الإحاطة والشمول، واللفظ المستعار هو الفعل (أذقت) الدال على الشدة.

❁❁❁

وتَنقسمُ الاستعارةُ إلى مُرَشَّحةٍ، وهي: ما ذُكِرَ فيها ملائِمُ المُشبَّه بـه، نحو: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]؛ فالاشتراءُ مستعارٌ للاستبدالِ، وذِكْرُ الربْحِ والتجارةِ ترشيحٌ.

وإلى مجرَّدةٍ: وهي التي ذُكِرَ فيها ملائمُ المُشبَّهِ، نحو: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢] استُعِيرَ اللِّباسُ لِمَا غَشِيَ الإنسانَ عندَ الجوعِ والخوفِ، والإذاقةُ تجريدٌ لذلك.

وإلى مُطلَقةٍ: وهي التي لم يُذكَرْ معها مُلائِمٌ، نحو: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧].

ولا يُعتَبَرُ الترشيحُ والتجريدُ إلا بعدَ تمامِ الاستعارةِ بالقرينةِ.

(وتنقسم الاستعارة) باعتبار ما يتصل بها من ملاءمات وعدم اتصالها (إلى) ثلاثة أقسام:

أولًا: استعارة (مُرَشَّحَة، وهي: ما ذُكِر فيها مُلائِمُ) أي: وصف يلائم (المشبه به) وهو المستعار منه، (نحو) قوله تعالى حكاية لحال المنافقين: (﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]) حيث شبه حال المنافقين الذي تركوا الإيمان عمدًا واختاروا الكفر بمن باع الهدى واشترى الضلال، على سبيل الاستعارة التصريحية (فالاشتراء مُستعار للاستبدال، وذكر الربح والتجارة ترشيح) بذكر ما يلائم المشبهَ به وهو البيع والشراء. والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي (الضلالة).

(و) ثانيًا: (إلى) استعارة (مُجردة، وهي: التي ذُكِر فيها مُلائمُ المشبه) وهو المستعار له، (نحو) قوله تعالى حكاية لحال القرية التي كانت آمنة مطمئنة ثم كفرت بأنعم الله: (﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢])، شبه حالَ أهل القرية بعد كفرهم بإحاطة الجوع والخوف بهم، وقد (استُعير اللباس لما غَشي الإنسان عند

الجوع والخوف، والإذاقة تجريد لذلك) ولو قال: كساها الله لباس الجوع والخوف، لكان ترشيحًا، ولكن التجريد بقوله: فأذاقها، أبلغ في تصوير شدة ما أصابهم؛ لأن الذوق أبلغ في الإحساس وأدخل في الإيلام من قوله: كساها.

(و) ثالثًا: (إلى) استعارة (مُطلقة، وهي التي لم يُذكر معها مُلائِمٌ) لا للمشبه ولا للمشبه به، (نحو) قوله تعالى: (﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٧]) شبه العهد بالحبل، بجامع الربط والوصل بين الشيئين، ثم حذف المشبه به ودل عليه بشيء من لوازمه وهو النقض؛ أي: الحل والفك، على سبيل الاستعارة المكنية التبعية. ثم لم يذكر ما يلائم أيًا من المشبه أو المشبه به.

وعلى ذلك فالاستعارة المطلقة أقوى من التجريدية؛ لأن التجريدية تقطع إيهام الاتحاد بين المشبه والمشبه به، وترد الذهن إلى المشبه، ويتلاشى التخييل الحاصل بذكر أوصاف المشبه به، وهذا التخييل تؤكده في المخيلة الاستعارة الترشيحية.

(ولا يُعتبر الترشيح والتجريد إلا بعد تمام الاستعارة بالقرينة) المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية كانت أو حالية (١).

لم يَتَحَدَّثِ المؤلفون- رحمهم الله- عن الاستعارةِ التمثيلية، ومن باب الفائدة نَذْكُرُهَا.

---

(١) للاستعارة فوائدُ بلاغيةٌ وجماليَّةٌ، ذلك أنها تُوضِّحُ الفِكْرَةَ، وَتُقَوِّي المَعْنَى من خِلالِ:

* التشخيص، نحو: (بَكَتِ السَّماءُ عَلَى الشَّهيدِ) استعارة مكنية، حيث شبه السماء بإنسان يبكي، سر جمالها التشخيص.

* التجسيم، نحو: (لِلْحُرِّيَّةِ بَابٌ) استعارة مكنية، حيث شبه الحرية بمنزل له باب، سِرّ جَمَالِهَا التجسيم، أي: تجسيم معنوي.

* التوضيح، نحو: (عَبَرَ أُسُودُنا القَنَاةَ) استعارة تصريحية، حيث شبه الجنود بالأسود، وسِرُّ جَمَالِهَا التوضيح؛ لأنَّ كلًّا من المُشَبَّهِ والمُشَبَّهِ به حِسِّيَّان.

الاستعارةُ التمثيلية:

هي اسْتعارةُ مَثَلٍ مِن الأمثالِ من قِصَّتِهِ الأَصْلِيَّةِ التي وُضِعَ فيها المَثَلُ، ثم يُطْلَقُ هذا المثلُ على موقِفٍ جَدِيدٍ يُشْبهُ الموقف الأَصْلي، مثل: (وَمَنْ يَبْذُرِ الشَّوْكَ يَجْنِ الْجِرَاحَ)، وهذا المثلُ يُقالُ في أيَّةِ قِصَّةٍ حاضرةٍ مُشابهةٍ لهذه القصة القديمة؛ لكن يُحافَظُ على لَفْظِه وشكلِه على سبيل الاستعارة التمثيلية، وهكذا باقي الأمثال.

ومثل قول المتنبّي يصف الذي يعِيب الشعر الجميل بسبب خَلَلٍ ذوقيٍ لَدَيْهِ، يَجْعَلُهُ يرى الجميل قبيحًا، والكامل ناقصًا:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ المَاءَ الزُّلالا

هذا الكلام الذي يدلُّ معناه الأصلي على أنَّ المريض الذي يُفرِزُ فَمُهُ مُفرَزاتٍ مُرَّةً، يَجِدُ الماءَ الزُّلال مُرًّا في فمه، وليس ذلك من مرارة الماء، بل من الأشياء المرَّة الَّتي يُفرِزُها فَمُه. وذلك مثل مَنْ ليس لديه ملكة في الشعر، فهو بسبب ذلك يَعِيبُ الحسَنَ الجيّد منه، ويَنْتَقِدُه بغير فهم، ولا حُسْنِ تَذَوُّق.

ومثل قول الرسول ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ» هذه العبارة النبوية تُسْتَعْمَل على سبيل «الاستعارة التمثيليّة» للتحذير من تكرار العمل الذي جَرَّ مُصِيبة في نفسٍ أو مالٍ، أو أفضى إلى أمْرٍ غير محمود.

❁❁❁

المجاز المرسل

هو مجاز علاقته غير المشابهة.

سُمي المجازُ مرسلًا لعدم تقييده بعلاقة واحدة مخصوصة، بل له علاقات عديدة يحددها المقام، وقيل: سُمِّيَ مُرسَلًا لعدم ورود دعوى الاتحاد المدعاة في الاستعارة، و(هو مجاز) أي: لفظ غير مُستعمل في معناه الوضعي و(علاقته غير المشابهة) مع وجود قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.

وللمجاز المرسل علاقات عديدة:

١- كالسببيَّةِ في قولِك: عظُمَتْ يدُ فلانٍ عِندي؛ أي: نِعمتُه التي سبَبُها اليدُ.

٢- والمسبَّبيَّةِ في قولِك: أَمطرَتِ السماءُ نباتًا؛ أي: مطرًا يَتسبَّبُ عنه النباتُ.

٣- والجزئيَّةِ في قولِك: أُرْسِلَتِ العُيونُ لتَطَّلِعَ على أحوالِ العدوِّ، أي: الجواسيسُ.

٤- والكلِّيَّةِ في قولِه تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩] أي: أناملَهم.

٥- واعتبارِ ما كان في قولِه تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: البالغين.

٦- واعتبارِ ما يكون في قولِه تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]؛ أي: عِنَبًا.

٧- والمحلِّيَّةِ في قولِك: قَرَّر المجلسُ ذلك؛ أي: أهلُه.

٨- والحاليَّةِ في قولِه تعالى: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]؛ أي: جنَّتِه.

١ - (كالسببيةِ) وهي كونُ الشيءِ المنقول عنه سببًا مؤثِّرًا في شيء آخر، كاليد (في قولك: عظمت يد فلان عندي) ففي «يد» مجاز مرسل علاقته السببية؛ (أي: نعمته التي سببها اليد)، فقد ذكر السبب وهو اليد، وأراد المُسبب عن اليد وهو النعمة.

ومثله: فلان يضرب بيدٍ من حديد؛ أي: بقوة؛ إذ كانت القوة مُسببة عن اليد التي هي السبب(١).

٢- (والمسبَّبيةِ) وهي كون الشيء المنقول عنه مُسبَّبًا ونتيجة لشيء آخر، كالنبات (في قولك: أمطرت السماءُ نباتًا) ففي النبات مجاز مرسل علاقته المسببية؛ (أي: مطرًا يتسبب عنه النباتُ) فقد ذكر المسبَّب وهو النبات، وأراد السبب وهو المطر الذي نتج عنه النبات. ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]، أي: مطرًا يُسبِّب الرزق(٢).

٣- (والجزئيةِ) وذلك فيما إذا ذُكِر لفظ الجزء، وأُريد منه الكل، ككلمة العيون (في قولك: أُرْسِلَتِ العيونُ لتَطَّلِعَ على أحوال العدوِّ، أي: الجواسيسُ) وذلك أن كل جاسوس مشتمل على عين هي أداته في النظر والتجسس، فقد أطلق الجزء، وهو العين وأراد الكل وهو الجاسوس(٣).

٤- (والكليةِ) وهي على العكس من الجزئية، وذلك فيما إذا ذُكِر الكل وأريد منه الجزء كالأصابع (في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]، أي: أناملهم) فيستحيل أن يُدخل أحدٌ أصبعه كاملًا في أذنه ليسدها، وإنما المقصود من إطلاق الكل على الجزء المبالغة في الاستدخال لشدة الألم الحاصل من صوت الصواعق المرسلة على المنافقين.

---

(١) وفائدة المجاز هنا الإيجاز في التعبير واختصار الكلام، فبدلًا من أن يقول: عَظُمَتْ يَدُ فلانٍ التي هي سبب للنعمة؛ حذف المسبب واكتفى بذِكْر السبب؛ ليَذهب الذهْنُ في آثارها كلَّ مذهب.

(٢) فائدة المجاز هنا الإيجاز في التعبير بألفاظ أقل، وحسن تصوير العلاقة بين المطر وما يتسبب عنه.

(٣) فائدة المجاز هنا دقة اختيار العلاقة بين الجاسوس وعينه التي يعتمد عليها في التجسس، فكأنه قال: أرسل جواسيس مهرة كأنهم كلهم عيون.

٥- (واعتبار ما كان) أي: إطلاق تسمية الشيء باسم ما كان عليه باعتبار الماضي، كاليتامى (في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: البالغين) فإن اليتيم لا يستحق التصرف في المال إلا عند بلوغه، بدليل: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، وإنما الغالب أن يُسموا يتامى قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال، فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم، وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم، زال عنهم هذا الاسم. وإنما عبر باليتامى على اعتبار ما كانوا في الماضي؛ لتأكيد معنى الرحمة لهم، والفضل معهم والمسارعة في إتيانهم حقوقهم، ولما يوغلوا في الابتعاد عن وصف اليتم.

٦- (واعتبار ما يكون) إذا أُطلق اسم الشيء على ما يصير إليه في المستقبل، كالخمر (في قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عِنبًا) والمعنى: أعصر العنبَ عصيرًا يُتْرَك حتى يختمر فيصير خمرًا، فأطلق الخمرَ وأراد العنبَ باعتبار ما يصير إليه العِنَب، وما هو مقصود من عصره، ومنه قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، فإن طول بقاء نوح في قومه أكسبه العلمَ بما يؤول إليه أطفالهم عندما يكبرون.

٧- (والمحليةِ) إذا ذُكِر لفظ المحل وأريد ما يحل فيه، كما (في قولك: قرر المجلس ذلك، أي: أهلُه) فإن المجلس لا يُقرر بذاته؛ بل يقرر نوابه الحالون فيه، ومثله: قامت المدرسة برحلة إلى أسوان، فالمدرسة لا تنتقلُ؛ بل ينتقل التلاميذ الحالون في المدرسة، وكقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧]، أي: قومَه ونُدَمَاءَهُ المجتمعين معه في ناديه، ومنه: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهل القرية.

٨- (والحاليةِ) وذلك فيما إذا ذُكر لفظ الحال، وأريد المحلّ لما بينهما من الملازمة، كالرحمة (في قوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عِمران: ١٠٧]، أي: جنته) حيث إن الجنة محل الرحمة تحل فيه، ومثله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، فقد أطلق النعيم وأراد الجنة، حيث النعيم حالٌّ بها، وأطلق الجحيم وأراد جهنم، وهو حالٌّ بها (١).

والخلاصة:

أنّ للمجاز علاقاتٍ كثيرةً، تنبع من ذوق الأديب وأساليبه، وسنزيد علاقات أخرى لم يذكرها المؤلفون، وأشهر هذه العلاقات:

١- الجزئيّة: وذلك عندما يذكر الجزء، ويريد الكلّ، مثل قوله تعال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، أطلق الله- سبحانه وتعالى- لفظ (كلمة)، وقصد بها: كلامًا كثيرًا، وهذا من باب إطلاق الجزء، وإرادة الكلّ. فكلمة (كلمة) مجازٌ مرسلٌ، علاقته الجزئيّة، حيث ذكر الجزء، وهو (كلمة)، وأراد الكلّ، وهو الكلمات (٢).

---

(١) فائدة المجاز هنا الإيجاز باختصار اللفظ مع حسن أداء المعنى؛ لدقة العلاقة بين الحال والمحل، ولإفادة المجاز هنا للمبالغة في الإحاطة والشمول.

(٢) ومثل قول الله: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾، [النساء: ٩٢] لَفظَ (رَقَبَة) قَصَدَ بهَا: العَبْد المَمْلُوك. فكلمةُ (رَقَبَة) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، علاقتُهُ الْجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْجُزْءَ وهو (رقبة)، وأرادَ الْكُلَّ، وَهُوَ الْعَبْد. ومثل قول الشاعر:

أُعَلِّمُــهُ الرِّمَايَــةَ كُــلَّ يَــوْمٍ ... فَلَمَّــا اشْــتَدَّ سَــاعِدُهُ رَمَــانِي
وَكَــمْ عَلَّمْتُــهُ نَظْــمَ الْقَــوَافِي ... فَلَمَّــا قَــالَ قَافِيَــةً هَجَــانِي

ذَكَرَ الشاعر لَفْظَ (قَافِيَةً)، وقَصَدَ بِهِ قَصِيدَةً، فكلمةُ (قافيَةً) مَجازٌ، علاقتُهُ الجُزئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْجُزْءَ، وهو (قافيَةً)، أي: الحرف الأخير مِنْ كُلِّ بَيْتٍ مِن الشِّعْرِ، لكنَّهُ أراد الكُلَّ، وهي القصيدةُ.

=

٢- **الكليـة**: هـي أن يـذكر الكـل، ويـراد الجـزء، مثـل قـول الله: ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾، أي: يجعلون بعض أصابعهم، وهي رءوسها (**الأنامل**)، وهـذا مـن إطلاق الكل وإرادة بعضه(١).

٣- **المحلية**: وهي أن يذكر المحل، ويُرَاد مَنْ بِهِ. أو هي أن يُذْكَرَ المكـان، ويُـرَاد مَـنْ فيــه، مثـــل قـــول الله: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [يوسـف: ٨٢]، فكلمـة (**القريـة**) مجـازٌ، علاقتـه المَحَلِّيـة، حيـث ذكـر المكان، وهو (**القرية**)، وأراد مَنْ بِهِ، وهم أهل القرية(٢).

٤ – **الحالية**: يكون المجاز المرسل علاقته الحالية، عندما تـذكر مـن بالمكـان، أو ما في المكان ولا تريده، لكن تريد المكان نفسه، مثل: (**نزلت بالقوم فأكرموني**).

=

ومثل: (أَلْقى الإمامُ كلمَةً نالتْ إعْجابَ الجَميعِ)، ذَكَرَ لَفْظَ (كَلِمَة)، وقَصَدَ بِهِ: خُطْبَةً، وهذا مَجازٌ، علاقتُهُ الجُزْئِيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْجُزْءَ، وهو (كَلِمَة)، لَكِنَّهُ أراد الْكُلَّ، وَهِي الْخُطْبَةُ.

(١) وفائدة هذا المجازِ الإشْعارُ بما في نُفُوسِهِمْ مِن الرغبة بإدخال كلّ أصابعهم في آذانهم حتى لا يصل إليها الصوت الشديد الْمُميت الذي تُحْدِثُهُ الصواعق. فَقَدْ ذَكَرَتِ الآيَةُ الأَصَابعَ وَأَرَادَتْ جُزْءًا مِنْهَا، وهو طرف الأصابع، أي: رُءُوس الأَنَامِلِ.
وَمِثْلُ: (شَرِبْتُ ماءَ النِّيل) فهذا مَجازٌ عَلاقته الكُلِّيَّةُ؛ حُيْثُ ذَكَرَ الكُلَّ، وهو (مَاءُ النِّيلِ) كُلُّهُ، وَأَرادَ الجُزْءَ، أي: بَعْض المَاءِ، فَلَيْسَ مِنَ المعْقُولِ أَنْ يَشْرَبَ إِنْسَانٌ ماءَ النِّيلِ كُلَّهُ.

(٢) ومثل: (حَكَمَتِ المَحْكَمَةُ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ)، فكلمةُ (المَحْكَمَةُ) مَجازٌ، علاقتُهُ المحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْمَكَانَ، وَهُوَ (الْمَحْكَمَة)، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُوَ قاضي الْمَحْكَمَةِ. ومثل قول الله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧] أي: ألستهم، فكلمةُ (بِأَفْواهِهِمْ) مَجازٌ، علاقتُهُ الْمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْمَكَانَ، وَهُوَ (بِأَفْوَاهِهِمْ)، وَأَرَادَ مَا بِهِ، وَهِي أَلْسِنَتُهُمْ، ومثل قول الله: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح: ١]، فكلمةُ (صَدْرَكَ) مَجازٌ، علاقتُهُ الْمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْمَكانَ، وَهُوَ (صَدْرَكَ)، وَأَرَادَ مَا بِهِ وَهُوَ الْقَلْبُ، ومثل: (أَعْلَنَ الْمَجْلِسُ رَفْعَ رَايَةِ الْجِهادِ فِي سَبيل الله)، فكلمةُ (الْمَجْلِس) مَجازٌ، علاقتُهُ الْمَحَلِّيَّةُ، حَيْثُ ذَكَرَ الْمَكَانَ، وَهُوَ (الْمَجْلِسُ)، وَأَرَادَ مَنْ بِهِ، وَهُمْ أَهْلُ الْمَجْلِسِ.

فـ (نزلت بالقوم)، مجازٌ مرسلٌ علاقته الحالية، أي: نزلت بدار القوم أو مكانهم؛ حيث عبّر عن المكان بالموجودين، وهي عكس المجاز الذي علاقته المحلية، وهو كما قلنا: أن يذكر المحلّ، ويراد مَنْ به. أو هي أن يذكر المكان، ويراد مَنْ فيه[١].

٥- **المجاورة**: وهي أن يكون الشّيء مجاورًا لغيره فيطلق عليه اسمه، مثل: **(طعنت بالرّمح ثيابه)**، أي: جسمه، حيث ذكر لفظ **(ثيابه)**، ولم يقصده بنفسه، وإنّما قصد ما يجاوره، وهو: الجسم، وهذا من باب إطلاق الشّيء على ما يجاوره، أي **(الجسم)**[٢].

٦- **السببية**: وهي أن يذكر السّبب، ويُراد المسبّب. أو أن نعبّر بذكر السّبب للدّلالة على النّتيجة، مثل قولك: **(هذا الظّالم له يدٌ في هذا الفساد)** فكلمة **(يدٌ)** مجازٌ، علاقته السببية، والمراد: هذا الظالم له تأثيرٌ في هذا الفساد؛ لأن التأثير يصدر عن اليد[٣].

---

(١) ومثل: (جَلَسْتُ عَلَى الْقَهْوَةِ)، أي: فِي الْمَكَانِ الذِي تُشْرَبُ فِيهِ الْقَهْوَةُ، لِذَا فَهُوَ مَجَازٌ عَلاقَتُهُ الْحَالِيَّةُ؛ حَيْثُ يَسْتَعْمِلُ الناس القَهْوَةَ لِلْمَكَانِ الذِي تُشْرَبُ فيهِ. ومثل قول الله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] فِي رَحْمَةِ الله، أَيْ: فِي جَنَّتِهِ، التِي هِيَ مَحَلُّ الرَّحْمَةِ، لِذَا فَهُوَ مَجَازٌ عَلاقَتُهُ الْحَالِيَةُ؛ حَيْثُ ذَكَرَ الرَّحْمَةَ، وَأَرَادَ مَكَانَهَا، وَهِيَ الْجَنَّةُ. ومثل: (ذَهَبَ الظَّالِمُ إِلَى مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ). فَـ(إِلَى مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ)، مَجَازٌ عَلاقَتُهُ الْحَالِيَة، أَيْ: ذَهَبَ الظَّالِمُ إِلَى مَكَانِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ (الْقَبْرِ)؛ حَيْثُ عَبَّرَ عَنِ الْمَكَانِ بِالْمَوْجُودِينَ.

(٢) ومثل قول الله: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٣]، يتنازعون فِيهَا كَأْسًا: أَيْ يَتَجَاذَبُونَهَا فِي الْجَنَّةِ هُمْ وَجُلَسَاؤُهُمْ تَجَاذُبَ مُلاعَبَةٍ، لِشِدَّةِ سُرُورِهِمْ، التنازع مَجَازٌ عَنِ التَّعَاطِي، وَالْكَأْسُ مُؤَنَّثٌ سَمَاعِيٌّ كَالْخَمْرِ، وَلا تُسَمَّى كَأْسًا عَلَى الْمَشْهُورِ إلا إِذَا امْتَلأَتْ خَمْرًا، وَقَدْ تُطْلَقُ عَلَى الْخَمْرِ نَفْسِهَا مَجَازًا لِعَلاقَةِ الْمُجَاوَرَةِ. وَمِثْلُ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «إِذَا وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ» رواه البخاري.
وقوله: (الرجال على أعناقهم)؛ أي: عَلَى أَكْهَالِهِمُ الْمُقَارِبَةِ لأَعْنَاقِهِمْ، ففيه مَجَازٌ عَلاقَتُهُ الْمُجَاوَرَةُ.

(٣) ومثل: (لِلأَبِ عَلَى أَبْنَائِهِ أَيَادٍ كَثِيرَةٌ) فكلمة (أَيَاد) مَجَازٌ مُرْسَلٌ، عَلاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ، وَالْمُرَادُ بِـ(أَيَادٍ) هِيَ النِّعَمُ؛ لأَنَّ النِّعْمَةَ تَصْدُرُ عَنِ الْيَدِ، فَالْيَدُ هِيَ سَبَبُ النِّعْمَةِ. ومثل: (رَعَتْ إِبِلِي الْمَطَرَ)، أَيْ: الْكَلأ =

٧- المسبّبيَّة: وهي أن يذكر المسبّب، ويريد السّبب، مثل قول الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر: ١٣].

عبّر الله ﷻ بالرّزق عن المطر؛ لأنّ الرزق مسبّبٌ عن المطر، والمطر هو السبب. فقوله (رزقًا) مجازٌ علاقته المسبّبية؛ لأنه ذكر المسبّب، وأراد السّبب (١).

٨- اعتبار ما كان: وذلك حينما يذكر الماضي في الحاضر. أو النّظر إلى الشّيء بما كان عليه في الماضي، مثل قول الله: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٢] أي: آتوا البالغين أموالهم (٢).

= وَالْحَشَائِش وَالنَّبَات. فَالْمَطَرُ مَجازٌ علاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ؛ لأَنَّهُ سَبَبُ الْكَلأ وَالْحَشَائِشِ وَالنَّبَات، فَكُلُّ هَذَا نَاتِجٌ عَنِ الْمَطَرِ بِإِذْنِ اللهِ. ومثل قول الله: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤]، عَبَّرَ الْقُرآنُ الْكَرِيمُ عَنِ الْقَتْلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَضَرْبَ الرِّقَابِ) وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ فِي هَذِه الْعِبَارَةِ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالشِّدَّةِ مَا لَيْسَ فِي لَفْظِ (الْقَتْل) لِمَا فِيهِ مِنْ تَصْوِير الْقَتْل بِأَبْشَع صُورَةٍ، وَهُوَ حَزُّ الْعُنُقِ وَقَطْعُ الْعُضْوِ الذِي هُوَ رَأْسُ الْبَدَنِ، وَمَجْمَعُ حَوَاسِّهِ، وَلَوْ قَالَ: (فَاقْتُلُوهُمْ) لَمَا كَانَ هَذَا المعنى الدَّقِيق. وَالتَّعْبِيرُ أَيْضًا: يُوحِي بِشجَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ كَأَنَّهُمْ مُتَمَكِّنُونَ مِنْ رِقَابِهِمْ، يُعْمِلُونَ فِيهِمْ سُيُوفَهُمْ بِضَرْبِ الأَعْنَاقِ، وَهُوَ (مَجَازٌ مُرْسَلٌ) علاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ؛ لأَنَّ ضَرْبَ الرَّقَبَةِ سَبَبُ الْمَوْتِ.

(١) ومثل: (أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا)، أَي: أَمْطَرَتْ مَطَرًا سَبَّبَ نُمُوَّ النَّبَاتِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لا تُمْطِرُ نَبَاتًا، لَكِنْ تُمْطِرُ مَاءً يُسَبِّبُ نُمُوَّ النَّبَات؛ وَذَكَرَ هُنَا الْـمُسَبَّبَ، وَأَرَادَ السَّبَبَ؛ لِذَا فَهُوَ مَجَازٌ عَلاقَتُهُ الْـمُسَبَّبِيَّةُ. ومثل ذلك قول الله: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ [الأعراف: ٣١]، فَمَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لا يَنْزِلُ مِنْهَا (اللبَاسُ) مُبَاشَرَةً، لَكِنْ يَنْزِلُ الْمَاءُ الَّذِى يُسَبِّبُ الْمَلابِسَ، فهو مجاز أيضًا، علاقته الْمُسَبِّبية.

(٢) ونَجِدُ أَنَّ الْيَتِيمَ في اللغة هو الصغير الذي مات أبوه، فهل تظن أنَّ الله -سبحانه- يأمر بإعطاءِ اليتامى أموال آبائهم؟ هذا غيرُ معقولٍ، بل الواقعُ أنَّ الله يَأْمُرُ بإعطاءِ الأموالِ مَنْ وَصَلُوا سِنَّ الرُّشْدِ بَعْد أنْ كَانُوا يَتَامَى، فكلمة الْيَتَامَى هنا مَجازٌ؛ لأنها اسْتُعْمِلَتْ فِي الراشدين والعلاقةُ اعتبار ما كانَ. فليس الْمُرَادُ باليتامى الْمَعْنَى الحَقِيقِي، أي: الطفل الذي مات أبوه ولم يَبْلُغْ؛ إِذْ لا يأْمُرُنا الله بدفع المالِ إليهم، وتمكينهم منها للتصرف فيها؛ لأن ذلك لا يكون إلا بعد البلوغ، حتى يُحْسِنَ التصرف فيما يدفع إليهم من أموال آبائهم. ومن لم يَبْلُغْ لا يُعْطَى مَالُهُ، كما قال الله: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم =

٩- **اعتبار ما سيكون**: وذلك حينما يذكر المستقبل في الحاضر، أو عندما تتكلّم عن المستقبل في الوقت الحالي، مثل قول الأمّ لرضيعها: (**أرضع عالمًا**)(١).

١٠- **الضدية**: فقد يطلق اللّفظ للدلالة به على ضدّ معناه، ومن الأغراض الداعية لهذا الإطلاق الاستهزاء والسخرية والتهكم، مثل: أن يقول السلطان لجنوده: (**خذوا هذا اللصّ فأكرموه في السّجن**) أي: فاضربوه وعذّبوه. فهذا من استعمال الضدّ للدلالة به على ضده. ومثل قول الله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤] حيث ذكرت الآية البشارة بالعذاب، والبشارة لا تكون إلا في الأخبار السّارة، ولعل الغرض من ذلك هو إيلام هؤلاء الكفار المعاندين، وإلقاء الحيرة في قلوبهم، فعبّرت في البداية بالبشارة، ممّا جعلهم يتشوّقون إلى معرفة خبرٍ سارٍ، ثمّ أخلفت ظنونهم، وألقت عليهم خبرًا لا سرور فيه، وإنّما كلّه حسرةٌ وندمٌ.

فقد خلفت الآية ما أرادته على مرّتين لا مرّة واحدة، زيادة في الإيلام والاستهزاء والسّخرية(٢).

=

مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، الحكمة من التعبير باليتيم عن البالغ: هذا منْ أجل اسْتِعْطَافِ الأَوْلِيَاءِ وَاسْتِرْحَامِهِمْ، حتى يُؤَدُّوا الأموالَ إلَى أهلِها، فكأنَّه قال: اذكُرُوا يُتْمَهُمْ وَأَعْطُوهُمْ أَمْوَالَـهُمْ.

(١) غَيْرُ مَعْقُولٍ أَنْ تُرْضِعَ الأمُّ عَالِمًا؛ بلِ الواقعُ أن تُرْضِعَ الأمُّ طِفْلاً رَضِيعًا، لذا فهذا مَجَازٌ، علاقتُهُ اعتبارُ ما سيكون؛ لأنَّه ذَكَرَ الْـمُسْتَقْبَلَ فى الزَّمَنِ الْـحَاضِرِ، أى سيكونُ عالِمًا، ومثل قول الله: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، فقوله: ﴿فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ مَجازٌ عَلاقَتُهُ اعتبار ما سيكون، حيث ذكر نوح ﷺ أن أولادَ الكفارِ كَفَرَةٌ فَجَرَةٌ لَـحْظَةَ الْـمِيلادِ، والطفلُ لا يُوصَفُ بالكُفْرِ؛ لأنَّ كلَّ مولودٍ يُولَدُ عَلَى الفطرة، أي: الإسلام. فَالمَوْلُودُ حِينَ يُولَدُ لا يَكُونَ فَاجِرًا وَلا كَافِرًا، ولكنه قد يكونُ كذلك بعد الطفولة، فأُطْلِقَ الْمَوْلُودُ الْفَاجِرُ، وَأُرِيدَ بِهِ الرَّجُلُ الْفَاجِرُ، ولكن الآية أرادت ما سيكون عليه نسل الكفار.

(٢) تلك أشهر علاقات المجازِ الْمُرْسَلِ، وقد ذكر علماء البلاغة عدة علاقات أخرى، ولكن بالنظر في هذه العلاقات وُجِدَ أنها داخلة في بعض العلاقات التي تقدمت مما دعانا إلى عدم التعرض لذكرها.

للمجاز المرسل فوائدُ بلاغية:

١ - الإيجاز والاختصار.

فإذا قلت: (هَزَمَ الْقَائِدُ الْجَيْشَ) كان ذلك أَوْجَزَ من أنْ تقول: هَزَمَ جُنُودُ الْقَائِدِ الْجَيْشَ.

٢ - الارتقاء بالمعنى لتوضيحه وتقويته.

❁❁❁

المجاز المركب

المركَّبُ إن استُعمِلَ في غيرِ ما وُضِعَ له، فإن كان لعَلاقةٍ غيرِ المشابَهةِ سُمِّيَ مجازًا مركَّبًا، كالجُمَلِ الخبريَّةِ إذا استُعْمِلَتْ في الإنشاءِ، نحو قولِه:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانينَ مُصْعِدٌ ... جَنِيبٌ وجُثْمَانِي بمكةَ مُوثَقُ

فليس الغرضُ من هذا البيتِ الإخبارَ، بل إظهار التحزُّنِ والتحَسُّرِ.

وإن كانت علاقتُه المشابَهةَ سُمِّيَ استعارةً تمثيليَّةً، كما يُقالُ للمتردِّدِ في أمرٍ: أراك تُقدِّمُ رِجْلًا وتؤخِّرُ أخرى.

(المجاز المُركَّب): هو كالمجاز السابق، غيرَ أن الأول في اللفظ، وهذا مستفاد مِنَ التَّرْكِيب. و(المُركَّب إنِ استُعمل) قَصْدًا (في غير ما وُضِع له) من معنى أصلي، فهو على قسمين بحسب العلاقة: (فإن كان لعلاقة غير المُشابهة) مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي (سُمي مجازًا) مرسلًا (مركبًا) لإفادة أغراض: كالتحسر أو إظهار الحبور أو الدعاء، (كالجُمل الخبرية إذا استُعْمِلَتْ في الإنشاء) أفادت شيئًا من هذه الأغراض، (نحو قوله:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانينَ مُصْعِدٌ ... جَنِيبٌ وجُثْمَانِي بمكةَ مُوثَقُ(١)

(فليس الغرضُ من هذا البيت الإخبارَ) المستفاد من الإتيان بالجملة الخبرية على أصل وضعها، (بل) الغرض الذي من أجله أنشأ تركيبَ الابتداء والإخبار هو (إظهار التحزُّن، والتحسر) لمفارقة الأحباب.

والعلاقة في مثل هذا المجاز هو اللازمية؛ إذ يلزم عن سفر الأحبة وارتحالهم عن المحبوب إنشاءُ الحزن والحسرة على مفارقتهم.

---

(١) المعنى: إنَّ مَيلي ورَغبتي تَبَعٌ لهؤلاء المرتحلين تجاهَ اليَمَنِ، وأنا مقيدٌ بقيودِ المادة محبوسٌ عن السفر معهم، مقيمٌ في مكةَ على حين رُوحي تُسافر معهم إلى اليمن.

(وإن كانت علاقته المشابهة) بين هيئتين مُشبهة ومُشبهة بها، بحيث تكون الصورة فيها منتزعة من متعدد (سُمِّيَ استعارةً تمثيليةً، كما يُقال للمتردد في أمر: أراك تُقدِّم رِجلًا وتؤخِّر أخرى) حيث صور الإنسان الحائرَ في تردده بين الإقدام والإحجام بمن يهمّ بالذهاب ثم يَعِنُّ له أمرٌ يقيده عن التحرك.

وبسبيل الاستعارة التمثيلية قولُهم في المثل: يداك أوكتا وفوك نفخ. يُضرب لمن أوقع نفسه في مأزق بسوء صنيعه؛ حيث صوره بمظهر من نفخ قربته وربطها بيده ثم بان إهماله لما تسرب منها الماء.

ومنه شعرًا قولُ المتنبي يصف الذي يعيب الشعرَ الرائع، بسبب سوء تذوقه للشعر، بحيث يرى الجميل قبيحًا، والكامل ناقصًا، والحسنَ سيئًا:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرًّا بِهِ الْمَاءَ الزُّلالَا

هذا الكلام الذي يدلُّ معناه الأصلي على أنَّ المريض الذي يُفرِزُ فَمُهُ مُفْرَزاتٍ مُرَّةً، يَجدُ الماءَ الزُّلال مُرًّا فِي فَمِهِ، وليس ذلك من مرارة الماء، فالماء عذب على كل حال، بل من الأشياء المرَّة الَّتي يُفْرِزُها فَمُه.

لكنَّ المتنبّي استعار هذا الكلام على طوله للدلالة به على حال من ليس لديه ملكة إدْراك الشعر الرائع النفيس، فهو بسبب ذلك يَعِيبُ الحسَنَ الجيّد منه، ويَنتَقِدُه بغير فهم، ولا حُسْنِ تَذَوُّق.

وهو ما يُسَمَّى بالاستعارة التمثيلية، وسيأتي بيانُها في باب الاستعارة، وهي اسْتعارةُ مَثَلٍ مِنَ الأمثالِ مِنْ قِصَّتِهِ الأَصْلِيَّة التي وُضِعَ فيها المَثَلُ، ثم يُطْلَقُ هذا المثلُ على موْقفٍ جَديدٍ يُشْبهُ الموقفَ الأَصْلي.

مثل: (وَمَنْ يَبْذُرِ الشَّوْكَ يَجْنِ الْجراحَ)، وهـذا المثل يُقال في أيَّةِ قِصَّةٍ حاضرةٍ مُشابِهةٍ لِهَذه القصة القديمة؛ لكن يُحافَظُ على لَفْظِه وشكلِه على سبيل الاستعارة التمثيلية، وهكذا باقي الأمثال(١).

❁❁❁

(١) وهذه الاستعارة يستعملها الناس في مخاطباتهم وأمثالهم الدَّارِجَة، فمن العامِّيّ قول الناس إذا رأَوا صاحب صنعه أَوْ مَهْنة يُهْمِلُ أشياءَهُ الخاصة التي يصنع مثلها لغيره بإتقان: «بابُ النجَّار مخلَّع» أو «السّكافي حافي والحايك عريان»، وهذه الاستعارة قائمة على تشبيه حال هذا المُهْمِل لأشيائه الخاصة بحال النجّار الذي يصنع الأبواب المتقنة للناس مقابل ما يناله من أجر، ويُهْمِلُ باب دَارِهِ إهمالاً مثيرًا للانتقاد والتلويم، أو تشبيه حاله بحال الإسْكاف الذي يُصْلح أحذية الناس ويمشي حافيًا مُهْمِلاً إصلاحَ حِذَائه، أو تشبيه حاله بحال الحائك الذي يَحِيكُ الثِّيَاب للناس ويبيعُها لهم، ويمشي هو كالعريان، بثيات مُمَزَّقة رثَّة.

وقول العامة إذا رَأَوْا إنسانًا يُعَالِجُ أَمْرًا لا جَدْوَى منه: «يَنْفُخُ في قِرْبة مَخْرومَة». ومثل قول الرسول ﷺ: «لا يُلْدَغُ الْمُؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ» هذه العبارة تُسْتَعْمَل على سبيل «الاستعارة التمثيليّة» للتحذير من تكرار العمل الذي جَرَّ مُصِيبة في نفسٍ أو مالٍ، أو أفضى إلى أمْرٍ غير محمود.

المَجازُ العقليُّ

هو إسنادُ الفعْلِ أو ما في معناه إلى غيرِ ما هو له عندَ المتكلِّمِ في الظاهرِ لعَلاقةٍ، نحو قولِه:

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكَبيـ ـرَ كَرُّ الغداةِ ومَرُّ العَشِي

فإن إسنادَ الإشابةِ والإفناءِ إلى كَرِّ الغداةِ ومرورِ العَشيِّ إسنادٌ إلى غيرِ ما هو له؛ إذ الْمُشِيبُ والْمُفْنِي في الحقيقةِ هو اللهُ تعالى.

ومن المَجازِ العقليِّ: إسنادُ ما بُنِيَ للفاعلِ إلى المفعولِ، نحوُ: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧]، وعكسُه، نحو: سيلٌ مُفْعَمٌ، والإسنادُ إلى المصدرِ نحو: جَدَّ جِدُّه، وإلى الزمانِ نحو: نهارُه صائمٌ، وإلى المكانِ، نحو: نهرٌ جارٍ، وإلى السببِ، نحو: بَنَى الأميرُ المدينةَ.

ويُعلَمُ مما سَبقَ أن المَجازَ اللغويَّ يكونُ في اللفظِ، والمَجازَ العقليَّ يكونُ في الإسنادِ.

(المجاز العقلي):

أو الحُكْمِي، و(هو) مجاز في الإسناد بين مُسند ومسند إليه يكون لكل منهما استعماله اللغوي الوضعي، ويحصل التجوز في الإسناد أو في نسبة المسند إلى المسند إليه، وذلك عن طريق (إسناد) المتكلم (الفِعل أو ما في معناه) كالأوصاف المشتقة نحو: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسم المصدر. (إلى غير ما هو له عند المتكلم) أي: في اعتقاده (في الظاهر؛ لعلاقة) أي: لملابسة بينهما مع وجود قرينة ذهنية أو حالية أو لفظية صارفة عن إرادة المعنى الأصلي أي: مانعة لإرادة الإسناد على وجه الحقيقة في اعتقاد المتكلم، (نحو قوله) الصّلتان العبدي:

(أَشابَ الصغيرَ وأفنى الكَبيـ ـرَ كَرُّ الغَداةِ ومَرُّ العَشِي)

يريد أن تغيُّرَ الأيام واستمرار مرورها بين صُبح ومساء متتابعات نتج عنها مرورُ السنوات؛ صيرت الصبي ذا شيبة، وأهلكت من كان شيخًا بالأمس، ولا زالت تلك عادة الدهر في دوران أيامه ولياليه. (فإنَّ إسنادَ الإشابة والإفناء إلى كرِّ الغداة ومرور العشي) على أن كَرَّ ومر فاعلان لأشاب وأفنى (إسناد إلى غير ما هو له؛ إذ الْمُشِيبُ والمفني في الحقيقة هو الله تعالى).

ذلك كقوله حكاية عن حال المنافقين الذين اشتروا الضلالة بالهدى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، فأسند نفيَ الربح إلى التجارة، وكان حقها الإسناد إلى المنافقين.

قال الإمام عبد القاهر: «واعلم أنه ليس بواجب في هذا المجاز أن يكون للعمل فاعل في التقدير إذا أنت نقلت الفِعل إليه عُدتَ به إلى الحقيقة، مثل أن تقول في ربحت تجارتهم: ربحوا في تجارتهم؛ فإن ذلك لا يأتي في كل شيء، ألا ترى أنه لا يمكنك أن تُثبت للفعل في قولك: أقدمني بلدَك حقٌّ لي على إنسان، فاعلًا سوى الحق». بل القدوم موجود على حقيقته؛ وإن لم يكن هناك فاعل له(١).

(ومن المجاز العقلي إسنادُ ما بُني للفاعل إلى المفعول، نحو: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقّة: ٢١]) أي: مَرضِيّة، وأصل التركيب: رَضِيَ المرءُ عيشتَه، فأسند

---

(١) قد يسند بعض الناس أعمالًا شركية وينسبونها لغير الله، ثم يَحمِلُون ذلك على المجاز العقلي كقَولِ أحدِهم: يا فلانُ أَدرِكْني، أو اشْفِنِي أو أَغْنِنِي أو.. أو.. ويظنُّونَ أنَّ ذلك مِثلُ قَولِ القائل: هذا الطعامُ أَشْبَعَني، وهذا المَاءُ أَرْوَانِي، وهذا الدَّوَاءُ شَفَانِي، وأَنْبَتَ المَاءُ الزَّرْعَ..، فإن الطعامَ لا يُشْبِعُ والمَاءَ لا يَرْوِي والدَّوَاءَ لا يَشْفِي حَقِيقةً، بل المشبع والمروي والشافي الحقيقي هو الله تعالى وحده.
والحقيقة أن هذا لا يجوز، وقد ذكر شيخ الإسلام: «فكلُّ مَنْ غَلَا في نَبِيٍّ، أو رجلٍ صالحٍ، وجعل فيه نوعًا من الإلهية، مثل أن يقول: يا سيدي فلان انْصُرْنِي، أو أَغِثْنِي، أو ارزُقْنِي، ونحو هذه الأقوال أن هذا شرك وضلال، يُسْتَتَاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، إلى آخر كلامه».

الفعل رضي للمفعول عيشة من غير أن يُبنى له، فصار: رَضيت العيشةُ، ثم أُخذ من الفعل المبني للفاعل اسم فاعل وأسند إلى ضمير العيشة، فآل الأمر إلى أن صار المفعول فاعلًا. (وعكسه) أي: إسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل، (نحو: سيل مُفْعَمٌ) أي: مملوء، مفعول بمعنى فاعل، فإسناد مُفعم وهو مبني للمفعول إلى ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلي، علاقته الفاعلية. ومن ذلك قول الحُطيئة يهجو الزبْرقَان بن بدر:

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لبُغْيَتِهَا ... واقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي(١)

فقوله: الطاعم الكاسي مجاز عقلي أُسند فيه ما بني للمفعول إلى الفاعل، وأصله: المطعوم والمكسوّ.

(و) منه: (الإسناد إلى المصدر) أي: إسناد الفعل إلى مصدره، (نحو: جَدَّ جِدُّهُ) فأصل التركيب: جَدَّ الجادُّ جدًّا؛ أي: اجتهد المجتهد اجتهادًا، ثم حُذف الفاعل وهو الجاد وأُسند الفعل إلى مصدره.

ومن ذلك قول أبي فراس الحمداني وهو في سجن الروم:

سيذْكُرني قومي إذا جَدّ جدُّهم ... وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ

أي: إذا جد جادهم. يريد أن قومه وقد نسوه في محبسه ببلاد الروم بعد أن أسروه، لا بد إذا ضاقت عليهم السبلُ واحتاجوا إلى سيد شجاع يقذفون به أعداءهم أن يتذكروه والخطب مُلمّ.

(و) من المجاز العقلي: الإسناد (إلى الزمان، نحو: نهاره صائم) وليله قائم. يريد أن فلانًا يصوم في النهار ويقوم في الليل، ثم عنَّ له أن يتجوز ويبالغ في الوصف فأسند

---

(١) والمعنى: لا تُتْعِبْ نفسَك في طلب العلا والسؤدد؛ فلست بأهل لذاك، وإنما قُصاراك أن يُطعمك قومُك ويكسوك، كما يطعمون نساءَهم ويكسونهم.

الفعل إلى الظرف؛ ليدل على المبالغة في الصيام والقيام، وكأن نهاره مُستغرق في الصيام كله، وأن ليله مستغرق في القيام كله. (و) منه الإسناد (إلى المكان، نحو: نَهَرٌ جارٍ) والنهر هو مَجرى الماء، فالجاري على الحقيقة ما فيه من ماء، ولكنه عدل عن الإسناد إلى الفاعل الحقيقي للإسناد إلى النهر ليدل شِدَّة الجريان الناتج عنه عذوبة الماء لعدم ركوده. (و) منه الإسناد (إلى السبب، نحو: بَنى الأمير المدينة) والأمير لا يباشر البناءَ بنفسه وإنما يأمر فيُطاع، وعدل بالإسناد عن الفاعل الحقيقي إلى المسبب للفعل لبيان أهمية الفعل وحيثيته، مع وجازة العبارة، وبيان العلاقة بين الفاعل والمسبب له.

(ويُعلم مما سبق أن المجاز اللغوي يكون في اللفظ) ومتى أُطلق المجاز انصرف إلى اللغوي منه وهو المجاز المرسل، إذا استُعمل اللفظ في مجالات الاستعمالات اللغوية العامة بمعناه الذي وُضع له في اللغة، كان حقيقة لغوية.

وإذا استُعمل في هذه المجالات في غير معناه الذي وُضع له في اللغة، لعلاقة من علاقات المجاز، كان مجازًا لغويًا. فالبدر في عُرف الفلكيين حقيقة لغوية يدل على الجرْم السماوي المُعتم، وهو في عُرف الشعراء مجاز لغوي يدل على الوضاءة، والأسد في عُرف البيولوجيين حقيقة لغوية يدل على الحيوان المعروف، وهو في عُرف الشعراء مجاز لغوي، يدل على البأس والشجاعة، وهكذا. (والمجاز العقلي يكون في الإسناد) لأنه يستتبع حركة فكرية في تركيب الجملة وتغييرًا في حكمها، أي: في نسبة الحكم بين المسند إليه المحكوم عليه والمسند المحكوم به.

❁❁❁

الكناية(١)

الكناية: هي لفظٌ أُريدَ به لازِمُ معناه، مع جوازِ إرادةِ ذلك المعنى، نحو: طويلُ النِّجادِ؛ أي: طويلُ القامةِ.

وتَنقسمُ باعتبارِ المكني عنه إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأوَّلُ: كِنايةٌ يكونُ الْمَكْنِيُّ عنه فيها صفةً، كقولِ الخنساءِ:

طويـلُ النِّجَـادِ رفيـعُ العِمَـادِ ... كثـيرُ الرَّمَـادِ إذا مـا شَـتَا

تريدُ أنه طويلُ القامَةِ سيدٌ كريمٌ.

والثاني: كِنايةٌ يكونُ الْمَكْنِيُّ عنه فيها نسبةً، نحو: المجد بينَ ثوبَيْـه، والكـرمُ تحتَ ردائِه. تُريدُ نِسبةَ المجْدِ والكرمِ إليه.

والثالثُ: كِنايةٌ يكونُ الْمَكْنِيُّ عنه فيها غيرَ صفةٍ ولا نِسبةٍ، كقولِه:

الـضاربينَ بكـلِّ أبـيضَ مِخْـذَمٍ ... والطـاعنينَ مجـامِعَ الأضْـغَانِ

فإنه كَنَّى بمجامِعِ الأضغانِ عن القلوبِ.

---

(١) الكنايةُ أُسلُوبٌ من الأساليب الذكيّة التي تُعَبِّرُ عن المعنى بطريقة غير مباشرة، وهي مِنْ أَبْدَعِ وأَجْمَلِ فُنونِ الأدبِ. إنَّ الذَّكِيَّ اللَّمَّاح إذا أراد أن يتحدّث عن شيءٍ ما، انْطَلَقَ ذِهْنُهُ؛ لِيَدُلَّ على ما يُريد التعبيرَ عنه بطريقة غير مباشرة، وطافَ في محيط ذلك الشيء لينتقِيَ ممّا يلاحظ ما يدلُّ به عليه، فَيبعدُ حينًا، ويَقربُ حينًا، ويتوسطُ حينًا آخر، ويستَبْعِدُ ما لا يَراه حسنًا جميلًا، وما لا يرى دلالته مناسبةً لمقتضى الحال.

فإذا أراد مثلاً أن يتحـدَّثَ عـن البخيـل، ولكـنْ لا يستَحْسِنُ استعمال لفظـة (البخيـل) في كلامِهِ؛ لأنّ دلالتها دلالةٌ مباشرة، وليس فيها إبداعٌ فكري، فيلاحظ أنّ من سِمات البخيل قبض يَدَيْه عـن العطاء، فيكنّى عن الْبُخْل بعبارة (قبض اليدين)، أو (قَبَض الْيَدَ) ويكنّى عنِ البخيل بعبارة (قابض اليـدين)، أو (قابض اليد) وعبارة (قبض الْيَد) أدقّ؛ لأنّ العطاء يكون بيد واحدة في الناس.

وإذا أراد أن يتحدَّثَ عن شديد البُخْل الذي لا يستطيعُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ بعطاء، فيكنّي بعبارة: (مَغْلُـول الْيَـدِ إلى العُنق)؛ لأنّ من كانت يدُهُ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِهِ كان غيرَ قادرٍ على أن يَبْسُطَها.

وفي مقابلِ هذِهِ الكنايةِ يأتِي بَسْطُ اليَدِ للدّلاَلة بها على الجُودِ. وتأتِي كِنايَةُ الإفراطِ فِي الْبَسْطِ لِلدِّلالة بها عَلَى الإِسْرَافِ. هُنَا نُدْركُ الإبداعَ والجَمالَ فِي التعبيرِ الْقُرْآنِيِّ الذي قالَ الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

(الكناية)(١):

(هي) لغةً: أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وقد كنوت بكذا عن كذا، أو كَنيت: إذا تركت التصريحَ به. واصطلاحًا: (لفظ) أُطْلِقَ و(أُريدَ به لازم معناه) أي: ما يتحقق بتحققه عُرفًا وعادة (مع جواز إرادة ذلك المعنى) الأصلي لعدم وجود قرينة تمنع من إرادته، (نحو) قول الخنساء تُماضر بنت عمر تَرثي أخاها صخرًا:

(طويلُ النِّجَادِ رفيعُ العِمَادِ كثيرُ الرَّمَادِ إذا ما شَتَا)(٢)

وقد كَنَّتْ عن طوله بطول النجاد؛ (أي: طويل القامة)؛ إذ من المعلوم باللزوم الذهني أن الرجل ذا القامة القصيرة لا يتخذ حمائل طويلة لسيفه، إنما يتخذ الحمائل الطويلة مَن كان من الناس طويلَ القامة.

---

(١) يُعرف الأسلوب غير المباشر عند علماء البلاغة باسم (الكناية)، ويكون بالإشارة إليها من طَرْفٍ خَفِيٍّ، وهذا الأسلوب فيه ذكاء، مثل الكناية عن كَثْرة إطعام الضيوف عند العرب، أنْ يقول قائلهم فلان: (كثير الرَّماد) أيْ: مِضْياف جَوَّاد؛ لأنَّ كَثرةَ الرَّمادِ عندهم مِنْ كَثرةِ إيقادِ النَّارِ، وكثرةُ إيقَادِ النَّارِ مِنْ كَثرةِ الطَّبْخِ عليها، وكَثْرةُ الطَّبْخِ تَدُلُّ على كَثْرةِ الضُّيُوفِ، ونستطيع أنْ نمثِّل لهذا القسم بالأمثلة التالية:

١- قول موسى عليه الصلاة والسلام بعد أن سقى لابنة سيدنا صالح عند ماء مدين ثم تولّى إلى الظّل، قال: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].
فهو في هذا يشير باستحياء إلى حاجته إلى الزوجة إشارة خفيَّة لا تُعْرف إلاَّ من قرينة الحال.

٢- قوْل أَيُّوب عليه السلام بعد أنْ مرض ثمانيةَ عشر عامًا: يا رب إنِّي مسَّني الشيطانُ بنُصبٍ وعذاب، قال الله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، بنُصْب وعذاب؛ أيْ: بتعب وبلاء، فهو في دعائه يشير باستحياء إلى طلب الشفاء.

٣- قول امرأة عمران حين وضعت جنينها الذي كانت قد نذرتْهُ لبيت المقدِس، وكانت تنتظر أنْ يكونَ ذكرًا، فجاء أنثى وأسمتْها مريم، فقالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾، وقالت: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فهي تشير بقرينة الحال إلى مشاعر التحسُّر التي تشغل قلبها ساعتئذٍ.

(٢) النجاد: حمائل السيف كالغِمد، والعماد: ما تُنصب عليه الخيام، والرماد: أثَرُ النار.

وكنَّت عن شرف نسبه بطول خيمته، وأنه من بُيوتات العرب المقصودة للضِّيفان؛ بدليل كثير الرماد دلالة على كثرة الولائم المُقدَّمة لهم. أطلقت هذه الألفاظ على سبيل الكناية المراد بها ما يلزم عنها من أمور، مع جواز إرادة معانيها الحقيقية؛ إذ لا مانع من أن يكون صخر طويلًا من بيت عريق[1].

(وتنقسم) الكناية (باعتبار المكني عنه إلى ثلاثة أقسام)؛ فالكناية صفة منسوبة لموصوف معين، فإذا صرح باثنين دون الثالث كانت الكناية عما لم يُصرح به.

(الأول) من أقسام الكناية: (كناية يكون المَكنيُّ عنه فيها صفةً) بعد التصريح بالموصوف والنسبة، (كقول الخنساء) السابق ترثي أخاها صخرًا:

(طويـــلُ النِّجَـــادِ رفيـــعُ العِمَـــادِ   كثيـــرُ الرَّمَـــادِ إذا مـــا شَـــتَا)

فصخر هو الموصوف، ولم تُصرح بالصفة؛ بل كنَّت عنها بما يلزمها فقالت: إنه طويل النجاد (تريد أنه طويل القامة) لما سبق ذِكْره من أن حمائل السيف الطويلة لا يحملها فتى قصيرٌ، فاستتبع طول النجاد طول صاحبه، وهي تدل بذلك على جسامته وسمْته، ثم هو من بيت شريف عريق في السُّؤدد عالي المكانة؛ إذ كانت عادة العربي العتيق أن يُعلي خيمته ليقصدها عابرو السبيل ومَن انقطعت بهم الخلوات، فأَطلقتْ رفيع العماد وأرادت أنه (سيدٌ كريم) في قومه يُكرم ضيفانه في كل وقت، ويخص بذلك الكرم وقت الشدة وقت الشتاء؛ دَلالة على المبالغة في الكرم؛ لأنه وقت تشتد فيه حاجة المحتاجين.

(والثاني) من أقسام الكناية: (كناية يكون المكنيُّ عنه فيها نسبةً) وهي ما صُرِّح فيها بالموصوف وبالصفة، ولم يُصرح بنسبة الصفة إلى الموصوف، بل يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزم نسبتَها إليه، (نحو: المجد بين ثوبيه، والكرم تحت ردائه. تريد

(١) فائدة الكناية كما في البيت أنها تُقدِّم الدعوى مقرونة بالدليل على صحة مُدَّعاها، مع وجازة العبارة.

نسبة المجد والكرم إليه) فهو لم يصرح بنسبة الصفة، وهي المجد والكرم إلى الموصوف وإنما صرح بالنسبة المستلزمة لوصفه بذلك.

ومثله قول الخنساء السابق: كثير الرماد، كناية عن نسبة الكرم إليه، ومنه قولهم للمرأة العفيفة: طاهرة الذيل.

(والثالث) من أقسام الكناية: (كناية يكون المكنيُّ عنه فيها غير صفة، ولا نسبة) بل عن موصوف، (كقوله) عمرو بن مَعد يكرب:

(الضاربينَ بكلِّ أبيضَ مِخْذَمِ والطاعنينَ مجامِعَ الأضْغَانِ[١]

فإنه كنى بمجامع الأضغان عن القلوب) والأضغان: الأحقاد، ومحلها القلوب، فإذا وُجدت الأضغان كانت مجتمعة في داخلها وملازمة لها[٢].

---

(١) بكل أبيض مخذم؛ أي: بكل سيف أبيض قاطع. والأضغان: الأحقاد، ومَحَلُّهَا القَلْبُ، والْمَعنى: أَمْدَحُ قَومي الضاربين بسيوفِهم والطاعنين برماحِهِم أفئدةَ أعدائهم.

(٢) وفائدة الكناية هنا: تقْوِيَة المعنى بأن قومه يصيبون من أعدائهم مَقتلًا، فإذا هموا بقوم فتأكد أن حتفهم قد وقع.

والكِنايةُ إن كثُرَتْ فيها الوسائطُ سُمِّيَتْ تلويحًا، نحو: هو كثيرُ الرمادِ، أي: كريمٌ؛ فإن كثرةَ الرمادِ تَستلزِمُ كثرةَ الإحراقِ، وكثرةُ الإحراقِ تَستلزِمُ كثرةَ الطبخِ والخبزِ، وكثرتُهما تَستلزِمُ كثرةَ الآكلين، وهي تَستلزِمُ كثرةَ الضِّيفانِ، وكثرةُ الضِّيفان تَستلزِمُ الكرَمَ. وإنْ قلَّتْ وخَفِيَتْ سُمِّيَتْ رمزًا، نحو: هو سَمِينٌ رِخْوٌ، أي: غَبِيٌّ بَليدٌ، وإن قلَّتْ فيها الوسائطُ، أو لم تكنْ، ووَضَحَتْ سُمِّيَتْ إيماءً وإشارةً نحو:

أوَما رَأَيْتَ المجدَ ألقى رَحْلَهُ ... في آلِ طَلْحَةَ ثم لم يَتَحَوَّلِ

كِنايةً عن كونِهم أمجادًا.

وهناك نوعٌ من الكِنايةِ يَعتمدُ في فهمِه على السياقِ، يُسَمَّى تعريضًا، وهو إمالةُ الكلامِ إلى عُرْضٍ؛ أي: ناحيةٍ، كقولك لشخص يضر الناس: خير الناس من ينفعهم.

(و) قَسَّمَ السكاكي ٦٢٦هـ (الكناية) مع ذلك التقسيم إلى: تلويح، ورمز، وإيماء أو إشارة. فالكناية (إن كثُرت فيها الوسائط) بين المكني به والمكني عنه (سُمِّيَتْ تلويحًا) أي: إشارة من بعيد، (نحو: هو كثير الرماد، أي: كريم، فإن كثرة الرماد تستلزم كثرة الإحراق) فالرماد هو الناتج عن آثار الحرق، وكلما أكثرتَ من النيران كثر الناتجُ عنها من رماد، (وكثرة الإحراق تستلزم كثرة الطبخ والخَبْز) المرتَّبة على هذه النيران المُوقدة، (وكثرتهما تستلزم كثرةَ الآكلين، وهي تستلزم كثرةَ الضيفان، وكثرة الضيفان تستلزم الكرم) فكأنك أشرت بكثرة الرماد إلى ما يلزمها من كرم إشارة بعد إشارة فيما يُعرف بالتلويح.

(وإن قَلَّتْ) الوسائط بين المكني به والمكني عنه (وخَفِيَتْ سُمِّيَتْ رمزًا)؛ لأن الرمز إشارة من قريب لكنها خفية غير ظاهرة، (نحو: هو سمين رِخْوٌ، أي: غبي بليد) لما جرت به العادةُ أن السِّمن والرخاوة تستلزم البلادة، وتدل على عدم النجابة، وقد لا يكون ذلك كذلك، وإنما تُعُورِف عليه وجرى على لسانهم.

كما في قوله ﷺ لعدي بن حاتم، روى البخاري بسنده، قال: أخذ عدي عقالًا أبيض، وعقالًا أسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يَستبينا، فلما أصبح قال: يا رسول الله: جعلت تحت وسادي عقالين، قال: «إن وسادَك إذًا لعريض؛ أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك». يريد إن نومك يطول، وقيل غير ذلك.

(و) الكناية (إن قَلَّتْ فيها الوسائط) بين المكني به والمكني عنه، (أو لم تكن موجودة، (ووضحت سمِّيت إيماءً، وإشارةً، نحو) قول البُحتُريّ يمدح آل طلحة:

(أَوَمـا رَأَيْـتَ المجـدَ ألقـى رَحْلَـهُ ... في آلِ طَلْحَــةَ ثـم لـم يَتَحَـوَّل

كناية) بقوله: ألقى رحله في آل طلحة (عن كونهم أمجادًا) فمن ألقى المجدُ رَحْلَه في داره ولم يتحول عنها، فلا بد أن يكون أهلًا له ثابتًا فيه لعظيم شرفه ورفيع منزلته.

(وهناك نوع من الكناية يعتمد في فَهْمه على السياق) فهو طريقة من الكلام أخفى من الكناية، (يُسمَّى تعريضًا)، وهو خلاف التصريح، بحيث يكون الكلام بخفائه أبلغ في معناه من التصريح الظاهر الذي لا سِتْر دونه، كما يقول ابن طباطبا ٣٢٢هـ في عيار الشعر، (وهو) لغة: (إمالة الكلام إلى عُرْضٍ، أي: ناحيةٍ) واصطلاحًا: ما أُشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق، (كقولك لشخص يضر الناسَ: خيرُ الناس مَن ينفعهم) فيُفهم من السياق أنك تُعرِّض بأنه شر الناس، من باب: إياكِ أعني واسمعي يا جارة. وفائدة التعريض رفعُ الحرج عند المواجهة، ومندوحة عن الكذب كما قال ﷺ.

ومما سبق يتبين أن الكِنايَة لغةً:

أن تتكلَّمَ بشيءٍ وتُرِيدُ به غيرَه. والكُنْيَـةُ والكِنْيَـةُ أيضًا بالكسر: مفرد الْكُنَى. واكْتَنَى فلانٌ بكذا. وفلان يُكْنَى بأبي عبد الله، ويُقالُ: تكَنَّى إذا تَستَّرَ، وضد الكناية: الصريحُ.

الكِنايَةُ اصطلاحًا:

هي إِخْفاءُ المعنى مع ذكْر الدَّليل والإشارةِ عَليْهِ، مثل: (**طارقٌ نَظِيفُ الْيَدِ**) كناية عن العفةِ والأمانةِ.

ومثل: (**اصْفَرَّ وَجْهُ اللصِّ أمامَ القاضي**) فهذا كِنايةٌ عَنِ (**الخوف**)، حيث اختفى المعْنى، وهو (خافَ اللصُّ)، وجاء الدليل على هذا المعنى الذي اختفى، وهو (اصْفَرَّ الْوَجْه)؛ لأنه لم يَقُلْ: (**اللصُّ خائِفٌ**)؛ بل قال: (اصْفَرَّ وَجْهُهُ)؛ دَلِيلًا عَلَى المعنى الذي أَخْفاهُ.

ومثل قوله تعالى: ﴿**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٤٢].

فهذا كنايةٌ عَنِ (**النَّدَم**)، حيث اختفى المعنى، وهو (الرجل نادِمٌ)، وجاء الدليل على هذا المعنى الذي اختفى، وهو (**يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ**)؛ لأنه لم يَقُلْ: (**الرجل نادمٌ**)؛ بل قال: (**يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ**)؛ دَلِيلاً على المعنى الذي أَخْفاهُ. حيث يَسْتَعْمِلُ النَّاسُ (**يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ**) كِنايةً عنِ الندم.

و(**الصِّديقُ**) كناية عن أبي بكر رضي الله عنه.

و(**الفاروق**) كناية عن عمر رضي الله عنه.

و(**أمين الأمة**) كناية عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

و(**سيف الله المسلول**) كناية عن خالد بن الوليد رضي الله عنه.

و(**الرَّفَث**) كناية عن الجماع.

أقسام الكناية

أولًا: كناية عن صفة:

وهي إِخْفَاءُ الصِّفَةِ مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَيْهَا، تقول: (فلانٌ نظيفُ اليدِ) كناية عن العفةِ والأمانةِ، وتعرف كنايةُ الصفة بذكر الموصوفِ: ملفوظًا أو ملحوظًا من سياق الكلام.

فُلانٌ يَدُهُ طَوِيلَةٌ. (كناية عن الخَوْف).

اصْفَرَّ وَجْهُ الطَّالبِ عِنْدَ الامْتِحانِ. (كناية عن الخَوْف).

الْوَزِيرُ بَطْنُهُ كَبِيرٌ. (كناية عن الجَشَع وَالطَّمَع).

مُحَمَّدٌ بَيْتُهُ مَفْتُوحٌ. (كناية عن الْكَرَم).

احْمَرَّ وَجْهُ الْفَتاةِ عِنْدَما رَأَتْ رَجُلاً. (كناية عن الحَيَاء).

طارِقٌ نَظِيفُ الْيَدِ. (كِنايةٌ عَنِ العِفَّةِ وَالأمانة).

ومثل قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢]، فـ (يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) كِنَايَةٌ عَنِ النَّدَمِ.

ومثل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، فـ (يَدَكَ مَغْلُولَةً) كِنايةٌ عنِ البُخْلِ، و(تَبسُطهَا كُلَّ الْبَسْطِ) كِنايةٌ عَنِ التَّبْذِيرِ والإسْرافِ.

ثانيًا: كناية عن موصوف:

هي إِخْفاءُ المَوْصُوفِ مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عليه، مثل: (أُحِبُّهَا لأَنَّها هِيَ الَّتِي رَبَّتْنِي) كناية عن الأم.

ومثل: ضَرَبْتُهُ فِي مَوْطِنِ الأَسْرَارِ. (كناية عن القلب).

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ. (كناية عن ذات، وهو الله سبحانه).

نَحْنُ أَبْنَاءُ النِّيلِ. (كِنَايَة عَنْ مَوْصُوفٍ، وَهُوَالْوَطَنُ مِصْر).

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ (كِنَايَة عَنْ مَوْصُوفٍ، وَهُوَ السفينة).

جَاءَ قَابِضُ يَدِهِ. (كِنَايَة عَنْ مَوْصُوفٍ، وهو الْبَخِيلُ).

والنَّاطِقونَ بالضَّادِ. (كِنَايَةٌ عَنِ الْعَرَبِ).

وَأَرْضُ الْكِنانَةِ. (كِنَايَةٌ عَنْ مِصْرَ).

وأَبو الأَنْبياءِ. (كِنَايَةٌ عَنْ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ).

ومثل: (خَاتَم الأَنْبِيَاءِ) كِنَايَةٌ عَنْ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

و(كَلِيمُ اللهِ) كِنَايَةٌ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

و(رُوحُ اللهِ) كِنَايَةٌ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.

وكما يقال (الصِّديقُ) كناية عن أبي بكر رضي الله عنه.

وكذلك (الفاروق) كناية عن عمر رضي الله عنه.

وأمين هذه الأمة كناية عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

وسيف الله المسلول، كناية عن خالد بن الوليد رضي الله عنه.

ج- كناية عن نسبة لموصوف:

وهـي أن تـذكر الـصِّفَةَ والمَوْصُـوفَ، وتَـذْكُر الـدَّلِيلَ علـى اخْتِـصاصِ الـصِّفَةِ بالمَوْصُوفِ، مثل:

مَشَى الْعِلْمُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْعِلْمِ لابْنِ عَبَّاسٍ).

تَتَبَّعَ الْحَيَاءُ خُطُوَاتِ مَرْيَمَ. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْحَيَاءِ لِمَرْيَمَ).

سَارَ الْكَرَمُ خَلْفَ عَثْمَانَ. (كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْكَرَمِ لِعُثْمَانَ).

الْعَدْلُ فِي رِكَابِ عُمَرَ. (**كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الْعَدْلِ لِعُمَرَ**).

الصِّدْقُ فِي لِسانِهِ. (**كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ الصِّدقِ لِلِسَانِهِ**)(١).

ونلاحظ أن:

الْكِنايَةَ تَعْبِيرٌ يَخْتَلِفُ مِنْ بِيئَةٍ إِلَى أُخْرَى، فَمَثلًا: كَانَ الْعَرَبُ يكنون عَنْ طُولِ الليلِ بقَوْلِهِمْ: (**لَيْلٌ بَطِيءُ الْكَواكِبِ**)، والْيَومَ نَقُولُ: (**إِنَّ عَقَارِبَ السَّاعَةِ لا تَتحَرَّكُ**).

---

(١) كُلُّ كِنايةٍ عَنْ نِسْبَةٍ تُعَدُّ اسْتِعارةً مَكْنِيَّةً وَلَيْس العكس، مثل: (مَشَى الْأَدَبُ وَراءَ خالِدٍ) **فهذه كِنَايَةٌ عَنْ** نِسْبَةِ الْأدب إلى خالد، كما أنه يَصْلُحُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً، حيثُ شَبَّهَ الْأدب بِإِنْسَانٍ يَمْشي، وسِرُّ جَمَالِ الاسْتِعَارَةِ هُنَا التَّشْخِيصُ.

ثالثاً: علم البديع

علم البديع

البديعُ: علمٌ يُعرَفُ به وجوهُ تحسينِ الكلامِ المطابِقِ لمقتضى الحالِ. وهذه الوجوهُ: ما يرجعُ منها إلى تحسينِ المعنى يُسَمَّى بالمحسِّناتِ المعنويَّةِ، وما يَرجِعُ منها إلى تحسينِ اللفظِ يُسَمَّى بالمحسِّناتِ اللفظيَّةِ.

البديع في اللُّغة:

كلمة (بديع) على وزن (فعيل) تأتي لغةً بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول، يُقَالُ لغةً: بَدَعَ فلانٌ الشيءَ يَبْدَعُهُ بَدْعًا: إذا أنشأه على غيرِ مثالٍ سبَقَ، فالفاعل للشيء بَدِيع، والشيء الْمفعول بديع أيضًا.

ويقال أيضًا: أَبْدَعَ، أي: أتى بما هو مُبْتكر جديد بديع على غير مثال سبق، فهو مُبْدِع، والشيء مُبْدَعٌ، ومنه قول الله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]، ومنه: البديعُ اسم من أسماء الله تعالى بمعنى الْمُبْدِع، أي: الْمُوجِد للأشياء بلا مِثالٍ تَقَدَّمَ.

علم البديع في الاصطلاح:

هو العِلْمُ الذي تُعْرَف به الْمُحَسِّناتُ الْجَماليَّةُ اللفظيَّةُ الَّتي لم تُلْحَقْ بِعِلْمِ الْمعاني، ولا بعلمِ الْبَيان. أو هو ما يُعْرَفُ بالْمُحَسِّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ، أو اللفظية.

الْمُحسنات اللفظيّة: هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جَماليَّة لفظيّة، وقد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى أيضًا، وتعرف بالمحسنات اللفظية(١).

---

(١) واضع علم البديع: قيل: «عبد الله بن المعتزّ العباسي» ت (٢٧٤ هـ)؛ إذ جمع ما اكتشفه في الشعر من الْمُحَسِّنَات، وكتب فيه كتابًا جعل عنوانه عبارة: «البديع».

٢- جعفر بن قُدَامة: أديب بغدادي ت (٣١٩هـ) ألَّف كتابًا سمّاه «نقد قُدامة» ذكر فيه أكثر من عشرة أنواع من أنواع البديع، إضافةً إلى ما سبق أن اكتشفه من قبل «عبد الله بن المعتزّ العبّاسيّ».

=

وهذا قد أَوْرَدَهُ المؤلفون، وهذا بَيَانُنَا لَهُ:

(البديع) لُغةً: فَعيل بمعنى مُفْعَل أو مَفعول؛ أي: المُختَرَع على غير مثال سابق. واصطلاحًا: (عُلم يُعرف به وجوه تحسين) أي: تزيين (الكلام) البليغ (المُطابق لمقتضى الحال) مع فصاحته ووضوح دلالته على المعنى المراد، (وهذه الوجوه) أي: وجوه التحسين (ما يرجع منها إلى تحسين المعنى) ورعايته (يُسمى بالمحسنات المعنوية) فيبقى التحسينُ في المعنى ولو تغير اللفظ إلى مُؤدَّاه، (وما يرجع منها إلى تحسين اللفظ) ورعايته (يُسَمَّى بالمحسنات اللفظية) فتسقط تلك التحسيناتُ لو تغير اللفظ، ومن المحسنات المعنوية ما يلي:

=

٣- أبو هلال العسكري: ت (٣٩٥هـ)، فقد جمع سبعة وثلاثين نوعًا من أنواع البديع.

٤- ابن رشيق القيرواني: فجمع في كتابه «العمدة» قرابة سبعة وثلاثين نوعًا من أنواع البديع.

٥- شرف الدِّين أحمد بن يوسف القيسيّ التيفاشي: من قرية «قفصة» بإفريقية، ولد فيها، وتعلَّم بمصر، وولي القضاء في بلده، له عدَّة مؤلفات، ولادته ووفاته في (٥٨٠هـ - ٦٥١هـ).

٦- عبد العظيم المشهور بابْنِ أبي الإِصْبَع العدواني البغدادي ثم المصري، شاعر من العلماء بالأدب، له تصانيف حسنة، منها كتابه «بديع القرآن» في أنواع البديع الواردة في القرآن، ت (٦٥٤هـ) وقد أوصل الأنواع إلى تسعين نوعًا.

٧- صَفِيُّ الدين الحِلّي: وُلد في الحِلَّة «بين الكوفة وبغداد»، ت: (٧٥٠ هـ) فأوصل الأنواع إلى مائة وأربعين نوعًا، يمكن جمع بعضها فِي بعض.

٨- عزّ الدّين علي بن الحسين الموصلي: شاعر، أديب، من أهل الموصل، سكن دمشق، ت (٧٨٩هـ) له مؤلف سمّاه «بديعيّة» وذكر في كتابه ما ذكر صفي الدين الحلّي، وزاد زيادة يسيرة من ابتكاره.

محسنات معنوية

التورية

١- التَّوْرِيَةُ: أن يُذْكرَ لفظٌ له معنيان: قريبٌ يَتبادَرُ فهمُه من الكلامِ، وبَعِيدٌ هو المرادُ بالإفادةِ لقرينةٍ خَفِيَّةٍ، نحو: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] أرادَ بقولِه: (جَرَحْتُمْ) معناه البعيدَ، وهو ارتكابُ الذنوبِ، وكقولِه:

يا سيِّدًا حازَ لطفًا ... له البَرايا عبيدُ
أنتَ الحسينُ ولكنْ ... جفاكَ فينا يَزيدُ

معنى (يَزيدُ) القريبُ: أنه علَمٌ، ومعناه البعيدُ المقصودُ أنه فعْلٌ مضارِعٌ من زادَ.

التَّوْرِيةُ لغةً: الماضي: وَرِيَ، والمضارع: يُوْرَى، تقول: وَرَّيْتُ الشَّيْءَ ووارَيْتُه، يَعْنِي: أَخْفَيْتُهُ. وتَوارَى: استتر. وتَقُولُ: وَرَّيْتُ الْخَبَرَ: جَعَلْتُه ورائِي، أي: سَتَرْتُهُ، وتقول: تَوَارَى الرَّجُلُ: اسْتَتَرَ، وَاخْتَفَى. إذن: التَّوْرِيةُ هِيَ: السَّتْرُ والإخْفاءُ(١).

ومعنى (وَرَّى بِغَيْرِهِ)؛ أَي: سَتَرَه، وَأَوْهَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ غَيْرَهُ. وأَصله من الْوَراءِ، وَيُقالُ: (وَارَيْتُهُ) أو (وَرَّيْتُهُ) بمعنى واحد، وفي القرآن: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ

---

(١) وفي الحديث عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن النبي ﷺ: «كَانَ إِذا أَرَادَ سَفَرًا وَرَّى بِغَيْرِه، وَكَانَ يَقُولُ: الْحَرْبُ خَدْعَةٌ» رواه الجماعة، إلا الموطأ والنسائي.

الْحَرْبُ خَدْعَةٌ: يعني: أن أمرها ينقضي بمرة واحدة من الْخِدَاعِ، قال الخطابي: هذا الْحَرْفُ يُرْوَى بفتح الْخَاءِ وسُكُونِ الدَّالِ، هكذا: (خَدْعَةٌ)، وهو أَفْصَحُهَا وَأَصْوَبُهَا، وبضَمِّ الْخَاءِ وسُكُونِ الدَّالِ، هكذا: (خُدْعَةٌ)، وبِضَمِّ الْخاءِ وفتحِ الدَّالِ، هكذا: (خُدَعَةٌ).

وتقول: وَرَّيْتُ الخبر أُوَرِّيه تَوْرِيَةً: إذا سَتَرْتَهُ، وَأَظْهَرْتَ غَيْرَهُ، كأنه مأخوذ من وَرَاءِ الإنسان؛ لأنه إذا قال: وَرَّيْتُهُ، فكأنه يَجْعَلُهُ وَرَاءَهُ، حيثُ لا يَظْهَرُ. ووَرَّيْتُ عَنْهُ: أَرَدْتُهُ، وَأَظْهَرْتُ غَيْرَهُ.

عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف: ٢٠]، المراد من: (وُورِيَ)، أي: سُتِرَ. وتُوزَنُ (وُورِيَ) على: (فُوعِلَ)، وقُرِئَ (وُرِّي عَنْهُمَا).

وتقول: وَرَّيْتُ الخبرَ أُوَرِّيه تَوْرِيةً: إذا سَتَرْتَهُ، وَأَظْهَرْتَ غَيْرَهُ، كأنه مأخوذ من وَرَاءِ الإنسان؛ لأنه إذا قال: وَرَّيْتُهُ فكأنه يَجْعَلُهُ وَرَاءَهُ، حيثُ لا يَظْهَرُ.

ووَرَّيْتُ عَنْهُ: أَرَدْتُهُ، وَأَظْهَرْتُ غَيْرَهُ.

وهذا مِثالٌ لتَقْرِيبِ التوريةِ إلى الأذهان، فعندما يقولُ الإنسانُ كلامًا، فَيَفْهَمُ الناسُ منه شَيئًا غيرَ الذي أَرَادَهُ القائلُ؛ إِذْ إِنَّهُ يريدُ شيئًا، ويُفْهَمُ عنه شيءٌ آخر، وهو لَيسَ بِكَذِبٍ، كأنْ يُسَمِّيَ أحدُنا إِحْدَى غُرَفِ بيتِهِ (الدَّوْحَة) مثلًا، وعندما يسألُ أَحَدٌ عنه: أَينَ فلانٌ؟ يقالُ له: فلانٌ فِي الدَّوحَةِ.

فيَفْهَمُ السائلُ أنَّه في مدينةِ الدَّوحَةِ التي هِيَ إِحْدَى مُدُنِ بَلَدِنا الحَبيبِ (قَطَر) مع أَنَّه جالِسٌ فِي غُرْفَتِهِ المُسَمَّاةِ بِالدَّوْحة، وهذا عِنْدَ الضَّرُورَةِ؛ لِذا فَإِنَّه لَيس بكَذِبٍ، فهذه توريةٌ(١).

---

(١) ونَحْنُ قد نَحْتاجُ إِلى التَّوْرِيَةِ والْمَعارِيضِ، ولكن ليس أسلوب المؤمن هو المخادعة؛ بل الْمُؤمن إنسانٌ صادقٌ، لكن تأتي مواقف يضطر فيها إِلَى أن يقول بالمعاريض أو التورية؛ لأن المؤمن لا يَكْذِبُ، ومع ذلك يُراعى ألاَّ يكثر من المعاريض؛ لأن الإكثار من أي شيء قد يخرج الإنسان عن الحد الشرعي له، وربما تجاوزه إلى المذموم.

فمثلاً: إذا دعاك رجلٌ إلى طعامٍ، وأنت تعرف أن طعامه حرامٌ أو فيه شبهةٌ، كرجلٍ يعمل في تجارة الخمور، أو المخدرات، أو تربية الخنازير ، أو نحو ذلك من التجارات المحرمة بلا خلاف، وليس له أي وظيفةٍ إلا العمل في هذه التجارة المحرمة، وأنت لا تريد أن تأكل عنده؛ لأن ماله حرامٌ؛ لحرمة العمل بها.

فقال لك: تَفَضَّل: (كُلْ).

فقلت له: إني صائمٌ، ومعنى صائم الذي يخطر على بال المستمع؛ أي: أنك صائم الصيام الشرعي الذي فيه امتناع عن الطعام، لكنك لست صائمًا، وإنما قصدت أنك صائمٌ عن طعامه، أي: أنا صائمٌ =

التَّوْرِيَةُ اصطلاحًا:

هي أن يَذْكُرَ الْمتكلمُ لفظًا، وهذا اللفظ له معنيان:

* معنى قَرِيبٌ (وهو غير مقصودٍ).

* معنى آخر بعيدٌ (وهو المقصود).

فيتوهَّمُ السَّامعُ: أنه يُرِيدُ المعنى القريب، غيرَ أَنَّهُ يريد المعنى البعيدَ، وذلك عن طريقِ قَرِينةٍ تشيرُ إلى هذا.

مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، فقوله: (جَرَحْتُمْ) له معنيان:

* بعيدٌ، وهو ارتكابُ الذنوبِ، وهو المراد هنا.

* قَرِيبٌ، وهو: الجُرْحُ والنَّزْفُ، وهو غير مُرَادٍ.

=

عن الحرام، أو أنا صائم عن الكلام الفاحش، وهذه المعاني أنت قصدتها، لكنها لم تخطر على بال المستمع.

وأبو بكر الصديق ﷺ قد استخدم التورية فَسُئِلَ عن النبي ﷺ ومن معه فقال: هَذَا هَادٍ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، فظنُّوا أنه رجل يصف الطريق، والمقصود هداية سبيل الخير، أي: طريق الإسلام.

وقال إسحاقُ بنُ هانئٍ: كنا عند أحمد بن حنبل في منزله، ومعه الْمروذي أَحَدُ طَلَبَتِهِ، ومعنا طالبٌ آخرُ، فَدَقَّ دَاقٌّ الباب، فقال: هلِ المروذي هنا؟ فأشار الطالبُ بإصبعِهِ فِي كَفِّهِ، وقال: ليس المروذي هنا، ففهم السائل أن المروذي ليس بالبيت، والمراد أنه ليس في كَفِّهِ.

وكتب المأمون إِلَى إسحاق بن إبراهيم أيضًا في امتحان سبعة أنفس- من المشاهير والعلماء والفقهاء، منهم: محمد بن سعد، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأحمد بن إبراهيم الدورقي- فامتحنهم بِخَلْقِ القرآن، ففي البداية ما أجابوه، فأمر بترحيلهم إلى بغداد، ولكنهم في الطريق أجابوا، فردَّهم من الرقة إلى بغداد، وأجابوهُ تقية؛ أي: خَوْفًا، حيث استعملوا التورية، كما كان يقول بعضهم: أشهد أنه مخلوق- ويقصد إصبعه- أو يقول: أشهد أن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف إبراهيم أنها مخلوقة يقصد أصابعه الخمس.

والتورية -كما تَقَدَّمَ - أن يَذْكُرَ الْمُتَكَلِّمُ لفظًا، له معنيان:

١- قريب ظاهر غير مراد. ٢- بعيد خَفِيٌّ، وهو المراد.

ومثل قول ابن نباتة:

أَقُولُ وَقَدْ شَنُّوا إِلَى الْحَرْبِ غَارَةً دَعُونِي فَإِنِّي آكُلُ الْعَيْشَ بِالْجُبْنِ

فقولُهُ: (**فَإِنِّي آكُلُ الْعَيْشَ بِالْجُبْنِ**)، فهنا تَوريَتانِ:

التورية الأولى: (**الْعَيش**)، ولَهُ مَعْنَيانِ:

أ- مَعْنًى قَرِيبٌ ظاهرٌ غيرُ مرادٍ، وهو الْخُبْزُ.

ب- مَعْنًى بعيد خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ أَنَّهُ يُرِيدُ الحياةَ والبقاءَ.

التورية الأُخْرى: (**الْجُبْن**)، ولَهُ معْنيانِ:

أ- مَعْنًى قَرِيبٌ ظاهرٌ غيرُ مرادٍ، وهو قِطْعَةُ الجُبْنِ المَصْنوعةُ مِنَ اللبنِ.

ب- مَعْنى بعيدٌ خَفِيٌّ، وهو المرادُ، وهو أَنَّهُ يُرِيد الخَوْفَ(١).

وكذلك قول الشاعر:

وَهَفَا بِالْفُؤَادِ مِنْ سَلْسَبِيل ظَمَأٌ لِلسَّوَادِ مِنْ عَيْنِ شَمْسِ

فَالسَّوادُ لَهُ مَعْنَيانِ:

أ- مَعْنًى قَرِيبٌ ظاهرٌ غيرُ مرادٍ، وَهُوَ اللوْنُ الأَسْودُ.

---

(١) وهذه نماذج ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه إغاثة اللهفان، وهي من التورية:

أ- أُحضِرَ (سفيان الثوري) إلى مجلس الخليفة المهدي فاستحسنه، فأراد الخروج؛ فقال الخليفة: لا بُدَّ أن تجلس، فحلف الثوري على أنه يعود، فخرج وترك نعله عند الباب، وبعد قليل عاد، فأخذ نعله وانصرف، فسأل عنه الخليفة، فقيل له: إنه حَلَفَ أن يعود فعاد وأخذ نعله.

ب- ذُكِرَ عن حماد رَحِمَهُ اللهُ أنه إذا أتاه من لا يريد الجلوس معه، قال متوجعًا: ضِرْسِي، ضِرْسِي، فيترُكُهُ الضَّيْفُ الثقِيلُ الذي ليس بصحبته خير.

ب- مَعْنًى بعيد خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ أَنَّهُ يُرِيدُ العُموم من الناس(١).

وقد أشار المؤلفون -رحمهم الله- إلى أن المعنى البعيد له قرينة تدل عليه، وهذه القرينة تكون خفية، وهذا واضح من قوله: (**التَّوْرِيَةُ: أن يُذْكرَ لفظٌ له معنيان: قريبٌ يَتبادَرُ فهمُه من الكلامِ، وبعيدٌ هو المرادُ بالإفادةِ لقرينةٍ خَفِيَّةٍ**)، وهذه القرينة خفية يُدْرِكُهَا الفَطِنُ، وهي على أقسام:

أ- **التورية المجردة**: التي لم تقترن بما يلائم المعنى البعيد أو القريب (**نحو**) **قوله** تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، **أراد بقوله**: (جرحتم) معناه البعيد، وهو: ارتكاب الذنوب) ما كسبتم من الآثام فيه، دون ذِكر ما يلائم أحد المعاني.

ب- **التورية المُرشّحة**: المقترنة بما يلائم المعنى القريب لتقوية انصراف الذهن إليه، كقوله: (لا تيأسوا من رحمة الله؛ فقد رأيتم العاصيَ في الجنة).

يريد بالعاصي معناه القريب من العصيان، وقد رَشَّح التورية بذكر الرحمة المقوية لهذا المعنى، ووَرَّى عن المعنى البعيد للعاصي وهو النهر المعروف بالأردن.

---

(١) الشعراء كانوا يتلاعبون بالتورية، ويتمازحون بها فِي العصر الحديث، فهذا حافظ إبراهيم يقول:

يقولـون إن الـشَّوقَ نـارٌ ولَوعَـة   فما بال شَوقي اليوم أمسى باردا

فكلمة (شَوقي) لها مَعْنَيَانِ:

أ- مَعنى قَرِيبٌ ظاهرٌ غيرُ مرادٍ، وَهُو الشَّوقُ والوجدانُ واللوعةُ.

ب- مَعْنى بعيد خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهُوَ (شَوْقِي)، أي: الشَّاعِرُ أَحْمَد شوقي.

فَرَدَّ شَوْقِي عَلَى حافظ إبراهيم قائلًا:

يَا حَافِظَ الْفُصْحَى وَحَارِسَ مَجْدِهَا   وَإِمَـامَ مَـنْ نَجَبَـتْ مِـنَ الْبُلَغَـاءِ

فَحافظ لَهُ مَعْنَيَانِ:

أ- مَعنى قَرِيبٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، اسْمُ الْفَاعِلِ مِن الفعل (حَفِظَ).

ب- مَعنى بعيد خَفِيٌّ، مُرَادٌ، وَهو الشَّاعرُ حَافِظُ إِبْرَاهِيم.

ج- (و) التورية **المُهيئة**: التي لا تقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها (كقوله:

يـــا ســـيِّدًا حـــازَ لطفًـــا ... لـــــه الْبَرَايـــــا عبيـــــدُ

أنـــت الحـــسينُ ولكـــنْ ... جفـــــاكَ فينـــــا يَزيـــــدُ

معنى «يزيد» القريبُ: أنه عَلَم) وقد ساعد على توجيه الذهن إلى هذا المعنى قوله قبله: (الحسين) حيث هيأ ذِكْره لذلك، (ومعناه البعيد المقصود: أنه فِعل مضارع من زاد) يزيد، يريد: أنت عزيز فينا مُحَبَّب إلينا؛ لكن جفاك مستمِرّ زائد، ونحن لا نُطيق ذلك.

القِيمَةُ البَلاغِيَّةُ لِلتَّوْرِية:

التورية تثير الذهن، وتُعْمِلُ الفكر، وتُحْدِثُ حَرَكَةً رَيَاضِيَّةً للعقل، وَتَدْفَعُهُ إِلَى التَّأَمُّلِ فِي البحث عن الْمَعْنَى البعيد.

الإبهام

٢- الإبهام: إيراد الكلام محتملًا لوجهين متضادين، نحو:

بَــارِكَ اللهُ للحَــسنْ ... ولِبُــورَانَ في الخَــتَنْ
يــا إمَــامَ الهــدى ظَفِــرْ ... تَ وَلَكِنْ بِبِنْتِ مَــنْ؟

فإن قوله: (بِبِنْتِ مَنْ) يحتمل أن يكون مـدحًا بالعظمـة، وأن يكـون ذمًّـا بالدَّنَاءة.

هذا هو الدرس الثاني من دروس علم البديع، وهو الإبهام.

٢- (الإبهام: إيرادُ الكلام محتملًا لوجهين متضادين، نحو) ما ورد أن محمد بن حزم هنأ الحسن بن سهل بزواج ابنته بوران بالخليفة المأمون العباسي، فلم يكافئه الوزيرُ الحسن بن سهل، فقال له محمد بن حزم: إن تماديَت في حِرماني قلت فيك بيتا لا يُعرف أهو مدح أم ذَمّ:

بَــارَكَ اللهُ للحَــسن ... ولِبــوران في الخــتَنْ
يــا إمَــامَ الهُــدَى ظفــرْ ... تَ وَلَكِــن بِبِنْــتِ مَــنْ؟

قال في الصحاح: الختَن: كل من كان من قِبل المرأة، مثل الأب والأخ، وهم الأُختان. هكذا عند العرب، وأما عند العامة فختن الرجل: زوج ابنته.

وإمام الهدى المقصود به المأمون، يعني أنه فاز بزواجه ببوران.

وفي الكلام إبهام (فإن قوله: «ببنت مَن» يحتمل أن يكون مدحًا بالعظمة) على أن (مَن) مُبهمة تعني أحدًا عظيمًا، (وأن يكون ذمًّا بالدناءة) على أن (مَنْ) تَعْنِي فلانًا نكرة، فهي ليست بذي نسب يُعرف.

التوجيه

٣- التَّوْجِيه: إفادة معنًى بألفاظ موضوعة له، ولكنها أسماء لناس أو غيرهم، كقول بعضهم يصف نهرًا:

إذا فَاخَرَتْـهُ الـرِّيحُ وَلَّـتْ عَلِيلَـةً   بِأَذْيَـالِ كُثْبَـانِ الـثَّرَى تَتَعَـثَّرُ
بِه الفضلُ يبدو والربيعُ وكَـمْ غَـدَا   به الرَّوْضُ يَحيي وهْوَ لا شكَّ جعفـرُ

فالفضل والربيع ويحيي وجعفر أسماء ناس، وكقوله:

ومـا حُـسْنُ بيـتٍ له زُخْـرُفٌ   تـراه إذا زُلزِلَـتْ لـم يَكُـنْ

فإنَّ «زخرفًا»، و«إذا زلزلت»، و«لم يكن» أسماء سور من القرآن.

هذا هو الدرس الثالث من دروس علم البديع، وهو التوجيه.

٣- (التوجيه: إفادة معنى بألفاظ موضوعة له، ولكنها أسماء لناس، أو غيرهم) بمعنى آخر: إيراد الكلام محتملًا لمعنيين مختلفيْن، ثم لا يُرشِّح المتكلم أحدهما على الآخر بقرينةٍ تقويه، (كقول بعضهم يصف نهرًا:

إذا فَاخَرَتْـهُ الـرِّيحُ وَلَّـتْ عَلِيلَـةً   بِأَذْيَـالِ كُثْبَـانِ الثَّـرَى تَتَعَثَّـرُ
بِـه الفـضلُ يبـدو والربيـعُ وكـمْ غَـدَا   به الرَّوْضُ يَحيى وهْوَ لا شكَّ جعفرُ

يريد أن هذا النهر بلغ من الكرم أنه سَابَقَ الريح في الجُود؛ حتى إن الريح لو حاولت أن تفخر عليه لبزها بالفضل البارز والربيع الدائم، والبساتين التي تحيا به، وهو بعد ذلك جعفر؛ أي: نهر صغير. (فالفضل والربيع ويحيى وجعفر أسماء ناس) قصد الشاعر إلى مدحهم وهم آل بَرمك المشهورون بالجود والسؤدد، (وكقوله:

ومـا حُـسْنُ بَيْـتٍ لـه زُخْـرُفٌ   تَـرَاهُ إِذَا زُلْزِلَـتْ لَـمْ يَكُـنْ

يقول: أيّ زينة تجدي لبيت واهن البنيان إذا زلزلت الأرض زلزالها اندثر كأن لم يكن، وفي الكلام توجيه لطيف (فإن «زخرفًا»، و«إذا زلزلت»، و«لم يكن»، أسماء سور من القرآن) أحسن الشاعر استخدامها في بيان المعنى.

ومن أحسن ما قِيل في التوجيه قول بشار في خياط أعور اسمه عمرو:

خاط لي عمروٌ قباءَ   ليت عَيْنَيْهِ سَوَاء

والقباء: نوع من الأرْدِيَةِ، يقول: إن عَمْرًا الحائك خَاطَ لي ثوبًا عجيبًا، فاللهم اجعل عينيه سواء. فلا يُدرى هل يقصد أن تكون السليمة كالعوراء، أم العكس.

الطباق

٤- الطِّبَاقُ: هو الجمْعُ بينَ معنيين متقابلَيْن، نحوُ قولِه تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: ١٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٦-٧].

وهذا هو الدرس الرابع من دروس علم البديع، وهو الطباق.

٤- (الطباق: هو الجمع بين معنيين متقابلين) أي: متضادين، أحدهما ضد الآخر، وقد يقع التضاد بين اسمين، (نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: ١٨]) فبين «أيقاظًا» و«رقود» طباق فائدته توضيح المعنى وتقويته؛ إذ بِضِدِّهَا تتميز الأشياء.

وقد يقع التضاد بين فعلَيْن، نحو قوله تعالى: (﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرُّوم: ٦-٧]) فبين «لا يعلمون»، و«يعلمون» طباق بالتضاد.

وقد يكون الطباق في حرفين، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] بين (لهن) و(عليهن) طباق.

وقد يكون بين مختلفين كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣] فبين (يُضلل وهادٍ) طباق فائدته تَقْوِيَة المعنى وزيادته وضوحًا.

الطباقُ:

هُو الجمعُ في العبارة الواحدة بين لَفْظينِ مُتضادَّينِ، على سبيل الحقيقة، أو على سبيلِ المجازِ، مثل: (**الحياة- الموت**)، و(**الأَسْوَدِ- الأَبْيَضِ**)، و(**القِيَامِ - القُعُودِ**)، و(**الخالِقِ -المَخْلُوقِ**)، و(**الكبير- الصغير**)، و(**النعيم- الجحيم**)، ومنه قول الله:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

في الآية أَرْبعةُ أمثلةٍ من الطباق:

حيث وقع الطباق بين: (تُـؤْتِي - تَنْـزِعُ)، و(تُعِـزُّ - تُـذِلُّ)، و(النهـار - الليـل)، و(الحي - الميت).

ومثـل قولـه: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٨]، الطباق بين: (أَيْقَاظًا)، و(رقود)، وبين: (ذاتَ الْيَمِينِ)، و(ذاتَ الشِّمَالِ).

ومثـل قـول الله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فِـي هـذه الآيـة طباق بين (لَهَا) و(عَلَيْهَا).

أنواع الطباق:

١- طباق الإيجاب:

هو الجمعُ بين كلمتين متضادتين، مثل قـول الله: ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر: ٣٣] طباقٌ بين: (يُضلل - هادٍ).

٢- طباق السلب:

هُو الجمعُ بين كلمتينِ مُتَّفِقتينِ في المعنى وبينهُما أداةُ نَفْيٍ، مثل قَـولِ النَّبِـيِّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ والَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» رواه البخارى.

وفي الحديث الشَّريف طِباقٌ بين: (يَذكُرُ)، و(لا يَذْكُرُ).

ومثل قول الله: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٨].

طِباقُ السَّلْبِ بين: (يَسْتَخْفُونَ)، و(لا يَسْتَخْفُونَ).

ومثـل قولـه تعـالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمـر: ٩] طِبـاقُ السَّلْبِ بين: (يَعْلَمُونَ)، و(لا يَعْلَمُونَ).

صورُ الطِّباقِ: يكونُ الطباقُ بين:

أ- اسمين:

مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، طباق بين (**الأول- الآخر**)، و(**الظاهر- الباطن**)، وكلها أسماء.

ب- فعلين:

مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٣-٤٤] طباق بين (**أضحك- أبكى**)، و(**أمات- أحيى**)، وكلها أفعال.

ج- حرفين :

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، طباق بين (**لَهُنَّ - عَلَيْهِنَّ**)، وهما حرفان.

وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] طباق بين (**لَهَا - عَلَيْهَا**)، وهما حرفان.

د- لفظينِ منْ نوعينِ مختلفينِ:

مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]، **طباق بين فعل واسم**، وهما (**يُضْلِلِ - هاد**)، وكقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، طباق بين اسم وفعل أيضًا، وهما (**مَيْتًا - أَحْيَيْنَاهُ**).

الفائدة البلاغية للطباق:

١- إبراز المعنى وتوضيحه، مثل: مُحَامٍ نَاجِحٌ خَيْرٌ مِنْ طَبِيبٍ فاشِلٍ.

٢- اسْتِمرار الحدَثِ ودوامُهُ، مثل: أُذَاكِرُ لَيْلًا ونهارًا.

٣- شُمُولِيَّةُ الحَدَثِ، مثل: كَلامِي قَدْ فَهِمَهُ الكَبِيرُ والصَّغيرُ.

❁❁❁

المقابلة

٥- من الطِّبَاقِ المقابَلَةُ: وهي أن يُؤْتَى بمعنيين أو أكثرَ، ثم يُؤْتَى بما يُقابِلُ ذلك على الترتيبِ، نحو قولِه تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ [التوبة: ٨٢].

وهذا هو الدرس الخامس من دروس علم البديع، وهو المقابلة.

٥- (من الطباق المقابلة: وهو أن يُؤتى بمعنيين) متوافقين، (أو أكثر) من معنى بينها نوع مُواءمة، (ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب) كل معنى يقابله معنى مضاد، (نحو قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾) فبين الجملتين مقابلة حيث ليبكوا عكس ليضحكوا، وكثيرًا عكس قليلًا.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠]، فبين المعنيين في الجملتين المُفصَّلتين بـ(أما) مقابلةً بالتضاد بين ألفاظهما، فبخل عكس أعطى، واستغنى عكس اتقى، وكذب عكس صدق، والعسرى عكس اليسرى. والمقابلة تزيد المعنى وضوحًا بالتضاد بين أجزائها.

المواجهة. قال الكسائِيّ: تقول العربُ: داري تَنْظُرُ إلى دارِ فُلانٍ، إذا كانت مُقابلَةً لِما أمامها.

المقابلة اصطِلاحًا: هي أنْ تأتي جُمْلَةٌ أَوْ أكثر بينها اتفاق، ثمَّ يأتي بَعْد ذلك جُمَلٌ أُخْرى مُقابِلَةٌ للمجْموعَةِ الأولى على التَّرْتيبِ والتوالي، مثل قول الله: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [المطففين: ١٣-١٤]، فهذا تقابل بين جملتين متضادتين.

ومثل قوله: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾، فَمَجِيءُ الْمُقَابلِ لِلشَّيْءِ إِنَّما يُرَسِّخُهُ في الذِّهْنِ.

صُوَرُ المقابلة:

١ - مقابلةُ جملة بجُمْلة، مثل قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

المقابلة هكذا:

الجملة الأولى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا ﴾. الجملة الثانية: ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ .

٢ - مقابلة **جُمْلَتَيْنِ بجُمْلَتَيْنِ**، مثل قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

المُقابلات، هكذا:

الْجُمْلتانِ الأُوليانِ: (يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ - وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ).

الْجُمْلتانِ الأُخْرَيانِ: (وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ - وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ).

٣- مقابلةُ ثلاثةٍ بثلاثةٍ، مثل قوله الله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠].

المقابلات هكذا:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ .

﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ .

٤ - مقابلةُ **أَرْبَعَة بأَرْبَعَةٍ**، قال المتنبِّي:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي ... وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي

الْمُقَابَلاتُ هكذا: (**أَزُورُهُمْ- وَأَنْثَنِي**)، وبين: (**سَوَادُ- بَيَاضُ**)، وبين: (**اللَّيلِ- الصُّبْحِ**)، و بين (**يَشْفَعُ لِي- يُغْرِي بِي**).

٥ - مقابلةُ خَمْسَةٍ بِخَمْسَةٍ، قال عنترةُ بْنُ شَدَّادٍ:

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجُ عِزٍّ يَزِينُهُ ... وَفِي رِجْلِ حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍّ يَشِينُهُ

الْمُقَابَلاتُ هكذا:

(رَأْس - رِجْل) / (عَبْد - حُرّ) / (تَاج - قَيْد).

(عِزّ - ذُلّ) / (يَزِينُه - يَشِينُه).

ومن المقابلة أيضًا:

١ - لا تَخْرُجوا من عِزِّ الطَّاعة إلى ذُلِّ المعصِيَةِ.

طِبَاقٌ بَيْنَ (عِزّ)، و(ذُلّ)، كما نَجِدُ طِباقًا بين (**الطَّاعَة**)، و(**المعصِية**)، والمُقابلةُ هي: **(عِزّ الطَّاعَة) / (ذُلّ المعْصية).**

٢ - طَلاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الآخِرَةِ.

طِبَاقٌ بَيْن (طلاق)، و(مَهْر)، كما نجدُ طِباقًا بين (**الدُّنْيَا**)، و(**الآخِرَةُ**)، وَالْمُقَابلةُ هي: **(طَلاقُ الدُّنْيَا) / (مَهْرُ الآخِرَةِ).**

٣- عن أبي وائلٍ عَنْ عبد اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» رواه البخاري ومسلم.

فَكُلُّ جُمْلَةٍ في الحديث لها ما يُقابلها، هكذا:

(إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ) ـــــ (وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ).

(وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ) ـــــ (وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ).

(وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ) ـــــ (وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ).

(حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا) ـــــــــ (حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا).

٤- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ. قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ في أَمْرِ الْعَامَّةِ» رواه أحمد وابن ماجه.

الرويبضة: تصغير رابضة وهو العاجز الذى عجز عن معالي الأمور.

فَكُلُّ جُمْلَةٍ في الحديث لها ما يُقابلُها، هكذا:

(يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ) ـــــــ (وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ).

(وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ) ـــــــ (وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ).

٥- عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه كان يقول: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» رواه البخارى.

الْمُقَابَلة بين الْجُمْلتين:

(لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا / وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا).

الفائدة البلاغية للمقابلة:

إبرازُ المعنى وتَوْضِيحهُ مع دَوامِ الحدَثِ وَشُمولِهِ، فَمَجيءُ المُقابلةِ لِلشَّيْءِ إنَّما تُرَسِّخهُ فِي الذِّهْنِ.

❁❁❁

التدبيج

٦- ومنه التدبيج: وهو التقابل بين ألفاظ الألوان، كقوله:

تَرَدَّى ثيابَ الموتِ حُمْرًا فما أتَى   لها الليلُ إلّا وَهْيَ من سُنْدُسٍ خُضْرُ

وهذا هو الدرس السادس من دروس علم البديع، وهو التدبيج.

٦- (ومنه التدبيج)؛ أي: التزيين، (وهو التقابل بين ألفاظ الألوان) بقصد الكناية أو التورية، فأما التدبيج بقصد الكناية (كقوله) يعني: أبا تمام يَرثي أبا نهشل محمد بن حميد:

(تَرَدَّى ثيابَ الموتِ حُمْرًا فما أَتَى   لها الليلُ إلّا وَهْيَ من سُنْدُسٍ خُضْرُ)

فقد كنى عن القتل بلبس الثياب الحمر، وعن دخول الجنة بخضر السندس؛ إذ هو من شعار أهلها، وجمع بين الحمرة والخضرة على سبيل التدبيج.

وتدبيج التورية: أن يُورد ألوانًا يكون لكل لون منها معنى قريب وآخر بعيد مقصود، وذلك كقول الحريري في بعض مقاماته:

فمذ ازورَّ المحبوب الأصفر، واغْبَرَّ العيش الأخضر؛ اسْوَدَّ يومي الأبيض، وابيض فُودي الأسود، حتى رثى لي العَدُوّ الأزرق، فيا حبذا المَوْت الأحمر.

فالمحبوب الأصفر يعني الأشقر أو من بني الأصفر وهم الروم. والمعنى البعيد المقصود هو الذهب، وهو مَحْبُوب على كل حال، ثم رتب على ذلك معنى العبارة: فمنذ اجتنبه المال افتقر، فاسود عيشه بعد ازدهار واسودت أيامه؛ أي: قحلت بعد نعومة واخضرار، وشاب شعرُه وكان فاحمًا لهول المصاب، وبلغت به الحال أن رق له العدو اللدود، حتى صار يتمنى الهلاك لما بلغه من رثاثة الحال.

الإدماج

٧- الإدماج: أن يضمن كلام سبق لمعنى معنى آخر، نحو قول أبي الطيب:

أُقَلِّــب فيــه أجفــاني كــأَنِّي ... أَعُــدُّ بهــا على الدَّهْــرِ الذُّنُوبَــا

فإنه ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر.

٧- (الإدماج) لغة: إدخال شيء في شيء آخر، واصطلاحًا: (أن يُضَمَّن كلامٌ سِيق لمعنًى) ما يقصده الشاعر أصالةً (معنى آخر) يُضاف إلى المعنى الأول ويُدمج فيه، فينتج عن ذلك فكرتان متداخلتان، إحداهما في الأخرى، ويظهر ذلك لمنعم النظر، (نحو قول أبي الطيب) المتنبي:

أُقَلِّــب فيــه أجفــاني كــأني ... أَعُــدُّ بهــا علــى الــدَّهْرِ الــذُّنُوبَا

والضمير عائد على الليل، يقول: لقد طال ليلي وأرقتني الهمومُ، فأنا أُدير في أنحاء الليل طرفي، كأني والحال هكذا أعدد ما جنته الليالي عليَّ من ظُلْم.

وهنا الإدماج (فإنه ضمَّن وصف الليل بالطولِ) وهو المعنى المقصود أصالة (الشكايةَ من الدهر) فدمج المعنيين معًا في البيت.

الاستتباع

٨- ومن الإدماج ما يسمى بالاستتباع: وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر، كقول الخوارزمي:

سَمْحُ الْبَدِيهَةِ لَيْسَ يُمْسِكُ لَفْظَهُ فكأنَّمَا أَلْفَاظُهُ مِنْ مَالِهِ

مدَحَهُ بِطلاقة اللسان على وَجْهٍ اسْتَتْبَعَ مَدْحَهُ بالكَرَمِ.

٨- (ومن الإدماج ما يُسمى بالاستتباع، وهو) أن يؤتى بالكلام لغرض ما، مثل: (المدح) أو الذم (بشيء) لكن يؤتى به (على وجه يستتبع) ويلزم عنه (المدح) أو الذم (بشيء آخر)، وباختصار: هو الوصف الذي ينتج عنه وصف آخر، (كقول الخوارزمي) أبي بكر محمد بن العباس:

(سَمْحُ الْبَدِيهَةِ لَيْسَ يُمْسِكُ لَفْظَهُ فكأَنَّمَا أَلْفَاظُهُ مِنْ مَالِهِ)

البديهة: سَداد الرأي عند المفاجأة والمعرفة، يجدها الإنسان في نفسه من غير إعمال الفِكْر ولا علم بسببها، يقول: إنك عَذْب المنطق مُنطلِق اللسان في سماحة، لا يحد بيانَك عائقٌ، فكأنَّ ألفاظَكَ وهي تنساب حلوة من فَمِكَ مَالُكَ يَنْسَاب من يدك جودًا وسخاءً، فقد (مدحه بطلاقة اللسان) مع عذوبة المنطق وسهولة العبارة (على وجه استتبع مدحه بالكرم) ففرع عن معنى البيان والفصاحة معنى الجود والسخاء.

❁❁❁

مراعاة النظير

٩- مراعاةُ النظيرِ: هي جمْعُ أمْرٍ وما يُناسبُه لا بالتضادِّ، كقولِه:

إذا صَدَقَ الجَدُّ افترَى العَمُّ للفتى مكارِمَ لا تَخفى وإنْ كَذَبَ الخَالُ

هَذا هُو الدَّرْسُ التاسعُ مِنْ دروسِ عِلْمِ البديعِ، وَهُو: مُرَاعاةُ النَّظيرِ، وهو جمع كلمات أو عبارات متناسبة، بحيث يُقوِّى المعنى لكلٍّ منها بمعاني الكلمات أو العبارات الأخرى، أو الجمع بين الشَّيء وما يناسبه بغير تضاد، كالسوق والبيع والدَّلَّال.

كالجمع بين أمرين كقوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

٩- (مراعاة النظير: هي جمع) بين (أمر وما يناسبه) ويليق به ويجري مجراه (لا بالتضاد) بل بالتلفيق بين المتشابهات، (كقوله) أبي العلاء المعري:

(إذا صَدَقَ الْجَدُّ افترَى العَمُّ للفتى مكارِمَ لا تَخفى وإنْ كَذَبَ الخَالُ)

يقول: إذا اتفق للمرء حظ أعلى مكانته بين الناس اختلقوا له من الفضائل ما ليست فيه مما يكذبها حقيقة العلم بحاله (فقد جمع بين الجد، والعم، والخال) وهم الأقارب كما يذهب إليه الذهنُ باديَ الرأي، (والمراد بالأول) يعني الجَد بفتح الجيم: (الحظ، وبالثاني) يعني العم: (عامة الناس، وبالثالث) أي: الخال: (الظن) فقد جمع بين معانٍ متناظرة عن طريق كلمات مشتركة، وبين هذه الكلمات تناسب في موضوعها، فالجد هنا مشترك بين أبي الأب والسعد، ومراده السعد. والعم مشترك بين أخي الأب والجماعة من الناس، ومراده الجماعة. والخال مشترك بين أخي الأم والظن، ومراده الظن.

ويمكن أن نقولَ: مراعاة النظير: هو فن بديع جميل تفنن علماء البلاغة في تسميته، فَسَمَّاهُ بعضُهم التناسبَ والتوفيق، وسَمَّاهُ آخرون الائتلاف والمؤاخاة، وهو أن يجمع المتكلم بين أَمْرٍ وما يُنَاسِبُهُ، ولا يذكر التضادّ ليخرج الطباق.

مثـــــل: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]، وهي هنا في ذكر الضوء والنور، والسِّرُّ في ذكر النور مع أن السياق يقتضي أن يقول: (ذهب الله بضوئهم) مقابل أضاءت: هو أن الضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قال: بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورًا.

❁❁❁

الاستخدام

١٠- الاستخدامُ: هو ذكْرُ اللفظِ بمعنًى، وإعادةُ ضميرٍ عليه بمعنًى آخَرَ، أو إعادةُ ضميرين تريدُ بثانيهما غيرَ ما أَردْتَه بأوّلِهما، فالأوّلُ نحو قولِه تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] أراد بالشهرِ الهلالَ، وبضميرِه الزمانَ المعلومَ، والثاني كقولِه:

فَسَقَى الغَضَا والساكِنِيهِ وإن هُمُ ... شَبُّوه بينَ جَوَانحي وضُلوعي

الغضا شجرٌ بالبادِيَةِ، وضميرُ ساكِنِيهِ يَعودُ إليه بمعنى مكانِه، وضميرُ شَبُّوه يَعودُ إليه بمعنى نارِه.

هذا هو الدَّرْسُ العاشر مِنْ دروسِ علم البديع، وهو: الاستخدام.

١٠- (الاستخدام: هو ذِكر اللفظ بمعنى، وإعادة ضمير عليه بمعنى آخر، أو إعادة ضميرين تريد بثانيهما غيرَ ما أردته بأولهما) وهذا مقتضاه أن يكون للفظ أكثر من معنى، بحيث يُراد بذكره صريحًا المعنى الأول، ويُراد بالضمير العائد عليه المعنى الثاني، سواء كان هذا المعنى حقيقيًّا أم مجازيًّا (فالأول نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥]، أراد بالشهر الهلالَ) يعني: فمَن رأى منكم هلالَ شهر رمضان، (و) أراد (بضميره الزمانَ المعلومَ) يعني: فليصُم أيام شهر رمضان، (والثاني كقوله) البُحتري من قصيدة يمدح فيها ابن نيبخت:

(فَسَقَى الغَضَا والساكِنِيهِ وإن هُمُ ... شَبُّوه بينَ جَوَانحي وضُلُوعي)

يريد: سقى الله شجرَ الغضا وسَقَى أهله ومُجَاوِرِيهِ، ورعاهم، ولو أنهم أورثوني شوقًا تحترق بناره أحشائي، و(الغضا: شجر بالبادية، وضمير ساكنيه يعود إليه) يعني إلى شجر الغضا لكن (بمعنى مكانه) يريد هذه البقعة الموجود بها شجر الغضا، (وضمير شَبُّوهُ) أي: أوْقَدُوه (يعود إليه) إلى الغضا أيضًا؛ لكن (بمعنى ناره) إذا هم جعلوه حطبًا يوقدون به نيرانهم.

❁❁❁

الاستطراد

١١- الاستطراد: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة، ثم يرجع إلى تتميم الأول؛ كقول السَّمَوْأل:

وإنَّا أُنَاسٌ لا نَرَى القتلَ سُبَّةً ... إذا مَا رَأَتْهُ عامرٌ وسَلُولُ
يُقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالنا لَنَا ... وتَكْرَهُهُ آجَالهُمْ فتطُولُ
ومَا ماتَ مِنَّا سيِّدٌ حَتْفَ أنفِهِ ... ولا طُلَّ منا حيثُ كانَ قتيلُ

فسياق القصيدة للفخر، واستطرد منه إلى هجاء عامر وسلول، ثم عاد إليه.

هذا هو الدَّرسُ الحادي عشر منْ دروسِ علم البديعِ، وهو: الاستطراد.

١١- (الاستطراد: هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى) غرض (آخر لمناسبة) بين المعنيين أو الغرضين، (ثم يرجع إلى تتميم) الغرض (الأول، كقول السَّمَوْأَلِ) يفخر بقومه على قلة عددهم، ويهجو أعداءه على كثرتهم:

(وإنَّا أُنَاسٌ لا نَرَى القتلَ سُبَّةً ... إذا مَا رَأَتْهُ عامرٌ وسَلُولُ
يُقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالنا لَنَا ... وتَكْرَهُهُ آجَالهُمْ فتطُولُ
ومَا ماتَ مِنَّا سيِّدٌ حَتْفَ أنفِهِ ... ولا طُلَّ منا حيثُ كانَ قتيلُ)(١)

يقول: نحن أبناء الموت، نقدِّم إليه فوارسنا بفخر، على حين تجبن قبيلةُ عامر وسلول عن لقائنا، وتتحاشانا، وتكره الحروب، ولو أهينوا فتطول أعمارهم، بينما نهجم نحن على منايانا نستبق الموت أن يبغتنا على فرشنا، فإذا ما قُتل لنا فارس لم يذهب دمه هدرًا، فوراؤه فرسان قليل عديدهم شديد بأسهم، (فسياق القصيدة للفخر) بقومه وشجاعتهم وإقدامهم على الموت إقدام المحب على حبيبه،

---

(١) سُبَّة: عَار، آجالنا: مدة أعمارهم، حتف أنفه: مات من غير قتل ولا ضرب. طل: أهدر دمه.

(واستطرد منه إلى هجاء عامر وسلول) بعكس ما مدح به قومه، بل هجاهم بما يزيد من الفخر بقومه، (ثم عاد إليه) أي: إلى الفخر بعد الهجاء.

الافتنان

١٢- الافتنان: هو الجمع بين فنين مختلفين؛ كالغزل، والحماسة، والمدح، والهجاء، والتعزية، والتهنئة؛ كقول عبد الله بن همام السلولي حين دخل على يزيد وقد مات أبوه معاوية وخَلَفَهُ هو في الملك: آجَرَكَ اللهُ على الرزية، وبَارَكَ لَكَ في العَطِيَّة، وأعانك على الرَّعِيَّة؛ فقد رُزِئْتَ عظيمًا، وأُعْطِيتَ جَسِيمًا؛ فاشْكُرِ اللهَ عَلَى ما أُعْطِيتَ، واصبر على ما رُزِئْتَ؛ فقد فقدت الخَلِيفَةَ، وأُعْطِيتَ الخِلافَةَ، ففارقت خَلِيلًا، ووُهِبْتَ جَلِيلًا:

اصبرْ يزيدُ فقدْ فارقتَ ذا ثقةٍ ... واشكرْ حِبَاءَ الذي بالْمُلكِ أصفاكَ
لا رُزْءَ أصبحَ في الأقوامِ نعلمُه ... كَمَا رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كعُقْبَاكَ

هذا هو الدَّرْسُ الثاني عشر من دُروسِ علم البديع، وهو: الافتنان.

١٢ - (الافتنان: هو الجمع) في الكلام الواحد (بين فَنَّين مختلفين) من فنون القول؛ (كالغَزَل، والحماسة، والمدح، والهجاء، والتعزية، والتهنئة) على أن يكون بين الغرضين خيطٌ يصلهما، وغاية ينتهيان إليها وهدفٌ واحد يجمعهما، (كقول عبدالله بن همام السلولي حين دخل على يزيد) بن معاوية (وقد مات أبوه معاوية وخَلَفَهُ هو في المُلْك: آجرك الله على الرزية) أي: المصيبة، (وبارك لك في العطية) يريد الخلافة، (وأعانك على الرعية، فقد رُزِئت) أي: فقدت (عظيمًا) يعني مصيبة الموت التي نزلت بأبيه، (وأُعطِيت جسيمًا) يعني مسؤولية الخلافة؛ وهي بلا شك جسيمة، (فاشكر الله على ما أُعطِيت، واصبر على ما رُزِئت) أي: أصبت به بفقد أبيك، (فقد فقدت الخليفة، وأُعطِيت الخلافة) وبين الخليفة والخلافة جناس ناقص، (ففارقت خليلًا) أي: صاحبًا مُعينًا، (ووُهِبت جليلًا) ثم أنشده:

(اصبرْ يزيدُ فقدْ فارقتَ ذا ثقةٍ ... واشكرْ حِبَاءَ الذي بالْمُلكِ أصفاكَ

لا رُزْءَ أصبحَ في الأقوامِ نعلمُه   كَمَا رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كعُقْبَاكَ)[١]

يقول: اصبر أيها الأمير وتَسلَّى عن فقدك أبيك الجليل الثقة بعطاء ربك الذي اصطفاك للخلافة، نعم، لا مصاب أبلغ مما أُصبت به من فقد الخليفة، لكن خلافتك بعده فيها ما يخفف المصاب.

❁❁❁

(١) حباء: عطاء بغير عِوض، رزء: مصيبة.

الجمع

١٣- الجَمْعُ: هو أن يُجمَعَ بينَ متعدِّدٍ في حكْمٍ واحدٍ، كقولِه:

إنَّ الشَّبَابَ والفراغَ والجِدَهْ ... مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أيُّ مَفْسَدَهْ

هَذا هُوَ الدَّرْسُ الثالث عشر مِن دُروسِ عِلْمِ البَديعِ، وهو: الجمع.

١٣ - (الجمع: هو أن يجمع) المتكلم (بين متعدد) يعني بين شيئين أو أشياء مختلفة (في حُكم واحد) أي: ثم يحكم عليها جميعًا بحكم واحد يجمعها. مثال الجمع بين شيئين في حكم واحد قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] فقد جمع بين المال والبنين، وحَكم أنهما زينة الحياة. وأما الجمع بين أشياء (كقوله) أي: أبي العتاهية:

(إنَّ الشَّبَابَ والفراغَ والجِدَهْ ... مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَهْ)

الجدة: التوسع في المال حَدَّ الثراء، يقول: إذا اجتمعت للمرء أشياء ثلاثة أفسدته أيما إفساد، هي: الشباب مع تهوره، والفراغ مع دواعيه، والثراء وقود الشهوات.

❁❁❁

التفريق

١٤- التفريقُ: هو أن يُفرِّقَ بينَ شيئين من نوعٍ واحدٍ؛ كقولِه:

مـا نَـوالُ الغَمـامِ وقْـتَ ربيـعٍ ... كنَـوالِ الأمـيرِ يـومَ سَـخَاءِ
فنَـوالُ الأمـيرِ بَـدرَةُ عَـيْنٍ ... ونَـوالُ الغمـامِ قطـرةُ مـاء

هذا هو الدَّرْسُ الرابع عشر من دُروسِ علم البديعِ، وهو: التفريق.

١٤ - (التفريق: هو أن يفرق) المتكلم أو الشاعر (بين شيئين من نوع واحد)، فيوقع بينهما تباينًا وتفريقًا يفيد زيادة ترشيح فيما هو بصدده من مدح، أو ذمٍّ، أو نسيب، أو غيره من الأغراض، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢] فقد ذكر البحرين ثم فرق بينهما بما لكل واحد من صفات مخصوصة، و(كقوله) يعني الوطواط:

(مـا نَـوالُ الغَمـامِ وقْـتَ ربيـعٍ ... كنَـوالِ الأميـرِ يـومَ سَـخَاءِ
فنَـوالُ الأميـرِ بَـدرَةُ عَـيْنٍ ... ونَـوالُ الغمـامِ قطـرةُ مـاءِ)(١)

يقول: ليس عطاء السحاب كعطاء الأمير وإن تشابه الاسم، فعطاء السحاب قطرات ماء، وعطاء الأمير بدرات ذهب، فكيف يتفقان؟

(١) نوال: عطاء، الغمام: السحاب، سخاء: كرم وجود، البدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم.

التقسيم

١٥- التقسيمُ: هو إما استيفاءُ أقسامِ الشيءِ، نحو قولِه:

وأعلَمُ علْـمَ اليـومِ والأمـسِ قبلَـه ... ولكنَّني عن علْمِ مـا في غـدٍ عَمِي

وإما ذكْرُ متعدِّدٍ، وإرجاعُ ما لكلٍّ إليه على التعيينِ، كقولِه:

ولا يُقـيمُ على ضَـيْمٍ يُـرادُ بـه ... إلا الأذَلّان عَـيْرُ الـحيِّ والوتِـدُ

هـذا على الخـسْفِ مربـوطٌ برُمَّتِـه ... وذا يُـشَجُّ فـلا يَـرْثِي له أحَـدُ

وإما ذكْرُ أحوالِ الشيءِ مضافاً إلى كلٍّ منها ما يَليقُ به، كقولِه:

سـأطلبُ حـقِّي بالقَنـا ومـشايخٍ ... كأنهم مـن طُولِ مـا التَثَمُوا مُرْدُ

ثِقـالٌ إذا لاقَـوْا خِفـافٌ إذا دُعُـوا ... كثـيرٌ إذا شَـدُّوا قليـلٌ إذا عُـدُّوا

هَذَا هُوَ الدَّرْسُ الخامس عشر مِنْ دُرُوسِ عِلْمِ البَدِيعِ، وَهُوَ: التقسيم.

١٥ - (التقسيم هو) أحد أمرين:

(إما استيفاء أقسام الشيء) بذكر ما يشتمل عليه، (نحو قوله) زهير بن أبي سُلمى:

(وأعلَـمُ علْـمَ اليـومِ والأمـسِ قبلَـه ... ولكنَّـي عـن علْـمِ مـا في غـدٍ عَمِـي)

يقول: لقد حنكتني الأيام وطول التجارب حتى اكتسبت من العلم بأحوال الناس ما صرْتُ به خبيرًا بما كان منهم في الماضي مما تبطنه أحشاء التواريخ، وتصدقني فراستي؛ فأعرف من سيماهم وأُنكر، وآخذ وأدَعُ، ولكنني لا أعلم ما تأتي به الأيام؛ فهو في ضمير الغيب مكنونٌ لم يزل.

(وإما ذكرُ متعدد) أي: أمور متعددة تشتمل على أشياء (وإرجاع ما لكلٍّ إليه على التعيين) أي: إعطاء كل أمر ما يخصه، قال السكاكي: هو أن يريد المتكلم شيئًا ذا جزأين أو أكثر، ثم يضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له (كقوله) المتلمس:

(ولا يُقيمُ على ضَيْمٍ يُرادُ به ... إلا الأذَلّان عَيْرُ الحيِّ والوتِدُ
هذا على الخسْفِ مربوطٌ برُمَّتِه ... وذا يُشَجُّ فلا يَرْثِي له أحَدُ)(١)

يقول: لا يرضى بالذل إلا ذليل ما وسعه أن يدفعه عن نفسه، أما ما لا حيلة له فالحمار يُحمل عليه ولا يشتكي، والوتد يُدَقّ في الأرض ولا يملك من أمر نفسه شيئًا، فاربأ بنفسك أن تكون أحد الأذلين.

(وإما ذِكر أحوال الشيء مضافًا إلى كل) حال (منها ما يليق به، كقوله) أبي الطيب المتنبي:

(سأطلبُ حقِّي بالقَنَا ومشايخٍ ... كأنهم من طُولِ ما التَثَمُوا مُرْدُ
ثِقالٌ إذا لاقَوْا خِفافٌ إذا دُعُوا ... كثيرٌ إذا شَدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا)(٢)

يُقال: شَدَّ في الحرب: إذا أقْبَل بقوة. يقول: سينتصر لي قومي الذين مِنْ شَأْنِهِمْ أنهم ثقال على أعدائهم أشِدَّاء خفاف على ذَوِيهِمْ.

❁❁❁

---

(١) ضيم: ذل وهوان، عير الحي: حمارهم، الخسف: الظلم، برمته: بحبله، يشج: يفلق.

(٢) القنا: جمع قناة؛ أي: رُمح. التثموا: وضعوا اللثام على وجوههم، وهو النقاب يُوضع على الفم، وكان من عادة العرب إذا أغاروا أن يلتثموا. مُرد: جمع أمرد، وهو الشاب الغض لا لحية له. إذا دعوا؛ أي: إذا دعوا لمناصرته في قتال. إذا شدوا؛ أي: أقبلوا محاربين مقاتلين.

الطي والنشر

١٦- الطَّيُّ والنَّشْر: هو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لِكُلِّ وَاحِدٍ من المتعدد من غير تعيين؛ اعتمادًا على فهم السامع؛ كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]، فالسكون راجع إلى الليل والابتغاء راجع إلى النهار. وكقول الشاعر:

ثلاثــةٌ تُــشْرِقُ الدنيــا ببهجَتِهَــا ... شمْسُ الضُّحَى وأبو إسْحَاقَ والقَمَـرُ

هذا هو الدَّرْسُ السادس عشر مِنْ دُرُوسِ عِلْمِ البَدِيعِ، وَهُوَ: الطي والنشر.

١٦- (الطي والنشر: هو ذِكر متعدد على التفصيل) ثم النص على كل واحد منهما، (أو) على (الإجمال) عن طريق المجيء بلفظ واحد يشتمل على متعدد، (ثم ذكر ما لكل واحد من) أفراد (المتعدد من غير تعيين) يعني من دون حاجة إلى النص على ذلك (اعتمادًا على فهم السامع) وقدرته على تمييز ما لكل واحد منها، وهو ثلاثة أقسام: قسم يكون الإرجاع فيه على الترتيب، فيكون الأول للأول والثاني للثاني، (كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القَصَص: ٧٣]) ذكر الليل أولًا ثم النهار بعده، وأرجع ما هو من خصائص الليل إليه، وما هو من خصائص النهار إليه على الترتيب الذي أتى به، (فالسكون راجع إلى الليل) يعني به النوم والهدأة، (والابتغاء راجع إلى النهار) يعني به السعي في طلب الرزق والاضطراب في شؤون الحياة اليومية.

والقسم الثاني: لا يُشترط فيه الترتيب، ثقة بأن السامع يرد كل شيء إلى موضعه، تقدم أو تأخر، (و) ذلك كقول الشاعر:

كيـف أسـلو وأنـت حقـف وغـصن ... وغــزال لحظًــا وقــدًّا وردفــا(١)

(١) الحقف: المعوج من الرمل، والجمع حقاف وأحقاف.

يقول: كيف أنساك وأنت جامع لخصال الجمال، فأردافك ممتلئة ككثبان الرمل، وقدك مياس كغصن بان، وطرفك قتال كعين غزال. وعدم الترتيب ظاهر.

والقسم الثالث: المذكور على الإجمال لا يتبين فيه ترتيب ولا عكس (كقول الشاعر) محمد بن وهيب الحميري يمدح الخليفة المعتصم:

(ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر)

فقد أجمل العدد، ثم فصل ما أجمل على طريقة لا يتبين فيها ترتيب ولا عكس.

إرسال المثل والكلام الجامع

١٧- إرسالُ المثل والكلامُ الجامع: هو أن يؤتى بكلام صالح لأَنْ يُتَمَثَّل به في مواطن كثيرة، والفرق بينهما أنَّ الأول يكون بعضَ بيتٍ؛ كقوله:

.... ليس التَّكَحُّلُ في العينين كالكَحَلِ

والثاني يكون بيتًا كاملًا كقوله:

إذا جاءَ مُوسى وألقَى العَصَا فقدْ بطَلَ السِّحرُ والساحرْ

هذا هو الدَّرسُ السابع عشر من دُروسِ علم البديع، وهو: إرسال المثل.

١٧- (إرسالُ المثل، والكلامُ الجامعُ: هو أن يؤتى بكلام) كحكمة أو وصف أو غير ذلك (صالح لأن يتمثل به في مواطن كثيرة) يعني يصلح أن يكون شاهدًا يَستشهد به الإنسان في مواقفه الحياتية، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ فيما إذا حل بالمرء أمرٌ لا يستطيع له دفعًا. (والفرقُ بينهما) يعني بين المثل والكلام الجامع (أنَّ الأولَ) وهو المثل (يكون بعضَ بيتٍ، كقوله) أبي الطيب المتنبي:

لأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ (ليس التكَحُّلُ في العينينِ كالكَحَلِ)[١]

يقول: إن حلمك خلقة جِبليَّة مغروزة فيك لا تتكلف ذلك؛ فهو طبيعي كعين الكحيلة، وشتان بين من يحلم عن طبع ومن يحلم تكلفًا، الفارق بينهما هو الفارق بين من تتكحل لتبدو جميلة، ومن عينها سوداء خلقة. والشطر الثاني يُضرب مثلًا لمن يتكلف ما ليس من طبعه. (والثاني) أي: الكلام الجامع (يكونُ بيتًا كاملًا كقوله:

إذا جاءَ مُوسى وألقَى العَصَا فقدْ بطَلَ السِّحرُ والساحرُ)

---

(١) الكحل: سواد يعلو منابت الأهداب فتبدو وكأنها مُكحَّلة.

يقول: إذا ضاق الأمر وتعقدت المسألة فإن مجيء أحدهم يحل ما تعقد، وبقدومه تنفرج أسارير المكرَّبات، والمثل يُضرب لمن تُحل المشاكل بوجوده، أو هو مثل يضرب لمن يتضاءل شأنه عند وجود من هو أجلُّ شأنًا.

❁❁❁

المبالغة

١٨- المبالغـة: هِيَ ادِّعَاءُ بلـوغ وصـفٍ في الـشدة والـضعف حـدًّا يبعـد أو يستحيل. وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- تبليغ: إن كان ممكنًا عقلًا وعادة؛ كقوله في وصف فرس:

إذا مـا سـابقتْهَا الـريحُ فـرَّتْ   وألقَـتْ في يـدِ الـريحِ التُّرَابَـا

- وإغراقٌ: إن كان ممكنًا عقلًا لا عادةً؛ كقوله:

ونُكْـرِمُ جارَنـا مـا دامَ فينـا   ونُتْبِعُـهُ الكرامـةَ حيـثُ مـالا

- وغُلُوٌّ: إن استحال عقلًا وعادة، كقوله:

تَكـادُ قِـسِيُّهُ مـنْ غـيرِ رَامٍ   تُمكِّـنُ في قلـوبِهِمُ النِّبَـالا

هذا هو الدَّرسُ الثامنَ عشرَ مِنْ دُروسِ علم البديعِ، وهو: المبالغة.

١٨- (المبالغة: هي ادِّعاءُ) الشاعر (بلوغِ وصفٍ في الشدة والضعف حدًّا) أي: درجة (يبعُد) أي: يكون عسيرًا مع إمكان الحصول (أو يستحيل) الحصول بالمرة، وبمعنى آخر: أن يذكر الشاعر حالًا من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد فِي معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له، كما قال قُدامة بن جعفر في نقد الشعر.

(وتنقسم) المبالغة (إلى ثلاثة أقسام) بحسب إمكان وقوعها عقلًا وعادة:

أولها: (تبليغٌ: إن كان ذلك) الوصف يبلغ من شدته أو من ضعفه حدًّا (ممكنًا عقلًا وعادةً) يعني: يُتصور وقوعه وتشهد به الحالُ وإن كان عجيبًا، (كقوله في وصف فرس:

إذا مـا سـابقتْهَا الـريحُ فـرَّتْ   وألقَـتْ في يـدِ الـريحِ التُّرَابَـا)

يعني أن فرسه سريعة تعدو فتسبق الريحَ، وتُخَلِّف مِنْ وَرَائِها غبارًا يَشي بسبقها وخسارة الريح السباق.

ومثاله من القرآن: قول الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾ [الحج: ٢]، وقد خَصَّ المرضعة للمبالغة؛ لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقُربه منها ولزومها له، لا يفارقها ليلًا ولا نهارًا، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلْف.

(و)**الثاني**: (**إغراقٌ**: إن كان) الوصف بالشدة أو الضعف (**ممكنًا عقلًا لا عادةً**) يعني: أنه لا يستحيل في التصور وإن لم تشهد به الحال ولا العُرف، (**كقوله**)، أي: عُمير بن الأيهم التغلبي:

(ونُكْرِمُ جارَنا ما دامَ فينا ... ونُتْبِعُهُ الكرامةَ حيثُ مالا)

يريد: نحن نستريح إلى الكرم والقرى، ونحب الاحتفاء بأضيافنا فنتكلف لهم من كرم الضيافة ما كانوا عندنا، ثم لا نقتصر على ذلك بل نستمر في تزويدهم بالكرامة إذا ارتحلوا عنا. فإكرامهم للجار، ما دام فيهم، من الأخلاق الجميلة الموصوفة، وإتباعهم إياه الكرامة، حيث كان، من المبالغة في الجميل.

(و)**الثالث**: (**غُلُوٌّ**: إن استحال) الوصف بالشدة أو الضعف، فلم يتصور (**عقلًا وعادةً، كقوله**) أبي العلاء المعري:

(تكادُ قِسِيُّهُ منْ غيرِ رَامٍ ... تُمكِّنُ في قلوبِهِمُ النِّبالا)

يقول: إن القسي التي يرمون بها أعداءهم تكاد تقذف بالسهام من دون أن يستخدمها الرماة لجودتها وحسن إصابتها، ويَسْتَحِيل خروج النبال من غير رَامٍ، لكن الذي حَسَّنَ هذا الغلو وجعله مقبولًا دخولُ لفظة: (تكاد) التي صَيَّرت ما بعدها قَرِيبَ الوقوع لا واقعًا فعلًا.

❁❁❁

المغايرة

١٩- المغايرة: هي مدحُ الشيءِ بعد ذمه، أو عكسُه، كقوله في مدح الدينار:

أَكـرِمْ بـه أَصَـفَرَ راقَـتْ صُـفْرَتُهْ ....

بعدَ ذَمِّهِ في قوله:

تَبًّـا له مِـنْ خـادِعٍ مُمَـاذِقِ ....

هذا هُو الدَّرْسُ التاسعَ عَشَرَ من درُوسِ علم البديعِ، وهو: المغايرة.

١٩ - (المغايرة: هي مدحُ الشيءِ بعد ذمه، أو عكسُه) وسَمَّاهُ بعضُهم التلطف؛ لأن الشاعر يتلطف في المدح بعد الذم، سواء أكان هو الذامَّ أم غيرَهُ، (كقوله) أي: الحريري (في مدح الدينار) من مقاماته الدينارية:

(أَكـرِمْ بـه أَصَـفَرَ راقَـتْ صُـفْرَتُهْ) جـواب آفـاق ترامـت سـفرته

يا حبـذا نضـاره ونضـرته

يمدح لونه الذهبي وأنه كثير التجوال طويل الأسفار، وذلك (بعدَ ذَمِّهِ في قوله:

تَبًّـا لـه مِـنْ خـادعٍ مُمَـاذِقِ) أصـفر ذي وجهـين كالمنـافق

فذم لونه وأنه منافق لا يخلص الود لأحد، وهو معنى قوله: مماذق.

❁❁❁

تأكيد المدح بما يشبه الذم

٢٠- تأكيدُ المدْحِ بما يُشبِهُ الذَّمَّ ضَربان؛ أحدُهما: أن يُستَثْنَى من صفةِ ذمٍّ مَنفيَّةٍ صفةُ مدْحٍ، على تقديرِ دخولِها فيها؛ كقولِه:

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

ثانيهما: أن يُثْبَتَ لشيء صفةُ مَدْحٍ، ويؤتى بعدها بأداةِ استثناءٍ تَلِيها صفةُ مدْحٍ أخرى؛ كقولِه:

فتًى كمُلَتْ أوصافُه غيرَ أنه ... جَوَادٌ فما يُبْقِي عَلَى المالِ باقيا

هذا هو الدَّرْسُ العِشْرون منْ دروسِ علم البديعِ، وهو: المدحُ بما يُشبِهُ الذَّمَّ(١).

٢٠- (تأكيدُ المدحِ بما يشبهُ الذمَّ) أي: بما يوهم أنه ذم، ثم عند التدبر يجد أنه أكد ما سبق من مدح، وهو (ضربان:

أحدهما) وهو الأفضل: (أن يُستثنى مِنْ صفةِ ذَمٍّ منفيَّةٍ صفةُ مدح على تقدير دخولها فيها، كقوله) أي: النابغة:

(ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهم ... بهن فُلول من قِراعِ الكتائبِ)(٢)

يقول: إنهم قوم ممدوحون بكل فضيلة؛ حتى لا تكاد تجد لهم ذامًّا، إلا أن سيوفهم بها نتوء أو كُسُورٌ أصابت حد السيف بسبب كثرة ملاقاة الأعداء. فقد أوهم

---

(١) هُوَ أَنْ تَمْدحَ شَيئًا، ثمَّ تَأْتِي بَعْدَ هَذا المَدْحِ بأَداةِ اسْتِثناءٍ، ويَلي هذه الأداة مَدْحٌ آخرُ، مثل: (هَذِه شقَّةٌ واسِعةٌ إلا أَنَّها نظِيفَةٌ)، حَيثُ نلاحظُ أَنَّ الْمِثالَ قد وَصفَ الشَّقَّةَ بالاتساع، وهذه صِفَةُ مَدْحٍ، ثمَّ جاءَتْ بَعْدَهَا أَداةُ اسْتِثناءِ (إلا)، فَظَنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُناكَ عَيْبًا سَيأْتِي بَعْدَ أَداةِ الاسْتِثناءِ، لَكِنَّ السَّامِعَ وَجَدَ مَدْحًا آخَر، وَهُوَ أَنَّها نظيفةٌ.

(٢) فلول: كُسُورٌ أَصابَتْ حَدَّ السَّيفِ بِسَببِ كَثْرَةِ الاستعمال. قِرَاع الكَتائب: مقاتلة الأعداء.

بالاستثناء إخراج صفة ذم من جملة الاستثناء المنفي، فأتى بعد الأداة بصفة مدح، فأكد ما نفاه قبل الأداة، أي أنَّكَ لا تجد فيهم عَيبًا مهما حاولت.

فنجدُ أَنَّ الشَّاعرَ قد نفى العيْبَ عن الأَبْطال، ثمَّ جاءت بعدها أداةُ اسْتِثناءٍ (إلا)، فظنَّ السَّامِعُ أَنَّ هُناك عَيْبًا سيأْتي بَعْدَ أداةِ الاسْتثناءِ فِي الممْدُوحين، لَكِنَّ السَّامعَ وجد مَدْحًا آخر، وَهُو أَنَّ سيُوفَهُمْ بها كُسورٌ بِسببِ كَثْرةِ ضَرْبِ الأَعْداء.

(وثانيهما: أن يُثْبَتَ لشيء صفةُ مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء) مثل إلا أو غير (تليها) يعني تلي أداة الاستثناء **(صفةُ مدح أخرى، كقوله:**

فتًـى كمُلَـتْ أوصـافُه غيـرَ أنـه ... جَـوَادٌ فمـا يُبْقِـي عَلى المـالِ باقيـا)

يريد أن هذا الممدوح بلغ من الكمال حدًّا ليس وراءه مبلغًا، غيرَ أن فيه شيئًا هو سخاؤه الشديد الذي يدفعه إلى إتلاف ماله جودًا وكرمًا. وهذا الضرب يفيد التأكيد من الوجه الثاني فقط، ومن ثم كان الضرب الأول أبلغ وأجمل.

فنجدُ أن البيت قد وصف الفتى بكمال الأخلاق، وهذه صفةُ مدحٍ، ثم جاءت بعدها أداةُ استثناءٍ (إلا)، فظن السامعُ أن هُناك عيبًا سيأتى بعد أداة الاستثناء في الممدُوح (الفتى)، لكن السامع وجد مدحًا آخر، وهُو أنه كريمٌ يُنفقُ فلا يُبْقى شيْئًا.

والخلاصة أن المدْحَ بما يُشْبهُ الذَّمَّ:

هُو أن تمدح شيئًا بمدحٍ، ثم تأتى بعد هذا المدح بأداة استثناءٍ، ويلي هذه الأداة مدحٌ آخرُ، مثل: هذا أُستاذٌ فاضلٌ إلا أنه صبُورٌ.

فنجدُ أن المثال قد وصف الأُستاذ بالفضل، وهذه صفةُ مدحٍ، ثم جاءت بعدها أداةُ استثناءٍ (إلا)، فظن السامعُ أن هُناك عيبًا سيأتي بعد أداة الاستثناء في الممدُوح (الأستاذ)، لكن السامع وجد مدحًا آخر، وهُو أنهُ صبُورٌ (١).

ومثل:

١ - هُمْ شُجْعان إِلا أنهم سادةٌ أمجاد.

٢ - الطالب مجتهد غير أنه مؤدب.

٣ - هذا أستاذٌ فاضِل إِلا أنَّه صَبورٌ.

(١) الفائدةُ البلاغيةُ للمدح بما يُشبهُ الذم: يُفيدُ تنبيه المُخاطب، وإيقاظ الذهن، وإعمال العقل لإرسال المعنى بطريقةٍ جذابةٍ، تُدْخلُ السرور في النفس، وتدْفعُ الملل.

تأكيد الذم بما يشبه المدح

٢١- تأكيد الذمِّ بما يشبه المدحَ ضربان أيضًا:

الأول: أن يُسْتَثْنَى من صفة مدح منفية صفة ذم، على تقدير دخولها فيها، نحو: فلان لا خير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرق.

والثاني: أن يُثْبَتَ لشيء صفةُ ذَمٍّ، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى كقوله:

هــو الكلــبُ إلا أن فيــه مَلالَــةً وسُـوءَ مُـرَاعَاةٍ ومـا ذاك في الكَلْبِ

هذا هُو الدَّرسُ الواحد والعشرونَ مِنْ دروسِ علْم البديعِ، وهو: الذمُّ بما يُشبِهُ المدح[1].

٢١- (تأكيد الذمِّ بما يشبه المدحَ) أي: عكس السابق، وهو (ضربان أيضًا:

الأول: أن يُستثنى من صفة مدح منفيةٍ) عن الشيء (صفةُ ذمٍّ على تقدير دخولها فيها، نحو: فلانٌ لا خيرَ فيه إلا أنه يتصدق بما يسرق) يعني أنه امرؤ لا خير فيه ألبتة غير التصدق بمال مسروق، فنفى عنه صفات الخير وأكدها بما استثناه.

(و) الضرب (الثاني: أن يُثبَتَ لشيءٍ صفةُ ذمٍّ، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، كقوله) إبراهيم الغُزّي يهجو أحدهم:

(هــو الكلــبُ إلا أن فيــه مَلالَــةً وسُـوءَ مُرَاعَـاةٍ ومـا ذاك في الكَلْـبِ)

---

(١) هُو أنْ يبدأ الكلام بذمٍ، ثم تأْتى بعد هذا الذم بأداة اسْتثناءٍ، ويلي هذه الأداة ذمٌّ آخرُ، مثل: (هذا طالبٌ فاسدٌ إلا أنهُ مُهْملٌ)، فنجدُ أن المثال قد وصف الطالب بالفساد، وهذه صفةُ ذم، ثم جاءت بعدها أداةُ استثناءٍ (إلا)، فظن السامعُ أن هناك مدْحًا سيأتى بعد أداة الاستثناء، وجاء بعدها ذم آخر، وهو أنه مُهْملٌ.

يقول: إن فيه من الدناءة واللؤم ما يُدنيه من الكلاب؛ على أن الكلاب تألف صاحبها وترعاه وتحفظ ودَّه، وصاحبنا محروم من هذه، فالكلب أعلى منه مرتبة، فهو إذن أدنى إلى الذئب؛ حيث يجمع اللؤم مع الخيانة.

والخلاصة: أن الذَّمَّ بمَا يُشبِهُ المَدحَ:

هو أن تذُم شيئًا، ثم تأتي بعد هذا الذم بأداة استثناءٍ، ويلي هذه الأداة ذمٌّ آخرُ، مثل: (**هذا الرجُلُ بخيلٌ إلا أنهُ جبانٌ**). فنجدُ أن المثال قد وصف الرجل بالبُخل، وهذه صفةُ ذمٍّ، ثم جاءت بعدها أداةُ استثناءٍ (**إلا**)، فظن السامعُ أن هُناك مدحًا سيأتي بعد أداة الاستثناء في المذمُوم (**الرجُل**)، لكن السامع وجد ذمًّا آخر، وهو أنه جبانٌ.

ومثل: (**لا جمال في المنزل إلا أنهُ مُظلمٌ**)، فنجدُ أن المثال قد نفى الجمال عن المنزل، وهذه صفةُ ذم، ثم جاء بعد ذلك أداةُ استثناءٍ (**إلا**)، فظن السامعُ أن هُناك مدحًا سيأتي بعد أداة الاستثناء في المذمُوم (**المنزل**)، لكن السامع وجد ذمًّا آخر، وهُو أنهُ مُظلمٌ.

ومثل: (**لا خير في شارُون إلا أنهُ مُجرمٌ**)، فنجدُ أن المثال قد نفى الخير عن شارُون، وهذه صفةُ ذمٍّ، ثم جاء بعد ذلك أداةُ استثناءٍ (**إلا**)، فظن السامعُ أن هُناك مدحًا سيأتي بعد أداة الاستثناء في المذمُوم (**شارُون**)، لكن السامع وجد ذمًّا آخر، وهُو أنهُ مُجرمٌ.

ومثل: (**هذا رجُلٌ ظالمٌ غير أنهُ يأكُلُ الربا**)، فنجدُ أن المثال قد ذم الرجُل بأنهُ ظالمٌ، وهذه صفةُ ذم، ثم جاء بعد ذلك أداةُ استثناءٍ (**إلا**)، فظن السامعُ أن هُناك مدحًا سيأتي بعد أداة الاستثناء في المذمُوم (**رجُل**)، لكن السامع وجد ذمًّا آخر، وهُو أنهُ يأكُلُ الربا.

ومثل: (**لا جمال في الخُطبة إلا أنها غيرُ مُفيدة**)، فنجدُ أن المثال قد نفى الجمال عن الخُطبة، وهذه صفةُ ذمٍّ، ثم جاء بعد ذلك أداةُ استثناءٍ (**إلا**)، فظن السامعُ أن هُناك

مدحًا سيأتي بعد أداة الاستثناء في المذمُوم (الخُطبة)، لكن السامع وجد ذمًّا آخر، وهُو (أنها غيرُ مُفيدة).

ومثل: (**القومُ شحاحٌ إلا أنهُم جُبناءُ**)، فنجدُ أن المثال قد ذم القوم بأنهُم شحاحٌ بُخلاءُ، وهذه صفةُ ذمٍّ، ثم جاء بعد ذلك أداةُ استثناءٍ (**إلا**)، فظن السامعُ أن هُناك مدحًا سيأتي بعد أداة الاستثناء في المذمُوم (**القوم**)، لكن السامع وجد ذمًّا آخر، وهُو أنهُم جُبناءُ.

التجريد

٢٢- التجريد: هو أن يُنْتَزَعَ من أمرٍ ذي صفة أمرٌ آخَرُ مثلُهُ فيها مبالغةً لكمالها فيه، ويكون بـ«مِنْ» نحو: لي من فلان صديق حميم، أو في كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨]، أو الباء، نحو: لئن سألت فلانًا لتسألن به البحر، أو بمخاطبة الإنسان نفسَهُ، كقوله:

لا خيلَ عِندَكَ تُهدِيهَا ولا مَالُ ... فَلْيُسْعِدِ النُّطقُ إنْ لم تُسْعِدِ الحَالُ

أو بغير ذلك، كقوله:

فَلَئِنْ بَقِيتُ لأرْحَلَنَّ لِغَزْوَةٍ ... تَحْوِي الغَنَائِمَ أوْ يَمُوتَ كَرِيمُ

هذا هُوَ الدَّرْسُ الثاني والعشرونَ مِنْ دروسِ علم البديعِ، وهو: التجريد.

٢٢-(التجريد) هو الانتزاع، من جرَّدْت السيف: إذا نزعته مِنْ غمْدِهِ، وجردتُ فلانًا: إذا خلعت عنه ثيابه: (هو أن يُنْتَزَعَ من أمرٍ) ما (ذي صفةٍ) أو أكثر (أمرٌ آخرُ مثلُه فيها) أي: في هذه الصفة (مبالغةً لكمالها فيه، ويكون بِمِنْ، نحو: لي مِنْ فلان صديق حميم) فأنت تنزع من فلان معنى كامنًا فيه كأنه حقيقته ومحصوله، فتجرد منه صديقًا حميمًا لك، كأنه غير فلان وهو عينه، (أو في كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فُصِّلَت: ٢٨])، بعد قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾، فالنار هي دار الخلود، ثم يتجرد منها خلود كأنه غير الخلود الأول، وهو عينه بسبب في المفيدة للظرفية، (أو الباء) التجريدية الداخلة على المنتزع منه، (نحو: لئن سألت فلانًا لتسألن به البحر) فتجرد منه بحرًا، فكأنك تصفيه من صفاته وتخرج منه حقيقته، وهو الجود الذي يجعله بحرًا. (أو) يكون التجريد (بمخاطبة الإنسان نفسَهُ، كقوله) أي: المتنبي:

(لا خيلَ عِندَكَ تُهدِيهَا ولا مَالُ ... فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لم تُسْعِدِ الحَالُ)

فالمتنبي هنا يخاطب نفسه وكأنه يقاول غيره، ليكون أبلغ في الخطاب.

(أو بغير ذلك، كقوله:

فَلَئِنْ بَقِيتُ لأَرْحَلَنَّ لِغَزْوَةٍ   تَحْوِي الغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ)

كأنه قال إلا أن يموت كريم. ويعني بالكريم نفسه، وقد انتزع من نفسه كريمًا للمبالغة في كرمه.

❁❁❁

حسن التعليل

٢٣- حسْنُ التعليلِ: هو أن يُدَّعَى لوصْـفٍ علَّـةٌ غـيرُ حقيقيَّـةٍ فيهـا غَرَابَـةٌ، كقولِه:

لَوْ لم تَكُنْ نيـةُ الجَـوْزَاءِ خِدْمَتَـهُ   لمـا رَأَيْـتَ عَلَيْهَـا عِقْـدَ مُنْتَطِـقِ

هَذا هو الدَّرْسُ الثالثُ والعِشْرونَ مِنْ دُروسِ عِلْمِ البَدِيعِ، وَهُوَ: التجريد.

٢٣- (حسن التعليل: هو أن يُدَّعَى لوصف علةٌ) مناسبة (**غير حقيقية فيها غرابة**) وذلك لإيهام تحقيقه وتقريره من قِبَلِ أن الشيء جاء معللًا كان أكد في النفس من إثباته مجردًا عن التعليل، (كقوله) وهو بيت فارسي مترجم:

(لَـوْ لـم تَكُـنْ نيـةُ الجَـوْزَاءِ خِدْمَتَـهُ   لمـا رَأَيْـتَ عَلَيْهَـا عِقْـدَ مُنْتَطِـقِ)

فالجوزاء وهي مجموعة من النجوم في السماء تنوي خدمة الممدوح، كذا زعم الشاعر، والدليل على ذلك ما تمنطقت به من حزام حول وسطها تهيئة لخدمته.

ائتلاف اللفظ مع المعنى

٢٤- ائتلافُ اللفظِ مع المعنى: هو أن تكونَ الألفاظُ موافِقةً للمعاني، فتُختارَ الألفاظُ الجزْلَةُ والعباراتُ الشديدةُ للفخْرِ والحماسةِ، والكلماتُ الرقيقةُ والعباراتُ الليِّنةُ للغَزَلِ ونحوِه؛ كقولِه:

إِذَا مـا غَـضِبْنَا غَـضْبَةً مُـضَرِيَّةً ... هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمَا
إِذَا مَـا أَعَرْنَـا سَـيِّدًا مِـنْ قَبِيلَـةٍ ... ذُرَى مِنْـبَرٍ صَـلَّى عَلَيْنَـا وَسَـلَّمَا

وقولِه:

لَـمْ يَطُـلْ لَيْـلِي وَلَكِـنْ لَـمْ أَنَـمْ ... وَنَـفَى عَـنِّي الْكَـرَى طَيْـفٌ أَلَـمْ

هذا هو الدَّرْسُ الرابع والعشرون من دروس علم البَديعِ، وهو: ائتلافُ اللفظِ مع المعنى.

٢٤- (ائتلاف اللفظ مع المعنى: هو أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني) كأنها قوالب لها، بحيث تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى، (فتختار الألفاظ الجزلة) المتينة القوية، (والعبارات الشديدة للفخر والحماسة) للمناسبة بين اللفظ والمعنى هنا، (والكلمات الرقيقة، والعبارات اللينة للغزل ونحوه)، فتأتلف الألفاظ مع معانيها، وتنسجم معها انسجام الثوب على القد، (كقوله) بشار بن برد:

(إِذَا مـا غَـضِبْنَا غَـضْبَةً مُـضَرِيَّةً ... هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمَا
إِذَا مَـا أَعَرْنَـا سَـيِّدًا مِـنْ قَبِيلَـةٍ ... ذُرَى مِنْبَـرٍ صَـلَّى عَلَيْنَـا وَسَـلَّمَا)

فقد بالغ في معنى الإغارة والفتك والغضب، حتى إنهم يطاولون الشمس؛ فيصيبون منها حتى تدمي من وقع سيوفهم، فهي تهبط من عليائها تقطر دمًا أصابته من كبد السماء، واختار لذلك المعنى الذي يخلع القلوب ما يناسبه من ألفاظ فخمة وعبارات جزلة تناسبه.

ثم انثنى يتكلم عن قبيلته مادحًا، فاختار لذلك ما يلائمه من ألفاظ أرق، انظر إلى وقع قوله: (صلى علينا وسلَّمَا)، وما فيهما عذوبة تلائم مدح الناس لهم.

(وقوله) هو بشار أيضًا:

(لَمْ يَطُلْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنَمْ ... وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفٌ أَلَمْ)

الكرى: النوم، يقول: إن ليلي القصير طوَّله السهرُ، وممما زاد من أَرَقِي أن زارني طيف محبوبتي (عبدة) فحال بيني وبين الراحة.

محسـنات لفظـية

تشابه الأطرف

١- تشابه الأطراف: هو جَعْلُ آخرِ جملةٍ صدرَ تاليها، أو آخر بيت صدر ما يليه، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النور: ٣٥]، وكقول الشاعر:

إذا نَـزَل الحَجَّـاجُ أرضًـا مريـضةً ... تَتَبَّـعَ أقـصى دائِهـا فـشفاها

شفاها مِنَ الداءِ العُـضَالِ الذي بهـا ... غـلام إذا هَـزَّ القنـاةَ سـقَاها

هَـذَا هُـوَ الـدَّرْسُ الأول مـن المحـسنات اللفظيـة (عِلْـم البَـدِيعِ)، وَهُـوَ: تـشابه الأطراف.

محسنات لفظية:

١- (تشابهُ الأطراف) لأن الأبيات في القصيدة تتشابه أطرافها: و(هـو جعـلُ آخـرِ جملةٍ صَدْرَ تاليها، أو آخر بيت صَدْر ما يليه) فيبتدئ البيت أو الجملة بما انتهى به البيت قبله أو الجملة التي قبلها، (كقوله تعالى: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النُّور: ٣٥]) فعند قراءة الآية جملة بعد جملة، وهما ثلاث جمل اسمية، تجد ما انتهت به أولاهما ابتدأت به ثانيتهما، وما انتهت به ثانيتهما ابتدأت به ثالثتهما.

(وكقول الشاعر) هي ليلى الأخيلية تمدح الحجاج بن يوسف:

(إذا نَـزَل الحَجَّـاجُ أرضًـا مريـضةً ... تَتَبَّـعَ أقـصى دائِهـا فـشفاها

شفاها مِنَ الداءِ العُضَالِ الذي بها غلام إذا هَزَّ القناةَ سقَاها)[١]

أي: إذا نزل بأرض فيها خارجون يُفْسدون تتبَّعَهُم حتَّى قَتَل الهاربين والمتخفين ورؤوسَ الفتنة منهم، وأجهز عليهم.

❁❁❁

---

(١) الداء العُضال: المرض الملازم المنْكَر الذي يأخذ مبادهة، ثم لا يلبث أن يقتل، وهو الذي يعيي الأطباء، القناة: الرمح.

الجناس

٢- الجِناسُ: هو تشابُهُ اللفظين في النُّطْقِ لا في المعنى، ويكونُ تامًّا وغيرَ تامٍّ، فالتامُّ: ما اتَّفقَتْ حروفُه في الهيئةِ والنوعِ والعددِ والترتيبِ، وهو متماثل إن كان بين لفظين من نوع واحد، نحو:

لم نَلْقَ غيركَ إنسانًا يُلاذُ به ... فلا بَرِحتَ لعينِ الدهرِ إنسانا

ومستوف؛ إن كان من نوعين، نحو:

فَدَارِهِمْ ما دُمْتَ في دَارِهِمْ ... وأرْضِهِمْ ما دُمتَ في أرْضِهِمْ

هَذَا هُوَ الدَّرْسُ الثانِي من المحسنات اللفظية، وَهُوَ: الجِنَاس.

٢- (الجِناس: هو تشابه اللفظين في النطق) يعني في بعض الحروف أو كلها (لا في المعنى، ويكون) على ضربَيْن: (تامًّا وغير تام) بحسب الاتفاق في الحروف بين الكلمتين.

(فالتام: ما اتفقت حروفه في الهيئة والنوع والعدد والترتيب) أي: أن الكلمة هي الكلمة بنفس طريقة نطق حروفها مع اختلاف المعنى بعد ذلك، (وهو) جناس (متماثل؛ إن كان بين لفظين من نوع واحد، نحو) قول أبي العلاء المعري:

(لم نَلْقَ غيركَ إنسانًا يُلاذُ به ... فلا بَرِحتَ لعينِ الدهرِ إنسانا)(١)

يقول: أنت ملاذنا الذي نحتمي به من عاديات الدهر، أبقاك الله أعز ما في الدهر وأنفسه، أبقاك الله عينًا للزمان تحرس أهله وتحفظهم.

(و) جناس (مُستوفٍ؛ إن كان من نوعين) كاسم وفِعل مثلًا، (نحو:

فَدَارِهِمْ ما دُمْتَ في دَارِهِمْ ... وأرْضِهِمْ ما دُمتَ في أَرْضِهِمْ)

---

(١) يُلاذ به: يلجأ إليه، إنسان العين: بؤبؤها..

يقول: إذا نزلت بأرض قوم تضافروا على معاداتك فلا تجابهم بالعداء؛ بل جابهم بما يليق بحالك معهم، فمداراة الناس من حسن الفطن.

وبين الفعل (دارهم) والاسم (دارهم) جناس تام، وكذا بين الفعل (أرضهم) والاسم (أرضهم).

ومتشابه؛ إن كان بين لفظين أحدهما مركب والآخر مفرد، واتفقا في الخط نحو:

إذا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذا هِبَهْ　　　فَدَعْهُ فدولتهُ ذَاهِبَهْ

ومفروق؛ إن لم يتفقا نحو:

كُلّكُمْ قدْ أخذَ الْجامَ ولا جامَ لَنَا　　　ما الذي ضَرَّ مُديرَ الجامِ لوْ جَامَلَنَا

(و) جناس (متشابه؛ إن كان بين لفظين أحَدهما مركب) يعني: من كلمتين (والآخر مفرد واتفقا في الخط، نحو) قول أبي الفتح البُستي:

(إذا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذا هِبَهْ　　　فَدَعْهُ فدولتهُ ذَاهِبَهْ)

يقول: إذا لم يكن مِن سَمْت الملوك العطاء آذن ذلك بذهاب دولتهم.

ووقع الجناس بين «ذا هبة» أي: صاحب هِبَةٍ، وبين ذاهبة اسم فاعل من الذَّهاب، جناس تام متشابه.

(و) جناس (مفروق إن لم يتفقا) في الخط، (نحو) قول البستي أيضًا:

(كُلُّكُمْ قدْ أخذَ الْجامَ ولا جامَ لَنَا　　　ما الذي ضَرَّ مُدِيرَ الجام لوْ جَامَلَنَا)(١)

يقول: قد شربتم الخمر كلكم ولم نشرب، وماذا يضير الساقيَ الذي يدير كئوس الخمر عليكم لو سقانا مثلكم ولو مجاملة. فبين قوله: جام لنا، وقوله: جاملنا، جناس تام مركب مفروق.

---

(١) الجام: إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها.

وغير التام: ما اختلف في واحد من الأربعة المتقدمة، وهو محرف؛ إن اختلف لفظاه في هيئة الحروف فقط، نحو قوله:

جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ.

ومطرف؛ إن اختلفا في عدد الحروف فقط، وكانت الزيادة أولًا، نحو:

إِنْ كانَ فِرَاقُنَا مَعَ الصُّبْحِ بَدَا ... لَا أَسْفَرَ بَعْدَ ذاكَ صُبْحٌ أَبَدَا

ومذيل؛ إن كانت الزيادة آخرًا، نحو:

يَمُدُّون من أيْدٍ عَوَاصٍ عَواصِمٍ ... تَصولُ بأسيافٍ قَوَاضٍ قواضِبِ

(وغير التام) من الجناس: هو (ما اختلف في واحد من الأربعة المتقدمة) أي: عدد الحروف أو هيئتها أو نوعها أو ترتيبها، (وهو محرَّف؛ إن اختلف لفظاه في هيئة الحروف فقط)؛ كأن يقع حرف مكان حرف يُشْبِهُهُ، (نحو قوله: جُبَّةُ البُرْدِ جُنَّةُ البَرْدِ) والبُرْد نوع من الثياب، والمعنى أن الجبة -ذلك الثوب السابغ الواسع الكُمَّيْنِ المَشْقوق المقدم الذي يُلبس فوق الثياب- تَقِي لابِسَهَا من لَسْعِ البَرْد.

(و) جناس ناقص (مُطرف؛ إن اختلفا في عدد الحروف فقط، وكانت الزيادة أولًا) ولذا سُمِّيَ مطرَّفًا؛ لأن الزيادة تقع في طرفه الأول لتصير له كالطرف، (نحو) قول ابن الفارِض:

(إِنْ كانَ فِرَاقُنَا مَعَ الصُّبحْ بَدَا ... لا أَسْفَرَ بعدَ ذاكَ صُبْحٌ أبدَا)

يقول: إذا كان الصبح موعد فراقنا فلا طلع صباح بعد فراقك يا حبيبي. وبين الصبح بدا، وصبح أبدا جناس ناقص مطرف.

(و) جناس (مُذيل؛ إن كانت الزيادة) وقعت (آخرًا، نحو) قول أبي تمام:

(يمـدُّونَ مِـنْ أَيْـدٍ عَـوَاصٍ عَوَاصِـم تَصُولُ بأسيافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِـبِ)(١)

والمعنى: تمد أيدٍ بيضاء من التستر تحارب بأسياف تقوض الأعداء وتقطعهم.

فبين عواصٍ وعواصم جناس ناقص مُذيّل، وكذا بين قواضٍ وقواضب.

ومضارع؛ إن اختلفا في حرفين غير متباعدي المخرج، نحو: ينهون، وينئون.

ولاحق؛ إن تباعـدا، نحـو: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٧-٨].

وجناس قلب؛ إن اختلفا في ترتيب الحروف فقط؛ كنيل ولين، وساق وقاس.

(و) جناس (**مضارع؛ إن اختلفا في حرفين غير متباعدي المخرج**) يعني: إذا وقع الاختلافُ بين الكلمتين في حرفين لهما مخرج واحد، سواء كانا في أول اللفظ، كقوله: ليل دامس وطريق طامس، يعني لا ملامح له. أو وسطه، (**نحو: ينهون وينأون**) يعني من قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] أي: ينهون الناس عن اتباع النبي ويتباعدون عنه فلا يؤمنون به. (**ولاحق؛ إن تباعدا**) في المخرج، سواء كانا في أول اللفظ أم في وسطه أم في آخره، وذلك (**نحو**) قوله تعالى: (**﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾** [العاديات: ٧-٨])، فبين شهيد وشديد جناس ناقص مضارع؛ لاختلاف حرفي الهاء والدال، (**وجناس قلب؛ إن اختلفا في ترتيب الحروف فقط، كنيل ولين، وساق وقاس**) ففيها جناس قلب كلي؛ لانعكاس الترتيب فيها انعكاسًا كليًّا. ثم هناك قلب جزئي، كقوله ﷺ: «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»(٢).

---

(١) عواصٍ: مخفية، عواصم: بِيض، وهي صفة الأيدي، تصول: تحارب، قواضٍ: تقوض العدو، قواضب: قاطعة.

(٢) فائدة الجناس: يُعْطي جَرسًا موسيقيًّا، ويُعْمِلُ الذِّهْنَ، وَيُعْطي نغمةً جَميلَةً تسعد النفس.

الجِناسُ في اللغة: المشاكلة والمشاركة في الجنس، يقال: جانَسَهُ، أي: شاكَلَهُ واشترك معه في جِنْسه، ويُسَمَّى الجِناسُ أيضًا بـ (**التَّجْنيس**).

والجِناسُ في الاصطلاح:

تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى، مثل: (**صليت المغرب في بلاد المغرب**)، فعندما ننظر إلى لفظي (**المَغْرِب- المَغْرِب**) نجد أنهما يتشابهان في اللفظ، ويختلفان في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ.

فـ(**المغرب**) الأولى هي صلاة المغرب.

و(**المغرب**) الأخرى هي دولة المغرب.

ومثل قول الله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥]. عندما ننظر إلى لفظي (**الساعة- ساعة**) نجد أنهما يتشابهان في اللفظ، ويختلفان في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ.

و(**الساعة**) الأولى: هي يوم القيامة القيامة.

و(**الساعة**) الأخرى هي مدة زمنية، والمعنى: أنهم ما لبثوا في القبر بين الموت والبعث إلا ساعةً من الساعات القليلة.

ولا يضر في ذلك اختلاف الحركة الإعرابية، ولا وجود (**أل**) في إحدى الكلمتين لزيادتها على الكلمة.

أنواع الجناس:

أولاً: الجناس التام:

وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور، هي:

١- الضبط والتشكيل.   ٢- عدد الحروف.   ٣- ترتيب الحروف.

٤- أنواع الحروف وتقاربها.

مع اختلاف اللفظين في المعنى.

مثل قول الله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥]، فالمراد من (**الساعة**) الأولى: يوم القيامة، والمراد من (**ساعة**) الثانية: واحدة الساعات الزمانية.

وعندما ننظر إلى كلٍ من (**الساعة- ساعة**) نجد أن لفظهما قد تشابها في الضبط أو التشكيل، وتشابها أيضًا في عدد الحروف وترتيبها. واختلفا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ تامٌ.

ومثل قول الشاعر:

إذا مَلِكٌ لم يَكُنْ ذا هِبَهْ ... فَدَعْهُ فدولتهُ ذَاهِبَهْ

فالمراد من (**ذا هبه**) الأولى: صاحب هبةٍ وعطاء، وهو مركبٌ من كلمتين، والمراد من (**ذاهبه**) الثانية: اسم فاعلٍ من الذهاب؛ لذا بينهما جناسٌ تامٌ.

وعندما ننظر إلى كلٍّ من (**ذا هبه- ذاهبه**) نجد أن لفظهما قد تشابها في الضبط أو التشكيل، وتشابها أيضًا في عدد الحروف وترتيبها. واختلفا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ تامٌ.

ومثل قول الشاعر:

عَضَّنَا الدَّهْرُ بنابِه ... ليت ما حل بِنَا بِه

لا يوالي الدهر إلا ... خاملًا ليس بنابه

عندما ننظر إلى كل من (**بنابه- بنا به- بنابه**) نجد أن ألفاظها قد تشابهت في الضبط أو التشكيل، وتشابهت أيضًا في عدد الحروف وترتيبها. واختلفت في المعنى؛ لذا بينها جناسٌ تامٌّ.

فالمراد من (بنابه) الأولى: الناب، أي: واحد من الأنياب التي بالفم.

والمـراد من (**بنا به**) الثانية: الباء حرف جر، و(**نا**): ضميرٌ مبنيٌّ في محل جر اسـمٍ مجرورٍ، و(**به**) الباء: حرف جر، و(**الهاء**): ضـميرٌ مبني في محل جر اسم مجرور، والضمير يعود على الدهر.

والمراد من (**بنابه**) الثالثة: الباء حرف جر، و(**نابه**) أي كل ذي شرفٍ وشـهرةٍ ونباهةٍ؛ لذا بين الألفاظ الثلاثة جناسٌ تامٌ.

ومثل قول الشاعر:

عـودي فإنـك إن تعـودي يخضرّ بعـد المـوت **عـودي**

فالمراد من (**عودي**) الأولى: فعل أمرٍ بمعنى: ارجعي، والمراد من (**عودي**) الثانية: جسمي؛ لذا بينهما جناسٌ تام. وعندما ننظر إلى كلٍّ من (**عودي- عودي**) نجد أن لفظهما قد تشابها في الضبط أو التشكيل، وتشابَهَا أيضًا في عدد الحروف وترتيبها. واختلفا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ تامٌّ.

وقول أبو تمام:

مـا مـات مـن كـرم الزمـان فإنـه **يحيـا** لـدى **يحيـى** بـن عبـد الله

فالمراد من (**يحيا**) الأولى: يعيش، والمراد من (**يحيى**) الثانية: الاسم يحيى بن عبد الله؛ لذا بينهما جناسٌ تام. وعندما ننظر إلى كلٍّ من (**يحيا- يحيى**) نجد أن لفظهما قد تشابَهَا في الضَّبْطِ أو التشكيل، وتشابَهَا أيضًا في عدد الحروف وترتيبها. واختلفا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ تامٌّ.

ثانيًا: الجناس الناقص:

اتفاق اللفظين في الكتابة والنطق، واختلافهما في واحدٍ من الأمور التالية:

١- الضبط أو التشكيل. ٢- عدد الحروف.

٣- ترتيب الحروف. ٤- أنواع الحروف وتقاربها.

مع اختلاف اللفظين في المعنى.

١- **الضبط أو التشكيل**: مثل قول الله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات: ٧٢-٧٣].

فعندما ننظر إلى كلٍّ من (**مُّنذِرِينَ - الْمُنذَرِينَ**) نجد أن لفظهما قد تشابها، إلا أنهما اختلفا في الضبط أو التشكيل، واختلفا أيضًا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ ناقصٌ.

ومثل قول ابن الفارض:

هَلَّا **نَهَاكَ نُهَاكَ** عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ   لَمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ

نهاك الأولى ضد أمرك.

نهاك: النهى: العقل، والمعنى: هلا زَجَرَكَ عَقْلُكَ عن لوم امرئ.

٢- **عدد الحروف**:

مثل قول الله: ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة: ٢٩-٣٠]، فعندما ننظر إلى كلٍّ من (**الساق - المساق**) نجد أن لفظهما قد تشابَهَا، إلا أنهما قد اختلفا في عدد الحروف بزيادة الميم في الأخيرة، واختلفا أيضًا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ ناقصٌ.

الساق : القدم. **المساق**: المرجع والمصير.

ومثل: **الهوى** مطية **الهوان**، ودوام **الحال** من **المحال**.

فعندما ننظر إلى كل من (**الهوى - الهوان**) نجد أن لفظهما قد تشابها، إلا أنهما قد اختلفا في عدد الحروف بزيادة النون في الأخيرة، واختلفا أيضًا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ ناقصٌ.

الهوى: المزاج **الهوان**: الذل والمذلة.

فعندما ننظر إلى كلٍّ من (**الحال - المحال**) نجد أن لفظهما قد تشابها، إلا أنهما قد اختلفا في عدد الحروف بزيادة الميم في الأخيرة، واختلفا أيضًا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ ناقصٌ.

الحال : الحالة من فقرٍ وغنًى وصحةٍ ومرضٍ وشبابٍ وقوةٍ...إلخ .

المحال: المستحيل.

٣- أنواع الحروف وتقاربها:

وقد يكون الاختلاف في أنواع الحروف بأن تكون متقاربةً في المخرج، مثل قول الله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦].

فعندما ننظر إلى كلٍ من (**ينهون- ينأون**) نجد أن لفظهما قد تشابها، إلا أنهما قد اختلفا في حرفي (**الهاء- الهمزة**)، واختلفا أيضًا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ ناقصٌ.

ينهون : من النهي، أي أن الكفار ينهون عن اتباع النبي، وهو عكس الأمر.

ينأون : يتباعدون عنه، أي أن الكفار يتباعدون عن النبي، فلا يؤمنون به.

ومثل حديث عروة بن الجعد عن النبي ﷺ قال: «**الخيل** معقودٌ في نواصيها **الخير** إلى يوم القيامة» رواه البخاري.

فعندما ننظر إلى كلٍ من (**الخيل- الخير**) نجد أن لفظهما قد تشابها، إلا أنهما قد اختلفا في حرفي (**اللام- الراء**)، واختلفا أيضًا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ ناقصٌ.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

فعندما ننظر إلى كلٍ من (**هُمَزَة - لُمَزَة**) نجد أن لفظهما قد تَشَابَهَا، إلا أنهما قد اختلفا في حرفي (**الهاء - اللام**)، واختلفا أيضًا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ ناقصٌ.

هُمَزَة : هو الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل.

لُمَزَة: هو الذي يغتاب ويطعن الرجل مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، أي: إذا غاب.

ومثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

فعندما ننظر إلى كلٍّ من (**تَفْرَحُون- تمرحون**) نجد أن لفظهما قد تشابها، إلا أنهما قد اختلفا في حرفي (**الفاء - المِيم**)، واختلفا أيضًا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ ناقصٌ.

٤ - **ترتيب الحروف**:

عن ربيح بن أبي سعيدٍ الخدري عن أبيه قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله، هل من شيءٍ نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال: «نعم. اللهم استر **عَوْرَاتِنَا**، وآمن **رَوْعَاتِنَا**. قال: فضرب الله ﷻ وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله ﷻ بالريح» رواه أحمد.

فعندما ننظر إلى كلٍّ من (**عوراتنا- روعاتنا**) نجد أن لفظهما قد تشابها، إلا أنهما قد اختلفا في ترتيب الحروف، فمجموع الحروف في الكلمتين، هو: (**ع - و - ر - ا - ت - ن - ا**)، واختلفا أيضًا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ ناقصٌ.

الرَّوْعَة: المرة من الرَّوع، وهو الخوف.

العَوْرَة: السوءة التي يسوء النظر إليها.

ومثل قول أبي تمام:

بيضُ **الصَّفَائِح** لا سُود **الصَّحَائِف** في ... متونهن جلاء الشَّكِّ والرِّيَبِ

فعندما ننظر إلى كلٍّ من (**الصفائح - الصحائف**) نجد أن لفظهما قد تشابها، إلا أنهما قد اختلفا في ترتيب الحروف، فمجموع الحروف في الكلمتين، هو: (**ا - ل - ص - ح - ا - ئ - ف**)، واختلفا أيضًا في المعنى؛ لذا بينهما جناسٌ ناقصٌ.

الصفائح: جمع صفيحة، يريد بها السيوف، ومتن السيف حده.

الصحائف: جمع صحيفة، وهي الورقة.

✿✿✿

التصدير (رد العجز على الصدر)

٣- التصدير، ويسمى رد العجز على الصدر، هو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما بأن جمعها اشتقاق أو شبهه في أول الفقرة، والثاني في آخرها، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وقولك: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل، الأول من السؤال، والثاني من السيلان، ونحو: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، ونحو: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]. وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول أو بعده، نحو قوله:

سريعٌ إلى ابنِ العَمِّ يلطِمُ وَجْهَهُ ... ولَيسَ إلى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

وقوله:

تمتَّعْ مِنْ شميمِ عَرَارِ نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ العشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

هذا هو الدرس الثالث من المحسنات اللفظية (عِلْم البَدِيعِ)، وهو: التَّصْدِير.

٣- (التصدير، ويُسمى رد العَجُز على الصَّدْر):

ترجع التسمية إلى تصدير البعير إذا شد عليه الحزام، أو سُمِّيَ بذلك لأن القوافِيَ ترد على صدور الأبيات (هو: في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين) المتفقين في اللفظ والمعنى، (أو المتجانسين) أي: المتشابهين في اللفظ دون المعنى، (أو الملحقين بهما) أي: بالمتجانسين (بأن جمعهما اشتقاق أو شبهه) فيكون أحد اللفظين المكررين مثلًا (في أول الفقرة، والثاني في آخرها، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧])، فأورد الفعل تخشى في أول الجملة ورد عليها الفعل تخشاه في نهايتها.

(وقولك: سائلُ اللئيم يرجع ودمعه سائلٌ) صدَّر الجملة بسائل (الأول) وهو (من السؤال) سأل يسأل، أي: طالب المعروف، (و) رد على الصدر سائل (الثاني) وهو (من السيلان) سال يسيل؛ أي: مخزيّ يبكي.

(ونحو) قوله تعالى: (﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]) فقد صدَّر الجملة باستغفروا ثم رد عليها آخرها بقوله: غفارًا، (ونحو) قوله تعالى حكاية عن لوط ﷺ يخاطب قومه آل لوط: (﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٦٨]) صَدَّر الجملة بقال ورد عليها بالقالين؛ أي: المُبغضين لهذه الفِعلة الشنيعة.

(وفي النظم: أن يكون أحدهما في آخر البيت) يعني قافية البيت، (والآخر في صدر المصراع الأول، أو بعده، نحو قوله) أي: الأُقيشر:

(سريعٌ إلى ابنِ العَمِّ يلطِمُ وَجْهَهُ ... وليسَ إلى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ)[١]

يقول إن المهجو سريع الغضب قليل الحلم يبطش بأقاربه، ولست تجد فيه منزعا للكرم وصلة الرحم.

(وقوله) أي: أبي عمرو البَجَليّ:

(تمتَّعْ مِنْ شميمِ عَرَارِ نَجْدٍ ... فَمَا بَعْدَ العشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ)[٢]

يقول: تمتع إذا ما مررت بنجد بشم عبير زهورها؛ فلست واجدًا بعد العشية نجدًا ولا طيب ريحها، حيث أعاد الشاعر ما قاله في نصف الشطر الأول مكررًا في قافية البيت على طريقة رد العَجُز.

❁❁❁

(١) يلطم وجهه: يضربه بجمع كفه، داعي الندى: دافعه الذي يدعوه إليه، والندى: العطاء.

(٢) شميم: مصدر شم يشم، والعرار: ورد ناعم أصفر طيب الرائحة.

السجع

٤- السجْعُ: هو توافُقُ الفاصلتين نثْرًا في الحرْفِ الأخيرِ، وهو ثلاثة أنواع:
مطرف؛ إن اختلفت الفاصلتان في الوزن، نحو: الإنسانُ بآدابِه لا بزيِّهِ وثيابِه.
ومتوازٍ؛ إن اتفقتا فيه، نحو: المرء بعلمه وأدبه لا بحسبه ونَسَبه.
ومرصع؛ إن اتفقت ألفاظ الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية. نحو: «يَطبَعُ الأسجاعَ بجواهرِ لفظِه، ويَقْرَعُ الأسماعَ بزواجِرِ وَعْظِه».

هَذَا هُوَ الدَّرْسُ الرابع من المحسنات اللفظية (عِلْم البَدِيعِ)، وَهُوَ: السجع.

٤ - (السجع) من سجع الحمام: (هو توافق الفاصلتين) أي: نهاية الجملتين، والفاصلة في النثر كالقافية في الشعر، (نثرًا) يعني في الكلام المنثور خاصة، فهو في مقابلة الجناس في الشعر (في الحرف الأخير) فيتفق اللفظان على حرف واحد يقع آخرًا، (وهو ثلاثة أنواع):

أولها: سجع (مطرفٌ؛ إن اختلفت الفاصلتان في الوزن) واتفقتا في التقفية، (نحو: الإنسان بآدابه، لا بزيه وثيابه) فآدابه وثيابه كلمتان مختلفتان في الوزن، وهما على حرف أخير واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣- ١٤].

(و)**ثانيها**: سجع (متوازٍ)، وذلك (إن اتفقتا فيه) يعني في الوزن والتقفية، (نحو: المرء بعلمه وأدبه لا بحسبه ونَسَبه) فأدبه ونسبه كلمتان متفقتان وزنًا وحرفًا أخيرًا. وكقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣- ١٤].

(و)ثالثها: سجع (مُرصَّع) وذلك (إن اتفقت ألفاظ الفقرتين، أو أكثرها في الوزن والتقفية، نحو) قول الحريري في إحدى مقاماته: (يطبع الأسجاعَ بجواهر لفظه، ويقرع الأسماعَ بزواجر وعظه) فبين الأسجاع والأسماع سجع مُرصَّع.

السَّجْعُ لغةً:

سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعًا: استوى واستقام وأشبه بَعْضُهُ بَعْضًا، تقول: (**سَجَعَتِ الْحَمَامَةُ أو النَّاقةُ**)، أي: إذا رَدَّدَتْ صَوْتَها عَلى طريقةٍ واحدة بطريقة متساوية.

السَّجْع اصطلاحًا:

هو اتفاقُ أواخرِ الجمل في الحرف الأخير؛ ليعطِيَ جَرسًا موسيقيًّا، وتُحْدِثُ نَغَمَةً جَمِيلةً، تَسْعَدُ بها الأُذُنَ، وتَفْرَحُ بها النَّفْسُ، وهو خَاصٌّ بالنَّثْرِ.

مثل قول النبيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتابِ، وَمُجْرِيَ السَّحابِ، وَهازِمَ الأَحْزابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنا عليهم**» رواه البخاري.

فاتفاقُ أواخِرِ الجُمَلِ واشتراكُها فِي حرف الباء، قد أَسْعَدَ الأُذُنَ، وأَفْرَحَ النَّفْسَ، وقد تَسْتَمْتِعُ بذلك العَامَّةُ مِنَ الناسِ حَتَّى الأطفالُ، فالفِطْرَةُ تَمِيلُ إِلى ذلك، وهذا يُعْرفُ في عِلْمِ البَدِيعِ بالسَّجْعِ.

وكذلك قوله ﷺ: «**ربِّ تَقبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأجِبْ دَعْوَتي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي**» رواه الترمذي أبو داود وأحمد وابن حبان. وكذلك اتفاقُ أواخِرِ الجُمَلِ واشتراكُهَا في ياء المتكلمِ قد أَسْعَدَ الأُذُنَ، وأَفْرَحَ النَّفْسَ.

ومثل قول الله: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ**﴾ [المدثر: ١-٧]، نَجِدُ السجع بتكرارِ حَرْفِ الرَّاء في آخر كُلِّ آيةٍ، وهذا يُسعد الأُذُنَ.

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

نَجِدُ السَّجْعَ بتكْرارِ حَرْفِ الميم في نِهايةِ كُلِّ جملةٍ، هكذا: (**السَّلامَ- الطَّعَامَ- نِيَام- بِسَلاَمٍ**)، وَهَذَا يُسْعِدُ الأُذُنَ.

والقرآن الكريم جاء بنَوْعٍ جديد من السجع والذي لم يدركْه العرب فِي الجاهلية، وهو السجع بين حرف وكلمة، مثل قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فهنا نجدُ السَّجْعَ بينَ: (نٓ)، و(يَسْطُرُونَ)(١).

❁❁❁

(١) وهذا نَوْعٌ مِنْ أنواعِ السَّجْعِ قد تَحَرَّجَ العلماءُ من إِطْلَاقِهِ على القُرْآنِ بعدما أُطْلِقَ على الشِّعْرِ، تقديسًا للقرآن، فَمَنَعُوا من إطلاقِ لفظةِ السَّجْعِ عَلى خَواتِمِ آياتِهِ.
قال الخفاجي: (وَأَظُنُّ أَنَّ الذي دَعاهُمْ إِلى تَسْمِيةِ كُلِّ ما فِي القرآنِ: فَواصِلَ، ولَمْ يُسَمّوا ما تَمَاثَلَتْ حُرُوفُهُ سَجْعًا: رَغْبَتُهُمْ فِي تَنْزِيهِ القُرْآنِ عَنِ الْوَصْفِ اللاحِقِ بغيرِهِ مِنَ الكَلامِ الْمَرْوِيِّ عن الكهنة وغيرهم، وهذا غَرَضٌ في التَّسْمِيَةِ قَرِيبٌ).
ومثله لفظةُ الْجَرسِ والموسيقَى، فقد تَرَكَهَا العلماءُ مع دِقَّتِهَا، ولا سيما لفظةُ الْجَرَسِ لارتباطِهَا بالغِنَاء، وذَهَاب جمهور العلماء إلى تحريمِهِ، فلم يَسْتَخْدِمْهَا العلماءُ في وَصْفِ أَلْفاظِ القرْآنِ، واسْتَخْدَمُوا بَدَلًا منها في البلاغة لفظةَ الْفَصَاحَةِ، وهي مشتملةٌ عَلَى مَعْنَى جَرسِ اللفظةِ.

ما لا يستحيل بالانعكاس

٥- ما لا يستحيل بالانعكاس، ويسمى القلب: هو كون اللفظ يُقْـرَأ طـردًا أو عكسًا، نحو: كن كما أمكنك، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣].

هَذا هو الـدَّرْسُ الخامس من المحسنات اللفظية (عِلْم البديع)، وهو: ما لا يستحيل بالانعكاس.

٥- (ما لا يستحيل بالانعكاس، ويُسمى القلب، هو كون اللفظ يُقْرَأ طَرْدًا وعَكْسًا) يعني يكون التركيب بحيث لو قُرِئَ معكوسًا لكان عينه، (نحو: كن كما أمكنك) فلو ذهبت تقرأ الجملة من آخرها لأولها لحصل لك نفس التركيب، ومنه قوله تعالى: (﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدَّثِّر: ٣]) وكذا قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، يمكنك أن تقرأ التركيب ذهابًا وإيابًا، فتحصل على نفس المعنى، ومنه شعرًا:

مَوَدَّتُــهُ تَــدُومُ لِكُــلِّ هَــوْلٍ   وَهَــلْ كُــلٌّ مَوَدَّتُــهُ تَــدُومُ

والخلاصة: أن القلب، وهو أَنْ يُقْرَأَ الكَلامُ من آخرِهِ إِلى أَوَّله كقِراءته مِنْ أَوَّله إلى آخره، مِثْلُ: (دعد)، فَقِرَاءَتُها مِنَ الشمال إلى اليمين مثلُ قِرَاءَتِهَا مِنَ اليَمِينِ إِلَى الشِّمَالِ، هكذا: (د ع د).

ومثل قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وعندما نَفْصِلُ حُرُوفَها هكذا: (ك ل ف ي ف ل ك)، يمكنُ قِرَاءَتُها مِنْ أَوَّلِها كما تقرأُها من آخرها بالقلبِ دونَ اختلافٍ.

ومثل قَولِهِ تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدَّثِّر: ٣]، فيمكنُ قِراءتُها كذلك من أَوَّلِها كما تَقْرأُها من آخرِها بالقلبِ دون اخْتلافٍ.

ومثل قول الشاعر:

مَوَدَّتُــهُ تَــدُومُ لِكُــلِّ هَــوْلٍ   وَهَــلْ كُــلٌّ مَوَدَّتُــهُ تَــدُومُ

حَيثُ يُمْكِنُك قِراءةُ البيتِ من اليمين إلى الشِّمال والعكس دون تغْييرٍ(١).

❁❁❁

(١) هذا نَوعٌ لم يَكُنِ العَرَبُ يعتدُّون به، وإنما أَخَذَ به بعضُ علماءِ البلاغةِ المتأخرين، حَيثُ كانوا يُجْهِدونَ أذهانهم لِيُخرِجُوا مِثْلَ هذه الأَبياتِ أو الخُطَب وهذا مِنَ الإغراقِ في التَّلْغِيزِ، ولا يُمْكِنُ أَنْ يكُونَ مِنْ مُراداتِ الله، ولا هو مِمَّا يُعْنَى به أَهْلُ البَلاغة الحَقَّة، ولا هُو مِمَّا يُؤَثِّرُ فِي المعنى.

العكس

٦- العكس: هو أن يقدم جزء في الكلام على آخر، ثم يعكس، نحو قولك: قول الإمام إمام القول، حر الكلام كلام الحر.

هذا هُو الدَّرْسُ السادس من المحسنات اللفظية (عِلْم البَدِيعِ)، وَهُوَ: العكس.

٦- (العكس: هو أن يُقدم جزء في الكلام على آخر ثم يعكس) فيقدم المتأخر ويؤخر المتقدم، (نحو قولك: قولُ الإمام إمام القول) فالمسند إليه عبارة عن مضاف ومضاف إليه والمسند كذلك، غير أن ما كان مضافا إليه صار مضافا والعكس، ومن ذلك: (حُر الكلام كلام الحر) عكس الإضافة فجعل المضاف مضافًا إليه والمضاف إليه مضافًا، وركب بين الجملتين على طريقة المبتدأ والخبر.

❁❁❁

التشريع

٧- التشريع: هو بناء البيت على قافيتين، بحيث إذا سقط بعضه كان الباقي شعرًا مفيدًا، كقوله:

يَا أَيُّهَا الملكُ الذي عمَّ الورَى ... ما في الكرامِ لهُ نَظِيرٌ ينظرُ
لوْ كانَ مثلَكَ آخرٌ في عَصْرِنَا ... مَا كانَ في الدُّنْيَا فَقِير مُعْسِرُ

فإنه يصح أن تحذف أواخر الشطور الأربعة، ويبقى:

يَا أَيُّهَا الملكُ الذي ... مَا في الكِرَامِ له نَظِيرْ
لَوْ كَانَ مثلكَ آخَرٌ ... ما كانَ في الدُّنْيَا فقيرْ

هَذَا هُوَ الدَّرْسُ السابع من المحسنات اللفظية (عِلْم البَدِيعِ)، وَهُوَ: التشريع.

٧- (التشريع) ويُسمى التوشيح: (هو بناء البيت على قافيتين) يعني على بحرين من بحور الشعر (بحيث إذا أسقط بعضه كان الباقي شعرًا مفيدًا) تام المعنى (كقوله:

يَا أَيُّهَا الملكُ الذي عمَّ الورَى ... ما في الكرامِ لهُ نَظِيرٌ ينظرُ
لوْ كانَ مثلَكَ آخرٌ في عَصْرِنَا ... مَا كانَ في الدُّنْيَا فَقِير مُعْسِرُ)

فهذا شعر تام من بحر مخصوص والأبيات على بحر الكامل، وتفعيلاته:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن ... متفاعلن متفاعلن متفاعلن

(فإنه يصح أن تَحذف أواخر الشطور الأربعة، ويبقى:

يَا أَيُّهَا الملكُ الذي ... مَا في الكِرَامِ لَه نَظِيرْ
لَوْ كَانَ مثلكَ آخَرٌ ... ما كانَ في الدُّنْيَا فقيرْ)

ويكون بذلك قد انقلب إلى مجزوء الكامل، وتفعيلاته:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

❁❁❁

الموارية

٨- الموارَبةُ: هي أن يجعل المُتَكَلِّم كلامَهُ بحيث يمكنه أن يغير معناه بتحريف أو تصحيف أو غيرهما؛ ليسلم من المؤاخذة، كقول أبي نواس:

لقَــدْ ضَـاعَ شِـعْرِي على بـابِكُمْ   كمَـا ضَـاعَ عِقْـدٌ على خَالِـصهْ

فلما أنكر عليه الرشيد ذلك قال: لم أقل إلا:

لقَــدْ ضَـاءَ شِـعْرِي على بـابِكُمْ   كمَـا ضَـاءَ عِقْـدٌ على خَالِـصهْ

هَذَا هُوَ الدَّرْسُ الثامن من المحسنات اللفظية (**عِلْم البَدِيعِ**)، وَهُوَ: الموارِبة.

٨- (الموارَبةُ) لغة: المُخادعة، واصطلاحًا: (هي أن يجعل المتكلمُ كلامَه) الذي يتضمن ما يُنكر عليه به (بحيث يمكنه) إذا وجه بكلامه المحتمل (أن يغيرَ معناه بتحريفٍ) عن طريق نقط حرف أو إهمال آخر مُعجم (أو تصحيف) عن طريق تغيير هيئة الحرف، (أو غيرِهما؛ ليسلمَ من المؤاخذة، كقول أبي نواس) وقد دخل على الرشيد، ومدحه بأبيات بليغة وكان للرشيد جارية سوداء، يحبها كثيرًا، اسمها خالصة، وكانت الجارية جالسة عنده، وعليها من الجواهر والدرر ما يُذهل الأبصار، فلم يلتفت الرشيد إلى أبي نواس فكتب لدى خروجه:

(لقَـدْ ضَـاعَ شِـعْرِي علـى بـابِكُمْ   كمَـا ضَـاعَ عِقْـدٌ علـى خَالِـصَهْ

فلما أنكر عليه الرشيدُ ذلك) مسح الجزء السفلي من العين (**كاسة العين**) من كلمة (ضاع)، فتحولت إلى ضاء، فصارت العين همزة، و(قال) للرشيد: (لم أَقُلْ إلَّا:

لقَــدْ ضَـاءَ شِـعْرِي علـى بـابِكُمْ   كمَـا ضَـاءَ عِقْـدٌ علـى خَالِـصهْ)

فقلب المعنى إلى أحسن ما يكون مدحًا.

❁❁❁

ائتلاف اللفظ مع اللفظ

٩- ائتلافُ اللفظِ مع اللفظ: هو كونُ ألفاظِ العبارة من وادٍ واحد في الغرابة والتأهل، كقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥] لما أتى بالتاء التي هي أغرب حروف القسم أتى بتفتأ التي هِيَ أغربُ أفعال الاستمرار.

هذا هو الدَّرْسُ التاسع من المحسنات اللفظية (عِلْم البَدِيعِ)، وَهُوَ: ائتلاف اللفظِ مع اللفظ.

٩- (ائتلاف اللفظِ مع اللفظ) لتأدية المعنى على أتم ما يكون: و(هو كونُ ألفاظِ العبارةِ من وادٍ واحدٍ في الغرابة، والتأهلِ) أي: الانسجام، فتمازج بين اللفظتين لمناسبة بينهما، (كقوله تعالى) على لسان إخوة يوسف يخاطبون يعقوب عليه السلام: (﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: ٨٥]، لما أتى بالتاء التي هي أغرب حروف القسم) يعني أقلها استعمالًا؛ إذ تأتي بعد واو القسم والباء، ولا تكون إلا مع اسم الجلالة على خلافهما، (أتى بتفتأُ التي هِيَ أغربُ أفعالِ الاستمرارِ) فلاءم بين اللفظين في أداء المعنى. ومن ذلك ما رواه ابن رشيق:

أحاديث ترويها السيول عن الحيا　　　عن البحر عن جود الأمير تميم

فقال: أحاديث ترويها، وكان يمكن أن يقول تذيعها، أو تحكيها، لكنه آثر ترويها ليلائم فعل السيول التي تروي؛ أي: تسقي. ثم عقَّبه بالحيا؛ أي: المطر؛ لأن السيول تكون منه، ثم عن البحر؛ لأنه يقرب من السيل في الامتلاء والاندفاع، ثم تابع بعد ذلك بقوله: «عن جود الأمير تميم»، والجواد يُمدح بأنه بحر، فهذه الأمور كلها متقاربة، فلأجل هذا لاءم بينها في تأليف الألفاظ، فصار الكلام بها مؤتلف النسج محكم السدى.

وهناك دروس في علم البديع لم يُشِرْ المؤلفون -رحمهم الله- إليها، ويمكن أن نتناولها من باب نشر الخير وعموم النفع، يراجع في ذلك كتاب: **(الكافي في البلاغة)** وكتاب **(الموسوعة الشاملة في النحو والصرف والبلاغة)** لمؤلفهما: أيمن أمين عبدالغني، جمعنا هذه الدروس بتصرف، ومنها:

حُسْنُ التَّقْسِيم

حسن التقسيم: هُوَ أَنْ تُقَسِّمَ البيْتَ الشِّعْريَّ إِلى أَجْزَاءٍ مُتَساوِيةٍ، مِمَّا يُسْعِدُ الأذُنَ ويُطْرِبُ النَّفْسَ، مثل قول المتنبي:

فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ/ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ　　　وَالبَرُّ فِي شُغُلٍ/ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ(١)

حيثُ تمَّ تَقْسِيمُ البيْتِ على أَرْبعةِ أَجْزاء مُسْجَعةٍ.

ومثل قول الشاعر:

مُتَفَـرِّدٌ بِـصَبابَتِي/ مُتَفَـرِّدٌ　　　بِكَـآبَتِي/ مُتَفَـرِّدٌ بِعَنَـائِي

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى ثلاثةِ أَجْزَاء مُسْجَعَةٍ.

مثل قول الشاعر:

الـدَّهْرُ مُعتَـذِرٌ/ وَالـسَّيْفُ مُنْتَظِـرٌ　　　وَأَرْضُهُمْ لَكَ/ مُصْطافٌ وَمُرْتَـبَعُ(٢)

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاء مُسْجَعَةٍ .

---

(١) والمَعْنى: يقول الشاعر: نَحْنُ في فَرَحٍ وَسُرُورٍ، والرومُ فِي خَوفٍ بسَبَبِ غَارَاتِهِمْ وغَزَوَاتِهِمْ لنا، والبرُّ مُشْتَغِلٌ بِجَيْشِهِمْ وَخَيْلِهِمْ، وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ مِنْ كَثْرَةِ عَطَائِهِ.

(٢) (المُصْطَاف): موضع الإقامة في الصَّيْفِ، (المُرْتَبَعُ): فِي الرَّبيعِ.

والمعنى: يقول: هذه الهَزِيمَةُ كانت زَلَّةً من الدَّهْرِ، فهو يَعْتَذِرُ مِنهَا إليك، وَسَيْفُكَ يَنْتَظِرُ أَنْ تُعَاوِدَ غَزْوَهُمْ، ليتلافى ما فرط، وَأَرْضُهُمْ لَكَ تَنْزِلُهَا أَيَّامَ الصَّيْفِ والرَّبيعِ، وَلا يَقْدِرُونَ عَلَى رَدِّكَ عَنْهُمْ.

وقول الشاعر:

وَأَكْـرَمُهُمْ كَلْـبٌ/ وَأَبْـصَرُهُمْ عَـمِ ... وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ/ وأشْجَعُهُمْ قِرْدُ(١)

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ البيْتِ عَلى أرْبَعَةِ أجْزاء مُسْجَعةٍ.

وَحَكى أبو القاسم الآمدي في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين قال: سَمِعَ بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف:

وِصَـالُكُمْ هَجْـرٌ/ وَحَـبُّكُمْ قِلَـى ... وَعَطْفُكُـمْ صَـدٌّ/ وَسِـلْمُكُمْ حَـرْبُ

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى أرْبَعَةِ أجْزاء مُسْجَعةٍ.

فقالَ: والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس.

وقول الشاعر:

قَلِيـلٌ عَائِـدِي/ سَـقِمٌ فُـؤَادِي ... كَثِيـرٌ حَاسِـدِي/ صَـعْبٌ مَرَامِـي

حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُ الْبَيْتِ عَلَى أرْبَعَةِ أجْزَاء مُسْجَعَةٍ.

وقول الشاعر:

مَحَلُّـكَ مَقْـصُودٌ/ وَشَـانِيكَ مُفْحَـمُ ... وَمِثْلُـكَ مَفْقُـودٌ/ وَنَيْلُـك خِضْرِمُ(٢)

وقول الشاعر:

---

(١) أي: أكرمهم في خِسَّةِ الكلبِ، وأبصرهم؛ أي: أعلمهم من البصير أعْمَى القلب، وأكثرهم سهادًا ينام نوم الفهد، وبه يضرب المثل في كثرة النَّوْم، ويضرب المَثل بالقرد في الجبن، ويقال: إنَّ القرد لا ينام إلا وفي كفِّهِ حجر لشدة الجبن، ولا تنام القرود بالليل حتى يجتمع منها الكثير.

(٢) (شَانِيكَ): أَصْلُهَا: شَانِئُكَ، أَسْقَطَ الْهَمْزَةَ، والمعنى: مَنْ يَكْرَهُكَ ويَتَجَنَّبُك، و(المُفْحَمُ): السَّاكِتُ الذي لا يَقْدِرُ عَلى النُّطْقِ، و(الْخِضْرِمُ): الكثير. والمعنى: يَقولُ: عَدُوُّك لا يَنْطِقُ فِيك بالْعَيْبِ؛ لأنَّهُ لا يَجِدُ لَكَ عَيْبًا يَعِيبُكَ بِهِ. وعدُوُّكَ مُفْحَمٌ لا يَقْدِرُ على أَنْ يُوَجِّهَ لَكَ الْعَيْبَ، وَنَظِيرُكَ مَفْقُودٌ، وَعَطَاؤُكَ كَثِيرٌ لا يَكَادُ يُحْصَى.

الْوَصْلُ صَافِيَةٌ/ وَالْعَيْشُ نَاغِيَةٌ وَالسَّعْدُ حَاشِيَةٌ/ وَالدَّهْرُ مَاشِينَا

حيثُ تمَّ تَقْسيمُ الْبَيْتِ على أَرْبَعَةِ أَجْزاء مُسْجَعَةٍ .

القيمة البلاغيَّة لِحُسْنِ التَّقْسيم:

يُعْطي حُسْنُ التَّقْسيمِ جَرْسًا مُوسيقِيًّا يَأْخُذُ بالأَسْماع والأَفْهام.

انتبه! حُسْنُ التَّقْسِيمِ خَاصٌّ بالشِّعْرِ فَقَط.

الازدواج

الازدواج لغةً: زَاوَجَ بين شيئين، يعني: قَرَنَ بينهما.

الازدواج اصطلاحًا: هو تقسيمُ الفقرةِ إلى جُملٍ مُتَساويةٍ طولًا وقِصَرًا، سَوَاءٌ أكَانَتْ هذه الجُمَلُ مَسْجُوعَةً أم غَيْرَ مَسْجُوعَةٍ، وَيُعْرَفُ بالْمُزَاوَجَةِ أيضًا، مثل قَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» رواه البخاري.

عندما نتأمل الْجُمَل: (**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ - وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ - وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**) نجِدُها مُتَسَاوِية، وَهذا يُسْعِدُ الأذُنَ ويُفرِحُ النَّفْسَ.

أمثلة على الازدواج:

* قول الله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، نُلاحِظُ أنَّ الآيتَيْنِ مُتساويتانِ، وهذا يُسْعِدُ النَّفْسَ ويُطربها.

* قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: (**الدُّنْيَا إِمَّا نِقْمَةٌ نَازِلَةٌ، وَإِمَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ**) نلاحظ أن الجملتين: (**إِمَّا نِقْمَةٌ نَازِلَةٌ- وَإِمَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ**) مُتَسَاوِيتَانِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ.

* قال عيسى بن مريم عليه الصَّلاة والسلام: «لا تُنازعوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، فَيُنَازِعُوكُمْ فِي دِينِكُمْ، فَلَا دُنْيَاهُمْ أَصَبْتُمْ، وَلَا دِينكُمْ أَبْقَيْتُمْ»، انظُرْ إلى الْجُمْلتينِ: (**فَلَا دُنْيَاهُمْ أَصَبْتُمْ- وَلَا دِينكُمْ أَبْقَيْتُمْ**) تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتانِ فِي الْوَزْنِ.

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ ؟ قال: الْقَتْلُ الْقَتْلُ**» رواه البخاري. عندما ننظر إِلَى الجمل: (**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ - وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ - وَيُلْقَى الشُّحُّ - وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ**)

تَجِد أَنَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الْوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ، ويَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

* قال بَعْضُ الْعُلماء: «إنَّ الدُّنْيَا كَثِيرَةُ التَّغْيِيرِ، سَرِيعَةُ التَّنْكِيرِ، شَدِيدَةُ الْمَكْرِ، دَائِمَةُ الْغَدْرِ، فَاقْطَعْ أَسْبَابَ الْهَوَى عَنْ قَلْبِك، وَاجْعَلْ أَبْعَدَ أَمَلِك بَقِيَّةَ يَوْمِك، وَكُنْ كَأَنَّك تَرَى ثَوَابَ أَعْمَالِك»، انظُرْ إلى الجملتَيْنِ: (كَثِيرَةُ التَّغْيِيرِ - سَرِيعَةُ التَّنْكِيرِ) تَجِد أنهما مُتَسَاوِيتَانِ في الْوَزْنِ.

وَكذلك انظُرْ إلى الْجُمْلَتَيْنِ: (شَدِيدَةُ الْمَكْرِ - دائِمةُ الْغَدْرِ) تجد أَنَّهُما مُتساويتانِ في الْوَزْنِ.

وَانظُرْ أيضًا إلى الجملتين: (**فَاقْطَعْ أَسْبَابَ الْهَوَى عَنْ قَلْبِك - وَاجْعَلْ أَبْعَدَ أَمَلِك بَقِيَّةَ يَوْمِك**) تَجِد أَنَّ فيهما ازدواج.

* مثل قول الله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ [المعارج: ١-٢] انظُرْ إِلى الآيتين تَجِد أَنَّ فيهما ازدواج.

* قول الله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾، [الطارق: ١١-١٤] عندما نتأمل الآيات تَجِد أَنَّهَا مُتَسَاوِيةٌ فِي الوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفْسَ، وَيُطْرِبُ الأُذُنَ، ويَمْلأُ النَّفْسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً.

* قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه يَصِفُ الدُّنْيا: «أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، حَلالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ، مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ وَمَنْ مَرِضَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ ساعاها فاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْها أَتَتْهُ، ومن نَظَرَ إليها أَعْمَتْهُ، ومن نَظَرَ بِها بَصرَتْهُ».

انظُرْ إلى الْجُمَلِ: (**أَوَّلُهَا عَنَاءٌ - وَآخِرُهَا فَنَاءٌ**) و(**حَلالُهَا حِسَابٌ - وَحَرَامُهَا عِقَابٌ**) و(**مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ - وَمَنْ مَرِضَ فِيهَا نَدِمَ**) و (**وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ - وَمَنْ قَعَدَ**

عَنْهَا أَتَتْهُ - وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ - وَمَنْ نَظَرَ بِهَا بَصِرَتْهُ) تَجِد أنها مُتَسَاوِيةٌ في الْوَزْنِ، وَهَذَا يُسْعِدُ النَّفسَ، وَيُطْرِبُ الأذُنَ. بالإضافةِ إلى مَا بَيْنها مِنْ مُقابلاتٍ وَسَجْعٍ تَمْلأ النَّفْسَ بَهْجةً وَمُتْعَةً.

* قال عليٌّ بن أبي طَالِبٍ ﷺ: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فيها عملَ الرَّاغبين، فَإِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ»، انظُرْ إلى الجملتينِ: (يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ- وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاغِبِينَ) تَجِد أنهما مُتَسَاويتَانِ في الوزنِ، وهذا يُسْعِدُ النَّفْسَ، ويُطْرِبُ الأُذُنَ.

وانظر إلى الجُمْلتينِ: (فَإِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ - وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ) تَجِد أنهما مُتساويتانِ في الوزنِ أيضًا وبينهما ازدواج.

❁❁❁

التَّصريع

التصريع لغةً: صَرَّعَ يُصَرِّع صَرِّعْ، والمصدر تَصْرِيع.

صَرَعَ يَصْرَعُ صَرْعًا، وصِرْعًا، أي: طَرَحَه بالأرض، فهو مَصْرُوعٌ وَصَرِيعٌ، والجمع: صَرْعَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِ كَالخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفَيِّؤُهَا الرِّيَاحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً، وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ، وَمَثَلُ الكَافِرِ مَثَلُ الأَرْزَةِ المُجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لاَ يُقِلُّهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً» رواه أحمد(١).

التصريع اصطلاحًا:

هو اتِّفَاقُ نِهَايَةِ شَطْرَي البَيتِ الوَاحِدِ فِي الحَرْفِ الأَخِيرِ، لاسِيَّمَا فِي أَوَّلِ القَصَائِد، مثل قولِ الشاعر:

يَا مَنْ نَأَى مُتَجَبِّرًا يَا جَانِي ... صَيَّرْتَنِي مُتَحَيِّرًا فِي شَانِي

فنجد أن الكلمتين (جاني - شاني) قَدِ اتفقَتَا في الحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا الشطرين.

وقول الشاعر:

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدب ... لأَقْضِيَ حَاجَاتِ الفُؤَادِ المعذَّب

فنجد أن الكلمتين (جندب - المعذَّب) قَدِ اتفقَتَا في الحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا الشطرين.

---

(١) (الخَامَةُ): الغَضَّةُ اللَّيِّنَةُ مِنَ الزَّرعِ، و(تُفَيِّؤُهَا): تُحَرِّكُهَا وتميلها يمينًا وَشِمَالًا، و(تَصْرَعُهَا): تُمِيلُهَا وتَرْمِيها من جانبٍ إِلَى جانبٍ، و(تَعْدِلُهَا): تَرْفَعُهَا، و(المُجْذِيَة): الثابتةُ المُنْتَصِبة، و(الانْجِعَاف): الانْقِلاع، تقول: صَرَّعَ البَابَ: جَعَلَ له مِصْرَاعَيْنِ، قال أبو إسحاق: المِصْرَاعَانِ بَابَا القصيدة بمنزلة المِصْرَاعَيْنِ اللذين هما بَابَا البيتِ. قال الأزهري: والمِصْرَاعَانِ من الشِّعْرِ: ما كان فيه قافيتان في بيت واحد، ومن الأبواب ما له بابان منصوبان يَنْضَمَّان جميعًا مَدْخَلُهما بينهما في وسط المِصْرَاعين.

واشتقاق التصريع من مِصْرَاعَي الباب، ولذلك قيل لنصف البيت مِصْرَاع كأنه باب القصيدة ومدخلها.

قال المتنبي:

على قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي **العَزَائِمُ** وتَأْتي على قَدْرِ الكِرَامِ **المكَارِمُ**

فنجد أن الكلمتين (**العزائم - المكارم**) قَد اتفقَتَا في الحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا الشطرين.

وقال الأعشى:

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ **مُرْتَحِلُ** وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّها **الرَّجُلُ**

فنجد أن الكلمتين (**مرتحل - الرجل**) قَد اتفقَتَا في الحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا الشطرين.

قول امرئ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ **ومَنْزِلِ** بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ **فحَوْمَلِ**

فنجد أن الكلمتين (**ومنزل - فحومل**) قَدِ اتفقَتَا في الْحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا الشطرين.

ومثل قول امرئ القيس:

أَلا عِمْ صَباحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ **البَالِي** وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعُصُرِ **الخَالِي**

فنجد أن الكلمتين (**البَالِي - الْخَالِي**) قَد اتفقَتَا في الحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول عنترة :

سَكَتُّ فَغَرَّ أَعْدَائِي **السُّكُوتُ** وَظَنُّونِي لأَهْلِي قَدْ **نَسِيتُ**

فنجد أن الكلمتين (**السُّكُوتُ - نَسِيتُ**) قَد اتفقَتَا في الْحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول امرئ القيس:

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ... وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ هَجْرًا **فَأَجْمِلِي**

فَنَجِدُ أَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ (**التَّدَلُّلِ - فَأَجْمِلِي**) قَد اتفقتا في الْحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطري البيت الأول.

ومثل قول أبي تمام:

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُرْوى الظِّمَاءُ **الحَوَائِمُ** ... وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ الْمُبَدَّدَ **نَاظِمُ**

فَنَجِدُ أَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ (**الحَوَائِمُ - نَاظِمُ**) قَد اتفقتا في الحَرْفِ الأخيرِ مِنْهُما، وهما نهايتا شطرى البيت الأول.

ومثل قول المتنبي:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ **الشُّجْعانِ** ... هُوَ أَوَّلٌ وَهْيَ المَحَلُّ **الثَّانِي**

فَنَجِدُ أَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ (**الشُّجْعانِ - الثَّانِي**) قَد اتفقتا في الْحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطري البيت الأول.

ومثل قول المتنبي:

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ **أَجْفَانَا** ... تَدْمَى وَأَلَّفَ فِي ذَا الْقَلْبِ **أَحْزَانَا**

فَنَجِدُ أَنَّ الْكَلِمَتَيْنِ (**أَجْفَانَا - أَحْزَانا**) قَد اتفقتا في الْحَرْفِ الأَخِيرِ مِنْهُمَا، وهما نهايتا شطري البيت الأول.

القيمةُ البَلاغِيَّةُ للتصريع:

يُعْطِي التَّصْرِيعُ جَرسًا موسيقيًّا يأخذ بالأسماعِ والأفهام، وَيُسْعِدُ النَّفْسَ مِنْ خِلالِ مُوسِيقَى الصَّوْتِ.

انتبه! التصريع خَاصٌّ بالشِّعْرِ فَقَط، وَيُشَابِهُهُ في النَّثرِ السَّجْعُ.

الالتفات

الالْتِفَات لغةً: لَفَتَ يَلْفِتُ لَفْتًا، تقُولُ: لَفَتَ الشَّيءَ، أيْ: لَوَاهُ على غَيرِ جِهَتِهِ، كما تَقْبِضُ على عُنُقِ إنسان فتَلْفِتُه، وتَقُولُ: لَفَتَهُ عن الشَّيءِ، أي: صَرَفَهُ.

قال الفرّاءُ في قوله ﷻ: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ [يونس: ٧٨]: اللَّفْتُ: الصَّرْفُ، يقال: ما لَفَتَكَ عن فُلانٍ؟ أَي: ما صَرَفَك عَنْه؟

الالْتِفَات عند البلاغيين:

هو الانتقال بين ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب(١)، **مثل قوله تعالى:** ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢] **ولا شك أن النبي هو المقصود، ثم حوّل الله الخطاب إليه قائلًا:** ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [عبس: ٣-٤].

مثل قول الله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣].

فَقَدِ الْتَفَتَ مِنَ الْمتكلم فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ إِلى الْغائب في قَوْله: (**لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ - وَيَهْدِيَكَ - وَيَنصُرَكَ**)، وكان المُتَوَقَّعُ أَنْ يُقالَ: (**لِنَغْفِرَ لَكَ ما تَقَدَّمَ - وَنُتِمَّ نعْمَتَنا - وَنَهْدِيَكَ**)، إلاَّ أنَّ الكلامَ جاءَ عَلَى خِلافِ ذلك، فَحَصَلَ الالتِفَاتُ من التكلُّمِ إلى الغيبةِ، فقالَ تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ إِذِ الاسمُ الظاهرُ بقوّةِ ضمير الغائب.

---

(١) قال السيوطي في الإتقان: الالتفات: نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني: من التَكَلُّم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها، وأما الالتفات في الخطاب من الحُضُور إلى الغيبة والعكس، كأن يخاطب المخاطب بضميره فيقول: إنَّكَ فَعَلْتَ كذا وكذا، ثم تخاطبُه تارةً أخرى بضمير الغائب فتقول له: فعل فلان كذا وكذا وأنت تعْنيه.

طرق الالتفات: للالتفات سِتّ صُوَرٍ:

١- الانتقال من المتكلّم إلى المخاطب:

مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الفتح:١-٢]، فانتقل من المتكلم «فتحنا»، إلى المخاطب «ليغفر»، ولم يقل: (لنغفر لك).

٢- الانتقال من المتكلّم إلى الغائب:

مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فَقَدِ انتقل مِنَ الْمُتكلِّمِ فِي قَوْلِهِ تَعالى: (يَاعِبَادِي) إلى الْغَائب فِي قَوْلِهِ: (مِنْ رَحْمَةِ اللهِ).

وكان الْمُتَوَقَّعُ أنْ يُقالَ: (مِنْ رَحْمَتِي)، وكان الْمُتَوَقَّعُ أَيْضًا أَنْ يُقالَ: (إِنِّي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ).

ومثل قول الله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ٣-٦]، فَقَدِ انتقل مِنَ المتكلم فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ - إِنَّا كُنَّا - عِندِنَا) إِلَى الْغائبِ فِي قَوْلِهِ: (رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ - إِنَّهُ هُوَ)، وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (رَحْمَةً مِنَّا).

ومثل قول البارودي:

أَنَا الْمَرْءُ لا يُثْنِيهِ عَنْ طَلَبِ الْعُلا ... نَعِيمٌ وَلا تَغْدُو عَلَيْهِ المَفَاقِرُ

فَقَدِ انتقل مِن الْمُتكلّم فِي قَوْلِهِ: (أَنا الْمَرْءُ) إلى الغائبِ في قَوْلهِ:

(لا يُثْنِيهِ - وَلا تَغْدُو عَلَيْهِ)، وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (لا يُثْنِينِي - وَلا تَغْدُو عَلَيَّ).

٣- الانتقال من المخاطب إلى المتكلّم:

مثل قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢٢]، فقد انتقل الكلام في الآية من الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إلى التكلم في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم).

٤- الانتقال من المخاطب إلى الْغَائب:

مثل قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]، فَقَدِ انتقل مِنَ المخاطَبِ فِي قَوْلِهِ تَعالَى: (كُنْتُمْ) إِلَى الْغَائب فِي قَوْلِهِ: (بِهِمْ) وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (وَجَرَيْنَ بِكُمْ).

وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ: (حتى إذا كنتم في الفلك، وجَرَيْنَ بكم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ، وَفَرِحْتُمْ بها).

ومثل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]، فَقَدِ انتقل مِنَ المخاطب فِي قَوْلِهِ تَعالَى: (ءَاتَيْتُم - تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ) إلى الغائبِ في قوله: (فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ)، وكان المُتوقَّعُ أَنْ يُقال: (فَأَنْتُمُ الْمُضْعِفُونَ).

والغرض البلاغيّ الخاصّ في النَّصّ التنبيه باسم الإشارة الذي هو في قُوّةِ ضَمِيرِ الغائب على ارتفاع منزلتهم عند الله؛ إذْ أُشِيرَ إليهم باسم الإشارة الخاصّ بالمشار إليه البعيد.

٥- الانتقال من الْغَائب إلى المتكلّم:

مثل قول تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، فَقَدِ انتقل مِنَ الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (أَسْرَى بِعَبْدِهِ) إِلَى الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: (لِنُرِيَهُ) وَكَانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِهِ).

ومثل قول الله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، فَقَدِ انتقل مِنَ الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وكان الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (فَسَاقَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)(١).

ومثل قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١١-١٢]، فَقَدِ انتقل مِنَ الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا﴾ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وَكانَ الْمُتَوَقَّعُ أَنْ يُقَالَ: (وَزَيَّنَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا)(٢).

---

(١) وفائدة هذا الالتفاتِ: إيقاظُ الأذهانِ للتفكُّر في مِنَّةِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ الذي يُقَدِّر أسْباب رِزْقِهِم، ويَسُوقُها لهم، وللتفكُّرِ في مظهر من مظاهر قُدْرَتِهِ الَّتِي يُحْيِي بها الأرْضَ المَيْتَة الذي يُشْبِهُهُ إحياءُ الموتَى يومَ القيامة؛ إذ جاء فيه تحدُّث الرَّبِّ الجليل عن نفسه بضمير المتكلّم العظيم: (فَسُقْنَاهُ - فَأَحْيَيْنَا بِهِ).

(٢) فالالتفات من الأساليب البلاغيَّةِ ذَاتِ اللَّطَائف النفيسة، وقد تكرّر في القرآن، وهو فنٌّ بديعٌ من فنون القول يُشْبِهُهُ تحريك آلات التصوير السينمائي، بنقلها من مشهدٍ إلى مشهدٍ آخر في المختلفات والمتباعدات الّتي يُرادُ عَرْضُ صُوَرٍ مِنها، ومفاجأة الْمُشَاهِدِ بلَقَطاتٍ مِنها متباعدات، ولكنَّها تدخُلُ في الإطار الْكُلّي الذي يُراد عرض طائفةٍ من مشاهده تدلُّ على ما يُقْصد الإعلام به.

=

ومثل قول الله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

فالالتفاتُ في: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) خطابًا لبني إسرائيل المعاصرين لنزول النصّ فمن بعدهم، وفيه فائدتان:

الأولى: التنويع في العبارة المثيرة لانْتِباه المتلَقِّي، والباعثة لنشاطه في استقبال ما يُوَجَّه له، والإِصْغَاءِ إِلَيْه.

الثانية: الاقتصاد والإيجاز في التعبير، فبدل أن يقول النصُّ لمعاصري التنزيل الكافرين من بني إسرائيل فمن بَعْدَهم: وأنتم يا بني إسرائيل ما زِلْتُم على طريقة أَسْلافِكُمْ، أَفَلا تَعْقِلُونَ؟. اقْتَصَرَ النّصُّ على: (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) مُسْتَغْنِيًا بأُسْلُوبِ الأَلْتفاتِ، للدلالة على ما يُمْكِن فَهْمُه ذِهْنًا؛ إِذْ اعتبَرَهُمُ النَّصُّ داخِلِين في عُمُوم خطاب الغائبين السّالِفين، إِذْ هم موافقون على ما كانوا يفعلون، أو يفعلون مثلهم.

٦- الانتقال من الْغَائب إلى المخاطب:

مثل قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤-٥]، فقد انتقل الكلام من أسلوب الغيبة «مالك» إلى أسلوب الخطاب «نعبد»، ولم يقل: (عبدنا).

=

ويَهْدِي الذوقُ الأدبيُّ السليم إلى استخدام الالتفات استخدامًا بارعًا يُحَقِّق به البليغ فوائد في نفس المتَلَقِّي أو فكره، مع ما يُحقِّق به من الاقتصاد والإيجاز في العبارة.

الالتفات بين الفعل والاسم

من الالتفات الانتقال بين الماضي والمضارع والأمر، وهو من الخروج عن مقتضى الظاهر، ويُلْحَقُ به التنقُّل بين الفعل واسم الفاعل واسم المفعول.

مثل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]، فهنا التفات بين **(يخرج)** و**(مخرج)**.

القيمة البَلاغِيَّةُ لِلالْتِفَاتِ: الالتِفاتُ له فوائد، منها:

١- إِثارَةُ الذِّهْنِ.

٢- جَذْبُ الانْتِباهِ.

٣- تَنْشِيطُ السَّامِعِ وَدَفْعُ الْمَلَلِ.

بِالإِضافةِ إِلى صِيانَةِ السَّمْعِ عَنِ الضِّيقِ والملَلِ لِما تَعَوَّدَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ حُبِّ التَّنَقُّلِ، كَذلِك عَدَمُ الاسْتِمْرارِ على أُسْلوبٍ واحِدٍ.

وهذه فائدتُهُ العَامَّةُ، وَيَخْتَصُّ كُلُّ مَوْضِعٍ من مَواضِعِ الالْتِفاتِ بنُكَتٍ وَلَطائِفَ بِاخْتِلافِ مَكانِهِ.

ملاحظة: يأتي الالتفات شعرًا ونثرًا.

الاقْتبَاسُ

الاقتباس لغة:

هو طلب القبس، وهو الشعلة من النار، ويستعار لطلب العلم، قال الجوهري في الصحاح : اقتبست منه علما: أي استفدته.

قَبَسَ يَقْبَسُ قَبْسًا، تقول: قَبَسَ النَّارَ: أَوْقَدَهَا.

قَبَسَ الرَّجُلُ عِلْمًا أَوْ نُورًا: استفادَه.

اقْتَبَسَ فُلانٌ نَارًا: أَوْقَدَهَا، أَوْ طَلَبَهَا.تقول: جِئْتُ لأَقْتَبسَ مِنْ أَنْوَارِكَ.

قَالَ اللهُ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد: ١٣].

الاقتباس اصطلاحًا:

هو أنْ يَقْتَبِسَ الكَاتِبُ شَيئًا مِنَ القُرْآنِ أو الحَدِيثِ، ثم يَضَعَهُ فِي كِتَابَتِهِ، سَوَاءٌ أَكانَتِ الكِتابَةُ شِعْرًا أم نَثْرًا، دُونَ الإشَارَةِ أَنَّهُ كَلامُ اللهِ تعالى أو كَلامُ رَسولِهِ ﷺ.

نماذج على الاقتباس:

١ – قول الشاعر:

لا تُعَاشِرْ مَعْشَرًا ضَلُّوا الهُدَى ... فَسَوَاءٌ أَقْبَلُوا أو أَدْبَرُوا

بَدَتِ البَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ ... وَالَّذِي يُخْفُونَ مِنْهَا أَكْبَرُ

اقتبس الشاعر في الشطر الأول من البيت الثاني جزءًا من قول الله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

٢- قول الصّاحب بن عبّاد:

قَــالَ لــي: إِنَّ رَقِيبِـي ... سَـيِّئُ الْخُلْـقِ فَـدَارِه
قُلْـتُ دَعْنِـي وَجْهُـكَ الجنْـ ... ـنَةُ حُفَّـتْ بالمَكَـارِه

اقتبس الشاعر في الشطر الأخير من البيت الثاني جزءًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» رواه مسلم.

٣- قول الآخر:

إنْ كنـتَ أَزْمَعْـتَ عَلَـى هَجْرِنـا ... مِـنْ غيـرِ مـا جُـرْمٍ فـصَبْرٌ جَميـلْ
وإنْ تَبَـدَّلْتَ بنـا غيرَنـا ... فَحَسْبُنا الله ونِعْـمَ الوَكيـلْ

اقتبس الشاعر في البيتين جزءًا مِنْ قول الله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

٤- قال الشيخ صفي الدين الحلي:

هَـذِي عَـصَايَ الَّتِي فيْهـا مَـآرِبُ لِـي ... وَقَـدْ أَهُـشُّ بِهَـا طـورًا عَلَـى غَنَمِـي

اقتبس الشاعر في هذا البيت جزءًا من قول الله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨].

٥- قول ابن الرّومي:

لَـئِنْ أَخْطَـأْتُ فِـي مَدْحِيـ ... ـكَ مَـا أَخْطَـأْتَ فِـي مَنْعِـي
لَقَـدْ أَنْزَلْـتُ حَاجَـاتِي ... بِـوَادٍ غَيْـرِ ذِي زَرْعِ

اقتبس الشاعر في الشطر الأخير من البيت الثاني جزءًا من قول الله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٦- قول الأبيوردي:

وَمــدائحٌ تحكــي الرِّيــاضَ أضَــعتُها فِــي باخِــل أعْيَــتْ بــهِ الأحــسابُ
فَــإذا تَناشَــدها الــرُّواةُ وأبْـصرُوا الْـ مَمْــدوحَ قــالوا: ســاحرٌ كــذَّابُ

اقتبس الشاعر في الشطر الأخير من البيت الثاني جزءًا من قول الله: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

٧- قول بديع الزمان الهمذاني:

لِآلِ فَرِيغُــونَ فِــي الْمَكْرُمَــاتِ يَــدٌ أَوَّلاً واعْتِــذَارٌ أَخِيــرَا
إِذَا مَــا حَلَلْــتَ بِمَغْنَــاهُمُو رَأَيْــتَ نَعِيمًــا وَمُلْكًــا كَبِيــرَا

اقتبس الشاعر في الشطر الأخير من البيت الثاني جزءًا من قول الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

٨- قول الحماسي:

إِذَا رُمْــتُ عَنْهَــا سَــلْوَةً قَــالَ شَــافِــعٌ مِــنَ الْحُــبِّ مِيعَــادُ الــسُّلُوِّ المَقَــابِرُ
سَتَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ والْحَشَا سَــرِيرَةُ حُــبٍّ يَــوْمَ تُبْــلَى الــسَّرائِرُ

اقتبس الشاعر في الشطر الأخير من البيت الثاني جزءًا من قول الله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

٩- قول أبي جعفر الأندلسيّ:

لاَ تُعَــادِ النَّــاسَ في أَوْطَــانِهِمْ قَلَّمَــا يُرْعَــى غَرِيــبُ الْــوَطَنِ
وَإِذَا مَــا شِــئْتَ عَيْــشًا بَيْــنَهُمْ خَــالِقِ النَّــاسَ بُخُلْــقٍ حَــسَنِ

اقتبس الشاعر في الشطر الأخير من البيت الثاني جزءًا من قول النبي ﷺ: «اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رواه الترمذي.

١٠- قول الشاعر:

خلـــة الغانيـــات خلـــة ســـوء   فـــاتَّقوا الله يـــا أُولـــي الألبـــابِ

وإذا مـــا ســـألتموهنَّ شـــيئًا   فاسْـــألوهنَّ مـــن وراءِ حِجـــابِ

اقتبس الشاعر في البيت الأول جزءًا من قوله: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]، واقتبس أيضًا في البيت الثاني جزءًا من قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

١١- قول الشاعر:

قَـــدْ كَـــانَ مَـــا خِفْـــتُ أَنْ يَكُونَـــا   إِنَّـــا إِلَـــى اللهِ رَاجِعُونَـــا

اقتبس الشاعر في البيت جزءًا من قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. هذا كله من باب الاقتباس(١).

---

(١) **الاقتباس شرعًا:**

أولًا: الاقتباس فى الشعر: يرى بعض الفقهاء أن الاقتباس فى الشعر غير جائز أصلًا؛ لأنه يجب أن ينزه القرآن عن الشعر مطلقًا، وإن حَسُنَ الغرضُ وشَرُفَ المقصِدُ؛ فكيف يجوز ذلك وقد نفى وصف الشعر عن القرآن بمقتضى آيات القرآن الكريم والتي منها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

وإذا كان بعض الفقهاء قد تحفظوا على الاقتباس من القرآن الكريم فى الشعر، فإنهم قد أجمعوا على منع ذلك إذا كان الكلام غير لائق بالقرآن الكريم، وأما فِي الأغراض اللائقة، فمنعه بعض المالكية وأجازه غيرهم.

ثانيًا: الاقتباس فى النثر: الاقتباس فى النثر لا شيء فيه إذا حسن الغرض وشرف المقصد، وقد وقع في كلام النبي ﷺ والصحابة -رضوان الله عليهم- من ذلك الكثير، وقد برز ذلك فى رسائله ﷺ إلى كسرى الفرس وهرقل الروم وغيرهما، ففي رسالته إلى كسرى التي أرسلها مع عبد الله بن حذافة جاء =

=

فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأدعوك بدعاية الله؛ فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، **لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين**»، وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس: ٧٠].

وفي رسالته إلى هرقل الروم جاء: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإنما عليك إثم الإريسيين؛ أي: الفلاحين، **ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**».

وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ورد في سياق وصية أبي بكر رضي الله عنه قوله: «إني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب، فإن يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه، وإن يَجُرْ ويبدِّل فلا أعلم الغيب **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**» نقلها ابن كثير في تفسيره عند تفسير هذه الآية.

وما سبق كله يتبين أن الاقتباس يأتي في النثر ولا حَرَجَ، أما في الشعر: فإن بعض الفقهاء رأى أن الاقتباس في الشعر غير جائز؛ لأنه يجب أن يُنَزَّهَ القرآن عن الشعر مطلقًا، حتى وإنْ حَسُنَ الغرض وشَرُفَ المقصد؛ إذ كيف يجوز ذلك في ضوء نفي وصف الشعر عن القرآن الكريم بمقتضى آيات القرآن الكريم والتي منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ [الحاقة: ٤١].

قال الإمام السيوطي رحمه الله في الإتقان حينما تحدث عن الاقتباس من القرآن الكريم: فإن القاضي أبا بكر من المالكية صَرَّحَ بأن تضمينَهُ في الشعر مكروهٌ، وفي النثر جائزٌ.

فسئل عنه الشيخ: عز الدين بن عبد السلام فأجازه، واستدل بقوله ﷺ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» رواه مسلم.

بَراعة الاستِهْلال

البراعة لغة: كمال الفضل. **والاستهلال لغة**: الابتداء، كما في اللسان.

براعة الاستهلال اصطلاحًا:

هو أن يقدم المتكلم بين يدي موضوعه مقدمة فيها إشارة لما يريد أن يتكلم عنه، وما سيذكر فيه.

فمن الأمثلة القرآنية، قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

ومثل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، فافتتاح السورة بالوَيْلِ يُبَيِّنُ بأنها تشتمل على وعيد بكلمة (ويل) من براعة الاستهلال.

ومثل قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١]، وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، ومثل ذلك كثير جدًّا، ويتحقق ذلك بطرح المشكلة أو القضية التي يراد الحديث عنها بجملة من الأسئلة والاستفسارات.

ومن أمثال السُّنَّةِ النبوية: عَنْ عامر قال: سَمِعْتُ النُّعْمانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الحَلالُ بَيِّنٌ وَالحَرامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَراعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» رَوَاهُ البخاري.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: «بادِرُوا بالأَعْمَالِ سَبْعًا؛ هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلاَّ فَقرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْندًا، أَوْ موتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فالسَّاعَةُ أدهَى وَأَمَرُّ» رواه الترمذي، وَقالَ: حديث حسن.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال النَّبِيُّ ﷺ بِمِنًى: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَلَدٌ حَرَامٌ، أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهْرٌ حَرَامٌ»، قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» رواه البخارى.

فقال لهم: (أتدرون أيّ شَهْر هذا ؟ أتدرون أيّ بلد هذا ؟ أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا) فلما أقروا بِحُرْمَةِ ما تقدم قال لهم: (فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ).

بدأ الحَدِيثَ بِبَراعةِ الاستِهلالِ حَتَّي يَجْذِبَ الأَسْماعَ، ويسْترعِي الانْتِباه، ويَسْتَهْوِي اللبَّ.

قال القرطبي: «سؤاله عن الثلاثة، وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار أَفْهَامِهِمْ، وليقبلوا عليه بِكُلِّيَّتِهِم، وليستشعروا عظَمَةَ ما يخبرهم به، ولذلك قال بعدها: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ»؛ مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء».

ومن أدب الصحابة وحسن أخلاقهم -رضوان الله عليهم- حين سَأَلَهُمْ النبي ﷺ: أي شهر هذا؟ أي بلد هذا؟ فكانوا يقولون في الجميع: الله ورسوله أعلم، مع أنهم كانوا يعلمون الأَجْوِبَة في الأسئلة، وليس فيها شيء جديد.

وعن أبي رافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ؛ فَإِنْ وُجِدَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ تَامَّةً، وَإِنْ كَانَ انْتُقِصَ مِنْهَا شَيْءٌ قَالَ: انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ يُكَمِّلُ لَهُ مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَةٍ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ سَائِرُ الْأَعْمَالِ تَجْرِي عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ» رواه الطبراني.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ» رواه مسلم والترمذي والنسائي.

فَكُلُّ هَذِهِ الأَحَادِيثُ بَدَأَتْ بِبَراعةِ الاستهلالِ، وَذلكَ عَنْ طَرِيقِ بدايةٍ مُثِيرَةٍ، تَشُدُّ السَّامِعَ، وَتُحَرِّكُ فِي نَفْسِهِ الرَّغْبَةَ فِي الاسْتِمَاعِ وَالتَّفَاعُلِ.

وَمِمَّا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ بَرَاعَةَ الاسْتِهْلالِ: هِيَ أَنْ يَجْعَلَ المُتَكَلِّمُ أَوَّلَ كَلامِهِ حَسَنَ الرَّصْفِ، عَذْبَ اللفْظِ، صَحِيحَ المَعْنَى، مُشْتَمِلًا عَلَى إِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ إِلَى المُقْصُودِ، حَتَّى يَجْذِبَ الأَسْمَاعَ، وَيَسْتَرْعِي الانْتِبَاهَ، وَيَجْعَلَهُ يُقْبِلُ عَلَى الإِصْغَاءِ، وَيَسْتَهْوِي اللُّبَّ.

وقول أحمد شوقي في الأزهر الشريف:

قُمْ فِي فَمِ الدُّنْيَا وَحَيِّ الأَزْهَرَا   وَانْثُرْ عَلَى سَمْعِ الزَّمَانِ الْجَوْهَرَا

ومثل قول الشاعر:

وفي النفسِ حَاجَاتٌ وفيكَ فطَانَةٌ   سُكُوتي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَاب

حيث أشار المتكلم إلى ما يُرِيدُ دون أن يُصَرِّحَ بالطلب.

(خاتمة)

السرقات الشعرية

سرقةُ الكلام أنواعٌ:

منها: أن يأخذَ الناثرُ أو الشاعرُ معنى لغيره بدون تغييرٍ لنظمه، كما أخذ عبدُ الله بنُ الزَّبِير بيتي مُعَنٍ، وادَّعاهما لنفسه، وهما:

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدته ... على طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كانَ يعقِلُ
ويركَبُ حدَّ السيفِ مِنْ أنْ تَضِيمَهُ ... إذا لم يكنْ عنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

ومثل هذا يُسمَّى نسخًا وانتحالًا، ومن قبيلِهِ: أن تُبدَلَ الألفاظ بما يرادفها، كأنْ يُقَالَ في قول الحطيئة:

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيَتِهَا ... واقعُدْ فإنكَ أنتَ الطاعِمُ الكَاسِي
ذَرِ المآثِرَ لا تذهَبْ لمطلبِهَا ... واجْلِسْ فإنكَ أنتَ الآكلُ اللابِسْ

هي أن يسبق بعض الشعراء إلى تقرير معنى من المعاني واستنباطه، ثم يأتي بعده شاعر آخر يأخذ ذلك المعنى ويكسوه عبارة أخرى، فربما علا بالمعنى أو سفل به على حسب قدرته وتمكنه من فنون القول.

و(سرقةُ الكلام أنواعٌ):

(منها) ما هو ظاهر لا يخفى؛ وذلك: (أن يأخذَ الناثرُ أو الشاعرُ معنى) هو (لغيره) وينتحله فينسبه لنفسه (بدون تغييرٍ لنظمه) فيسطو على اللفظ والمعنى جميعًا (كما أخذ عبدُ الله بنُ الزَّبِير بيتي معن) بن أوس المزني الشاعر المخضرم ٦٤هـ (وادَّعاهما لنفسه) وأنشدهما أمام معاوية، (وهما:

إذا أنتَ لم تُنْصِفْ أخاكَ وجدته ... على طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كانَ يعقِلُ

ويركَـبُ حـدَّ الـسيفِ مِـنْ أنْ تَـضِيمَهُ إذا لم يكنْ عنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ)(١)

يقول: إذا أنت لم تعطِ أخاك النصفة ولم توفِّه حقوقه عندك، فإنه يقليك ويهجرك إن كان به مسكة عقل وله أدنى معرفة. وربما تجده راكبا حدَّ السيف حاملًا عليك مخافة أن تظلمه ولم يجد عن حمل السلاح مفرًّا. (ومثل هذا يُسمَّى نسخًا) من نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه (وانتحالًا) أي ادعاءً أنه صاحبه، ومثاله قول امرئ القيس:

وقوفًا بها صحبي عليَّ مطيَّهم يقولون لا تهلك أسى وتجمَّل

أخذه طرفة بن العبد واسترقه وأجراه على منواله الأول فقال:

وقوفًا بها صحبي عليَّ مطيَّهم يقولون لا تهلك أسى وتجلَّد

فإن طرفة ما فعل غير أن أجراه على قافية الدال بعد أن كان على اللام من دون تصرف في المعنى ولا تغيير في التركيب. (ومن قبيلِهِ: أن تُبدَلَ الألفاظُ بما يرادفها) فيكون التغيير في النظم مع انتحال المعنى، فيكون سلخًا (كأنْ يُقَالَ في قول الحطيئة) يهجو الزبرقان بن بدر:

(دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيَتِهَا واقعُدْ فإنكَ أنتَ الطاعِمُ الكَاسِي)

أي لا ترهق نفسك في طلب العلا، فإنها مجاهدة ليست لك وإنما للرجال، ومكان أمثالك هو قعر البيت معززًا مكرمًا تخدم كما تخدم الحرائر، والحطيئة أقذع في هجائه على ما ترى فكأنه سلح على الزبرقان كما ذهب إلى ذلك حسان بن ثابت عند تحكيم عمر بن الخطاب له فيه. وقد أخذ معنى بيت الحطيئة أحدهم فسلخه سلخًا إذ قال:

---

(١) تنصف أخاك: تعدل معه وتنصره، الهجران: البعد والفراق، يركب حد السيف: كناية عن القتال، تضيمه: تظلمه، شفرة السيف: حده وحديدته، مزحل: مبعد ومنحى.

ذَرِ المــآثِرَ لا تــذهَبْ لمطلبِهَــا واجْلِسْ فإنكَ أنتَ الآكلُ اللابِسْ

فلم يفعل فوق أن جعل مكان كل لفظ لفظًا هو بمعناه، وهذه سرقة محضة.

❁❁❁

وقريبٌ منه: أن تُبْدلَ الألفاظ بما يضادُّها في المعنى مع رعاية النظم والترتيب، كما لو قيل في قول حسان:

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم شُمُّ الأنوفِ منَ الطِّرازِ الأَوَّلِ

سُودُ الوجوهِ لئيمةٌ أحسابهم فُطْسُ الأنوفِ منَ الطِّرازِ الآخِرِ

ومنها: أن يأخذَ المعنى، ويغيرَ اللفظَ، ويكون الكلام الثاني دون الأول، أو مساويًا له، كما قال أبو الطيب في قول أبي تمام:

هيهاتَ لا يأتي الزمانُ بمثلِهِ إنَّ الزمانَ بمثلهِ لَبَخِيلُ

أَعْدَى الزَّمَانَ سخاؤُهُ فَسَخَا بِهِ ولقَدْ يكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلا

فالمصراع الثاني مأخوذٌ من المصراعِ الثاني لأبي تمام، والأول أجودُ سَبْكًا، ومثلُ هذا يُسمَّى إغارةً، ومسخًا.

(وقريبٌ منه: أن تُبْدلَ الألفاظُ بما يضادُّها في المعنى) فيأتي لكل لفظ بما يقابله لا يزيد على ذلك (مع رعاية النظم والترتيب) فيظل التركيب على حاله، (كما لو قيل في قول حسان) بن ثابت وقد أجاد:

(بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم شُمُّ الأنوفِ منَ الطِّرازِ الأَوَّلِ)

بيض الوجوه: كناية عن كرم المحتد وعراقة النسب؛ إذ يوصف الشريف في قومه بأنه أبيض الوجه، ليس فيه شيء من لؤم يعكر ماءه. شم الأنوف: كناية عن رفعة الشأن والاعتداد بالنفس، الطراز: أي من النمط الأول. ويقال: هذا طراز هذا أي شكله. يأخذه الآخذ فيعكس ألفاظه ويقابل بين معانيه:

(سُودُ الوجـوهِ لئيمـةٌ أحسابهم　　　　فُطْسُ الأنوفِ منَ الطِّرازِ الآخِرِ)

فقابل الأبيض بالأسود، والكرم باللؤم، والشم بالفطس، والأول بالآخر، ولم يزد على ذلك، وأبقى التركيب على حاله، فسمج بالمعنى ونزل.

(ومنها) المسخ، وهو: (أن يأخذَ المعنى) فينتحله وليس في مكنته تغييره (ويغيرَ اللفظَ، ويكون الكلام الثاني دون الأول) وهذا هو الأصل في المسخ: أن ينقل الصورة الحسنة إلى أخرى قبيحة، (أو مساويًا له، كما قال أبو الطيب) المتنبي (في قول أبي تمام:

هيهاتَ لا يأتي الزمانُ بمثلِهِ　　　　إنَّ الزمانَ بمثلهِ لَبَخِيلْ)

يريد: بعد أن يجود الزمان بمثل الممدوح، إنما هي سخاوة حصلت على غير عادة الزمان الذي عادته الشح بمثله، أخذه المتنبي فغير بعض ألفاظه فقال:

(أعْدَى الزَّمَانَ سخاؤُهُ فَسَخَا بِهِ　　　　ولقَدْ يكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلا)

يعني: تعلَّم الزمان منه السخاء، وسرت سخاوته إلى الزمان فأخرجه من العدم إلى الوجود، ولولا سخاؤه الذي استفاد منه لبخل به على الدنيا واستبقاه لنفسه، كما قال ابن جني، أو: سخا الزمان بالممدوح عليَّ وكان بخيلًا به لا يجود به على أحد ومستبقيًا لنفسه، فلما أعداه سخاءه أسعدني بضمي إليه وهدايتي له، كما قال غيره، (فالمصراع الثاني) المتضمن بخل الزمان بمثل الممدوح (مأخوذٌ من المصراعِ الثاني لأبي تمام) بنفس المعنى مع تغيير طفيف في اللفظ، (والأولُ أجودُ سَبْكًا) أي: أحسن نظمًا وتأليفًا، (ومثلُ هذا يُسمَّى إغارةً) أي نهبًا، (ومسخًا) أي: تحويلًا للأدون؛ إذ قوله يكون بلفظ المضارع لم يقع موقعه؛ إذ المعنى على المضي، لكن الوزن ألجأه إلى ذلك.

❁❁❁

ومنها: أن يأخذ المعنى وحدَهُ، ويكون الثاني دون الأول أو مساويًا له، كما قال أبو تمام في قول من رثى ابنه:

والصبرُ يُحْمَدُ في المواطِنِ كُلِّها ... إلَّا عليكَ فإنهُ لا يُحْمَدُ

وقدْ كانَ يُدْعَى لابسُ الصبرِ حازمًا ... فأصبحَ يدعَى حازمًا حينَ يَجْزَعُ

وهذا يُسمَّى إلمامًا وسلخًا.

(ومنها: أن يأخذ المعنى وحدَهُ) فَيُلِمُّ به إلمامًا، ويسلخه من لفظه فيكسوه لفظًا آخر، (ويكون الثاني دون الأول أو مساويًا له) والسبق للأول في هذه الحالة فالفضل للسابق عند التساوي، (كما قال أبو تمام في قول من رثى ابنه:

والصبرُ يُحْمَدُ في المواطِنِ كُلِّها ... إلَّا عليكَ فإنهُ لا يُحْمَدُ)

وفي رواية: إلا عليك فإنه مذموم. يريد: إذا كان الصبر محمود العاقبة في كل الأمور فإن الصبر على فقدانك مما يستحيل وقوعه، ولو أنه وقع فإن الصابر على فقدانك مذموم. أَلَمَّ بهذا المعنى أبو تمام فقال:

(وقدْ كانَ يُدْعَى لابسُ الصبرِ حازمًا ... فأصبحَ يدعَى حازمًا حينَ يَجْزَعُ)

إذ إن الحزم هو التجلد إذا ما وقع المصاب دفعًا لشماتة الشامتين، لكن الصبر لفقدك ذهول عما يحل بعدك، فليس هو مِنَ الحزم في شيء، (وهذا يُسمَّى إلمامًا وسلخًا) مِنْ سَلَخَ الشاة: إذا أزال عنها جلدها.

الاقتباس

٢- الاقتباسُ: هو أن يضمَّنَ الكلامُ شيئًا مـنَ القـرآنِ أو الحـديثِ لا على أنـه منه، كقوله:

لا تكنْ ظالمًـا ولا تَـرضَ بالظلْـــمِ وأَنكـرْ بِكُـلِّ مـا يُـستطَاعْ
يــومَ يــأتي الحــسابُ مــا لِظَلُــومٍ مِــنْ حمــيمٍ ولا شــفيعٍ يُطَــاعُ

وقوله:

لا تُعــادِ النـــاسَ في أوطـــانِهِمْ قَلَّمَـــا يُـــرْعَى غَريـــبُ الـــوَطَنِ
وإذا مَـــا شِـــئْتَ عَيْـــشًا بيـــنهُمْ خَـــالِقِ النـــاسَ بِخُلْـــقٍ حَـــسَنِ

ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس؛ للوزن أو غيره، نحو:

قـــدْ كانَ مـــا خِفْـــتُ أن يكونـــا إنَّـــــا إلى الله راجِعُونـــــــا

وفي القرآن: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٦].

٢- (الاقتباسُ: هو أن يضمَّنَ الكلامُ) نثرًا كان أو نظمًا (شيئًا مـنَ القـرآنِ) الكـريم (أو الحديثِ) الشريف (لا على أنه منه) يعني: على وجه لا يشعر بأنه منهما، (كقوله:

لا تكــنْ ظالمًـــا ولا تَـــرضَ بالظلْـــمِ وأَنكــرْ بِكُـــلِّ مـــا يُـــستطَاعْ
يـــومَ يـــأتي الحـــسابُ مـــا لِظَلُـــومٍ مِـــنْ حمـــيمٍ ولا شـــفيعٍ يُطَـــاعُ

يريـد: لا تظلـم أنـت ولا تـرض بـالظلم يقـع مـن أحـد أمامـك دون أن تـرده مـا استطعت إلى ذلك سبيلًا، واحذر أن تظلـم أو تـسمح بـالظلم يـوم الحـساب عسير وليس لظالم من قريب يدفع أو شفيع يشفع، وإن كان فلا يطاع. وهو مقتبس من قولـه تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. (وقوله:

لا تُعـــادِ النـــاسَ في أوطـــانِهِمْ قَلَّمَـــا يُرْعَـــى غَريـــبُ الـــوَطَنِ
وإذا مَـــا شِـــئْتَ عَيْـــشًا بيـــنهُمْ خَـــالِقِ النـــاسَ بِخُلْـــقٍ حَـــسَنِ)

يقول: لا تطلب معاداة الناس إذا كنت غريبًا فيهم، فالغريب لا يبقى عليه ولا يرعى جانبه، فإذا أردت التعايش معهم فعاشرهم بالمعروف وأحسن إليهم يحسنوا إليك. وهو مقتبس من قوله ﷺ الذي رواه أحمد في مسنده من حديث معاذ أنه قال: يا رسول الله، أوصني! قال: «**اتق الله حيثما كنت أو أينما كنت**». قال: زدني! قال: «**أتبع السَّيِّئَةَ الحسنة تَمْحُهَا**». قال: زدني! قال: «**خالق الناس بخلق حسن**». (ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس؛ للوزن أو غيره، نحو) ما قاله بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه:

(قـدْ كـانَ مـا خِفْـتُ أن يكونـا   إنَّـا إلـى الله راجِعُونـا)

يعني ما كان يترقبه من القضاء المحتوم وقرب الأجل، فاسترجع (وفي القرآن) الكريم، قال تعالى: (﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٦]). والاقتباس يستحسن في المواعظ، ويباح في الغزل والرسائل، ويستقبح في الهزل كالذي قال:

أوحـى إلـى عـشاقه هيهـات   هيهـات لمـا توعـدون

فإنه ينظر إلى قوله تعالى: ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦].

❁❁❁

التضمين

٣- التضمين -ويُسمَّى الإيداعَ-: هو أن يُضمَّنَ الشعرُ شيئًا من شعرٍ آخرَ، مع التنبيه عليه إن لم يشتهر، كقوله:

إذا ضاقَ صَدْري وخفتُ العِدَا … تمثلتُ بيتًا بحالي يَلِيقْ
فباللهِ أَبْلُغُ مَا أَرْتَجِي … وباللهِ أَدْفَعُ ما لا أُطِيقْ

ولا بأسَ بالتغييرِ اليسيرِ، كقوله:

أقولُ لمعشَرٍ غَلِطُوا وغَضُّوا … مِنَ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وأَنْكَرُوهُ
هوَ ابنُ جَلا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا … مَتَى يَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ

٣- (التضمين -ويُسمَّى الإيداعَ) يقال: ضمن الشيءِ الشيءَ أودعه إياه، و(هو أن يُضمَّنَ الشعرُ شيئًا من شعرٍ آخرَ) تحسينًا من الشاعر وتزيينًا لكلامه (مع التنبيه عليه) ليخرج عن شبهة السرقة (إن لم يشتهر) عند البلغاء، وإلا فلا حرج عليه ألا يشير إليه، (كقوله) عبد القاهر بن طاهر التميمي:

إذا ضاقَ صَدْري وخفتُ العِدَا … تمثلتُ بيتًا بحالي يَلِيقْ
فباللهِ أَبْلُغُ مَا أَرْتَجِي … وباللهِ أَدْفَعُ ما لا أُطِيقْ

يريد: إذا كان من أمري أن خفت الأعادي حتى يضيق صدري بهم فإني أتمثل بيتًا لشاعر نظمه في حالته وهو يليق بحالي، كبيت علي بن أمية الكاتب الذي قاله أيام فتنة بغداد، والله المستعان على الرجاء، ولا حول ولا قوة إلا به فيما أحاول وأطاول.

(ولا بأسَ بالتغييرِ اليسيرِ) يلحق بالبيت المقتبس، (كقوله) يعني ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب في رجلٍ كان به داء الثعلب:

(أقولُ لمعشَرٍ غَلِطُوا وغَضُّوا … مِنَ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وأَنْكَرُوهُ
هوَ ابنُ جَلا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا … مَتَى يَضَعِ العِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ)

يريد أن هذا الرجل أقرع بسبب داء الثعلبة فلو أنه طرح العمامة عن رأسه لعرفتموه بلا شك، والبيت الثاني أصله لسحيم بن وثيل الرياحي:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

فغيره إلى طريق الغيبة ليدخل في المقصود.

العقد والحل

٤- العقد والحل: الأول: نظم المنثور، والثاني: نثر المنظوم.

فالأول، نحو:

والظلمُ مِنْ شِيَمِ النفوسِ فإنْ تجِدْ ... ذا عِفَّةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

عقد فيه قول حكيم: الظلم من طباع النفس، وإنما يصدها عنه إحدى علتين دينية، وهي: خوف المعاد، ودنيوية، وهي: خوف العقاب الدنيوي.

والثاني نحو قوله: (العيادة سنة مأجورة، ومكرمة مأثورة، ومع هذا فنحن المرضى، ونحن العُوَّاد، وكل وِدَادٍ لا يدوم فليس بِوِداد).

وحلَّ فيه قول القائل:

إذا مَرِضْنَا أتيناكُمْ نعودكُمُ ... وتُذنبون فنأتيكُمْ ونعتذِرُ

٤- (العقد والحل): أما (الأول) يعني العقد، فهو: (نظم المنثور) وهو أن يأخذ الكلام المنثور بجملته، أو بمعظم ألفاظه، فيزيد النظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر، (والثاني: نثر المنظوم) وحله، شريطة أن يكون جيد السبك حسن الصياغة غير قلق في مكانه.

(فالأول) أي العقد، (نحو) قول المتنبي:

(والظلمُ مِنْ شِيَمِ النفوسِ فإنْ تجِدْ ... ذا عِفَّةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ)

يقول: الظلم خلق أصيل وطبع مجبول في أخلاق الناس، فإن أتوا به فإنما يأتونه على السليقة، ولا يمنع أحدهم ظلمًا قدر عليه إلا سبب كفيل بردعه عن ذلك الظلم، ولكل إنسان ما يلائمه من زواجر عن اقتراف المظالم، وقد (عقد فيه) المتنبي (قول حكيم: الظلم من طباع النفس، وإنما يصدها عنه إحدى علتين دينية، وهي: خوف المعاد، ودنيوية، وهي: خوف العقاب الدنيوي) على أن نظم المعنى قد أكسبه كثافة

تعبيرية، وفنًّا عاليًا لا تجدهما في الكلام المنثور؛ وذلك من فضائل الشعر. ومن نظم المنثور عقد القرآن كقوله:

أنلني بالذي استقرضت خطًّا | وأشهد معشرًا قد شاهدوه
فإن الله خلاق البرايا | عنت لجلال هيبته الوجوه
يقول: «إذا تداينتم بدين | إلى أجل مسمى فاكتبوه»

فقد أخذ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فترك منه النداء وأضاف القول ليصوغه على بحر الوافر، فأحسن تضمينه.

(والثاني) وهو حل المعقود (نحو قوله: «العيادة) أي زيارة المريض (سنة مأجورة) يؤجر عليها عائد المريض فهو في خريف الجنة حتى يرجع، (ومكرمة مأثورة) عن الأفاضل فكان ﷺ يعود المريض وحث على ذلك، ولا زال أهل الكرم يحققون لأنفسهم السيادة بعيادة المرضى من ذويهم، (ومع هذا فنحن المرضى) فكان يفرض عليكم كرمكم زيارتنا، (ونحن) بالرغم من ذلك (العُوَّاد) نتحامل على أنفسنا رغم ما بنا ونزوركم؛ صلة لكم، ورغبة في اتصال الود بيننا وبينكم، (و) لكن اعلموا أن (كل وِدَادٍ لا يدوم فليس بِوِداد») صادق.

هذا المعنى أخذه الشاعر (وحلَّ فيه قول القائل:

إذا مَرِضْنَا أتيناكُمْ نعودكُمُ | وتُذنبون فنأتيكُمْ ونعتذِرُ)

فأجمل فيه ما نثره الناثر، وأحسن الإيجاز، مع ما للشعر من فضل موسيقى ليست في النثر.

❁❁❁

التلميح

٥- التلميح: هو أن يشير المتكلم في كلامه لآية أو حديث، أو شعر مشهور، أو مثل سائر، أو قصة، كقوله:

لَعَمْروٌ معَ الرمضاءِ والنارُ تَلْتَظِي ... أَرَقُّ وَأَحْفَى مِنكَ في ساعةِ الكَرْبِ

أشار إلى البيت المشهور، وهو:

المستجيرُ بعمروٍ عندَ كُرْبَتِهِ ... كالمستجيرِ منَ الرمضاءِ بالنارِ

٥- (التلميح) لغة: إذا أبصره بنظر خفي، يقال: لمحه وألمحه. واصطلاحًا: (هو أن يشير المتكلم في) أثناء (كلامه لآية أو حديث، أو شعر مشهور، أو مثل سائر، أو قصة) فيلمحها فيوردها لتكون علامة في كلامه، فيزاد الكلام براعة ولطفًا (كقوله أبي تمام:

لَعَمْروٌ معَ الرمضاءِ والنارُ تَلْتَظِي ... أَرَقُّ وَأَحْفَى مِنكَ في ساعةِ الكَرْبِ)

الرمضاء: الحجارة الحامية من حر الشمس، وعمرو: هو عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان، شارك جساس بن مرة في قتل كليب وائل، فوقعت وقعة البسوس واستحر القتل فيها أربعين سنة. يقارن أبو تمام بين المخاطَب وعمرو بن الحارث ذاك، فيقول: إن نار عمرو حين منع كليبًا شربة ماء يطفئ به غلته وهو يجود بروحه، خير لي من جنتك إذا ما كان سبيل للاختيار بينكما. وقد (أشار) أبو تمام (إلى البيت المشهور، وهو:

المستجيرُ بعمروٍ عندَ كُرْبَتِهِ ... كالمستجيرِ منَ الرمضاءِ بالنارِ)

وقصة ذلك البيت الذي سار مثلًا يستشهد به أنَّ عَمْرًا وجساسًا تَرَصَّدَا كُلَيْبًا وهو كليب وائل بن ربيعة التغلبي سَيِّد بكر وتغلب، حتى ابتعد عن الحمى، فركب فرسه فأتبعه فرمَى صُلْبَهُ فقطع متنه، ثُمَّ وقَفَ عليه فقال له كليب: يا عَمْرو أغِثْنِي بِشَرْبَةِ ماءٍ فَأَجْهَزَ عليه، فمات، فقيل هذا البيت.

حسن الابتداء

٦- حسن الابتداء: هو أن يجعل المتكلم مبدأ كلامه عذبَ اللفظ حسن السبك صحيح المعنى، فإذا اشتمل على إشارة لطيفة، إلى المقصود سُمِّيَ براعةَ الاستهلال، كقوله في تهنئة بزوال مرض:

المجدُ عُوفِيَ إذْ عُوفِيتَ والكَرَمُ وزالَ عنكَ إلى أَعْدَائكَ السَّقَمُ

وكقول الآخر في التهنئة ببناء قصر:

قصرٌ عليهِ تحيَّةٌ وسَلامُ خَلَعَتْ عليهِ جَمَالَها الأيامُ

٦- (حسن الابتداء: هو أن يجعل المتكلم مبدأ كلامه عذبَ اللفظ حسن السبك صحيح المعنى)؛ لأن الكلام المبتدأ به أول ما يقرع السمع، أو يقع عليه النظر، فإذا كان بارع المطلع استخف اللب وأخذ بمجامع القلب، فيتشوق لما يأتي بعده وينساق إلى الإصغاء إليه طواعية واختيارًا (فإذا اشتمل على إشارة لطيفة) يرمي بها (إلى المقصود) من غرضه (سمي براعةَ الاستهلال، كقوله) أي المتنبي مخاطبًا سيف الدولة (في تهنئة بزوال مرض) ألم به:

(المجدُ عُوفِيَ إذْ عُوفِيتَ والكَرَمُ وزالَ عنكَ إلى أَعْدَائكَ السَّقَمُ)

يقول: لقد مرضت أيها الأمير فاعتَلَّ لِعِلَّتِكَ المجدُ، واختَلَّ مِيزان الكرم، وبَقِيَ الزمان في حرج لمصابك، فلما شُفِيتَ عَادَ للزمان مجدُهُ وعُوفِيَتِ الأيام واستردت صحتها لما نالَتْهُ مِنْ كَرَمِكَ، وغادرك السقم منتقلًا إلى أعدائك إذ أصابهم خبر شفائك بالمَرَضِ وأخَلَّ باستقرارهم. (وكقول الآخر) هو أشجع السلمي (في التهنئة ببناء قصر) شيده الرشيد:

(قصرٌ عليهِ تحيَّةٌ وسَلامُ خَلَعَتْ عليهِ جَمَالَها الأيامُ)

فابتدأ قصيدته بالتحية والسلام الموصولين على قصر الرشيد الأبيض، ثم عرج من التحية إلى ما بَدَا عليه القصر من جمال خلعته عليه الأيام من زينتها.

حسن التخلص

٧- حسن التخلص: هو الانتقال مما افتُتح به الكلام إلى المقصود مع رعاية المناسبة بينهما، كقوله:

دَعَتِ النَّوى بفراقهم فَتَشَتَّتُوا وقَضَى الزمانُ بِبَيْنِهِم فتبدَّدُوا
دَهْرٌ ذميمُ الحالتينِ فما به شيءٌ سوى جُودِ ابنِ أَرْتَقَ يُحْمَدُ

٧- (حسن التخلص) وقيل له: حسن الخروج، وهو: (هو الانتقال مما افتُتح به الكلام إلى المقصود) من إنشاء القصيدة من مدح أو فخر أو غيره من أغراض (مع رعاية المناسبة بينهما) فيكون الانتقال من غرض يفتتح به الشاعر قصيدته إلى الغرض الأصيل لإنشائها لطيفًا سهلًا يؤدي إلى ما بعده من دون تكلف، بل يشي بصلة بينهما، (كقوله:

دَعَتِ النَّوى بفراقهم فَتَشَتَّتُوا وقَضَى الزمانُ بِبَيْنِهِم فتبدَّدُوا
دَهْرٌ ذميمُ الحالتينِ فما به شيءٌ سوى جُودِ ابنِ أَرْتَقَ يُحْمَدُ)

النوى: الفراق، تبددوا: تفرق شملهم. يقول: لقد فرق البعاد شمهلم وقضى بذلك تصريف الزمان كعادته في تفريق الأحبة لا يسر حتى يسوء فهو في حالتيه ذميم؛ حال السرور يترقب فيه التفريق، وحال التفريق لا سوء بعده، ولولا أن ابن أرتق من موجودات هذا الزمان لما كان به شيء يحمد على الإطلاق.

❁❁❁

براعة الطلب

٨- براعة الطلب: هو أن يشير الطالب إلى ما في نفسه دون أن يصرح في الطلب، كما في قوله:

وفي النفسِ حاجاتٌ وفيكَ فَطانـةٌ سكوتي كلامٌ عنـدَها وخِطـابُ

٨- (براعة الطلب: هو أن يشير الطالب إلى ما في نفسه) من غرض ويلوِّح بالطلب، بألفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح (دون أن يصرح في الطلب) فضلًا عن أن يلحف في المسألة. (كما في قوله) أي المتنبي:

وفي النفسِ حاجاتٌ وفيكَ فَطانـةٌ سكوتي كلامٌ عنـدَها وخِطـابُ

الفطانة: سرعة البديهة والذكاء وقوة الذاكرة مجتمعة. يقول: إن في نفسي أُمْنِيَّات أرجو منك قضاءها لولا حيائي ومعرفتي بحسن فطْنَتِكَ لطلبتها، ولكني أَكِلُ رَجَائي إلى ذكائك فاقْرَأ ما يخاطبك به لسان حالي إن استحييت من ذكره.

حسن الانتهاء

٩- حسن الانتهاء: هو أن يجعل آخر الكلام عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، فإن اشتمل على ما يشعر بالانتهاء سُمِّيَ براعةَ المقطع، كقوله:

بَقِيتَ بَقَاءَ الدهرِ يا كَهْفَ أهلِهِ   وهذا دعاءٌ للبريةِ شاملُ

٩- (حسن الانتهاء) وقال له: حسن الختام، و(هو أن يجعل) الشاعر (آخر الكلام) من قصيدته (عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، فإن اشتمل على ما يشعر بالانتهاء سُمِّيَ براعةَ المقطع) ليعود به على براعة الاستهلال؛ إذ هو آخر ما يبقى منه في الأسماع وربما حُفظ من بين سائر الكلام، لقرب العهد به، فينتهي الشاعر من قصيدته وقد ترك أثرًا طيبًا عند المتلقي (كقوله) أي الغزي:

(بَقِيتَ بَقَاءَ الدهرِ يا كَهْفَ أهلِهِ   وهذا دعاءٌ للبريةِ شاملُ)

يقول الغزي مختتمًا قصيدته في المدح: أبقاك الله خالد الأثر خلود الدهر على طول العمر ملجئًا للورى وملاذًا للعابرين سبيل الحياة على طول السرى، فإني وإن دعوت الله لك فإنما أدعو للناس معك؛ لِتَعَلُّقِ حَيَاتِهِمْ بحياتك، وأمنهم بسلامتك، فحياك الله وسلمك.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨١- ١٨٢].

تنبيه

ينبغي للمعلم أن يناقش تلامذته في مسائل كل مبحث شرحه لهم من هذا الكتاب؛ ليتمكنوا مِنْ فهمه جيدًا، فإذا رأى منهم ذلك سألهم مسائل أخرى يمكنهم إدراكها مما فهموه.

أ- كأن يسألهم بعد شرح الفصاحة والبلاغة وفهمهما عن أسباب خروج العبارات الآتية عنهما أو عن إحداهما:

١- كم طعنةٍ مُثْعَنْجِرَهْ وخطبةٍ مُسحَنْفِرَهْ

وجَفْنَةٍ مُدَعْثَرَهْ قد غُودِرَتْ بِأَنْقَرَهْ

أي: جفنة متكسرة، وطعنة سائلة، غودرت بأنقرة.

٢- الحمدُ لله العليِّ الأَجْلَلِ.

٣- أكلتُ العرينَ وشربتُ الصُّمَادِحَ. تريد اللحم والماء الخالص.

(تنبيه:

ينبغي للمعلم أن يناقش تلامذته في مسائل كل مبحث شرحه لهم من هذا الكتاب ليتمكنوا من فهمه جيدًا، فإذا رأى منهم ذلك) يعني إذا تيقن من فهمهم لمسائل البلاغة المشروحة بعد تثبيت العلم في صدورهم بالنقاش المفيد (سألهم مسائل أخرى) خارج مسائل البحث البلاغي الذي شرحه لهم بحيث (يمكنهم إدراكها مما فهموه) بالنظر فيه والقياس عليه. وذلك:

(أ- كأن يسألهم بعد شرح الفصاحة) سواء على مستوى الألفاظ؛ أي: خلوص الكلمة من الغرابة وتنافر الحروف والتعقيد، ومخالفة القياس، أو على مستوى الكلام، بمعنى خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحة المفردات، (والبلاغة) التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته (وفهمهما عن أسباب خروج العبارات الآتية عنهما أو عن إحداهما):

١ - قول امرئ القيس:

كـــم طعنـــةٍ مُثْعَنْجِـــرَهْ وخطبـــةٍ مُـــسحَنْفِرَهْ
وجَفْنَـــةٍ مُـــدَعْثَرَهْ قـــد غُـــودِرَتْ بِـــأنْقِرَهْ

وهي آخر كلمات تكلم بها امرؤ القيس بن حجر الكندي قبل مماته قافلًا من تركيا، قتله ملك الروم لما عشقته ابنته، بعد أن طاف بلاد العرب يطلب النصرة ويستجيش الجيوش لحرب بني أسد قاتلي أبيه. وجاء الخلل في استعمال كلمات متنافرة كمثعنجرة ومسحنفرة، حيث إنها لصعوبتها تبعد عن الفصاحة المطلوبة للكلام حتى تضطرك إلى البحث عنها في المعجم لمعرفة معناها فوق ما تعافاه النفس من عدم ائتلاف حروفها.

٢ - قول أبي النجم بن قدامة:

(الحمـــدُ لله العلـــيِّ الأَجْلَـــلِ أنـت مليـك النـاس ربًّـا فاقبـل)

وجوابه: أن الشاعر أراد أن يقول: العلي الأجل فاضطره وزن البيت إلى أن يضاعف حرف اللام من الأجَلّ، ليكون على مستفعلن فيتم البحر، فجعل الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب.

٣- (أكلتُ العرينَ وشربتُ الصُّمَادِحَ. تريد اللحم والماء الخالص) وهي من كلمة امرئ القيس عند موته، ووجه مخالفتها للفصاحة غرابتها على الأسماع.

٤- وازْوَرَّ مَـــــنْ كانَ لهُ زائـــــرًا   وعافَ عَافي العُـــرْفِ عِرْفَانَـــهْ

٥- ألا ليتَ شعري هلْ يَلُومَنَّ قومُـهُ   زُهَـيرًا على مـا جَـرَّ مـنْ كُلِّ جانـبِ

٦- منْ يهتدي في الفعلِ ما لا يَهتدي   في القـولِ حـتَّى يفعـلَ الـشعراءُ

أي: يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

٧- قربَ مِنَّا فرأيناهُ أَسدًا -تريدُ أبخرَ-.

٨- يجب عليك أن تفعل كذا، تقوله بشدة مخاطبًا لمن إذا فعل عُدَّ فِعْلُهُ كرمًا وفضلًا.

٤- قال الحريري في بعض مقاماته:

وازْوَرَّ مَـــنْ كـــانَ لـــهُ زائـــرًا   وعـــافَ عَـــافي العُـــرْفِ عِرْفَانَـــهْ

في اجتماع العين والفاء وتكرارها استثقال على اللسان يضر ببلاغة البيت.

٥- ألا ليتَ شعري هلْ يَلُومَنَّ قومُـهُ   زُهَيرًا على مـا جَـرَّ مـنْ كُـلِّ جانـبِ

يلومن: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة اتصالًا مباشرًا، قومه: فاعل مرفوع بالضمة والضمير فيه عائد على (زهيرًا)، وهو مفعول به منصوب والـضمير متـأخر لفظًـا، ومعنًـى، وحكمًـا، فتقـدَّمَ وحَقُّـه التـأخير، وذلـك مـن ضـعف التأليف.

٦- قال المتنبي:

مـنْ يهتـدي في الفعـلِ مـا لا يَهتـدي   في القـــولِ حتَّـــى يفعـــلَ الـــشعراءُ

رفـع الـشعراء عـلى الفاعليـة وعامـل الرفـع فيهـا الفعـل المنفـي: لا يهتـدي (أي: يهتـدي في الفعـل مـا لا يهتديـه الـشعراء في القـول حتـى يفعـل) فكأنـه ملهـم الـشعراء أقوالهم يستلهمونها من فعاله الحميدة، فلو لم يفعل هو ما قـالوا هـم شيئًا ولا اهتـدوا

إلى بيان. ففيه من التعقيد بالفصل بين الفعل وفاعله مع حذف الضمير الراجع إلى ما وهو قوله: (إليه)، وهذا لا يجوز إلا في ضرورة؛ لأنه من صلة ما.

٧- (قربَ مِنَّا فرأيناهُ أَسدًا -تريدُ أبخرَ-)؛ أي: كريه رائحة الفم، والأسد وإن كان معروفًا ببخره لكنه معروف أكثر بشجاعته، فإذا أطلق ذلك ولم يدل بالقرينة على مقصوده ذهب الذهن إلى أول ما يخطر له من الشجاعة، فوقع من ذلك التعقيد المعنوي.

٨- (يجب عليك أن تفعل كذا، تقوله بشدة مخاطبًا لمن إذا فعل عُدَّ فِعْلُهُ كرمًا وفضلًا) ويحسن في هذا المقام أن تقول: ينبغي لك؛ لأن الطلب ليس على وجه الوجوب.

(ب) - وكأنْ يسألهم بعد باب الخبر والإنشاء أن يجيبوا عما يأتي:

١- أمن الخبر أم الإنشاء قولك: الكل أعظم من الجزء، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [القَصَص: ٧٦]؟

٢- ما وجه الإتيان بالخبر جملةً في قولك: الحق ظهر، والغضب آخره ندم؟

(ب- وكأنْ يسألهم) الأستاذ (بعد باب الخبر والإنشاء أن يجيبوا عما يأتي:

١- أمن الخبر أم الإنشاء قولك: الكل أعظم من الجزء) بالنظر إلى مطابقته للنسبة الخارجية مِنْ عَدَمِهِ، فيصلح أن يقال فيه: صَدَقَ أَوْ كَذَبَ، (وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [القَصَص: ٧٦]؟) بالنظر إلى الجملة المحولة من الابتداء والخبر مع تأكيدها بإن لمناسبة حال المتشكك في صدقها.

(٢- ما وجه الإتيان بالخبر جملةً في قولك: الحق ظهر، والغضب آخره ندم؟) والجواب أنه قدم المسند إليه وأَخَّرَ المسند، وأتى به جملة لإفادة تقوية الحكم الواقع على المبتدأ بتكرار الإسناد، فكأنه قال: الحق ظهر هو، بعود الضمير على المبتدأ.

٣- ما الذي يستفيده السامع من قولك: أنا معترف بفضلك؟، أنت تقوم في السحر، رب إني لا أستطيع اصطبارا؟

٤- من أي الأضرب قوله تعالى -حكاية عن رسل عيسى-: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]، ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]؟

٥- هل للمهتدي أن يقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؟

٦- من أيِّ أنواعِ الإنشاء هذه الأمثلة، وما معانيها المستفادة من القرائن:

أولئكَ آبائي فَجِئْني بمثلِهِمْ إذا جمعتْنَا يا جريرُ المجامعُ

اعمَلْ ما بدا لك، لا ترجعْ عن غيِّك، لا أبالي أقَعَدَ أم قَامَ، ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سَبَإ: ١٧]، ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشُّعَرَاء: ١٨].

ليتَ هِندًا أنجزتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفسَنَا مما تَجِدْ

لو يأتينا فيحدثنا.

أسُكَّانَ العقيقِ كفى فراقًا.

(٣- ما الذي يستفيده السامع من قولك: أنا معترف بفضلك؟) مجيء الخبر وصفًا مشتقًّا يدل على الثبوت والتحقق، بخلاف مجيئه جملة فعلية فعلها مضارع نحو: (أنت تقوم في السحر) حيث يفيد التجدد والحدوث، أما قوله: (رب إني لا أستطيع اصطبارًا؟) فهذا يفيد الاسترحام.

(٤- من أي الأضرب) أي الأنواع الإسناد الإخباري (قوله تعالى -حكاية عن رسل عيسى-: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٤]) بعد أن كذبوا الرسولين فَعَزَّزَهُمَا الله بثالث، فلما كان منهم تكذيب مبدئي ناسب أن يؤكد بإن واسمية الجملة، ثم لما بالغ الكافرون في الإنكار بقولهم: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس:١٥]، بالغ الرسل في التوكيد فقالوا: (﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]) فأكد بـ(إنَّا) واللام واسمية الجملة.

(٥- هل للمهتدي أن يقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفَاتِحَة: ٦]؟) والجواب: يجوز على معنى طلب الزيادة في الاهتداء إلى الإسلام، وقد وعد الله بذلك فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧]، أو على معنى التثبيت.

(٦- من أيِّ أنواعِ الإنشاء هذه الأمثلة، وما معانيها المستفادة من القرائن): قول الفرزدق يفاخر جريرًا:

(أولئكَ آبائي فَجِئني بمثلِهِمْ　　　إذا جمعتْنَا يا جريرُ المجامعُ)

الأسلوب طلبي أمر، وهو طلب حصول الشيء على جهة الاستعلاء، كأن الفرزدق أراد تعجيز جرير بهذا الطلب، بعد أن أتى بالمسند إليه اسم إشارة لإحضار المشار إليه في ذهنه قريبًا بعيدًا في آن واحد، فأما كونه قريبًا فلناظره لعظم آبائه، وأما كونه بعيدًا فلعجزه أن يبلغ شأوهم. (اعمَلْ ما بدا لك) وجوابه: أسلوب إنشائي طلبي أمر الغرض منه التخيير، أما قوله: (لا ترجعْ عن غيِّك) فإنشائي نهي غرضه التهديد، وقوله: (لا أبالي أقَعَدَ أم قَامَ) غرضه التسوية، (﴿ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سَبَإ: ١٧]) استفهام بلاغي غرضه الوعيد، (﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٨]) استفهام منفي غرضه الإقرار بما يعرفه مع قصد الإنكار عليه والتوبيخ له. وقول عمر بن أبي ربيعة:

ليتَ هِندًا أنجزتْنا ما تَعِدْ　　　وشَفَتْ أنفسَنَا مما تَجِدْ

إنشائي غرضه التمني، وهو طلب ما فيه بعد.

(لو يأتينا فيحدثنا) إنشائي غرضه التمني.

(أسُكَّانَ العقيقِ كفى فراقًا) أسلوب نداء غرضه التحسر على فراقهم.

ج- وكأن يسألهم بعد الذكر والحذف عن دواعي الذكر في هذه الأمثلة:

﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠])

الرئيس كلمني في أمرك، والرئيس أمرني بمقابلتك -تخاطب غبيًّا-، الأمير نشر المعارف وأمن المخاوف، جوابًا لمن سأل: ما فعل الأمير؟

حضر السارق، جوابًا لقائل: هل حضر السارق؟

الجدار مشرف على السقوط، تقوله بعد سبق ذكره تنبيهًا لصاحبه.

فعباسٌ يَصُدُّ الخطبَ عنَّا وعباسٌ يُجِيرُ مَنِ استجارا

تقوله في مقام المدح.

(ج- وكأن يسألهم بعد) باب (الذكر والحذف عن دواعي الذكر في هذه الأمثلة:

﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]) فذكر المسند إليه وهو الفاعل ربهم لزيادة التقرير والإيضاح، (الرئيس كلمني في أمرك، والرئيس أمرني بمقابلتك -تخاطب غبيًّا-) تعريضًا بغباوته، و(الأمير نشر المعارف وأمن المخاوف، جوابًا لمن سأل: ما فعل الأمير؟) تعظيمًا للمسند إليه بما يترتب عليه من بيان أهمية الحكم.

وتقول: (حضر السارق، جوابًا لقائل: هل حضر السارق؟) فتعيد ذكر المسند إليه تحقيرًا لأمره وإهانة له، (الجدار مشرف على السقوط، تقوله بعد سبق ذكره تنبيهًا لصاحبه) لقلة الثقة بالقرينة الدالة على احتمال السقوط، أو لقلة الثقة بفهم المخاطب.

(فعباسٌ يَصُدُّ الخطبَ عنَّا وعباسٌ يُجِيرُ مَنِ استجارا

تقوله في مقام المدح) أعاد ذكر المسند إليه تعظيمًا له.

وعن دواعي الحذف في هذه الأمثلة:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧]، ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ٢]، ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨].

منضجة الزروع ومصلحة الهواءِ، محتالٌ مرواغٌ بعد ذكر إنسان.

أَمْ كيفَ ينطِقُ بالقبيحِ مُجاهِرًا والهرُّ يُحدثُ ما يشاءُ فيَدْفِنُ

(و) يسألهم (عن دواعي الحذف) يعني حذف المسند إليه (في هذه الأمثلة:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠]) بني الفعل للمجهول وحذف الفاعل للعلم به، وقوله: (﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧]) أي: صدق هو، والضمير عائد على معهود سابق، وقوله: (﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ٢]) لكون المسند إليه معلومًا حقيقة، فالله وحده هو مَنْ يحكم له بالخلق. وقوله: (﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]) أي: فَأَمْرِي أو صَبْرِي صبر جميل، حذف المسند إليه تكثيرًا للفائدة؛ حيث يتصور أن يكون المسند إليه أكثر من شيء. أو لاختبار تنبه السامع له عند القرينة، نحو: (منضجة الزروعِ ومصلحة الهواءِ) تريد الأمطار مثلًا. أو تقول: (محتالٌ مرواغٌ بعد ذكر إنسان) تطهِّر لسانك عن ذكره.

ومثله قول الشاعر:

أَمْ كيفَ ينطِقُ بالقَبيحِ مُجَاهِرًا والهرُّ يُحدثُ ما يشاءُ فيَدْفِنُ

يستنكر كيف أقدم الفاعل الذي لم يذكره على فعل القبيح متبجحًا به، على حين يستر القط ناتج قضاء حاجته.

❁❁❁

د- وكأن يسألهم عن دواعي التقديم والتأخير في هذه الأمثلة:

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤].

ما كُلُّ ما يتمنى المرءُ يدركُهُ.

السفاح في دارك، إذا أقبل عليك الزمان نقترح عليك ما نشاء، الإنسان جسم نام حساس ناطق، اللهَ أسألُ أن يصلح الأمر، الدهر ملأ فؤادي شيبًا، ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦].

ثلاثــةٌ تُــشْرِقُ الدُّنيــا بِبَهْجَتِهَــا ... شَمسُ الضُّحَى وأبو إسحاقَ والقَمَـرُ

وَمَــا أنــا أسْــقَمْتُ جِــسْمِي بِــهِ ... وَمـا أنـا أَضْرَمْـتُ في القلـبِ نـارًا

(د- وكأن يسألهم) الأستاذ (عن دواعي التقديم والتأخير في هذه الأمثلة:

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]) للتنبيه على أن المسند هنا خبر وليس صفة لأحد.

قول المتنبي من قصيدة يمدح بها كافورًا: (ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركُهُ) قدم أداة النفي على كل، وهي أداة عموم لسلب هذا العموم، فكأنه يريد أن بعض ما يتمناه المرء قد يدركه ولا يدرك كل ما يتمنى.

(السفاح في دارك) قدم المسند إليه، وهو المبتدأ على الأصل في تقديمه عناية بذكره والتنبيه عليه لخطورته، (إذا أقبل عليك الزمان نقترح عليك ما نشاء) لإفادة تقييد المسند.

(الإنسان جسم نام حساس ناطق) قدم المسند إليه على الأصل في تقديم المبتدأ حتى يتسنى أن يحكم عليه بالخبر.

(اللهَ أسألُ أن يصلح الأمر) قدم المفعول على الفعل تخصيصًا له بالسؤال، فلا يسأل إلا هو، وذلك على تقدير تأخر المفسر، وإن قدر المفسر قبل الاسم المنصوب فهو من باب التوكيد بتكرير اللفظ.

(الدهر ملأ فؤادي شيبًا) لاختصاص المسند إليه بالفعل، فكأنه جواب سؤال: مَنْ مَلَأَ فُؤَادَكَ شيبًا؟ فتجيب: الدهر مَلَأ، وليس غيره، فتخصص الحكم بالمسند إليه. وقوله: (﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]) لإفادة قصر المسند إليه على المسند، بمعنى: دينكم مقصور عليكم لا يتعدى إليَّ، وديني مقصور عليَّ لا يتعدى إليكم.

وقول الشاعر:

ثلاثــةٌ تُــشْرِقُ الــدُّنيا ببَهْجَتِهَــا   شَمسُ الضُّحَى وأبو إسحاقَ والقَمَرُ

قدم المسند -وهو الخبر ثلاثة- على المسند إليه وهو المبتدأ لداعية التشويق إليه.

وقول المتنبي:

(وَمَــا أنــا أسْــقَمْتُ جِــسْمِي بِــهِ   وَمـا أنـا أَضْـرَمْتُ في القلـبِ نـارَا)

قدم المسند وهو المبتدأ أنا، لإفادة تخصيصه بالخبر الفعلي، والمعنى أن هذا السقم الموجود بجسمي والضرم الثابت بقلبي ما أنا جالب لهما، فالقصد إلى نفي كونه فاعلًا لهما لا إلى نفيهما.

❁❁❁

هـ- وكأن يسألهم عن أغراض التعريف، والتنكير في هذه الأمثلة:

إذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ مَلَكْتَهُ وإنْ أنتَ أكرمْتَ اللئيمَ تمرَّدَا

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

عباسُ عباسٌ إذا احتدَمَ الوَغَى والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ

قرأنا شعر أبي الطيب، وحبيب، ولم نقرأ شعر الوليد.

﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

هذا أبُو الصَّقرِ فردًا في محاسِنِهِ مِنْ نَسْلِ شيبانَ بينَ الضَّالِ

(هـ- وكأن يسألهم) الأستاذ (عن أغراض التعريف، والتنكير في هذه الأمثلة):

قول المتنبي:

(إذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ مَلَكْتَهُ وإنْ أنتَ أكرمْتَ اللئيمَ تمرَّدَا)

عرف المسند إليه بقرينة الخطاب لإفادة العموم، فكل من يسمع الكلام يحمل الخطاب على نفسه.

(﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]) أورد ذكرهم مضمرًا فالمقام مقام غيبة، (﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]) ذكره بكنيته تحقيرًا له ولدوام إهانته مع كل تلاوة. وقوله: (﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]) عرف المسند إليه بالعلمية إحضارًا له في ذهن السامع مع تعظيمه.

وقول أبي النواس:

(عبـاسُ عبـاسٌ إذا احتـدَمَ الـوَغَى　　　والفـضلُ فـضلٌ والربيـعُ ربيـعُ)

احتدم الوغى: اشتدت الحرب والتهبت. عرف المسند إليه في البيت بالعلمية لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختص به، ثم حكم على كل مبتدأ بالخبر الخاص به، فجعل عباسًا في شدته أسدًا، فالعباس من أسماء الأسد، وجعل الفضل في كرمه فضلًا، وجعل الربيع في مواتاته ودماثته ربيعًا.

(قرأنا شعر أبي الطيب، وحبيب، ولم نقرأ شعر الوليد) أورد ذكر أبي الطيب بكنيته تعظيمًا.

(﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١]) عرف المسند إليه باسم الإشارة الدالة على القرب ذريعة لتقليل الشأن في زعمهم.

قول ابن الرومي يمدح أبا الصقر وزير المعتمد:

(هـذا أبُـو الـصَّقرِ فـردًا في محاسِـنِهِ　　　منْ نَسْلِ شيبانَ بينَ الضَّالِ والسَّمُرِ)

الضال: جمع ضالة، وهو شجر السدر البري. والسلم جمع سلمة وهو شجر ذو شوك من شجر البادية. (وفردًا) نصب على المدح أو الحال من الخبر، يعني أن قومه مقيمون بالبادية؛ لأن فقد العز في الحضر. وقد أحضر المسند إليه في ذهن السامع بواسطة الإشارة إليه حسًّا؛ ليحصل له أكمل تعيين.

❁❁❁

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢]، الذي خاط ملابس الأمير خاط هذا الثوب، أخذ ما أعطيته وسار، الرجل خير من المرأة، ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التوبة: ٩٤].

اليومَ يستقبلُ الآمالَ رَاجِيهَا.

لبث القوم ساعة وقضوا الساعة في الجدال، ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤]، ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشعراء: ٤١].

وقوله تعالى: (﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]) جاء بـ(ما) موصولة مبهمة تفخيمًا وتعظيمًا؛ لتدل على الشيء الكثير أو الخطير الموحى به. وقوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٢]) إيماء إلى أن الخبر المبني على الموصول مما ينبئ عن الخيبة والخسران، وتعظيم لشأن شعيب عليه السلام.

(الذي خاط ملابس الأمير خاط هذا الثوب) تعظيمًا لشأن الخبر عن طريق الإيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس الرفعة والبناء عند من له ذوق سليم.

(أخذ ما أعطيته وسار) لتحقيق الخبر.

(الرجل خير من المرأة) تعريف المسند إليه بأل الجنسية لإرادة نفس الحقيقة، يعني مفهوم مسمى الرجل بقطع النظر إلى الأفراد المنضوين تحت هذا المفهوم خير من مفهوم مسمى المرأة، وإلا ففي النساء أفراد خير من أفراد الرجال.

وقوله: (﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التوبة: ٩٤]) التعريف بأل الجنسية المفيدة للاستغراق؛ أي: كل غيب وكل شهادة.

(اليومَ يستقبلُ الآمالَ رَاجِيهَا) عرف الآمال بأل المفيدة للعهد الذهني.

(لبث القوم ساعة وقضوا الساعة في الجدال) عرف الساعة باللام المفيدة للعهد الذكري، بعد أن تقدم ذكرها نكرة.

وقوله: (﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]) عرفه بأل العهد أي: محمدًا، المعهود في أذهانكم.

❁❁❁

ادخل السوق، واشتر اللحم، زيد الشجاع، علماء الدين أجمعوا على كذا، ركب وزراء السلطان، هذا قريب اللص، أخو الوزير أرسل لي.

وإن شفائي عبرة مهراقة.

يا بواب افتح الباب، ويا حارس لا تبرح، ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القَصَص: ٢٠]، ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٧]، إن له لإبلًا، وإن له لغنمًا، ما قدم من أحد.

وللهِ عِندي جانبٌ لا أُضِيعُهُ ... ولِلَّهوِ عندي والخلاعَةِ جانبُ

فيومًا بِخَيْلٍ تطرُدُ الرُّومَ عنهُمُ ... ويومًا بجودٍ يطرُدُ الفَقْرَ والجَدْبَا

(ادخل السوق، واشتر اللحم) عرفه بأل العهد؛ أي المعهود لك عهدًا ذهنيًّا.

(زيد الشجاع) عرف المسند إليه بالعلمية والمسند بأل لقصره على المسند إليه؛ مبالغة لكمال معناه في المحكوم عليه، فكأن الشجاعة لم توجد إلا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال.

(علماء الدين أجمعوا على كذا) عرف المسند إليه بالإضافة إلى المعرفة بأل لإفادة الاختصاص.

(ركب وزراء السلطان) عرف المسند إليه وزراء بالإضافة إلى السلطان تعظيمًا لشأنهم.

(هذا قريب اللص) عرفه بالإضافة إليه تحقيرًا.

(أخو الوزير أرسل لي) عرفه بالإضافة إلى الوزير تحريضًا على التكريم.

وقول امرئ القيس: (وإن شفائي عبرة مهراقة) الإضافة لضمير المتكلم؛ إغناءً عن تفصيل مرجوح.

(يا بواب افتح الباب) نكر المسند إليه قصدًا إلى إفراد واحد ممن يقع عليهم جنس البواب. (ويا حارس لا تبرح) للإفراد كذلك.

(﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القَصَص: ٢٠]) للإفراد؛ أي واحد من الرجال.

وقوله: (﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٧]) نَكَّرَهَا للنوعية؛ أي للدلالة على نوعية الغشاء الذي غطى عيونهم.

(إن له لإبلًا، وإن له لغنمًا) نكَّر إبلًا وغنمًا للتكثير.

(ما قدم من أحد) للتعميم، فالنكرة في سياق النفي تفيد الشمول.

(وللهِ عِندي جانبٌ لا أُضيعُهُ   ولِلَّهْوِ عندي والخلاعَةِ جانبُ)

نكَّر جانب الأول تعظيمًا، ونكر جانب الثاني تهوينًا.

وقول المتنبي يمدح سيف الدولة:

(فيومًا بِخَيْلٍ تطرُدُ الرُّومَ عنهُمُ   ويومًا بجودٍ يطرُدُ الفقْرَ والجَدْبَا)

نكَّر لفظ خيل ونكَّر لفظ جود، يريد بعدد قليل من الخيل، وبمقدارٍ قليل من الجود، وقد دلَّ التنكير فيهما على التقليل ما في السِّياق من المدح والإطراء البالِغَيْنِ من المتنبي لسيف الدولة.

وقوله تعالى: (﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فَاطِر: ٤]) نكَّر المسند إليه تعظيمًا وتكثيرًا؛ أي: رسل ذوو عدد كثير وآيات عظام، وأعمار طويلة.

وقوله على لسان سحرة فرعون: (﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشُّعَرَاء: ٤١]) أي: أجرًا عظيمًا.

و- وكأنْ يسألهم بعد التشبيه عن التشبيهات الآتية:

وقدْ لاحَ في الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لمَن رَأى ... كَعُنْقُـودِ مُلَّاحِيَّـةٍ حـينَ نَـوَّرَا
كَأَنَّمَـا النَّـارُ في تَلَهُّبِهَـا ... وَالفَحْـمُ مِـنْ فَوْقِهَـا يُغَطِّيهَـا
زَنْجِيَّـةٌ شَـبَّكَتْ أنامِلَهَـا ... مِـنْ فَـوْقِ نَارَنْجَـةٍ لِتُخْفِيهَـا
وكـأنَّ أجـرامَ النُّجُـومِ لَوَامِعًـا ... دُرَرٌ نُـثِرْنَ على بِـسَاطٍ أَزْرَقِ
عَزَمَاتُـهُ مثـلُ النجـومِ ثَوَاقِبًـا ... لَـوْ لـم يكـنْ للثاقبـاتِ أُفُـولُ
ابْـذُلْ فَـإِنَّ المـالَ شَـعْرٌ كُلَّمَـا ... أَوْسَـعْتَهُ حَلْقًـا يزيـدُ نَبَاتَـا
ولما بـدَا لي منـكِ ميـلٌ مَـعَ العِـدَا ... عليَّ ولـم يحـدُثْ سِـوَاكِ بَـديلُ
صَدَدْتُ كما صَدَّ الـرَّمِيُّ تَطَاوَلَـتْ ... بـه مُـدَّةُ الأيـامِ وهْـوَ قَتِيـلُ
رُبَّ حَيٍّ كَمَيِّـتٍ لَـيْسَ فِيـهِ ... أَمَـلٌ يُـرْتَجَى لنفـعٍ وَضُرِّ
وعظـامٍ تحـتَ الـترابِ وفـوقَ الْـ ... أرضِ منهـا آثـارُ حمـدٍ وشُـكْرِ
كأن انتضاء البدرِ مِن تحتِ غيمـةٍ ... نجـاةٌ مـنَ البأسـاءِ بعـدَ وقـوعِ

(و- وكأنْ يسألهم) الأستاذ (بعد) درس (التشبيه، عن التشبيهات الآتية):

قول أبي قيس بن الأسلت:

(وقدْ لاحَ في الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لمَن رَأى ... كَعُنْقُـودِ مُلَّاحِيَّـةٍ حـينَ نَـوَّرَا)

الثريا: مجموعة النجوم التي تظهر في السماء على شكل مثلث. ملاحية: بضم الميم وتشديد اللام وتخفيفها: عنب أبيض. يقول: إن الثريا تشبه عنقود العنب الأبيض المضيء إذا تفتح نَوْره؛ أي: زهره؛ تشاهدها في السماء عند تنفس الصبح. وقد شبه الثريا بعنقود الملاحية؛ أي: العنب، فالمشبه هو الثريا والمشبه به عنقود

الملاحية، وأداة الشبه الكاف، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من تجمع النجوم على شكل العنقود.

(كَأَنَّمَا النَّارُ في تَلَهُّبِهَا وَالفَحْمُ مِنْ فَوْقِهَا يُغَطِّيهَا
زَنْجِيَّةٌ شَبَّكَتْ أنامِلَهَا مِنْ فَوْقِ نَارَنْجَةٍ لِتُخْفِيهَا)

شبه الشاعر الفحم الموضوع على النار المشتعلة بجارية زنجية سوداء تشبك أصابعها فوق ثمرة نارنج التي تشبه البرتقالة في محاولة لإخفائها، فتظهر حمرة النار وتلهبها من بين قطع الفحم، كما تظهر النارنجة من بين أصابع الزنجية، فالتشبيه مركب منتزع مِنْ هَيْئَة حاصلة من اجتماع الفحم والنار بهيئة حاصلة من وضع الزنجية يدها فوق نارنجة.

وقول أبي الطيب الرقي:

(وكَأَنَّ أجرامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرَرٌ نُثِرْنَ علَى بِسَاطٍ أَزْرَقِ)

يشبه الهيئة الحاصلة من اجتماع النجوم مفترقات مؤتلفات في صفحة السماء، وقد مازجت زُرقةُ لونها بياضَ نورها بالدر المنثور على بساط أزرق. فالتشبيه مركب منتزع من هيئتين، والمشبه مركب من انتشار النجوم اللامعة على أديم السماء، والمشبه به مُرَكَّب كذلك من اللآلئ منتشرة على بساط أزرق، ولكل جزء من أجزاء المشبه ما يناظره في الطرف الآخر من المشبه به، ولكن الشاعر أراد تشبيه هيئة مجتمعة بهيئة مجتمعة، وأداته (كأن)، ووجْهُ الشَّبَهِ: الانتشار مع اللمعان.

وقول جمال الدين الوطواط:

(عَزَمَاتُهُ مثلُ النجومِ ثَوَاقِبًا لَوْ لم يكنْ للثاقباتِ أُفُولُ)

عزماته: همته وأفعاله، ثواقبًا: مضيئة مرتفعة على غيرها من النجوم، أفول: غروب. يقول: إن همة وأفعال الممدوح تلوح للناظرين مضيئة تشبه النجوم

اللامعات، لولا أن النجوم تغرب وأفعاله لا غروب لها. فالعزمات مُشَبَّهٌ مُفْرَد، والمشبه به مركب من النجوم الموصوفة بالثواقب، وأداة التشبيه: (مثل)، ووجه الشبه: (شدة الإضاءة). وهذا التشبيه يسمَّى بالتشبيه المشروط، وهو التشبيه الذي يقيَّد فيه المشبَّه أو المشبَّه به أو كلاهما بشرط وجودي أو عدمي أو مختلف يدلُّ عليه بصريح اللفظ، كقوله هنا: لو لم يكن...، أو بدلالة السياق.

وقول الآخر:

(ابْذُلْ فَإِنَّ المالَ شَعْرٌ كُلَّمَا ... أَوْسَعْتَهُ حَلْقًا يزيدُ نَبَاتَا)

ابذل: من البذل وهو العطاء والجود. يقول: أكثر من العطاء ولا تخش إقلالًا، فالمال مثل الشعر، كلما حلقته غزرت مادته وكثفت رقعته. وقوله: (المال شعر)، تشبيه مؤكد حُذِفَ منه أداة الشبه.

ولعبد الله بن الدمينة يشكو ما فعل به حبه لنوار:

(ولما بدَا لي منكِ ميلٌ مَعَ العِدَا ... عليَّ ولم يحدُثْ سِوَاكِ بَديلُ
صَدَدْتُ كما صَدَّ الرَّمِيُّ تَطَاوَلَتْ ... به مُدَّةُ الأيامِ وهْوَ قَتِيلُ)

الرمي: الصيد المرمي. يقول: لما ظهر لي ميلك مع الأعداء مكان ميلك إليَّ، ولم يحدث لي بديل مكانك وعوضًا منك؛ أعرضت عنك إعراض يأس لا إعراض بغض، وأنا أعلم أن هواك قاتلي، فكأني مثل المرمي من الصيد المصاب بسهم الصياد، وهو قتيله؛ لأن الإصابة عملت عملها، لكن المدة تطاولت به، فهو رهين بإصابته ولا شك أنه ميت. ووجه الشبه هنا هيئة مركبة عقلية هي طلب البعد يأسًا من إقبال المحبوب، مع العلم بأن هذا البعد يورث الهلاك، فالتشبيه تمثيلي.

ولأبي تمام:

(رُبَّ حَيٍّ كَمَيِّتٍ لَيْسَ فِيهِ ... أَمَلٌ يُرْتَجَى لنفعٍ وَضُرٍّ

وعظـامٍ تحـتَ التـرابِ وفـوقَ الْـ أرضِ منهـا آثـارُ حمـدٍ وشُـكْرِ)

شبه الشاعر الإنسان الحي العاري عن الفائدة بالميت لا رجاء منه ولا أمل في أن ينفع أو يضر، بينما يعيش المرء النافع في حياته وبعد مماته وتشهد آثاره الدائمة على خلوده. فالتشبيه هنا من باب تشبيه المعقول وهو النفع وعدمه بالمعقول وهو الحياة والموت.

(كأن انتضاءَ البدرِ مِن تحتِ غيمةٍ نجـاةٌ مـنَ البأسـاءِ بعـدَ وقـوعِ)

انتضاء: تجرد وظهور وانتزاع مما يرتدي، البأساء: المرض. يقول: البدر يشبه في انجلائه من تحت سحابة عرضت له، نجاة من كرب يقع فيه. والمشبه محسوس، والمشبه به معقول. وقد شبه هيئة انتضاء البدر من تحت الغيم بالهيئة الحاصلة من النجاء من البأساء بعد الوقوع فيها، ووجه الشبه التخلص من حالة إلى حالة أفضل، فهو تشبيه مركب كذلك.

❁❁❁

ز- وكأن يسألهم عن المحسنات البديعية فيما يأتي:

كانَ مـــــا كانَ وزالا فـــاطَّرِحْ قِـــيلًا وقَـــالا
أيُّهـــا المعـــرِضُ عَنَّـــا حـــسبُكَ اللهُ تعـــالى

ليتَ المَنِيَّةَ حَالَتْ دونَ نُصْحِكَ لِي فيـستريح كلانـا مـنْ أذى التُّهَـمِ

يحيي ويميت، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

خُلِقُـوا ومـا خُلِقُـوا لِمَكْرُمَـةٍ فكـأنهمْ خُلِقـوا ومـا خُلِقـوا
علَى رأسِ حُـرٍّ تـاجُ عِـزٍّ يزينـهُ وفي رِجْـلِ عبـدٍ قَيْـدُ ذُلٍّ يَـشِينُهُ
نهبتَ مِنَ الأعمَـارِ مـا لَـوْ حَوَيْتَـهُ لَهُنِّئَـتِ الدنيـا بَأَنَّـكَ خَـالِدُ
واستَوْطَنُوا السِّرَّ مني وَهْـوَ مـنزِلُهُمْ ولا أَفُـوهُ بِـهِ يومًـا لِغَـيرِهِمُ
مَـنْ قـاسَ جَـدْوَاكَ يومًـا بالـسُّحْبِ أَخْطـأ مَـدْحَكْ
الـسُّحْبُ تعطـي وَتَـبْكِي وأنـتَ تُعْطِـي وتَـضْحَكْ
آراؤكُـمْ وَوُجُـوهُكُمْ وَسُـيُوفُكُمْ في الحَادِثَـاتِ إِذَا دَجَـوْنَ نُجُـومُ
مِنْهَـا مَعَـالِمُ لِلْهُـدَى وَمَـصَابحٌ تجلُـو الدُّجَى والأُخْرَيَـاتُ رُجُـومُ

(ز- وكأن يسألهم) الأستاذ (عن المحسنات البديعية فيما يأتي:

(كـانَ مـا كـانَ وزالا فـاطَّرِحْ قِـيلًا وقَـالا
أيُّهـا المعـرِضُ عَنَّـا حـسبُكَ اللهُ تعـالى)

والجواب: أن في قوله: (حسبك الله تعالى) تورية، إذا أطلق كلمة (تعالى) لها معنيان؛ قريب بمعنى المتنزه عما لا يليق به، وبعيد مراد فعل أمر بمعنى أقبل.

قول صفي الدين الحلي:

(ليتَ المَنِيَّةَ حَالَتْ دونَ نُصْحِكَ لِي فيـستريح كلانـا مـنْ أذى الـتُّهَمِ)

يقول: ليت الموت وقع فلم أسمع ما نصحتني به، حينئذ يستريح كل منا من التهمة، فإنه أبهم بمن يقع الموت، به أو بناصحه.

(يحيي ويميت) بينهما تضاد وهما فعلان، وقوله: (﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]) مطابقة بلفظين من نوعين مختلفين، فقابل بين الفعل أحييناه وبين الاسم ميتًا.

(خُلِقُوا وما خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ ... فكأنهمْ خُلِقوا وما خُلِقوا)

بين قوله: خلقوا وما خلقوا، طباق بالسلب، وهو الجمع بين مصدري فعل على جهة الإثبات والنفي.

وأورد شرف الدين مستوفي إربل، ونسب لعنترة:

(علَى رأسِ حُرٍّ تاجُ عِزٍّ يزينهُ ... وفي رِجْلِ عبدٍ قَيْدُ ذُلٍّ يَشِينُهُ)

فقابل بين ستة أشياء وستة: بين رأس ورجل، وحر وعبد، وتاج وقيد، وعز وذل، ويزين ويشين.

وقال المتنبي يمدح سيف الدولة:

(نهبتَ مِنَ الأعمَارِ ما لَوْ حَوَيْتَهُ ... لَهُنِّئَتِ الدنيا بأَنَّكَ خَالِدُ)

وهذا من التوجيه؛ وهو المدح بشيء يستتبع المدح بشيء آخر، حيث مدح سيف الدولة بشجاعته واقتحامه الموت حتى أفنى أعمار أعدائه، فاستتبع هذا الطريق مدحًا آخر بمجده وضرورته لإصلاح الدنيا حتى إنها تسعد بخلوده وتهنَّأ على ذلك.

(واستَوْطَنُوا السِّرَّ مني وَهْوَ منزِلُهُمْ ... ولا أَفُوهُ بِهِ يومًا لِغَيرِهِمُ)

مطابقة خفية بين السر وبين لا أفوه.

(مَنْ قاسَ جَدْوَاكَ يومًا ... بالسُّحْبِ أَخْطأ مَدْحَكْ
السُّحْبُ تعطي وَتَبْكِي ... وأنتَ تُعْطِي وتَضْحَكْ)

وقع من البديع في بيتي الشاعر ما يعرف بالتفريق؛ حيث جمع بين عطاء السحب وعطاء الأمير وهما من نوع واحد، لكن فرق بينهما في الحكم، فعطاء السحب يشبه عطاء المتألم للعطاء يبكي وهو يمنح، وعطاء الأمير هو عطاء الأريحي يعطي مستريحًا للندا والجود.

وقال ابن الرومي:

(آراؤكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ ... في الحَادِثَاتِ إذَا دَجَوْنَ نُجُومُ

مِنْهَا مَعَالِمُ لِلْهُدَى وَمَصَابِحٌ ... تجلُو الدُّجَى والأُخْرَيَاتُ رُجُومُ)

دجون: أظلمن مما بهن من نكبات، الدجى: الليل المظلم شديد السواد، رجوم: مقذفة كالحجارة. يقول: إن آراءكم معالم يهتدى به لحكمتها وصوابها، ووجوهكم كالمصابيح تنير ظلمات الليل، وسيوفكم كالشهب ترجم الأعداء وتطردهم. وفي البيت طي ونشر، أو لف ونشر؛ فقد أورد ثلاثة أشياء على جهة اللف ثم ذكر ما يلائم كلًّا منها على جهة النشر المرتب. وفيه كذلك الجمع؛ حيث جمع بين أشياء مختلفة في حكم واحد؛ فحكم على الآراء والوجوه والسيوف بأنها نجوم ثم فصل ما أجمل في البيت التالي.

❁❁❁

إنمـــا هَـــذِهِ الحيَـــاةُ مَتَـــاعٌ والـــسَّفِيهُ الغَـــبِيُّ مَـــنْ يَـــصْطَفِيهَا

مـــا مَـــضَى فـــاتَ والمؤَمَّـــلُ غَيْـــبٌ ولـــكَ الـــسَّاعَةُ الـــتي أَنْـــتَ فيهـــا

وسَـــابق أيـــانَ وجَّهْتَـــهُ رأيتَـــه يـــا صـــاحِ طـــوعَ اليـــدِ

في الـــسَّبْقِ لمـــا لـــم يجِـــدْ مُـــشْبِهًا سَـــابَقَ أَفْـــكَاري إلى المقـــصد

لا عيبَ فيهِمْ سِوَى أَنَّ النَّزِيلَ بِهِمْ يَسْلُو عَنِ الأهلِ والأوطانِ والحشَمِ

عاشِرِ النـــــاسَ بالجميـــــــلِ وخَـــلِّ المُزاحَمَـــهْ

وَتَـــيَقَّظْ وقُـــلْ لمـــنْ يَتَعَـــاطَى الْمِـــزَاحَ مَـــهْ

فَلَـمْ تَـضَعِ الأعادي قَـدْرَ شَـاني ولا قـالوا فُـلانٌ قَـدْ رَشَـاني

أيُّ شيء أطيب من ابتسام الثغـور، ودوام الـسرور، وبكـاء الغمـام، ونـوح الحمام.

وقال عثمان بن إبراهيم الغزي:

(إنمـــا هَـــذِهِ الحيَـــاةُ مَتَـــاعٌ والـــسَّفِيهُ الغَبِـــيُّ مَـــنْ يَـــصْطَفِيهَا

مـــا مَـــضَى فـــاتَ والمؤَمَّـــلُ غَيْـــبٌ ولـــكَ الـــسَّاعَةُ التـــي أَنْـــتَ فيهـــا)

وفي ذلك من المحسنات المعنوية ما يعرف بالتقسيم، حيث استوفى أقسام الحياة بين ما فات وما هو غيب وما هو حاضر.

وقال آخر يصف فرسه:

(وسَـــابق أيـــانَ وجَّهْتَـــهُ رأيتَـــه يـــا صـــاحِ طـــوعَ اليـــدِ

في الـــسَّبْقِ لمـــا لـــم يجِـــدْ مُـــشْبِهًا سَـــابَقَ أَفْكَـــاري إلـــى المقـــصد)

يقول: إن فرسه سريع مطواع مستجيب لما يطلبه فارسه، فإذا رأيته في مضمار السباق وهو يسابق الخيول المضمرة فيسبقهم ويخلفهم وراءه، ولما لم يجد له شبيهًا في السرعة، سواء في السبق أو في إجابة الطلب سابق أفكاري إلى ما أقصده منه. في الكلام مبالغة وغلو؛ حيث إن وصف الفرس بسبقه لخواطر صاحبه مستحيل عقلًا وعادة.

وقال صفي الدين الحلي:

(لا عيبَ فيهِمْ سِوَى أَنَّ النَّزِيـلَ بِهِـمْ يَسْلُو عَنِ الأهلِ والأوطانِ والحشَمِ)

وهذا من المدح بما يشبه الذم؛ حيث إنهم جمعوا خلال الكمال غير خلة واحدة فضيفهم إذا حل بهم سلا أهله ووطنه وخدمه. وتلك صفة تؤكد ما مدحوا به.

وقال آخر:

(عاشِــرِ النـــاسَ بالجميـــ ـــلِ وخَـــلِّ المزاحَمَـــهْ
وَتَـــيَقَّظْ وقُـــلْ لمـــنْ يَتَعَـــاطَى الْمِـــزَاحَ مَـــهْ)

يقول: عاشر الناس بالخلق الجميل ولا تزاحمهم في طلب الدنيا، وكن جادًّا وانتبه لمن يريد المزاح والعبث، وانهه عن ذلك. وفي البيت جناس مركب مفروق بين قوله: المزاحمه، وبين قوله: المزاح مه.

وقول الآخر:

(فَلَـمْ تَـضَعِ الأعـادي قَـدْرَ شَـاني ولا قــالوا فُــلانٌ قَــدْ رَشَــاني)

ففيه جناس مركب ملفق بين قوله: قدر شاني، وقوله: قد رشاني.

(أيُّ شيء أطيب من ابتسام الثغور، ودوام السرور، وبكاء الغمام، ونوح الحمام)

وقع في ذلك من المحسنات الجناس الناقص بين الثغور والسرور، حيث وقع الاختلاف بين هيئة الحروف، والجناس الناقص اللاحق بين: الغمام والحمام.

كمالُكَ تحت كلامك.

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [لقمان: ٢٩].

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنِيَّةِ إنها ... شَرَكُ الرَّدَى وَقَرارَةُ الأَكْدارِ
دارٌ متى مَا أَضحكَتْ في يومِها ... أَبْكَتْ غدًا تبًّا لها مِنْ دَارِ

مَدَحْتُ مجدَكَ والإخلاصُ مُلْتَزِمي ... فِيهِ وحُسْنُ رَجَائي فيكَ مُخْتَتَمِي

ولا يصعب على المعلم اقتفاء هذا المنهج، والله الهادي إلى طريق النجاح.

(كمالك تحت كلامك) وفي ذلك من المحسنات العكس اللفظي، أو ما لا يستحيل بالانعكاس، حيث تُقرأ الجملة من أولها ومن آخرها بنفس المعنى والألفاظ.

(﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [لقمان: ٢٩]) وفي ذلك ما يعرف بالعكس المعنوي أو التبديل؛ حيث عكس بين متعلقي فعل يولج في الجملتين.

وقال الحريري في مقامته الشعرية:

(يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنِيَّةِ إنها ... شَرَكُ الرَّدَى وَقَرارَةُ الأَكْدارِ
دارٌ متى مَا أَضحكَتْ في يومِها ... أَبْكَتْ غدًا تبًّا لها مِنْ دَارِ)

وفي هذا من المحسنات ما يعرف بالتوشيح؛ حيث بنى البيتين على بحرين شعريين أحدهما الكامل، والآخر مجزوءه. فيمكنك أن تتم البيت ويتم المعنى، أو تقف على القافية الأولى فيستقيم لك معناه، تقول:

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنِيَّـ ... ـةِ إنها شَرَكُ الرَّدَى
دارٌ متى مَا أَضحكَتْ ... في يومِها أَبْكَتْ غدا

(مَدَحْتُ مجدَكَ والإخلاصُ مُلْتَزِمي ... فِيهِ وحُسْنُ رَجَائي فيكَ مُخْتَتَمِي)

وفي ذلك ما يعرف ببراعة الختام من المصنف؛ حيث ختم كتابه بهذا البيت المتضمن لما يعرف بحسن الختام، حيث انتهى بما يحسن السكوت عليه فلم يعد المخاطب ينتظر غيره. فقد توجه المصنف إلى الله بمدح مجده معلنًا إخلاصه وحسن رجائه فيه، وجعل ذلك مسك الختام.

(ولا يصعب على المعلم اقتفاء هذا المنهج) في الشرح والمناقشة والتدريب، (والله الهادي إلى طريق النجاح)، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

١-أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٢-أنوار الربيع في أنواع البديع، صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم.

٣-بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤-البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٥-جواهر البلاغة في شرح دروس البلاغة، محمد يوسف التاؤلي، مكتبة فقيه الأمة، ديوبند.

٦-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت.

٧-حسن الصياغة شرح دروس البلاغة، علم الدين محمد ياسين الفاداني، مكتبة النهضة العربية.

٨-خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي ابن عبد الله الحموي الأزراري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.

٩- الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر المستعصمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

١٠- شرح محمد بن صالح العثيمين على دروس البلاغة، مكتبة أهل الأثر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١١ - شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون لعبد الرحمن بن صغير الأخضري، شرح الدكتور البشير عصام المراكشي.

١٢ - شرح الجوهر المكنون للحازمي (دروس صوتية مفرغة).

١٣ - شرح دروس البلاغة للشيخ عبد المحسن العسكر (دروس صوتية مفرغة).

١٤ - شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، محمد بن محمد حسن شراب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

١٥ - شموس البراعة شرح دروس البلاغة، أبو الأفضال محمد فضل حق الرامفوري، مكتبة المدينة، كراتشي، باكستان، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

١٦ - علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي، دار القلم، بيروت ٢٠١٦م.

١٧ - فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان بن حسن القنوجي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٨ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.

١٩ - معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٠ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى-أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار، دار الدعوة.

الفهرس